

الطريق إلى النور

الوعي البديل والعالم التجاوزي



الجزء الرابع من مجموعة من نحن؟

ترجمة وإعداد

علاء الحلبي

أعرف نفسك

الدين الحقيقي هو عملي جداً. إنه يستند كلياً على الممارسة وليس على النظرية والتخمين من أي نوع. فالدين يبدأ من حيث تنتهي النظريات. هدفه هو قولبة الشخصية، يكشف عن الطبيعة الإلهية للروح، ويجعله ممكناً العيش في المستوى الروحي. هدفه الأسمى هو إدراك الحقيقة المطلقة وتجسيد الألوهية في أفعال الحياة اليومية. الروحانية لا تعتمد على قراءة النصوص الدينية، أو على التفسيرات المعمّقة للكتب المقدسة، أو على نقاشات لاهوتية حاذقة، بل على إدراك الحقيقة الأزلية الثابتة.

يُعتبر الرجل في الهند روحانياً أو متديناً ليس لأنه أَلَفَ كتاباً، ليس لأنه يتمتع بموهبة الخطابة وطلاقة اللسان بحيث يستطيع إلقاء مواظف فصيحة، بل لأنه يُظهر قوى إلهية في كلامه وأفعاله. يمكن لرجل أُمِّي تماماً أن يحرز أعلى مراتب الكمال الروحي دون حاجة لدخوله المدرسة أو الجامعة، ودون حاجة لقراءة أي نصوص مقدسة، بل فقط إذا سيطر على طبيعته الحيوانية عبر إدراك ذاته الحقيقية وعلاقتها مع الروح الكونية.. أو بمعنى آخر، إذا توصل إلى معرفة تلك الحقيقة الكامنة داخله والتي هي ذاتها تمثّل المصدر اللامتناهي للوجود، العقل، والنعيم. الشخص الذي ألمّ بكل النصوص المقدسة، كل الفلسفات، وكل العلوم، يمكن اعتباره من قبل مجتمعه بأنه عملاق فكري.. لكنه رغم ذلك، لا يساوي شيئاً بالمقارنة مع ذلك الرجل الأُمِّي الذي أدرك الحقيقة الأزلية وأصبح واحداً معها، يرى الله في كل مكان، ويعيش على هذه الأرض كتجسيد فعلي للألوهية.

إن كاتب هذه السطور محظوظ بالتعرّف على هكذا نوع من الرجال المقدسين في الهند. اسمه "راماكريشنا" Râmakrishna. لم يدخل المدرسة أبداً في حياته، ولا قرأ أي من النصوص المقدسة، الفلسفات، أو الأبحاث العلمية الدنيوية. لكن رغم ذلك، أحرز مرتبة الكمال في إدراك الله عبر ممارسة اليوغا. مئات الرجال

والنساء جاؤوا لرؤيته وتجسدت لديهم صحة روحية وارتقوا بفعل القوى الإلهية التي تمتع بها هذا الرجل الأمي. اليوم يبجله ويعبده الآلاف من كافة أرجاء الهند. يستطيع أن يشرح بوضوح استثنائي أي مسألة علمية أو فلسفية مهما كانت معقدة، كما يستطيع الإجابة على الأسئلة التعجيزية التي يطرحها علماء اللاهوت الحاذقون بطريقة مبسطة بحيث تبتد كل الشكوك حول المسألة المطروحة. كيف يستطيع فعل ذلك دون قراءة الكتب؟ من خلال تبصره العجيب في الطبيعة الحقيقية للأشياء، وبفعل القوة اليوغية التي جعلته قادر على الإدراك المباشر للأشياء التي يتعذر كشفها بواسطة الحواس التقليدية. لقد فتحت عيونه الروحية. أصبح بصره قادر على النفاذ عبر حجاب الجهل السميك المعلق أمام بصر الإنسان العادي، والذي يمنعه من معرفة ما يقبع وراء مجال الإدراك الحسي.



سري رامكريشنا بارامهانس (١٨١٤م)

هذه القوى تبدأ بالتجلي في النفس التي حققت الصحة أمام الواقع المطلق للكون. حينها فقط تتطور الحاسة السادسة المدركة للحقائق الكبرى وتحرر النفس من الاعتماد على القوى الحسية المحدودة. هذه الحاسة السادسة أو العين الروحية تكمن في كل فرد، لكنها تفتح عند القلائل فقط بين ملايين الناس، وهم يُعرفون

بـ"اليوغيين" Yogis. نجدها لدى الأغلبية العظمى في حالة بدائية، مغطاة بحجاب سميك. لكن عبر ممارسة اليوغا تتكشف للإنسان، ويصبح واعياً للعوالم الخفية العليا وكل شيء موجود في المستوى الروحي. إن كل ما يقوله ينسجم مع أقوال وكتابات العظماء الذين استبصروا الحقيقة في كل زمان ومكان. هو لا يدرس الكتب، لأنه لا يحتاج لفعل ذلك، فهو يعلم بكل ما يستطيع العقل البشري فهمه واستيعابه. يستطيع إدراك فحوى الكتاب دون قراءة نصوصه. كما أنه يفهم محدودية ما يستطيع الإنسان التعبير عنه بكلمات، وهو على دراية بما يقبع وراء الأفكار والذي لا يمكن أبداً التعبير عنه بكلمات.

قبل توصله إلى هذا التتورّ الروحاني يخوض مراحل متعددة من التطور العقلي والروحي، وكنتيجة لذلك يصبح ملماً بكل ما يمكن للفكر البشري اختباره. هو لا يأبه بالبقاء محبوساً ضمن حدود الإدراك الحسي، كما أنه لا يرضى بالفهم الفكري المحدود للواقع الدنيوي النسبي، بل هدفه الأسمى هو دخول العالم المطلق الذي يُعتبر بداية ونهاية الأشياء الحسيّة والمعرفة النسبية. لكن عبر الكفاح نحو تحقيق الأسمى، فهو لا يمتنع عن جمع كل المعارف النسبية المتعلقة بالعالم الحسيّ الدنيوي التي تأتي في طريقه خلال شق دربه نحو غايته المنشودة، أي استكشاف ذاته الحقيقية.

إن ذاتنا الحقيقية عالمة بكل شيء، هذه هي طبيعتها. إنها مصدر المعرفة اللامحدودة في داخلنا. خلال تقيدنا بمحدوديات الزمان، والمكان، والسببية، لا نستطيع التعبير فعلياً عن القوى التي نحوزها في جوهرنا. كلما ارتقينا أكثر فوق هذه المحدوديات المقيدة، كلما استطعنا تجسيد الصفات الإلهية ممثلة بـ"المعرفة الكلية" و"القدرة الكلية". لكن بشكل معاكس، إذا أبقينا عقولنا موجّهة نحو الظواهر الدنيوية وكرّسنا كامل طاقاتنا لهدف الحصول على المعرفة بالاعتماد كلياً على إدراكاتنا الحسيّة، هل سنشمل هذه المعارف الدنيوية؟ هل سنتمكن من معرفة الطبيعة الحقيقية للأشياء في هذا الكون؟ لا. لأن حواسنا الجسدية لا تستطيع أن تقودنا إلى ما وراء المظاهر الخارجية للأشياء المحسوسة. من أجل التعمق في

العالم المحجوب عن مجال إدراكنا نبتكر الأدوات، وبمساعدها نستطيع النفاذ مسافة قليلة إلى ذلك العالم. لكن هذه الأدوات أيضاً محدودة القدرة. بعد استخدام أحد أنواع هذه الأدوات، نصبح غير مكتفين بالنتائج ونبحث عن أداة أخرى نستطيع الكشف عن المزيد والمزيد، فنستمر بالكفاح للمعرفة أكثر وأكثر، وفي كل خطوة نكتشف كم هي هذه الوسائل الحسيّة عاجزة وضعيفة في هذا الدرب اللامتناهي نحو إدراك المطلق. نُدفع في النهاية إلى استنتاج أن أي أداة، مهما كانت جيّدة، لا تستطيع مساعدتنا في معرفة ما يقبع وراء حدود إدراكنا الحسيّ، أو ما وراء الفكر أو العقل.

إذاً، حتى لو قضينا كامل وقتنا وطاقتنا في دراسة الظواهر، سوف لن نصل إلى أي نتيجة مرضية أو نستطيع رؤية الأشياء على حقيقتها. إن المعرفة السائدة اليوم، والتي اكتسبت بمساعدة أدوات معيّنّة، سوف تُعتبر جهلاً في المستقبل، بعد أن نحوز على أدوات أفضل. إن المعرفة التي سادت في السنة الماضية أصبحت الآن جهلاً بالنسبة للسنة الحالية، والمعرفة السائدة في هذا القرن سوف تُعتبر جهلاً في ضوء اكتشافات القرن القادم.

إن مدى عمر الإنسان قصير جداً بالنسبة لاكتساب معرفة صحيحة وشاملة لكل ما هو موجود في هذا العالم المتجلّي مادياً. حتى مدى حياة مئات آلاف الأجيال البشرية، لا بل الإنسانية جمعاء، تبدو قصيرة جداً بالمقارنة مع التنوّع اللامتناهي في الكون، والعدد اللامحدود للأشياء التي وجب معرفتها قبل التوصل إلى خاتمة المعرفة الشاملة. إذا استطاع رجل أن يعيش مليون سنة، محافظاً على قوة حواسه طوال هذه الفترة الطويلة، واستطاع قضاء كل لحظة منها في دراسة الطبيعة ويحاول مجتهداً معرفة أدق تفاصيل الأشياء الحسيّة، هل سينجح في تحقيق المعرفة الشاملة خلال فترة حياته؟ لا بكل تأكيد. سوف يرغب بالمزيد من الوقت، كما سيتمنى لو تمتع بقوة إدراك جيدة، وقدرة ذهنية حادة، وفهم أعمق.. وحتى لو توفرت هذه الأمور، سوف يقول في النهاية كما قال "إسحاق نيوتن" بعد أن قضى حياة طويلة زاخرة بالبحث والمعرفة: "لم أجمع من العلم سوى بعض الحصى

الموجودة على شاطئ محيط المعرفة..". حتى أن عبقرى مثل "تيوتن" عجز عن وصول حافة مياه المحيط، كيف لنا أن نتوقع عبور هذا الامتداد المائي الهائل من جنب إلى جنب خلال سنوات حياتنا المحدودة؟ لقد جاءت وذهبت آلاف الأجيال، وآلاف غيرها سنأتي وتذهب، ورغم ذلك سيبقى الإمام بكامل المعرفة المتعلقة بالعالم الحسي منقوصاً. يمكن إزالة حجاب وراء حجاب، لكن سيبقى دائماً مقابلها حجاب وراء حجاب. لقد فهمت هذه الحقيقة من قبل حكماء اليوغا ومستبصرو الحقيقة في الهند، والذين قالوا: "لامتناهية هي فروع المعرفة، وكم هي قصيرة حياتنا وكم هو عدد العقبات في دربنا، لهذا السبب وجب على الحكماء الاجتهاد نحو معرفة ما هو أسمى..".

هنا يبرز السؤال: أيها هي المعرفة الأسمى؟ هذا السؤال هو عريق بقدر عراقة التاريخ. لقد حير عقول الفلاسفة، العلماء، والفقهاء في كل عصر وكل مكان. بعضهم وجد جواباً لهذا السؤال، والبعض الآخر لم يفعل. السؤال ذاته طرحه الفيلسوف سقراط في الأزمنة القديمة، عندما زار معبد "دلفي" Delphi الشهير طالباً إجابة شافية وافية على السؤال الذي طالما حيرته: "بين كل المعارف، أيها هي الأسمى؟.."، فجاء الجواب: "أعرف نفسك..".

وقد ورد في أحد نصوص "الأوبنشاد" Upanishads بأن مفكر عظيم، بعد دراسة كل الفلسفات والعلوم المعروفة في زمانه، جاء إلى أحد مستبصري الحقيقة وقال: "سيدي، لقد تعبت من هذه المعارف ذات المنزلة المتدنية التي يمكن اكتسابها من الكتب أو عبر دراسة عالم المحسوسيات.. فهي لم تعد ترضي فضولي، حيث العلم لا يستطيع الكشف عن الحقيقة النهائية.. أرغب في معرفة أيها هي الأسمى. هل هناك وسيلة معرفية تمكّني من إدراك الكون على حقيقته؟..".

أجاب الحكيم: "نعم يوجد هناك معرفة، وهذه المعرفة هي الأسمى.. من أجل التعرف على الطبيعة الحقيقية لكل الأشياء في الكون، ما عليك سوى أمر واحد: أعرف نفسك.. إذا كنت لا تستطيع تعلم الطبيعة الحقيقية لذاتك، فسوف لن تعرف

حقيقة الكون.. في ذاتك الحقيقية سوف تجد الحقيقة الأزلية، المصدر اللامتناهي لكل الظواهر.. من خلال معرفة هذا سوف تعرف الله وكامل خلقه..". أي كأنك من خلال معرفة الخواص الكيماوية لقطرة ماء واحدة، يمكنك معرفة خواص كل الماء أينما وجد. وبالتالي، من خلال معرفة من نحن وما نحن عليه فعلياً، سوف نتمكن من إدراك الحقيقة النهائية. الإنسان هو مثال مُصَغَّر للكون. إن ما هو موجود في العالم الكبير يمكن إيجاده في العالم الصغير. وبالتالي، إن معرفة الذات الحقيقية للفرد تُعتبر المعرفة الأسمى. ذاتنا الحقيقية هي مقدسة ومندمجة مع الله. قد يبدو لنا الأمر حالياً مجرد نظرية، لكن كلما اقتربنا أكثر إلى الحقيقة النهائية، كلما زاد فهمنا بأنها ليست مجرد نظرية بل حقيقة ثابتة. نحن الآن نلحظ خلال غفوة الجهل ونتخيل أنفسنا بأننا فلان من الناس ذو اسم ومنزلة ومواصفات معينة. لكن كما الحلم الحقيقي الذي يراودنا أثناء النوم، كل ما نخبره من تجارب ومشاعر ليس له أساس ولا يترك أي تأثير بعد أن نصحو من النوم. سوف نكتشف بأن كل المعارف والعلوم المتعلقة بظواهر الطبيعة المحسوسة، والتي نقدرها عالياً اليوم، ليس لها أي أهمية إطلاقاً. سوف نكتشف بأن كل الأبحاث في فروع العلم المختلفة تعتمد على المعرفة الذاتية، وأن هذه المعرفة الذاتية تمثل الأساس الذي بُني عليه هيكل المعارف والعلوم المتعلقة بظواهر الطبيعة المحسوسة.

إن معرفة الذات أو "الأتمان" Atman هي بالتالي أسمى المعارف على الإطلاق. إنها تمثل الغاية المثلى لعلم "اليوغا"، ووجب أن تمثل الهدف الأسمى لحياتنا الدنيوية. ووجب أن نعتبر هذه المعرفة للذات واجبنا الأول قبل محاولة التعرف على أي شيء متعلق بالأمور المادية الأخرى من حولنا. كيف يمكننا اكتسابها؟ ليس من الكتب، ليس عبر دراسة الأشياء المحسوسة، بل عبر دراسة طبيعتنا الفعلية، وعبر ممارسة الأفرع المختلفة لليوغا.

من كتاب "كيف تصبح يوغياً" How To Be A Yogi (١٩٠٢م)

لمؤلفه "سوامي أبهيداناندا" Swami Abhedānanda

في مقدمة كتابه "كيف تصبح يوغياً" المنشور عام ١٩٠٢م، يشجع الكاتب الهندي "سوامي أبهيداناندا" القارئ على معرفة نفسه أولاً قبل الخوض في أي موضوع روحاني آخر يأتي لاحقاً. أما الطريقة التي ينصح بها، فهي دراسة اليوغا بفروعها المختلفة وممارستها فعلياً في حياته اليومية. وقد ذكر الكاتب المتصوّف الهندي الجليل رامكريشنا، ليس بهدف تعظيمه أو تبجيله، بل بغرض تقديمه كمثال حيّ على اليوغى الأصيل الذي استطاع التعرف على نفسه الحقيقية بكل أبعادها وروعيتها وعظمتها، وراح يعيش حياته محترماً هذه النفس ومقدراً لها بعدما أدرك مستوى جلالتها.

الفكرة الجوهرية هنا هي أن كريشنا، رغم جلالته قدره، لم يكن مختاراً من الله أو مميزاً عن غيره من البشر، حيث كل إنسان في الكون يستطيع الوصول إلى هذه المرتبة الروحية السامية، لكن عبر ممارسة طريقة حياة خاصة والالتزام بسلوكيات خاصة والتمتع بصفات خاصة، وجميعها طبعاً تليق بمقام النفس التي تكشف عن جلالتها خلال مرحلة البحث عن الذات. ويزعم الكاتب بأن كل هذه الأمور (إدراك الذات والتعامل معها بالطريقة الصحيحة) يوفرها علم "اليوغا" Yoga. لكن السؤال هو: أي يوغا؟

ما هي هذه "اليوغا" التي قصدتها الكاتب؟ هل هي تلك التي يجلس خلالها الفرد في وضعيات ثابتة لساعات طويلة كالأبله دون حراك؟ هل هي تلك الرياضة الروحية التي أصبحت ممارستها حكراً على "الأرستقراطيين" المكتفين مادياً والمتحررين من مصاعب الحياة الضاغطة؟ الصورة العامة التي تكونت لدينا عن اليوغا هي التصاقها بشكل وثيق بشريحة اجتماعية محدّدة، الأقلية الميسورة، إذ لا يستطيع الجميع ممارستها لأنها تتطلب قدر كبير من الهدوء النفسي والفكري وهذه العوامل مفقودة لدى شريحة اجتماعية كبيرة، فانحسرت ممارستها بين الأقلية المتحررة من هموم الحياة. وهذا الأمر بالذات يجرد "اليوغا" من مصداقية مزاعمها الروحانية.



أصبحت كلمة "يوغا" تستحضر في مخيلتنا صور أشخاص ميسورين مادياً يمارسونها كرياضة ترفيهية بعد الانخراط في دورات تدريبية تعلّم على ممارستها مقابل دفع مبلغ مُعتبر من المال.

في الحقيقة، إن نظرتنا العامة تجاه هذه الممارسة الروحية لا زالت ضبابية وتحتاج للكثير من التوضيح. "اليوغا" هي طريقة حياة بكل ما تشمله من فناعات، طرق تفكير، وسلوكيات معيّنة. من أجل أن تصبح "يوغي" حقيقي، أنت بحاجة إلى ما هو أكثر بكثير من مجرد الجلوس في وضعية اللوتس لساعات طويلة كالأبله. "اليوغا" تختلف تماماً عن تلك الممارسة التي ارتبطت بالطبقة الميسورة. في ما يلي يوصف الكاتب ذاته كيف وجب أن يكون الإنسان قبل أن يُعتبر "يوغي" حقيقي:

".. علينا أولاً فهم كم وجب أن يكون الفرد روحانياً وربانياً قبل أن نعتبره "يوغي" أصيل. وجب على اليوغي الحقيقي أن يكون نقياً، عفيفاً، طاهراً، متفاني، وسيّد نفسه بالكامل. وجب أن تزيّن شخصيته سمات مثل التواضع، عدم التباهي، التسامح، الاستقامة، وثبات الهدف. وجب على عقل اليوغي الحقيقي أن لا يتعلّق بمسرات الدنيا أو غاياتها. وجب أن يكون متحرراً من الأنايية، الغرور، الخيلاء، والطموح الدنيوي. مدركاً الطبيعة الفانية للعالم المحسوس، ومتأملاً في البؤس، العذاب، المعاناة، الأسى، والمرض الذي التزم بالوجود الأرضي لكي نونتنا، وجب عليه أن يتبرأ من أي علاقة بالأشياء الخارجية، التي تدفعنا إلى الإنغماس بمسرات حسية مؤقتة، ووجب أن يتغلب على كل تلك المغريات التي تدفعنا إلى التمسك بالحياة الدنيوية والتي هي مغريات قوية جداً يصعب مقاومتها لدى البشر العاديين.

اليوغي الحقيقي لا يشعر بالسعادة عندما يكون بصحبة أشخاص يتصرفون بعقلية دنيوية والذين يعيشون على المستوى الحسي كالحيوانات. إنه غير مقيد بروابط عائلية. هو لا يزعم بأن هذه زوجته وهؤلاء أولاده.. بل بالعكس، بعد إدراكه بأن كل روح فردية، بصفاتها وليدة النعيم السرمدى، تنتمي أصلاً إلى العائلة الإلهية، يلغي كل العلاقات العائلية والارتباطات الدنيوية ويستقل تماماً. وجب على اليوغي الحقيقي أن يحافظ على رباطة جأشه خلال مواجهة الإختبارات البغيضة وكذلك السارة في الحياة. وباعتباره منترفعاً على ثنائية الخير والشر، وجب عليه أن يبقى هادئاً أثناء نجاحه وفشله، انتصاره وهزيمته، وغيرها من ثنائيات مماثلة يختبرها كنتيجة لإنخراطه الجسدي العقلي في هذه الدنيا الفانية.

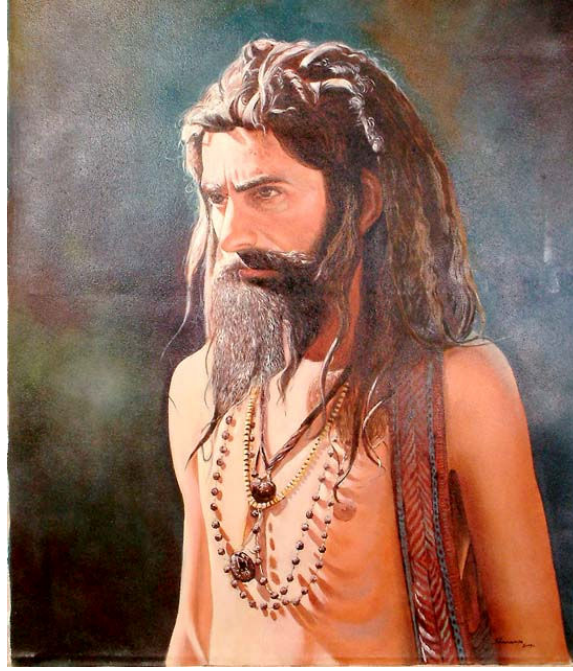
وجب أن يكون لليوغي الحقيقي ولاء ثابت للروح الأسمى، روح الأرواح.. العليمة بكل شيء والقادرة على كل شيء. ومن خلال إدراك أن جسمه وعقله يمثلان ملعب لهذه الإرادة الكونية الكلية، وجب عليه تسليم إرادته الفردية إلى الإرادة الكونية، وأن يكون حاضراً دائماً وأبداً لخدمة الآخرين، والعيش مع الآخرين، والموت من أجلهم. طالما بقي وسط مجموعة من البشر، وجب أن يُقدّم كافة أعماله وخدماته مجاناً للعالم لخير الإنسانية. لكن عليه في أوقات أخرى أن يلجأ

إلى أماكن معزولة ليعيش وحده، منكباً بعقله على تلمس الحكمة الروحية الأسمى التي يمكن إحرازها فقط عبر حالة الوعي الخارق، وهذه الحالة الأخيرة لا يمكن تجسيدها إلا عبر التأمل في وحدة الروح الفردية مع الروح الكونية.. الله.

على اليوغي الحقيقي أن يرى الألوهية ذاتها تقبع في كل المخلوقات الحيّة. عليه أيضاً أن يحب البشر بتساوي. عليه أن لا يكون أصدقاء ولا أعداء بالمعنى العادي لهذه المصطلحات. اليوغي الحقيقي متنور بضوء الحكمة الإلهية، فبالتالي، لا شيء يبقى مجهولاً بالنسبة له. عاملاً الزمان والمكان لا يستطيعان الحدّ من معرفة اليوغي الحقيقي وحكمته. ستبدو له الأحداث الماضية والمستقبلية وكأنها تحصل أمام عينيه. بالنسبة له، ضوء الحكمة الإلهية بددت ظلام الجهل الذي يمنع الفرد من إدراك الطبيعة الحقيقية للنفس، هذا الجهل الذي يجعل الفرد أنانياً، شريراً، وأثماً. كافة القوى الروحية والنفسية تخدمه كسيّد حقيقي لها. كل ما يقوله سوف يحصل بكل تأكيد. هو لا يتلفظ بأي كلمة هباءً. إذا قال للشخص المعاني والمتألم ".. كن سالمًا معافى..". سوف يصبح ذلك الشخص سالمًا ومعافى فعلاً.

إن قوى اليوغي الحقيقي غير محدودة، ليس هناك شيئاً في العالم يعجز عن فعله. بالفعل، هو وحده يملك منفذ مباشر إلى مخزن القوى اللامحدودة، لكنه لا يستحضر أي من تلك القوى لغاية إرضاء الفضول التافه، أو إشباع الدوافع الأنانية، أو لاكتساب الثروة والشهرة والجاه، أو الحصول على أي مقابل من أي نوع. هو لا يبحث عن الرخاء الدنيوي، ويبقى دائماً غير مبالي بنتائج خدماته. لا الإشادة ولا النقد يعكران هدوءه العقلي. الملائكة والأرواح النورانية وكذلك أرواح الأجداد تبتهج بحضوره وتمجّده. اليوغي الحقيقي معبود من قبل الجميع. مجرداً من أي منزل أو ممتلكات خاصة به، يجول من مكان إلى مكان، مقتنعاً بأن قبة السماء هي سقف منزله العالمي الشاسع. إنه يُسرّ بسهولة بأي شخص يقابله مهما كان انتماءه الطبقي، العرقي، الوطني، وقلوب محب ومتسامح يبارك أولئك الذين يذموه ويوبخوه. إذا عُدب جسده أو قُطع إرباً، سوف لن يثار أبداً، بل بالعكس، يصلح لخير مضطهده. هكذا هي شخصية اليوغي الحقيقي.

منذ أزمنة غابرة، عاش على هذه الأرض الكثير من هذا النوع الجليل من اليوغيين الحقيقيين في الهند وبلاد أخرى حول العالم. ربما لم يُشار إلى هؤلاء الأشخاص خارج الهند باليوغيين بل أسماء أخرى تعبّر عن مكانتهم الجليلة، لكن جميعهم في النهاية متشابهون وينتمون لنفس النوعية. فالرجل الذي تجول في بلاد كنعان قبل ألفي عام لم يُشار إليه باسم "اليوغي"، لكن رغم ذلك، تمتع يسوع المسيح بكامل مواصفات اليوغي الحقيقي.."



زاهد متجول، يمكن اعتباره الأقرب إلى "اليوغي الحقيقي"

يبدو واضحاً أن الوصف السابق لليوغي الحقيقي بعيد كل البعد عن الصورة (الأرستقراطية) التي تستحضرها مخيلتنا عن "اليوغا" في هذه الأيام. كم نسبة اللذين يمارسون رياضة "اليوغا" في الوقت الحاضر يتمتعون بمواصفات "اليوغي" الحقيقي التي تحدث عنها الكاتب؟ الجواب بديهي طبعاً، وبالتالي نستنتج بأن الذين نشاهدهم اليوم ليسوا يوغيين حقيقيين بل ممارسي رياضة ذهنية مُشتقة من أحد

أفرع تعاليم "اليوغا". "اليوغا" بمجملها ليست رياضة ذهنية، وبنفس الوقت، "اليوغا" ليست دين أو حزب أو مذهب، أنت لا تستطيع اعتبار نفسك يوغياً مجرد أن انتميت لإحدى المدارس اليوغية أو أي حلقة أو جماعة تدعي هذا الاسم. "اليوغا" التي تحدث عنها الكاتب هي طريقة حياة. وطريقة الحياة هذه لا تستطيع عيشها فقط لأنك مُلتزماً بعيشها، بل وجب أن تعيشها مدفوعاً من قناعة نابعة من أعماقك لكي تتمتع بعيشها وليس أن تعاني من عيشها. لكن كيف سيتم هذا كله؟ من سيرغب بالعيش بهذه الطريقة "الوضيعة" (وفق المعايير العصرية) طوال حياته بشكل إرادي وعن قناعة تامة؟ هنا تكمن أهمية التعرف على الحقيقة.. خصوصاً تلك المتعلقة بطبيعتنا ككائنات بشرية. والأمر الأهم هو عدم الإكتفاء بـ"إدراك الحالة" بل أن "تعيش هذه الحالة". وهذه الفكرة بالذات تتطلب الكثير من أجل توضيحها، وهذا ما سأفعله لاحقاً مع تتابع الأفكار.

من المؤكّد أن معظمكم سوف لن يستسيغ هذا الموضوع بمجمله أو حتى يستوعبه بشكله الصحيح لأننا معتادين على طريقة حياة مختلفة، منطلق مختلف، وقناعات مختلفة. وبالتالي كوننا نظرة مختلفة للعالم من حولنا. لكن بما أننا في صدد التعرف على طبيعتنا الأصلية، هناك الكثير من الحقائق التي سنواجهها بحيث تكون مخالفة لقناعاتنا وحتى متعارضة معها. وبالإضافة، بما أننا نتناول الأبعاد الماورائية لكيونتنا البشرية، فلا بدّ من المرور على الروحانيات الهندية لما فيها من مواضيع غنية تتناول تلك الأبعاد الإنسانية الرائعة. لكن هذا لا يجعلنا مضطربين للالتزام بكل ما أنتجته العصور الطويلة من سفسطة لاهوتية أدخلت إلى أدبيات هذا العلم الجليل. لذلك سوف أحاول بقدر الإمكان توضيح الأمور وتبسيطها عبر تجريبها من كل الزوائد غير الضرورية وأقدم الجواهر بأنقى حالته. بالرغم من ما طُرح في الفقرات السابقة من أفكار، أنا واثق بأنه حتى هذه اللحظة لم تتكوّن لديك صورة واضحة عن "اليوغا" وما هو معناها والفكرة الجوهرية التي تتمحور حولها. هل هي رياضة روحية، طريقة حياة، مجموعة معتقدات، دين..؟ ما هي "اليوغا" فعلاً، وما القصد من وجودها أصلاً؟ هذا ما سنتعرف عليه من خلال حديث "سوامي أبهيداناندا" في كتابه عن اليوغا:

ما هي اليوغا؟

في كل النصوص المقدسة حول العالم، وبالإضافة إلى سيرة حياة المعلمين الروحانيين الكبار، الأنبياء، القديسين، الحكماء المستبصرين، نجد أوصاف متكررة لأحداث استثنائية ومعجزات تتجلى فيها قوى غامضة، والتي رغم وجود قدر معين من المبالغات في وصفها، إلا أنها تستند على أساس من الحقيقة. نحن نعلم فعلياً بأنه منذ أزمنة غابرة، وفي كل مكان وكل زمان برز في الأمم المختلفة أشخاص يستطيعون قراءة أفكار الآخرين، أو ينتبئوا بأحداث مستقبلية تحققت فعلاً، وغيرها من قدرات غير مألوفة، لكن معظم هؤلاء لم يفهموا سبب تجسيد هذه المواهب العجيبة لديهم وحاولوا تفسيرها من خلال إنسابها لتأثير كائنات خفية أشاروا إليها بأسماء مختلفة حسب اختلاف الثقافة، مثل الآلهة، الملائكة، الأرواح الخيرة أو الشريرة، العفاريت.. إلى آخره.

البعض منهم تمتعوا بالمنزلة الاجتماعية المميزة التي ارتقوا إليها بصفاتهم يمثلون أدوات مختارة من قبل القوى العليا وراحوا يرضون على المجتمع عبادتهم كآلهة أرضية ممثلة للآلهة السماوية، كما يفعل زعماء بعض الطوائف اليوم. في بعض الأحيان، كان يُنظر إلى هؤلاء الذين حازوا على قدرات غير عادية على أنهم استثناءات مقدسة، وتمحورت حولهم أديان كبرى. بينما البعض الآخر أُدين بتهمة الشعوذة والسحر، وأدى الخوف من هذه التهم إلى ممارسة القدرات الإستثنائية بشكل سرّي عبر طرق وأساليب متنوعة لاستنهاضها فنتج من ذلك بروز عدد لا يُحصى من المظاهر المختلفة لهذه التجسيدات غير الطبيعية.

بقيت تلك الأساليب المؤدية لاستنهاض القوى الخارقة سرّيّة ولم تُكتب أبداً، بل انتقلت شفويّاً من سيّد إلى مُريد، وقد تمّ التشديد على حراستها بصفحتها أسرار مقدسة. هذا هو السبب الذي أدى إلى ظهور عدد كبير من الجمعيات السريّة في الأمم القديمة، والتي كانت غايتها الأولى إستنهاض قوى مُعيّنة عبر مناهج تدريبيّة

وممارسات مختلفة. كانت هذه الجمعيات والمنظمات السريّة قائمة منذ أيام الحضارات القديمة وصولاً إلى اليوم حيث أشهرها أصبح ما نعرفه بالمحفل الماسوني. لم يُقدم أي من أعضاء هذه الجمعيات السريّة على كشف أسرار تعاليمها أو ممارساتها أو مناهجها التدريبيّة، ولم يكتب أحدهم كتاباً واضحاً يوفر تفسيراً منطقيّاً أو علمياً لتلك الممارسات والمناهج. بسبب هذا الوضع المؤسف الذي ساد لقرون طويلة في الغرب، والمتمثّل بسيطرة أنظمة دينية متشددة على أرواح الرعايا من جهة، ومن جهة أخرى انحسار التعاليم المساعدة على تحرير عقل الإنسان وروحه بين مجموعة قليلة من الجمعيات السريّة، عجزت الأمم الغريبة عن إيجاد تفسيرات منطقية تمكنها من فهم تلك القدرات الاستثنائية التي تبرز بين الحين والآخر بين الأفراد العاديين. وبالتالي، لم تُعمّم تلك الظواهر العجيبة على نطاق واسع بسبب غياب الأنظمة أو المناهج أو العلوم المناسبة لاستنهاضها وتعزيزها.

بينما في الهند كان الأمر مختلفاً، حيث لم يتعرّض ممارسي هذه القدرات الاستثنائية للقمع والإدانة في أي زمان وأي مكان عبر القرون الطويلة. بل بالعكس، كان يتم تشجيع هذا النوع من الممارسات وتقديرها. حتى أن كل هندوسي كان مُجبِراً، كجزء من واجبه الديني، على تطوير قدرات معيَّنة عبر ممارسات يومية، بالإضافة إلى اجتهاده الدائم والحثيث للوصول إلى إدراك الحقائق الكونية السامية عبر هذه الممارسات. في الشوارع، في الأسواق، في القصور، وحتى في ساحات المعارك، نجد الكثير من الذين تمكنوا ليس من إدراك الحقائق السامية فحسب، بل قاموا بتصنيف تجاربهم الإستثنائية واكتشفوا تلك القوانين التي تحكم طبيعتنا السامية، وعلى تلك التجارب والخبرات تم تشييد هذا العلم الباطني العميق المُسمى بـ"اليوغا".

فنرى إذاً أن هذا العلم، كما باقي العلوم الأخرى، استند على التجربة والاختبار، حيث الأسلوب الذي اتُّبع في تشييده كان مماثلاً لذلك المُتبع في العلوم العصرية خلال تحقيق كل اكتشافاتها للقوانين الطبيعية، أي أسلوب التجربة والملاحظة. هذا

الأسلوب العلمي المنهجي، الذي يُعتبر في الغرب ابتكاراً حديثاً، تم تبنيه في الهند منذ عصور قديمة من قبل الـ"ريشيس" Rishis أو مستبصري الحقيقة. تمكنوا عبر المراقبة المتأنية والتجربة المتكررة من اكتشاف القوى المرهفة للطبيعة، وكذلك القوانين التي تحكم كينونتنا الجسدية، العقلية، والروحية. كافة الحقائق التي جمعوها من خلال تحقيقاتهم وتجربتهم الخاصة دونوها في الكتب وشرحوها لتلامذتهم. كل ما أكدوه من أمور متعلّقة بطبيعة الروح أو الله لم تكن مزاعم وافتراضات بل إدراكات ملموسة اختبروها بأنفسهم. لم يطلبوا من المرید ممارسة أي شيء قبل أن يمارسوه بأنفسهم ويحققوا نتائج واضحة ومحددة من تلك الممارسة. لم يفرضوا أي التزام أعمى بالمسلمات، بل زرعوا قناعة عميقة بها.



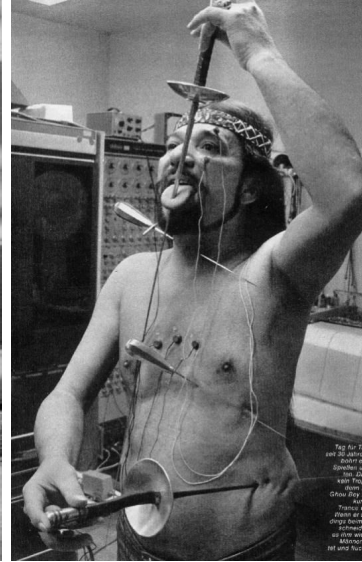
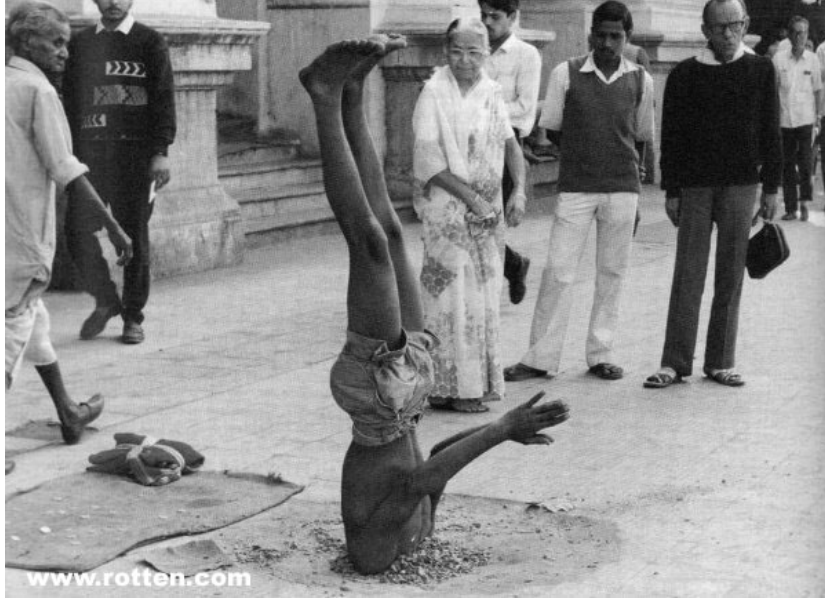
بهذه الطريقة، وكحصيلة أبحاث متأنية في الطبيعة استمرت عبر أجيال متتالية من السعاة الجادين وراء النور، نمت في الهند أنظمة علمية، فلسفية، نفسية، ميتافيزيقية، ودينية مختلفة، منها ما كان نظري تأملي ومنها ما كان عملي جداً، وقد جُمعت هذه الأنظمة تحت اسم واحد: الدين الآري "Aryan Religion". استُخدمت كلمة "الدين" لتشمل كافة هذه الأنظمة، لأنه في الهند لم يشهد أي عصر من العصور انفصال "الدين" عن تلك الأفرع العلمية المختلفة، أو من السلوك

اليومي للرعايا. أما الوسائل التي تم من خلالها تطبيق تلك الحقائق العلمية في الحياة اليومية للفرد لتعزيز تطوره الروحي، فأشير إليها جميعاً بالمصطلح العام "يوغا" Yoga.

"اليوغا" هي كلمة سانسكريته تُستخدم عموماً للإشارة إلى الجانب العملي من الدين، والمهمة الأولى في المنهج التدريبي الذي تمثله هي الإلتزام الصحيح بالقوانين التي تفرضها طبيعتنا الجسدية والأخلاقية، والتي عليها يعتمد تحقيق الصحة السليمة وحالة الكمال الأخلاقي والروحي. لقد أُسيء فهم واستخدام كلمة "يوغا" بشكل فظّ من قبل الكتاب في بلاد الغرب، حيث ربطوها بمفاهيم مثل الشعوذة، المسمرة، الخداع، والدجل، حيث أينما سمع الناس كلمة "يوغا" يستحضرون صورة المحتال أو لاعب الخفة الاستعراضية أو الدجال، أو يماثلون "اليوغي" بـ"الفاكير" fakir (الناسك الدرويش)، أو بالذين يمارسون السحر الأسود. يقع جزء كبير من المسؤولية على الباحثين (العلمانيين) في التراث الهندي، وحتى الصوفيين من أتباع النيوصوفية theosophy الذين أسأوا استخدام مصطلحات "اليوغا" ومفاهيمها.



لقد أُسيء فهم كلمة يوغا لدرجة جعلت الأغلبية تخلط بين "اليوغي" و"الفاكير" أو (الناسك الدرويش) والمستعرض الجوّال



لقد أسيء فهم واستخدام كلمة "يوغا" لدرجة جعلت الكثير من الناس يربطونها
بالاستعراضيين أو الدراويش الجوالين.



اليوغا الحقيقي لا يستعرض قواه أمام العموم مهما كان المقابل المادي
أو المعنوي مغرياً



اليوغي الحقيقي لا يستعرض قواه أمام العموم تلبية لدافع "حب الظهور"

إن كل من درس النصوص المقدسة الهندية، مثل الـ"البهاغافاد غيتا" Bhagavad Gita (ترجمت بمعنى "أنشودة السماء")، سوف يلاحظ بأن كل مقطع من هذه الأنشودة مكرّس لنوع معين من "اليوغا"، أو وسيلة لإدراك الحقيقة النهائية وإحراز الحكمة الأسمى، وأن الشخص "اليوغي" هو من يصل إلى أعلى مرتبة من الدين عبر تدريبات مختلفة. وهذه المرتبة الأسمى، وفق الـ"البهاغافاد غيتا"، تتمثل باتحاد الروح الفردية مع الروح الكونية.

لكن من ناحية أخرى، الكتاب الهنود أيضاً استخدموا كلمة "يوغا" بمعاني مختلفة ووفق مفاهيم متنوعة. سوف أذكر بعضها لكي أبين مدى اتساع المجال الذي تغطيه هذه الكلمة. أولاً، استخدمت كلمة "يوغا" لتعني اتحاداً بن شيتين ظاهريين. ثانياً، استخدمت لتعني دمج الشيء بشيء آخر. ثالثاً، استخدمت لتعني علاقة تبادلية بين المسببات لتنتج تأثيراً. رابعاً، استخدمت لتعني تنظيم التجهيزات العائدة لجندي أو أي شخص آخر متخصص في مهنة معينة. خامساً، استخدمت لتعني التطبيق،

والتمييز، والإستنتاج الضروري لاكتشاف حقيقة معينة. سادساً، استُخدمت لتعني قوة الصوت التي تجعله يوصل فكرة محددة. سابعاً، المحافظة على ما يحوزه الفرد. ثامناً، تحول الشيء إلى شيء آخر. تاسعاً، اتحاد الروح مع روح أخرى أو مع الروح الكونية. عاشراً، جريان تيار فكري نحو شيء معين. وأخيراً، توقف كامل المجريات الفكرية عبر التركيز والتأمل. وهكذا نلاحظ كم عدد الأفرع المختلفة من الفن، العلم، الفلسفة، علم النفس، والدين التي تشملها هذه التعريفات المختلفة لكلمة واحدة فقط. يبدو فعلاً أنها تغطي بمجالها الواسع كل قسم في الطبيعة. لكن إذا قمنا من ناحية أخرى بالنظر إلى المعنى الحرفي للكلمة، سوف نفهم بسهولة السبب الذي يجعلها شاملة بهذه الدرجة.

الكلمة "يوغا" مُشتقة من الكلمة السانسكريتية "يوج" Yuj، وتعني "الوصل" أو "الربط" أو "الاندماج". واستُخدمت في النصوص لتعني مثلاً "ربط الفرد نفسه مع شيء معين" (أي انخرط في مجال، أو انظم إلى عمل أو تيار معين)، أو "اندماج الفرد في مسألة معينة" (أي سخر نفسه لغاية معينة)، وغيرها من معاني متشابهة لكن تُفهم حسب ورودها في النص. معناها الجوهرية هو بذل جهد معين لتحقيق غاية معينة، والجهد المطلوب في العملية قد يكون عقلي أو جسدي، حسب الغاية. إذا كانت الغاية تتمثل بإحراز حالة صحية مثالية أو طول عمر، فوجب أن يكون الجهد عقلي وجسدي معاً من أجل تحقيق هذه الغاية عبر ممارسة تدريبات محددة، وهذه الممارسة المحددة من أجل تحقيق غاية محددة هي التي تُسمى "يوغا". وكذلك الحال أيضاً إذا كان الهدف تطوير قدرات عقلية خارقة، فالكلمة ذاتها تُستخدم للإشارة إلى التدريب المؤدي إلى تحقيق هذه الغاية. كما تُستخدم نفس الكلمة للإشارة إلى التدريب العقلي الضروري لإحراز السيطرة الذاتية، وكذلك إلى التدريب الضروري لاتحاد الروح الفردية مع الروح الكونية، وكذلك إلى التدريب الضروري لتجسيد الكمال الروحي الأسمى.. وهكذا إلى آخره. إذاً، كلمة "يوغا" لا تمثل مذهب روحي معين، أو دين أو فلسفة أو مذهب فكري أو غيرها، بل كانت تُستخدم أصلاً للإشارة إلى "منهج" أو "اتباع طريقة معينة لتحقيق هدف معين"، أي أنها تمثل نوع من "منهج علمي" قائم بذاته يستند على منطق خاص في نظريته

للكون. وقد كُتِبَ عدد هائل من المجلدات في الهند توصف عدد كبير ومتنوع من أفرع ومناهج تطبيقية لعلم "اليوغا"، والغايات المختلفة التي يمكن إحرازها عبر ممارسة تدريباته المختلفة، بالإضافة إلى تحديد أي من هذه التدريبات تناسب المؤهلات التي يتمتع بها المبتدئ، وأي مراحل وجب تجاوزها قبل تحقيق هدفه المنشود، وأي عقبات تواجهه وكيف يمكن تجاوزها. بمعنى آخر، ومن أجل زيادة التوضيح، يمكن اعتبار المنهج المتبع لتحضير "أبو رافع" (المذكور في الجزء السابق) بأنه يمثل أحد أفرع الـ"يوغا" رغم أنه ينتمي لثقافة مختلفة ونظام روحي مغاير تماماً، لكن بما أننا نتكلم عن انخراط في نظام تدريبي معين لتجسيد غاية معينة، فهذا يعني أننا نتحدث عن "يوغا".

"اليوغا" إذاً ليست مرتبطة بمذهب فكري معين، بل هي كلمة تُستخدم في اللغة الهندية لتمثل منهج علمي/روحي يتم إتباعه بهدف تطوير قدرات معينة، وبناءً عليه يمكن اعتبار "خلوة التحضير" الموصوفة في الجزء السابق بأنها "يوغا" قائمة بذاتها. إن أي شخص منخرط في مجال الروحانيات، مهما كان عرقه أو مذهبه أو جنسيته أو ثقافته.. إلى آخره، يمكن اعتباره "يوغياً" لأنه، كما يفعل "اليوغي" الهندوسي، يتواصل مع مصدر كل القوى والطاقات الكونية، ويدرس القوانين التي تحكمها، ويبحث في الوسائل التي تمكنه من السيطرة عليها. أليس هذا ما يفعله سيّد الـ"تشي كونغ" في الصين أو "القبالي" في الشرق الأوسط مثلاً؟ جميعهم متشابهون، المنطق هو ذاته، رغم اختلاف المنهج والوسيلة والتقليد.

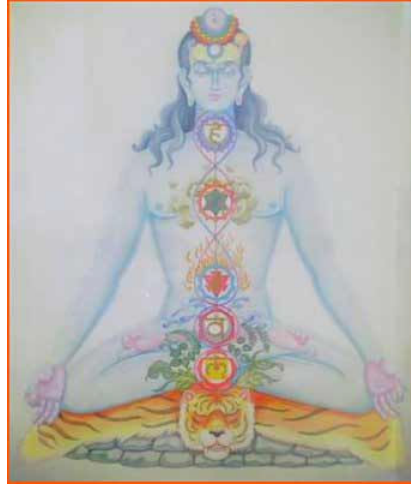
جميع هؤلاء، مهما اختلفت ممارساتهم ومناهجهم التدريبية، يؤمنون بنفس الأفكار الجوهرية ويعتقدون المنطق ذاته. كل منهم يؤمن في قرارة نفسه أن قوى الطبيعة المختلفة هي مجرد تعبيرات متباينة عن طاقة كونية حيّة واحدة. كل منهم ينظر إلى القوى الفيزيائية، مثل الحرارة، الجاذبية، الكهرباء.. وكذلك القوى الذهنية، مثل العقل، الذكاء، الفكر.. على أنها تجسيدات مختلفة لقوة واحدة حيّة ذاتية الوجود. هذه الطاقة الكونية العاقلة ينبثق من جوهرها كل الشمس والنجوم والأقمار والكواكب لتتجسد في الفضاء المادي. هذه القوة العاقلة المنتشرة في كل

مكان هي التي تحوّل الجسيمات الصغيرة إلى أجسام عملاقة من خلال إدارة نموها وازدهارها عبر مراحل متعاقبة. هي التي تحرك الأشياء ابتداءً من الأجرام السماوية نزولاً إلى الجسيمات الذرية، وتمنح الحياة والحركة لكل جزيء وكل ذرة وكل خلية، وبنفس الوقت تجسّد نفسها على شكل عقول وأفكار وإلهامات. جميع الروحانيين حول العالم يؤمنون بهذه القوة الكونية العاقلة، مصدر كل شيء. لكن الهندوسي يشير إليها باسم "برانا"، والصيني يشير إليها باسم "تشي"، والقبلائي يسميها "كوثر"، والإغريق القدامى سموها "أيثر".. وهكذا إلى آخره. أما وفق المفهوم العلمي المعاصر، يسمونها "الأثير" (وقد جُردت من مضمونها الحقيقي وتحولت إلى مصطلح فيزيائي تافه لا معنى له).

كل أتباع المذاهب الصوفية المختلفة أدركوا هذه القوة الكونية على طريقتهم الخاصة ووفق مفهومهم الخاص، وأتبعوا منهاج تدريبي محدّد (يوغا) أو ممارسة محددة لتحقيق الوحدة بينهم وبين هذا المصدر الأولي لكل شيء موجود، فاستطاعوا التحكم بالطواهر الطبيعية عبر فهم القوانين التي تحكمها.

الفرق الوحيد بين كل هذه المناهج التدريبية المختلفة (أو علوم اليوغا المختلفة)، التي كانت منتشرة يوماً في كافة أصقاع الأرض، هو أن علم "اليوغا" في الهند بقي قائماً سليماً وكاملاً عبر العصور الطويلة، دون أن يتعرّض لأي تحريف أو تزوير أو طمس أو تدمير أو أي من الأعمال التي تشوّه مبادئه ومناهجه المختلفة (لكن سوء الترجمة أدت إلى نتائج أكثر فظاعة). بينما علوم "اليوغا" الأخرى، خصوصاً تلك التي ازدهرت يوماً في الشرق الأوسط (القبالة مثلاً) فقد اختفت تماماً من دائرة التداول الشعبي وانحسرت بين مجموعة من المشعوذين (اللاويين اليهود) فحُرمت منها باقي شعوب المنطقة والعالم.

علم اليوغا



وفقاً للتعريف الذي توصلنا إليه في النهاية بخصوص "اليوغا"، هي لا تمثل مذهب روحي معين، أو دين أو فلسفة أو مذهب فكري أو غيرها، بل تمثل نوع من "منهج علمي" قائم بذاته يستند على منطق خاص في نظريته للكون. وعندما وصفها الكاتب "سوامي أبهيداناندا" بأنها "طريقة حياة" لم يقصد تلك الطريقة التي تُفرض فرضاً أو الإلتزام بمسلمات لاهوتية صارمة، بل عيش تلك الحياة عن قناعة تامة. وهذا لا يمكن تحقيقه قبل تعرّف الفرد على الكثير من الحقائق الجديدة عن نفسه. أي بمعنى آخر، تزويده ببرنامج معلوماتي كامل متكامل عن الطبيعة الحقيقية للكينونة الفردية خصوصاً والكون عموماً. "اليوغا" إذاً لا تتوقف عند تعريف الفرد على الحقيقة بل تجعله يعيش هذه الحقيقة بشكل عملي، وهذا يتطلب منهج خاص من التدريب والممارسة.

لقد عرف الحكماء اليوغيون، ومنذ تلك الأزمنة الغابرة، بأن العقل قابل لأن يلعب دور الكمبيوتر الذي نعرفه اليوم، أي يمكننا تحميله ببرنامج فيه "منظومة معلوماتية" خاطئة أو غير صحيحة أو مزورة، والمحصول الناتج هو مجموعة من

الأوهام التي يتخبط فيها العقل وصاحبه. وها نحن نعود للحكمة الهندية القديمة التي طالما تحدثت عن "الوهم" illusion الذي يسود عقول البشر، وهذا مفهوم أساسي في معظم الفلسفات الشرقية. فخوض الحياة من خلال عقل مزود بمنظومة معلومات وهمية سيجلب لصاحبه المربك الكثير من الألم والبؤس.

وبالفعل، فالهروب أو النجاة من "الوهم" يُعتبر موضوع رئيسي في مناهج "اليوغا". ويُقصد بـ"الهروب" هنا أن "يتخلص" الفرد من "المنظومة المعلوماتية الذهنية الخاطئة" التي جردته من العناصر الأساسية التي تمكنه من عيش الواقع الحقيقي بسعادة وهناء. وهذا ما تحققه فلسفة "الفيدانتا" Vedânta بنجاح. حيث أن فروعها الفلسفية/التدريبية يمكنها تصحيح أنواع مختلفة من الأنظمة الذهنية الوهمية/الخاطئة في العقل، ومن ثم تحميل (أو إيقاف) أنظمة ذهنية تساهم في تنشيط وتفعيل ما نسميها بالقوى الكامنة، وهي قوى عقلية/جسدية هائلة بشكل مخيف. يمكن تحديد موقع هذه القوى ثم تطويرها وتعزيزها، لكن هذا الأمر لا يتحقق إذا لم يُهيأ العقل والجسد بشكل صحيح، وذلك عن طريق تزويد الفرد بمنظومة معلوماتية تساعده على إدراك، أو الوعي بوجود، هذه القوى الكامنة في كيانه.

أما بخصوص المناهج التدريبية التي تساعد الفرد في التعرف على الحقيقة من خلال عيشها وممارستها عملياً، فكما ذكرت سابقاً، يمكن استخلاص عدد لا يُحصى من تطبيقات "اليوغا" من النصوص الهندية القديمة، وهذه التطبيقات تغطي كافة مجالات الحياة وبالتالي يصعب شرحها جميعاً. لكن على أي حال، بالاعتماد على فلسفة "الفيدانتا" Vedânta التي تشمل أفرع مختلفة من علم اليوغا، يمكننا تصنيف خمسة فروع مختلفة، وهي المألوفة اليوم حول العالم: [١] "هاثا يوغا" Hatha Yoga، [٢] "راجا يوغا" Râja Yoga، [٣] "كارما يوغا" Karma Yoga، [٤] "بهاكتي يوغا" Bhakti Yoga، [٥] "جنانا يوغا" Jnâna Yoga. سوف أشرحها باختصار عبر المرور على كل منها سريعاً.

هاثا يوغا

هو الفرع من علم اليوغا الذي يُعلم كيف يسيطر الفرد على كامل المجريات والنشاطات المتعلقة بالقسم الجسدي من كينونته. تعلّم مثلاً كيف يسيطر على الجوع، العطش، النوم. أو كيف يتغلّب على تأثيرات الحرارة والبرودة. أو كيف يحرز صحّة كاملة والعلاج ضد الأمراض دون أي دواء. كيف يوقف أو يبطئ التلاشي التدريجي للجسد مع تقدم العمر، حيث يبقى متمتعاً بحيوية الشباب ودون أن يظهر الشيب في شعره حتى لو تجاوز عمره مئة عام. كما يستطيع إمداد حياة جسده لفترة زمنية طويلة قد تبلغ عدة قرون. كل من يمارس هذا الفرع من اليوغا سيطور حتماً قدرات جسدية خارقة يعجز ألمع الأطباء وعلماء التشريح تفسيرها. كالقدرة على رفع الأثقال الهائلة، البقاء دون طعام لسنوات عديدة، البقاء دون نوم لسنوات عديدة، الموت الإرادي (يُدفن تحت التراب لمدة شهور)، السيطرة على كافة المجريات اللاإرادية في الجسم، مثل ضربات القلب والتنفس وجريان الدم والتعرق.. إلى آخره. كلنا نحوز على هذه القدرات العجيبة الكامنة في داخلنا، لكن حكماء الـ"هاثا يوغا" هم الأوائل الذين اكتشفوا طريقة علمية مناسبة لإستنهاضها من سباتها العميق وتطويرها حتى الكمال.

راجا يوغا

كما رأينا في الفقرة السابقة، الـ"هاثا يوغا" هي مكرّسة كلياً للتعامل مع المجريات والوظائف الجسدية والسيطرة على القوى الجسدية المختلفة. بينما الـ"راجا يوغا" هي مختلفة تماماً، حيث تتعامل كلياً مع الجانب العقلي من كينونة الفرد والقوى الروحية المختلفة المتعلقة بهذا الجانب. يمكن اعتبارها نوع من علم النفس التطبيقي (المعروف أكاديمياً اليوم) لكنه مختلف من حيث المفاهيم. الهدف من هذا الفرع هو إزالة كل العقبات الذهنية واكتساب حالة ذهنية سليمة وقابلة للسيطرة تماماً. الغاية الأساسية لتدريباته هي تطوير الإرادة وتنشيطها، وكذلك قوة التركيز، وتقود الباحث عن الحقيقة إلى هدفه المنشود عبر مسار التركيز والتأمل.

تستند فلسفة هذا المنهج التدريبي على فكرة أنه من يحقق سيطرة كاملة على عقله يستطيع أن يحكم كل الظواهر في الطبيعة. إنه يُعلّم حقيقة أن العقل هو القوة السيّدة في الكون، وأنه عندما تكون قواه مركّزة بشكل صحيح على غرض معيّن، سوف تُكشف الطبيعة الحقيقية لهذا الغرض. بدلاً من استخدام الأدوات (تليسكوب أو ميكروسكوب..)، كل ما علينا فعله هو التركيز على الشيء المُستهدف وسوف نعرف كل شيء عنه، وليس هذا فحسب، بل يمكن السيطرة عليه والتحكم به حسب الرغبة. يمكن لهذا الشيء المُستهدف أن يكون ذو طبيعة مادية، عقلية، أو روحية. أهم القدرات التي يمكن تطويرها عبر هذا المنهج التدريبي هي الإدراك فوق الحسيّ، علم الغيب، التحكم بالأشياء عن بُعد، السيطرة على العقول.. إلى آخره.

كارما يوغا

اشتق المصطلح السنسكريتي "كارما" من كلمة "كري" Kri، ومعناها "الفعل". من خلال أخذها بمعناها الحرفي، تشير كلمة "كارما" إلى الفعل، ويُقصد بذلك أي نوع من الفعل إن كان عقلياً أو جسدياً. أينما كان هناك نشاط من أي نوع يُعتبر "كارما". بهذا المعنى، يمكننا اعتبار التبجيل، الحب، العبادة، التأمل، التركيز، التمييز.. إلى آخره، بأنها كارما. كذلك الأمر، وفق المعنى ذاته، يمكن اعتبار الأكل، الشراب، المشي، الكلام، أو إجراء أي وظيفة جسدية أخرى، بأنها كارما.

من ناحية أخرى، جميعنا نعلم بأن كل فعل له ردّ فعل. لا يمكن لأي فعل أن يكون منفصلاً عن نتيجته، كما أن كل مُسبب لا يمكن انقطاعه عن التأثير. فبالتالي، المعنى الثاني لكلمة "كارما" يشمل كل ردود الأفعال أو نتائج الأفعال. إذاً، يمكن اعتبار كامل سلسلة السبب والنتيجة، المعروفة أيضاً بقانون "السببية" causation، بأنها "كارما". وكل فعل يقوم به الجسد والعقل محكوم بقانون الكارما (أو قانون الفعل ورد الفعل). من خلال التسليم بحقيقة خضوعنا لهذا القانون الطبيعي يعني أننا نتجسّد في هذا العالم دورياً ومنذ الأزل (يقصد "التقمص" أو تناسخ الروح)، نحصد في كل مرّة نتجسّد فيها نتائج (جزاءات) جهودنا السابقة مهما كانت جيدة أو سيّئة، خيرّة أو شريرة.

بالإضافة إلى ذلك، عندما نُسلم بأن تأثير كل فعل يترك لنفسه انطباعاً في المحتوى العقلي للمادة الكونية المنتشرة في كل مكان (بشبيرون إليه بـ"أكاشا" Akasha)، وهذا الانطباع يصبح البذرة التي تنمو لتتحول إلى فعل من نفس نوعية الفعل الأول (خير أو شر)، سوف نفهم المعنى الثالث لكلمة "كارما". بهذا المعنى الأخير، تشمل كلمة "كارما" كافة النتائج المترجمة للأفعال السابقة أو أنواع البذور التي ستتم لاحقاً إلى نشاطات مستقبلية. بناء على ما سبق، يمكن الذهاب بعيداً واعتبار أنه حتى شخصية الفرد ومواصفاتها، التي هي تشكلت نتيجة مجموع أعماله في تجسيدات السابقة، بأنها "كارما" أيضاً. وبنفس الطريقة، التجسيد المستقبلي لهذا الفرد ستكون نتيجة مجموع أعماله العقلية والجسدية التي يقوم بها في التجسيد الحالي.

إذاً، تمثل الـ"كارما يوغا" فرع علم اليوغا الذي يتناول الأفكار الثلاثة التي يحملها معنى الكلمة "كارما"، وتفسر فلسفة "العمل"، وتوصف الطريقة التي تمكن النفس الفردية من تخلص نفسها من دورة الفعل وردّ الفعل، وبعد نفاذه من هذا القانون "السببي" الطاعني الذي يشمل الجميع، يمكنه إحراز الحرية الكاملة وإنجاز أسمي غايات الحياة، وعبر التصرف الصحيح وحده يمكنه تحقيق الهدف النهائي للدين. الكارما يوغا الحقيقي هو من يدرك بأن نفسه الواقعية ليست من يقوم بالفعل، بل كل الأفعال العقلية والجسدية هي مجرد نتائج لنشاطات قوى الطبيعة. بالتالي، هو لا يزعم أبداً بأن أي عمل قام به، سيء أو جيد، هو من إملأ نفسه الواقعية. هو يسمح بعقله، تفكيره، وأعضاءه الحسية أن تعمل بشكل عادي وباستمرار، بينما في داخله يبقى متشبهاً بفكرة أنه عندما يتصرف فهو ليس الفاعل بل شاهد على الفعل إن كان عقلي أو جسدي. بهذه الطريقة يحرر نفسه من قانون الكارما وينجو من عواقب الأفعال التي يؤديها، خيرة كانت أم سيئة.

بهاكتي يوغا

تعلم الـ"بهاكتي يوغا" بأنه يمكن الوصول إلى النهاية الختامية لكل الأديان عبر محبة وعبادة الله الذي هو خالق وحاكم الكون المحسوس. هذا الفرع يؤدي إلى

نفس الغاية التي تنشدها فروع اليوغا الأخرى، لكنه مُخصص لكي يناسب الأفراد الذين يتصفون بطبيعة عاطفية زائدة حيث تكون مشاعر الحب والتقوى متطورة لديهم. إنها مخصصة لهؤلاء المتعبدين الذين يشعرون بضعفهم الناتج من الجهل وانعدام الضبط النفسي، فيبحثون عن مساعدة من خارج ذاتهم، فيلجؤوا إلى الكيان الأسمى (الله) ويصلون له متوسلين منه المغفرة والعفو عن خطاياهم التي اقترفت بسبب الجهل بالقوانين الأخلاقية والروحية التي تحكم حياتنا. كافة الأنظمة الدينية التي تؤيد فكرة تشخيص الله (كالأديان السماوية) تتبع هذا المنهج اليوغي، بعلمها أو دون علمها بذلك، وتوجه أتباعها نحو هذا الدرب.

كلمة "بهاكتي" تعني العبادَة، بينما كلمة "يوغا" تعني في هذه الحالة اتحاد النفس الفردية مع الله. فبالتالي، "بهاكتي يوغا" تعني وسيلة العبادَة المثلى التي يتحقق عبرها التواصل الحقيقي بين النفس والإله الأعلى. إنها تبيّن أي نوع من العبادَة والمحبة لله ستجلب النفس إلى علاقة حميمة مع الكينونة الإلهية، وكيف يمكن حتى للمشاعر العادية للقلب البشري، بعد توجيهها نحو الله، أن تصبح الوسيلة لإحراز الوحدة الروحية مع الروح الكونية.

خلال اقتراب الـ"بهاكتا" من الله تدريجياً، سوف يتعالى فوق المفاهيم الثنائية (انفصاله عن الله) ويدرك بأن معبوده ليس فقط متجاوز للطبيعة بل موجود في الطبيعة، والطبيعة هي جسده، وأنه متجسد في كل مكان، وأنه روح أرواحنا وحياتنا وحيواتنا، وهو الكلّ الهائل العظيم بينما نحن مجرد أجزاء صغيرة منه. يصل بعدها الـ"بهاكتا يوغي" إلى تلك حالة التوحيدية الموصوفة، حيث يبدأ بالرؤية بوضوح ويلاحظ كيف أن أدق الكائنات إلى أكبرها هي متصلة بالـ"إسوارا" Iswara (كلمة سنسكريتية تعني الله المنتشر في كل مكان والمسيطر الباطني على الكون)، أي أن الجزء متصل بالكل. بعد إحراز الـ"بهاكتا يوغي" هذه المرتبة، سوف يدرك بديهياً لماذا لا يستطيع قتل أو جرح أي كائن حي. من خلال فهم حقيقة أن كل الأشياء هي في الواقع أجزاء من الكلّ، يقول "كل ما هو لي يعود لك". ومن هذه اللحظة تبدأ حالة الاستقالة الذاتية والتسليم الذاتي لإرادة الـ"إسوارا" ستمسك بزمام الأمور

في نفس اليوغي. حينها يستطيع القول من كل قلبه " .. لتكن الأمور بمشيئتك.."، وسوف لن ينسى بعدها حقيقة أن نفسه هي مجرد جزء من الـ"إسوارا". سوف تتخذ عبادته هذا المنحى الجديد، متذكراً هذه العلاقة الجديدة مع الخالق. كل ما يفعله بعقله وجسده هو مكرّس كلياً لعبادة الكلّ الأسمى، لأنه يدرك بأنه لا يحوز على أي قدرة لا تعود لله أصلاً. الأكل، الشرب، المشي، الكلام، كل عمل يقوم به في حياته اليومية يصبح تصرف مكرّس للعبادة، حتى أن كامل وجود هذا الـ"بهاكتا يوغي" في الحياة هو سلسلة من الأفعال المكرّسة للعبادة. فيصبح القلب مطهراً كلياً وتموت بعدها الأناثية.

جنانا يوغا

هذا الفرع الأخير يمثّل درب الحكمة. الكلمة "جنانا" مُشتقة من الكلمة السنسكريتية "جنا" Jnâ أي أن يعرف، وهذا يعني المعرفة. والغاية المثلى التي ينشدها أتباعها هي معرفة الحقيقة المطلقة، التي هي المصدر المشترك لكل الظواهر الملموسة والخفية في الكون. هذا الفرع يعلم بأن هناك حياة واحدة، كائن واحد، واقع واحد، وأن كل الأفكار والعقائد المختلفة، وكل المعتقدات المسلمة بثنائية الوجود أو تعدد الوجود هي مجرد أوهام غير حقيقية.

تستند الـ"جنانا يوغا" كلياً على المبادئ الأحادية أو نظام "أدفايتا" Advaita لفلسفة "الفيدانتا" (وهو نظام معارض لثنائية الوجود). غايتها هو تبيان حقيقة أن الفاعل والمفعول به هما مجرد تعبيران يمثلان كائن واحد مطلق. أن الخالق والمخلوق هما مظهران لواقع كوني واحد. هدفها هو تفكيك كل الظواهر المتنوعة في الوجود إلى محتوى واحد، كينونة نهائية، المصدر الذي تتبعث منه كل القوى وكل الطاقات المتجسدة في الطبيعة الظاهرية والباطنية، وهذا المصدر هو مهجع العقل اللامنتهي والسعادة الأبدية.

وفقاً للـ"جنانا يوغا"، المادة، العقل، الذكاء، القوى الحسية، الأسماء، والأشكال.. إلى آخره.. كلها تجليات ظاهرة لمحتوى واحد يُسمونه بالسنسكريتية "براهمان"

Brahman. قد تبدو هذه الأشياء بالنسبة لنا حقيقية، لكنها في الحقيقة مجرد ظواهر نسبية. كافة الظواهر في الكون تشبه الموجات في المحيط، موجات في محيط "البراهمان". كما الأمواج تتصاعد فوق سطح البحر، وبعد أن تلعب لبعض الوقت، تعود إلى البحر من جديد، هكذا هي حالة الخفي والظاهر.. الموضوعي واللاموضوعي، حيث تصعد وتعيش للحظات ثم تعود لتندمج من جديد مع محيط ذلك المحتوى المطلق، "البراهمان". يوصف البراهمان في الفيدانتا بأنه ".. الذي يولد منه كل شيء جامد وحي، يتجسد لبعض الوقت، ثم يعود إليه بعد تلاشي..".

الهدف الأساسي من الـ"جنانا يوغا" هو التوحيد بين الله والنفس الفردية، وتبيان الوحدة المطلقة الموجودة بينهما في المستوى الروحي الأسمى. و"الأنا" الفردية، بصفتها انعكاس أو صورة للإلهية أو "البراهمان"، هي مقدسة بطبيعتها، وهذه الذات الحقيقية تُسمى باللغة السنسكريتية "أتمان" Atman. إن التعرف على هذه الوحدة القائمة بين "الأتمان" (أو الواقع الشخصي) و"البراهمان" (الحقيقة الكونية)، موصوف في الـ"جنانا يوغا" بأنه الوسيلة الوحيدة لتحقيق الاستقلال الكامل من عبودية الأنانية ومن التعلق بالجسد والحواس، والتي تمثل أسباب الدنيوية والبؤس والتعاسة.

الآن أصبحنا نعلم لماذا "اليوغي الحقيقي" يتمتع بكل تلك المواصفات الأخلاقية، العقلية، والنفسية (المذكورة في بداية الكتاب) التي تميزه عن الإنسان العادي. خلال مراحل التدريب المختلفة، لم يكتفي بتطوير قدرات عقلية وجسدية استثنائية فحسب، بل كوّن نظرة مختلفة تماماً عن الكون وآلياته، كما أنه أدرك الطبيعة الحقيقية لكيونته ومكانتها في الوجود. هذه القناعات الجديدة جعلت منه كائناً مختلفاً. وفي الحقيقة، هذه القناعات الجديدة هي التي ساهمت في تحفيز القدرات العقلية/الجسدية التي استنهضها خلال مراحل التدريب. أي بمعنى آخر، المفاهيم الفلسفية التي تستند عليها تعاليم اليوغا تساهم بشكل مباشرة وغير مباشر في ارتقاء الفرد من مستوى الصورة الصغرى إلى الصورة الكبرى، وهذه الخطوة تُعتبر

أساسية في عملية استنهاض القدرات الاستثنائية بطريقة ميسرة وسليمة. لكن السؤال هو، هل هذه المفاهيم صحيحة وتوصف الواقع كما هو عليه فعلاً؟

من المؤكّد أن القارئ المتشكّك سوف يطرح هذا السؤال، ويتساءل بجديّة عن السبب الذي جعل حكماء اليوغا يتخذون هذا التوجه الفلسفي بتعاليمهم. على أيّ حقائق استندوا قبل الخروج بهذه الفلسفة؟ ما الذي جعلهم يجزمون بأن ما استندوا عليه من حقائق هو صحيح وليس وهم؟ لماذا لا نعتبر أنها مجرد أوامير يزرعونها في عقل الممارس (غسيل دماغ) كوسيلة فعالة لتحفيز عملية استنهاض القدرات؟

هذه تساؤلات مبررة فعلاً، لكنها كذلك فقط بالنسبة للذين يجهلون أنهم يجهلون. بما أن العقلية العصرية السائدة لا تعير أي اهتمام لأي من أولئك المتصوّفين الأميين مهما أبدوه من حكمة وتعقل، حيث تم توجيهنا كلياً وحصرياً إلى الإصغاء للكلام الخارج من أفواه الأكاديميين الرسميين، سوف أُلجأ إلى هذه الجهة الأخيرة في الكتاب خلال الحديث عن طبيعتنا الحقيقية وروعة الكون من حولنا. وهناك أمر آخر جدير بالملاحظة، بعد الاطلاع على هذه المفاهيم الفلسفية السابقة نلاحظ بوضوح أن إشرافات النظرية الهولوجرافية بدأت تلوح في الأفق، وهذا الموضوع بالذات سوف يتوضّح جيداً في الفصول المتتالية لهذا الكتاب وما يليه من أجزاء.

أنواع اليوغا بصيغة مختلفة

سبق وذكرت بأن "اليوغا" لا تمثل دين معيّن أو مذهب فكري محدد، بل "منهج تدريبي" أو "طريقة حياة"، وبالتالي هذه "المناهج" أو "الطرق" متنوعة وعديدة لدرجة يصعب إحصاءها أو تصنيفها. فأنواع اليوغا التي عددها الكاتب "سوامي أبيدياناندا" ليست ثابتة حيث هناك صيغ كثيرة أخرى لوصف أنواع اليوغا. فمثلاً، هناك صيغة أخرى للإشارة إلى أنواع اليوغا المُمارسة في الهند، وهي على الشكل التالي: [١] "راجا يوغا" Rāja (باتانجالي Patanjali)، [٢] "كارما يوغا"

Karma و"بودهي يوغا" Buddhi (شري كرشنا Shrī Krishna)، [٣] "جنينا يوغا" Gnyāna (شري شنكاراشاريا Shrī Shankarāchārya)، [٤] "هاثا يوغا" Hatha. [٥] "لايا يوغا" Laya. [٦] "بهاكتي يوغا" Bhakti. "مانترا يوغا" Mantra.

يمكن تصنيف هذه الأنواع السبعة في مجموعتين رئيسيتين، الأنواع الثلاثة الأولى تنتمي إلى مجموعة "راجا يوغا"، والأربعة الأخيرة تنتمي إلى مجموعة "هاثا يوغا". سوف نتعرف على هذه المذاهب من اليوغا، ووفق هذه الصيغة الخاصة، من خلال الكتاب "أنظمة اليوغا العظيمة" Great Systems of Yoga (منشور عام ١٩٥٤م)، للكاتب التيوسوفي الشهير "أرنست وود" Ernest Wood. سوف نستفيد من هذا الكتاب أيضاً للتعرف على بعض مدارس اليوغا الرئيسية في شرق آسيا، بما فيها الهندوسية، والبوذية، والزن والطاوية اليابانية والصينية، وحتى الصوفية الإسلامية.

يُعتبر "أرنست وود" من التيوسوفيين المؤسسين، وكتب الكثير عن الهندوسية واليوغا خصوصاً. الأمر الإيجابي في كتاباته هو أنها موجهة خصيصاً للقارئ الغربي، وبالتالي جاهد بكل ما عنده لتوضيح كل المفاهيم والمصطلحات السنسكريتية والإيزوتيرية بطريقة يجعلها قابلة للفهم والاستيعاب للعقل العصري. كان يحرص على شرح وتفسير كل منها بدقة وحذر. والجدير ذكره هو أن الكاتب عاش في الهند لفترة طويلة ومارس اليوغا في القسم الأعظم من فترة حياته، وهذه نقطة مهمة جداً حيث يجعلنا أمام كاتب يعلم ماذا يقول وعما يتحدث.

أنظمة اليوغا العظيمة

Great Systems of Yoga

بقلم "أرنست وود" Ernest Wood
(١٩٥٤م)



الفصل الأول

أنظمة اليوغا الشرقية العشرة THE TEN ORIENTAL YOGAS

هناك اهتمام كبير حالياً في العالم الغربي بخصوص العلوم الخفية الشرقية، وهذا أمر صحي وسليم، حيث أن الأوان لأن تندمج هذه العلوم مع الثقافة العملية المادية التي تم تطويرها بشكل رائع في العالم العصري. سوف يكون هناك فائدتان من هذا الدمج، نجاح أكثر في العالم الخارجي وسلام أكثر في الحياة الداخلية. لم يعد مجدياً لأي منا – في الغرب أو الشرق – الاستمرار في التفكير بأن "الإيمان بالقوى الخفية" Occultism هو مجرد هروب من الواقع الحقيقي ومسؤولياته إلى حالة مُبهمة وغامضة معزولة عن كل ما تمثله الحياة المادية. بدلاً من ذلك، وجب النظر إليها بالطريقة التي عبر عنها الشاعر "أمرسون" Emerson (شاعر وكاتب أمريكي عاش بين العامين 1803 و 1882م) بقوله: ". اجعل من المادة موطناً للعقل.."، أي أن تجعل العالم مكاناً يتمتع فيه الوعي بأقصى الدرجات، وفي الوقت نفسه تكتشف بأن هناك عن العقل أكثر بكثير مما هو معروف عموماً. وهذا ما يمكن اعتباره "الطريقة العملية لممارسة القوى الخفية".

لمعرفة كيف يعمل العقل ليس هناك أفضل من اللجوء إلى الباحثين القدامى في الموضوع الذي يُسمى "يوغا"، وإلقاء نظرة عامة على كل مدارس اليوغا الرئيسية القديمة، وليس الاكتفاء بمدرسة واحدة أو اثنتين فحسب. من هذه المدارس الرئيسية هناك سبعة لازالت قائمة ومعروفة جيداً في الهند اليوم. ومن ناحية أخرى، لا يمكن لهذا البحث المتناول للعلوم الخفية الشرقية أن يكتمل دون إضافة ثلاثة مدارس أخرى، وهي "الصوفية" الفارسية (الإسلامية)، "البوذية"، و"الزن" الصينية واليابانية. وهذا يجعل المجموع عشرة.

هناك في الوقت الحالي عدد كبير من المعلمين الذين ينتمون إلى مدارس يوغا مختلفة ومتنوعة، لكن جميعهم في النهاية يُصنفون في خانة واحدة، حيث يختلفون

في نمط التدريب والممارسة فقط. أي الاختلاف يكمن في طريقة التعامل مع ذات المبادئ والمفاهيم وذات القوى الخفية.

لماذا ربطت كلمة "يوغا" منذ البداية مع العلوم الخفية؟ لأن اليوغا تمثل الممارسة العملية للقوى الخفية، أو بمعنى آخر، اكتشاف هذه القوى الخفية الكامنة في أعماق العقل البشري واستخدامها بطريقة سليمة. يمكن البدء بهذه لممارسة انطلاقاً من المعادلة القائلة " .. نحن أحياء بشكل جزئي فقط.."، ومن هذه النقطة نتقدم إلى استكشاف "علم النفس الاستنباطي" الذي صاغه القدامى بهدف توحيد هذه الحياة الجزئية مع الجزء الآخر المتمثل بحقائق غير مرئية وإمكانيات مستترة تقبع ما وراء العقل، ومعنى كلمة "يوغا" وفق هذا المفهوم هو "توحيد". جميع المعلمين القدامى أكدوا بأن "علم النفس الاستنباطي" هذا، يمكن تبريره وإثبات جدارته من خلال نتائج العملية المجدية.

من الطبيعي أن هكذا منهج تم تطويره في الشرق خلال الزمن القديم، حيث الهدوء والسلام. في تلك الأيام المستقرة يمكننا إيجاد شرائح اجتماعية بكاملها التي كان لها وقت الفراغ الكافي للانخراط بهذه المسائل. لم يكونوا مجرد باحثين منعزلين ومتنسين كما نتصور، بل معلمون لديهم مدارسهم الخاصة، ومحاضرون متجولون، وكان يُقام مؤتمرات دورية للمعلمين، غالباً ما ينظمها حكام البلاد. لكن اليوم لدينا نمط حياة مختلف تماماً تغطي عليه النشاطات والاهتمامات الدنيوية، وقد تطور إلى ذروته في أمريكا، وها هو يغزو الشرق أيضاً، مما يترك الناس خائرين القوى مع القليل من الطاقة والوقت لمتابعة البحث في مجال علم النفس الاستنباطي الذي كان يشغل كامل وقتهم في الزمن القديم. كانوا منغمسون به لدرجة أن أحدهم كان يشعر بالذنب إذا انحرف مؤقتاً لملاحقة مسرات العقل الدنيوية كبديل عن تلك التجربة الثمينة للحالة المتكاملة والسليمة للإنسان الأصيل. أما الآن فقد أصبح الأمر مختلفاً. طريقة الحياة العصرية، ونشاطاتها الدنيوية، هي قوية وضاغطة لدرجة تجعلها سبباً لحصول الكثير من حالات الانهيار العصبي على أنواعه. عدد

كبير من الناس ينهارون اليوم لأنهم لم يستطيعوا تحقيق غاياتهم الدنيوية في هذا العصر ذو الوتيرة السريعة.

إلى هذا الجو الحزين المليء بالأسى، مع أنه لا يخلو من نجاحات مؤقتة، يمكن إدخال العلوم التجاوزية الشرقية، لاستكشاف المصادر الداخلية للعقل، بهدف تعزيز قوة وآليات الفكر والعاطفة والإرادة. أحد أعظم اكتشافات المعلمون الشرقيون هو أن السلام والقوة هما مظهران لمبدأ واحد. وهو اكتشاف قابل للاستيعاب بسهولة لدى كل إنسان عقلائي.

وجب عدم الظن بأن ما قصده المعلمون القدامى هو نوع من السحر الذي يمكنه أن يمثل بديل لطريقتنا العصرية في إنجاز الأشياء بواسطة جسم سليم ومعافى. صحيح أن السحر موجود، وهناك قائمة طويلة من القوى الخارقة التي تتجلى في مراحل مختلفة من مسيرة التدريب الطويلة لليوغا، لكن المعلمون لا يشيرون إلى هذه الحالات بصفاتها ذات قيمة كبيرة، بل ينصحون ضدّ جعل العقل ملعباً مباحاً لها. هناك الكثيرون في الهند ممن يستطيعون استعراض تشكيلة واسعة من التأثيرات البصرية والتنويمية (تجسيد أشياء وهمية لكنها تبدو حقيقية بفعل التنويم المغناطيسي الفردي والجماعي)، كما أنهم يستعرضون ظاهرة التخاطر، الإستنبصار والإدراك الغيبي على أنواعه، الاسترفاع في الهواء، السفر النجمي (الخروج عن الجسد)، الانتقال اللحظي من مكان إلى آخر، وكذلك تجسيد الأشياء من العدم، وغيرها من فنون سحرية مشابهة. هناك بالفعل أشخاص لا يتمتعون بمعرفة واسعة بمجالات أخرى، بل تدربوا فقط على إتقان إحدى القدرات أو القوى وذلك بهدف استعراضها أمام المشاهدين المذهولين وكسب معيشتهم من جراء ذلك. لكن اليوغيون الحقيقيون لا يهتمون بهذه الأمور. إنهم مهتمون بالسيادة على البيئة المحيطة ككل واستكشاف القوى والخبرات الأخلاقية والروحية الكامنة في الإنسان، لكنها في طور المراهقة عند بعض الناس، وفي طور الصبغانية عند معظم الناس.

يمكن لأحدهم أن يسأل: لماذا لا يستخدم هؤلاء اليوغيون المتقدمون قواهم السحرية؟ الجواب ببساطة هو: إنهم يفعلون ذلك باستمرار، لكنهم لا يستعرضونها أمام العامة، لأنهم يسلّمون بوجود الكثير من الأشخاص الذين قد ينحرفوا عن الطريق بفعل قوة الإغراءات الدنيوية التي تفرضها عملية استعراض هذه القوى والقدرات الخارقة أمام الناس. كما أن هناك الكثيرون الذين قد يستخدمونها لاستغلال إخوانهم من البشر. لكن بخصوص أعمال "الحسنات المخفية"، مثل شفاء أحد الأشخاص أو تيسير أموره، فيقومون بها دائماً لكن بصمت ودون إبداء أي مظهر يعلن عن ذلك. أتذكر ما قاله يوماً أحد التجاوزيين الهندوس بعد سؤاله عن هذا الموضوع، فأجاب بأن أي استعراض ناجح ومقنع لأحد القدرات الخارقة سوف يُشعر الناس بالبساطة الزائدة ويجعلهم يتكلمون كلياً على ممارس هذه القدرات (نوع من التبجيل لشخصه)، بينما آخرون سيشعرون بالفزع والخوف، وآخرون سيعتبرونه من أعمال الشيطان، والبعض من الذين لم يُشاهدوا هذا الاستعراض عينياً سوف يعتبرونه خدعة، لكن على الجانب الآخر، الذين يمارسون اليوغا بصدق وإخلاص سوف يختبرون بأنفسهم، منذ بدايات الرب، إحدى الظواهر الخارقة التي تزيد من قناعتهم، وهذه اللمحة الجزئية التي استرقوها عن جانبهم العظيم القابع في الخفاء ستفيد في تشجيعهم على متابعة الطريق نحو تطورهم الروحي.

في كتابي الذي بعنوان "التدريب الباطني للهندوس" The Occult Training of the Hindus، المنشور في "مدراس" Madras (مقاطعة في الهند)، قدمت استطلاعاً مختصراً بخصوص هذا الموضوع، والنتائج من إقامتي الطويلة في الهند، خلال ذروة اهتماماتي في دراسة هذه المسائل. تحدثت في ذلك الكتاب عن معرفتي وصدقاتي العديدة مع نصراء ومريدي اليوغا، وكيف علمت بوجود عشرات الآلاف من الأشخاص حول تلك البلاد الذين يكرسون قسم كبير من يومهم لملاحقة أحد الوسائل التدريبية التي صاغها المعلمون التجاوزيون القدامى، هذا بالرغم من انشغالهم بالأعمال والوظائف العصرية. يمكن القول بأنه لازال هناك في الهند تيار منخرط بهذا المجال الذي يجهله الإنسان الغربي تماماً، أو يعجز عن استيعابه.

في هذا الكتاب الصغير، الذي أهدف من خلاله وضع هذا المجال أمام انتباه الغرب، سوف أستخدم قسم كبير من الأفكار الواردة في الكتاب السابق، وسيبدو هذا واضحاً في الفصول [٢] إلى [٦]. أما الفصلين [٧] و[٩] فهي مكتوبة حديثاً.

دعونا نبدأ بفكرة وجود سبع أنواع مشهورة من مدارس اليوغا بين الهندوس، وهي التالية:

- ١- "راجا يوغا" Rāja Yoga (باتانجالي Patanjali)
- ٢- "كارما يوغا" Karma Yoga و"بودهي يوغا" Buddhi Yoga (شري كرشنا Shrī Krishna)
- ٣- "جنيانا يوغا" Gnyāna Yoga (شري شنكاراشاريا Shrī Shankarāchārya)
- ٤- "هاثا يوغا" Hatha Yoga.
- ٥- "لايا يوغا" Laya Yoga.
- ٦- "بهاكتي يوغا" Bhakti Yoga.
- ٧- "مانترا يوغا" Mantra Yoga.

يمكن تصنيف هذه الأنواع السبعة في مجموعتين رئيسيتين، الأنواع الثلاثة الأولى تنتمي إلى مجموعة "راجا يوغا"، والأربعة الأخيرة تنتمي إلى مجموعة "هاثا يوغا". الصفة "راجا" تعني "ملكي" لأن الإنسان يصبح ملكاً أو سيّداً لقواه الكامنة. أما الأنواع الأربعة الأخيرة فتشدد على أهمية المساعدة المادية (الجسدية)، وذلك من خلال العمل بشكل كبير على المظهر الخارجي أو "الإنسان الدنيوي"، الذي يتألف من الجسد مصحوباً بمجموعة من العواطف والذكريات والمعرفة الفطرية.

تركز "راجا يوغا" على فكرة أن القوى الباطنية للعقل لا يمكن تعزيزها عبر أي وسيط خارجي، بل فقط عبر تمرينها الخاص بها. هنا تبرز المكانة الأسمى لقانون "النمو من الداخل". عبر استخدام "الفكر"، فهو ينمو (كما العضل). والأمر صحيح أيضاً مع "الحب" و"الإرادة". ليس هناك أي وسيلة أخرى لإجراء هذا النوع من النمو. إن إدراك هذه الحقيقة وحدها يجعل المرید واقفاً على قدميه مستعداً للعمل

باجتهاد. إنها تشفيه منذ البداية من أي ميل للانتكال أو الاعتماد على الآخرين، حتى لو كانوا خبراء ومعلمون ملهمون بالنسبة له.

لكن رغم ذلك، يمكن لهذا التدريب أن يُعوّق أو على الأقل يصبح صعباً في حال وجود علة صحية في الجسد، خصوصاً تلك مثل الاضطرابات العصبية، مشاكل في التنفس، خلل في التوازن، أو التوتر المفرط. ممارسو الـ"هاثا يوغا" التي من النوع الفكري يوافقون على فكرة أن كافة حالات النمو السامي تتبع من الداخل، لكنهم لا زالوا يصرون على أنه "لا إمكانية لممارسة راجا دون هاثا..". لأنه من الواضح أن الجسد بحاجة إلى تحضيرات مسبقة (هاثا يوغا) قبل الانخراط في التدريبات العقلية (راجا يوغا). لكن على الجانب الآخر، يجيب ممارسو الـ"راجا يوغا" على هذه الفرضية بالسلب، مؤكّدين بدورهم على إمكانية ممارسة الراجا دون حاجة للهاثا. يصرون على حقيقة أنه إذا مورست تدريبات الراجا يوغا بشكل سليم سوف تنجح في ضبط وتنظيم الجسد تلقائياً، لأن العقل يؤثر على الجسم حتى لو لم يستطع الجسم التأثير على العقل. لكنهم يضيفون أخيراً بأنه ما من ضرر في ممارسة القليل فقط من الهاثا يوغا إذا التزم المرید بضمانة عدم التسليم لتلك الحالة التي تجعله يعتمد على أي شيء أو شخص آخر سواه، وأن لا يسعى إلى رفاهية الجسد، والعواطف والمعرفة، أو تكريس غايته الرئيسية من زيادة قواه الكامنة في سبيل الاستفادة من هذه المجالات الثلاثة.

الكلمة "هاثا يوغا"، إذا استخدمت حرفياً، فهي تشير تحديداً إلى المدرسة الرابعة من قائمة المدارس السبعة المذكورة سابقاً، وهذه المدرسة متخصصة في تمارين التنفس، أي التعامل مع دخول وخروج النفس ("ها" و"ثا"). لكن يبقى هذا المصطلح مطاطياً بعض الشيء حيث تدخل فيه أجزاء من مجموعات التعاليم الثلاثة الأخرى من أجل إكمال تمارين التنفس لمدارس "هاثا يوغا". بقدر ما تعمل كافة هذه المدارس الأربعة وفق وسائط خارجية بقدر ما هي مصنفة في الخانة العامة للهاثا يوغا، حيث جميعها تتمحور حول الجسد والبيئة المحيطة.

أحد المكتسبات الكبرى لليوغا العصرية هو غياب الشعور بالذنب أو الكفر والإلحاد من وجدان ممارسها. الجيل الجديد لم يعد خائفاً من العالم. لم يعد يعتبر هذه الممارسة شريرة أو من أعمال الشيطان. أصبح الإنسان العصري قادراً على الوثوق بنفسه وسط كل إغراءات الحياة. يستطيع التعامل معها وأن يسيطر عليها حتى. هو يعرف مدى قواه ويستطيع الحكم على نتائج استخدامه لها. يستطيع تصوّر هدف ميتافيزيقي كما أنه يميّز الميتافيزيقي من الفيزيقي خلال سيره قدماً. فبخصوص مجال اليوغا اليوم هو لم يعد خائفاً من فقدان شيء، أو الاعتماد على إرشاد محدّد يقيد توجهه، بل هو الذي يختار التمارين وطرق التدريب بنفس الثقة التي يختار بها نوع السجائر التي يدخنها. هو يبحث عن المعلومات، وليس العطايا المادية، أو الانخراط في أنظمة لاهوتية، وهنا دخل دور الشرق (الهند) الذي يوفر كل المعلومات المطلوبة، وما عليه سوى اختيار ما يناسبه. كل فرد يختار وفق مزاجه وميوله الخاصة، ثم يسافر في الدرب الذي يناسبه أكثر.

انتهى الاقتباس

سبق وذكرت بأن مناهج اليوغا هي كثيرة ومتفرّعة بشكل كبير، والذي يزيد الأمر تعقيداً هو ذلك الكم الهائل من المصطلحات والمفاهيم المتشعبة والمتفاوتة والتي غالباً ما تتمحور حول الشيء ذاته لكن تختلف النظرة حسب اختلاف المعلم أو الفيلسوف. لا يفيدنا الدخول في تفاصيل هذا البحر الواسع من الأنظمة الفلسفية والروحية المندرجة جميعاً تحت العنوان "يوغا"، وبالتالي سوف أوضح الفكرة الرئيسية من هذا الكتاب عبر الحديث عن اليوغا عموماً، أي تناول العناصر المشتركة التي تجمع عليها كافة مناهج اليوغا. مثل: البرانا Prana، الشاكرات Chakra، نادي Nadi، الأسانا Asana، المانترا Mantra.. إلى آخره. في الحقيقة، مجرد ما تعرفت على المبادئ الأولية التي تستند عليها كافة مناهج اليوغا، يصبح باستطاعتك صياغة منهج خاص بك، أو حتى مدرسة قائمة بذاتها. لهذا السبب نجد أعداد كبيرة ومتنوعة من مناهج اليوغا.

يمكننا تكوين صورة عامة عن مناهج اليوغا المتعددة والفلسفات المختلفة التي اعتمدت عليها من خلال الجدول التالي المُقتبس من موسوعة "ويكبيديا" الإلكترونية Wikipedia. ويبدو أن أنواع اليوغا الرئيسية مُدرجة في الجدول بصيغة مختلفة عن الصيغتين المذكورتان سابقاً.

اليوغا	
مدارس اليوغا التقليدية	راجا يوغا Raja Yoga، هاثا يوغا Hatha Yoga، جنانا يوغا Bhakti Yoga، كارما يوغا Karma Yoga، جنانا يوغا Jnana Yoga، مانترا يوغا Mantra Yoga، كونداليني يوغا Kundalini Yoga، تانترا يوغا Tantra Yoga.
مدارس رئيسية أخرى	أستانغا فينياسا يوغا Ashtanga Vinyasa Yoga، يوغا الأحلام Dream Yoga، اليوغا التكاملية Integral yoga، إينغار يوغا Iyengar Yoga، كريا يوغا Kriya yoga، يوغا الضحك Laughter Yoga، ناتيا يوغا Natya Yoga، ساهاجا يوغا Sahaja Yoga، شين شين تاوتسودو Shin Shin Tōitsu-dō (يوغا يابانية)، يوغا نيدرا Yoga Nidra.
النصوص الروحية التي اشتقت منها مناهج اليوغا	بهاغافاد غيتا Bhagavad Gita، يوغا سوتراس Yoga Sutras، هاثا يوغا براديبিকা Hatha Yoga Pradipika، غيراندا سامهيتا Gheranda Samhita، شيفا سامهيتا Shiva Samhita، أفادهوتا Avadhuta Gita.
ممارسات مُرفقة لليوغا	أيورفيدا (نظام طبي) Ayurveda، تانترا Tantra (شعائر سحرية)، جيوتيسا Jyotisa (علم الفلك الفيدي).

جميع هذه المناهج والمذاهب الفلسفية المختلفة انبثقت من فلسفة "الفيدا" Vedas، والتي تُعتبر الأعرق والأبرز بين الفلسفات الهندية الأخرى. تتضمن جسم واسع ومتنوع من النصوص (ذات الطبيعة الشعرية) التي تتناول مواضيع روحية عديدة. أهم النصوص التي تشكل الفلسفة الفيدي هي: نصوص الأوبنشاد Upanishads (١٠٨ نص)، الفيديانتا Vedanta (جوهر فلسفة الفيدي)، البورانا Puranas وهي قسمين: فيشنو بورانا Vishnu Purana (تشمل أساطير الخلق وتسلسل نسب

الآلهة)، وبهاغاتا بورانا Bhagavata Purana (وتشمل تعليقات على الفيديتا). وهناك أيضاً ملحمة الراماينا Ramayana، وملحمة الماهابارتا Mahabharata، والبهاغافاد غيتا Bhagavad-Gita (أنشودة السماء) وهي على شكل حوار بين كريشنا (الذات العليا) وأرجونا (الذات الدنيوية) يتناول أرقى الفلسفات الروحية. وأخيراً نصوص البهاكتي Bhakti (وتمثل خاتمة استنتاجية للفيديا).

فيما يلي أشهر المعلمين والفلاسفة الهندوس القدامى الذين ساهم معظمهم بشكل كبير في صياغة "مناهج تدريبية" و"طرق حياة" متنوعة ومختلفة تتمحور جميعاً حول نفس المنطق "الفيدي"، أو اعتمد معلمون لاحقون على تعاليمهم في تأسيس مدارسهم الفلسفية أو اليوغية الخاصة:

أكشابادا غوتاما Akshapada Gotama، باتانجالي Patanjali، يجنافلكيا Yajnavalkya، كنانادا Kanada، كابيلا Kapila، جايمييني Jaimini، فياسا Vyasa، نرجونا Nagarjuna، مدهافاشاريا Madhavacharya، كوماراجيفا Kumarajiva، بادماسمبهافا Padmasambhava، فاسوباندهو Vasubandhu، آدي شنكارا Adi Shankara، رامانوجا Ramanuja.

هناك نظام واحد، وهو أشهر الأنظمة وأكثرها شيوعاً اليوم بين مدارس اليوغا. إنه نظام "باتانجالي راجا يوغا" الذي أوجده المعلم "باتانجالي" Patanjali (قبل حوالي ٢٥٠٠ سنة تقريباً). وسوف أتناوله ببعض من التفصيل في الصفحات التالية، مستعيناً بنفس الكتاب (أنظمة اليوغا العظيمة) الذي خصص مؤلفه الفصل الثاني للحديث عنه. أعتقد بأن ذكره ضروري لأنه يتناسب مع سياق المواضيع الواردة في هذا الكتاب، كما أنني سأعود إليه كمرجع خلال تناول مواضيع مختلفة في الفصول والأجزاء التالية.

الفصل الثاني

نظام "باتانجالي" للراجا يوغا
PATANJALI'S RAJA YOGA

أبرز تعاليم اليوغا في الهند، والتي تحتل المكانة الأولى بين كل الأنظمة التدريبية، هي منظومة "باتانجالي" Patanjali العائد تاريخها وفق التقاليد الشعبية إلى العام ٧٠٠ ق.م على الأقل. مواظ وتعاليم هذا المعلم الكبير، والمُسماة عموماً "يوغا سوتراس" Yoga Sutras، تقدم مجموعة واسعة من التعريفات والتعليمات التي تُعتبر مقبولة لدى كل المعلمين، وهذا لا يستثني أولئك الذين أجروا تعديلات في بعض المناهج اليوغية ليشكّلوا مذاهب ومدارس قائمة بذاتها. بدأ هذا المعلم بوصف خاص لليوغا مشيراً إليها بـ"تشيتا فريتي نيرودها" Chitta vritti nirodha. "تشيتا" Chitta هو "العقل"، الأداة القائمة بين الإنسان والعالم. بنفس الطريقة التي يستخدم فيها المزارع المعول لحفر الأرض، يستخدم الإنسان "العقل" للتعامل مع العالم. يعمل وفق تأثير الأشياء في العالم الخارجي عبر الحواس، يُقدم "العقل" للإنسان الداخلي (الذات) صورة معينة لهذه الأشياء، كما الصفيحة الفوتوغرافية للكاميرا التي يُطبع عليها المؤثرات الضوئية القادمة من خارج الآلة عبر العدسات البصرية. تتحوّل هذه الصورة، وفق تأثير "إرادة" الإنسان الداخلي، إلى ردّ فعل معيّن ينتقل إلى الجسد بواسطة "قوة الفكر" التي تُعتبر من خصائصها الإيجابية. فبالتالي أصبح لدى العقل وظيفتين، الأولى "متلقية" أو سلبية، والثانية "فعالة" أو إيجابية. "العقل" إذاً ينقل المؤثرات من العالم الخارجي إلى الإنسان الداخلي، وكذلك من الإنسان الداخلي إلى العالم الخارجي.

أما كلمة "فريتي" Vritti فتعني حرفياً "دوامة" (كما الدوامة المائية)، وكلمة "نيرودها" nirodha تعني "السيطرة" (أو الضبط). فبالتالي، وفق مفهوم المعلم "باتانجالي"، ممارسة اليوغا هي السيطرة على الدوامات أو التغييرات الحاصلة في العقل، أو بمعنى أبسط، هي التوجيه الإرادي لما نسميه "فكر"، أو التحكم بالأفكار المتجلية في العقل.

إن عقل الإنسان العادي أبعد من أن يكون أداة خاضعة لسيطرته. إنه ملوث في كل الأوقات، وحتى بدرجة معينة أثناء النوم، حيث يتلقى صور آلاف الأشياء الصاخبة التي تصيح إليه بهدف لفت انتباهه، وذلك عبر أذنيه، جلده، عيونه، أنفه وفمه، وحتى عبر الانطباعات التخاطبية القادمة من الآخرين. بالإضافة إلى هذا كله، يكون العقل في حالة احتياج دائم وبشكل تلقائي، يوجّه انتباهه إلى مئات الأماكن مجسداً في الذهن صوراً مزعجة، مستثارة دائماً من قبل العواطف غير المنضبطة أو الأفكار المقلقة. دع الإنسان يحقق السيطرة على كل هذا، يقول "باتانجالي"، وتكون مكافئته أنه سيستقر في حالته الأصلية.

هناك معنيان لفكرة "الحالة الأصلية" للإنسان: الأول هو أنه في حالته "الهادئة" (السكون الفكري) سوف يمتلّ ذاته الحقيقية، متحرراً من إزعاجات الدوامات الفكرية، والتي لا تتملّ شيئاً بالنسبة لليوغي سوى مضايقات مزعجة. أما المعنى الثاني، فهو أنه خلال نشاطاته كإنسان، مستخدماً العقل، سوف يكون "مفكراً إيجابياً"، وليس مجرد متلقي "سلبي" لانطباعات الخارجية والأفكار التي خزنها على مدى الزمن.

وجب على الأفكار في الذهن أن تكون مواد للتفكير، وليس مجرد أفكار، أي كما العضلات تتملّ أدوات مفيدة للحركة وليست مجرد كتل لحمية عديمة الجدوى. لكي تكون "مفكراً إيجابياً"، وكذلك مُحِب ومريد إيجابي، أي السيد الحقيقي لمنزلك، ووجب أن تتملّ ذاتك الحقيقية، وفي حالتك الأصلية. كل الأشياء الأخرى تتملّ العبودية أو الاستعباد، إن كانت إرادية أو لا إرادية. بالنسبة لسيدها، الإنسان، تبقى "الفريتي" الأفكار في "الشيئا" العقل مجرد أغراض للمعرفة، لأنه لا ينخرط فيها أبداً. هذه الدوامات هي مجرد أفكار أو أشياء في العقل.

الغاية النهائية من يوغا "باتانجالي" تتملّ في وضع حد لهذه العبودية وإحراز التحرر. الاسم التقني لهذا الإنجاز العظيم هو "كايفاليا" kaivalya، أي "الاستقلال". وهذا في الحقيقة مجرد اسم آخر للقدسية، حيث الأشياء المادية تزرع تحت سطوة

العبودية، عاجزة عن التصرف حيال هذا الاستعباد، يتم تحريكها باستمرار من قبل القوى الخارجية. لكن الأشياء الإلهية (بمعنى روحانية) وفق هذا المفهوم هي حرّة، قادرة على تحريك نفسها باستقلالية. كل إنسان يشعر في داخله بشرارة هذه الحرية الإلهية، لكنه يسميها "الإرادة"، وهي ذاتها القوّة التي يستطيع عبرها التحكم بعقله.

في يوغا "باتانجالي"، يستخدم المرید إرادته للسيطرة على ذاته. الفكر يحكم الأشياء، كما نعلم. إنه يفعل ذلك بدرجة كبيرة لدرجة أن كل حركة إرادية لجسدنا تنتج من صورة ذهنية. فبالتالي كل الأعمال التي نقوم بها، حتى استخدام أيدينا، تُتجز بقوّة الفكر. لكن الذي يتحكم بالفكر هو الإرادة، التي تعمل بدورها على تركيزه، تمديده، أو جريانه.. إنها في الحقيقة توجّه عملياته الثلاثة المتمثّلة بـ"التركيز"، "التأمل"، و"التفكير". وتحسين هذه العمليات الثلاثة إلى حد الكمال هو بالضبط ما تهدف إليه تمارين يوغا "باتانجالي".

قبل السير قدماً في الوصف المنهجي لممارسة اليوغا التي شرحها في كتابه، يذكر "باتانجالي" أمرين ضروريين للنجاح في السيطرة على الـ"فريتي" أو الأفكار، وهما "أبهياسا" *abhyāsa* و"فايراغيا" *vairāgya*. "أبهياسا" تعني التمرين المستمر سعياً للمحافظة على ثبات العقل. بينما "فايراغيا" هي حالة المشاعر بحيث لا تكون مصبوغة بالأشياء الخارجية، بل موجهة فقط من قبل أفضل أحكامنا على الأمور. هذا العزل لعواطفنا قد يكون بدرجة كبيرة أو صغيرة حسب الحالة حيث تعتمد على مدى نفورنا من الظروف الخارجية، أو ناتجة من توقنا إلى اختبار البهجة المجيدة للحياة الحرّة النقية. كلما ارتفعت درجة انعدام الصبغة في مشاعرنا كلما أدى إلى أعلى مستوى من "الاعتزام"، ويقود بالتالي إلى "الحرية" التي هي الهدف النهائي لممارسة اليوغا.

إرشادات "باتانجالي" المنهجية للتدريب العملي هي من قسمين. القسم الأول يُسمى "كريا يوغا" *Kriyā Yoga*، وغالباً ما تُترجم على أنها "يوغا تمهيدية" (تحضيرية) لأن الشخص الذي لا يمارسها أولاً سوف يعجز عن النجاح في القسم الثاني، وهو

الأساسي، الذي يُسمى "أشتنغا" ashtanga والمعروفة عموماً بـ"الأطراف الثمانية" لممارسة اليوغا (تأتي بمعنى الأرجل الثمانية التي يركز عليها جسم اليوغا، وتُعتبر العناصر الرئيسية لهذه الممارسة). لكن القسم الأول هو أكثر بكثير من كونه "تحضيرية". فهو يتضمن اليوغا الفعالة، والتي يجب ممارستها كل الوقت في الحياة اليومية. في غياب هذا القسم، ستكون تمارين "التأمل" عديمة الجدوى، حيث اليوغا لا تمثل الانعزال من العالم بل تغيير النظرة تجاهه. إنه وسط النشاطات الصاخبة للحياة ويجب تحقيق حريتنا، حيث الرغبة في الانعزال بعيداً إلى خلوة هادئة هي هروب، وهذا مجرد استدامة للحلم بأفضل ما تعلمنا معرفته وليس تطبيقه عملياً. إنه إنكار لإمكانيات تحقيق حريتنا الحقيقية. ويجب على الفرد أن يكون سيّد نفسه، مهما فعله الأشخاص (أو الكائنات) الذين تطغي نشاطاتهم على جزء كبير من عالمه.

الهدف من اليوغا "التحضيرية" إذاً هو إضعاف تلك التي تُسمى "كليشاس" kleshas. المعنى الحرفي لكلمة "كليشا" هو "البليّة" (حزن، أسى،.. إلى آخره) أي بنفس المعنى الذي ينكلم فيه الفرد عن حالة "العمى" أو "الشلل" بأنها "بليّة". البلايا الخمسة التي تحدث عنها "باتنجالي" هي: الجهل avidyā، الأنانية asmitā، الرغبة (الولع أو الميل) rāga، عدم الرغبة dwesha، نزعة التملك (الاقتناء) abhinivesha. أحد الحكماء الهنود القدامى يُسمى "فياسا" علق على هذه البلايا، عندما تنشط لدى الإنسان، تخضعه لسيطرة الطبيعة، فتولد عدم الاتزان، سلسلة "سببية" من الأفعال وردود الأفعال في العالم، والانتكال على الآخرين. إنها أخطاء الفرد ذاته، وليست نابعة من المسببات الخارجية. العالم لا يستطيع أذيتنا، لكنه يفعل ذلك فقط عبر أخطاءنا، وهذه "البلايا" الخمسة توقعنا في شبك العبودية المحزنة. من خلال تسليم إرادته لها، يبقى الإنسان مُحركاً من الخارج، خاضعاً دائماً لسيطرة الظروف الخارجية.

"الجهل" يوصف كل نشاطات العقل التي لا تأخذ بالحسبان حقيقة أن الإنسان بذاته هو "خالد"، "نقي" و"عديم الألم". الإنسان الذي لا يتقبل طبيعته الحقيقية على أنها "خالدة"، "نقية" و"عديمة الألم"، سوف يحكم على الأمور بطريقة غير سليمة.

المنزل، الكرسي، والقلم هي بالنسبة للإنسان أشياء يستطيع من خلالها إرضاء مطالب جسده وعقله. لكنها لا تمثل ذات الأشياء بالنسبة للبقرة. والسؤال الآن هو: ماذا تمثل هذه الأشياء بالنسبة للإنسان الحقيقي، الذي هو "خالد"، "تقي" و"عديم الألم"؟ من أجل النظر إلى الأشياء على أنها مفيدة بالنسبة لهذا الإنسان الحقيقي هو أن ينظر إليها بشكل صحيح خالي من الخطأ. أي أن يكون لديه دوافع حقيقية.

"الأناية" هي الميل للتفكير بصيغة ".. أنا كذا..وذاك.."، والرغبة في جعل الآخرين ينظرون إلى الفرد على أنه ".. كذا..وذاك..". إن مجرد التفكير بأن الذات تمثل شيء معين أو عقلية معينة، أو مجموع الاثنين معاً، حتى لو كانت بصيغة شخصية لامعة ومفيدة، يعني أن الفرد متعلق بالأشياء. نحن لا نمثل "شخصية"، بل نمثلك واحدة، ووجب تقبل فكرة وجودها فقط إذا كانت مفيدة بالنسبة للإنسان الحقيقي.

إن خطأ "الأناية" أو "شخصية الذات" يؤدي إلى البليتين التاليتين، المتمثلان بما "ترغبه" أو "لا ترغبه" الشخصية. هاتان الأخيرتان تمثلان الدوافع غير العقلانية التي تقود الإنسان إلى الحكم على الأشياء وتقييمها تحت تأثير نزوات "الشخصية" وكبرياءها ورفاهيتها، وليس وفق منظور كائن خالد (الإنسان الحقيقي).

أما البلية الخامسة فهي "نزعة التملك"، وتبدأ أولاً من حالة التعلق بالجسد، مما يدل على غياب البصيرة التي تقنع الإنسان بحقيقة أن الجسد هو مجرد أداة يستخدمها ولا بد من أن تُستهلك تماماً في نهاية المطاف. هذه البلية لا تتمثل فقط في خوفنا من الموت، بل من الشيخوخة أيضاً، حيث ينسى الإنسان بأن الحياة الجسدية لها أطوارها، الطفولة، الشباب، الكهولة، والشيخوخة. وكل من هذه الأطوار لها متماتها، مع أنها تفتقد لتممات الأطوار الأخرى. هذا المضمار يشمل دورات مستمرة من الربح والخسارة، لأنه لا يستطيع أحد أن ينتبه لكافة دروس الحياة مرة واحدة، أو يكرس كل ملكاته مرة واحدة. الأمر مشابه للطفل في المدرسة والذي لا يمكنه التفكير بموضوع الجغرافيا والتاريخ والرياضيات بينما هو في حصة مخصصة لدرس الموسيقى.

في الحياة اليومية الهندوسية، قبل أن يلوّثها الغرب بأفكاره العصرية، كان الرجال حكماء بما يكفي أثناء شيخوختهم ليسلموا عملهم أو مهنتهم لأولادهم البالغين، ثم يكرسون ما تبقى من حياتهم للتفكير بالحياة ودراستها. وكما يُعتبر في الغرب واجباً إلزامياً على الوالدين أن يرعيا أولادهما بعطف وحنان وتوفير لهم الفرص التي تتطلبها مراحل حياتهم المختلفة، الأمر ذاته كان دارجاً في الهند لكن الأمر معكوساً، حيث يُعتبر من واجب الأبناء البالغون دعم كبارهم من العجزة مع كل ما يتطلبه ذلك من رعاية وحنان، يعاملونهم بطريقة كريمة وشريفة، وتوفير لهم كل الفرص التي تتطلبها مرحلة الشيخوخة هذه. المتطلبات المادية لهؤلاء العجزة هي زهيدة، مجرد زاوية صغيرة في المنزل، وبعض الطعام والكساء.

ليس مفترضاً أنه باستطاعة المرید القضاء على البلايا الخمسة في المراحل الأولية. يمكن أن نعتبره حقّق غايته حتى لو نجح في إضعاف تأثيرها فقط. هناك ثلاثة ممارسات موصوفة لهذه الغاية في منهج اليوغا التحضيرية (كريا يوغا) (Kriyā Yoga). هذه الممارسات هي "تاباس" tapas، "سوادهيايا" swādhyāya، و"إسوارا برانيدھانا" Ishwara-pranidhāna. يستحيل ترجمة هذه المصطلحات بكلمة مفردة لكل منها دون التسبب بخلط في المفاهيم. الكلمة الأولى تُترجم عادةً بمعنى "تقشّف"، أو "صرامة"، أو "بساطة"، لكنها تعني أيضاً "اجتهاد". لكن على أي حال، مجرد أخذ كامل هذه المرادفات معاً سوف تخرج بمعنى "حياة زاهد". ووجب على الممارس أن يلتزم بكل ما هو خير وحسن، حتى لو تطلّب ذلك جهد إضافي منه، لأن العادات السيئة لشخصيته القديمة سوف تعيق طريقه حتماً. باختصار، يمكن استخلاص المعنى الفعلي لمصطلح "تاباس" tapas كما يلي: "فعل للجسد ما تعرفه خيراً له. لا تجعل الكسل، الأنانية، أو الطيش يعيق طريقك خلال سعيتك إلى توفير كافة الظروف المناسبة تعزّز صحّة الجسم والعقل.."

لا يشرح "باتانجالي" طريقة ممارسة التاباس، لكن يقول المعلم "شري كرشنا" Shri Krishna، في الفصل السابع عشر من كتاب "بهاغافاد غيتا": "تعزيز وإجلال الآلهة، المعلمون، المتعلمون، والحكماء، المحافظة على النقاء، الاستقامة،

العفة، عدم الأذى، جميعها تُعتبر تاباس الجسم.. بينما الكلام الذي لا يسبب احتياج، الصادق، الودود، والمفيد، والمُستخدم لدراسة النفس، يُعتبر تاباس الكلام.. أما وضوح الفكر وسكونه، الهدوء، ضبط النفس، وصفاء موضوع التفكير، يُعتبر تاباس العقل.."

يبدو أن المعلم "شري كريشنا" أعطى مجالاً أوسع لمعنى "تاباس" من المعلم "باتانجالي" الذي جعل الأمر مقتصرًا على موضوع الجسد.

كيف إذاً تفهم كلمة "تاباس" بأنها فهقرة النفس؟ صحيح أنه نشأ نظام من الممارسات المؤلمة، مثل مدّ اليد عمودياً أو أفقياً وتثبيتها بهذه الوضعية لمدة طويلة حتى تُتهك، أو الجلوس تحت شمس الظهرية أو وسط حلقة من النيران.. إلى آخره، لكن هذه جميعاً مجرد ممارسات نابعة من معتقدات خرافية نمت حول الفكرة الجوهرية التي تمثل الحقيقة الثمينة، وهذا الأمر شائع الحصول في كل مكان. أولئك الذين يتبعون هذه الممارسات الشاذة هم قلائل بالمقارنة مع اليوغيين الحقيقيين.



الجلوس بوضعية مدّ اليد هي من الممارسات الشاذة النابعة من سوء فهم المعاني الحقيقية لتعاليم اليوغا. هناك الكثير من الممارسات الشاذة المماثلة التي نشرها معلمون متخلفون ارتكزت تعاليمهم على الخرافات أكثر من الحقائق العلمية التي تقرّها نصوص الفيدا.

في كافة أنحاء الهند هناك رجال عصريون عقلانيون، ومعظمهم موظفون حكوميون يلتزمون بدوام يومي محدّد في وظائفهم، لكنهم مع ذلك لا زالوا يجدون وقت مما تبقى من يومهم لممارسة التأمل، ملتزمون بإرشادات الـ"يوغا سوتراس".

يمكننا أن نجد أفضل مثال على موضوع الـ"تاباس" لدى النساء العصريات. إن قوة إرادتهنّ في التحكم بأجسادهنّ ومقاومة مسرّات الطعام وكل ما يساهم في التأثير على رشاقتهنّ ومظهرهنّ الخارجي يدعو للذهول فعلاً. هذه النزعة التي تبنيها هي متوافقة تماماً مع تعاليم "باتنجالي" بخصوص جودة الجسد وتميزه، حيث أشار إلى المحافظة على شكله الصحيح، جماله، قوته وتماسكه، وكل هذا يتطلّب نظام صارم يشبه إلى حد بعيد معاقبة النفس وقهقرتها، وغيرها من إجراءات يتخذها الناسك خلال عيش حياته الزاهدة. صحيح أن الغاية التي يبتغيها النساء بعيدة كل البعد عن تلك التي لليوغي لكن هناك شبه كبير في الالتزام الصارم بخصوص التعامل مع الجسد ورغباته، حيث في كلا الحالتين الأمر يتطلّب قوة إرادة كبيرة، وبالتالي يمكن اعتبار كل من الحالتين، رغم اختلافهما، بأنها "تاباس".

حتى الرجال العصريون لهم قسط من هذا المجهود الذي يُسمى "تاباس" في حياتهم اليومية. حيث هو أيضاً ملتزم بمنهجية معيّنة للمحافظة على مظهره، وأبسط مثل على ذلك هو اضطراره إلى تشذيب اللحية والشاربين أو حلاقتهما، أو إلتزامه مكراً برياضة معيّنة يوصي بها الأطباء لتجنّب الوزن الزائد أو أسباب تتعلّق بضبط جريان الدم أو أداء القلب. كل هذه الإجراءات المُلزّمة، والتي تطلّب بذل مجهود معيّن وقدر كبير من الإرادة، تدخل في إطار الـ"تاباس".

الممارسة الثانية، "سوادهيايا" swādhyāya، تعني دراسة الكتب التي تتحدث عن الفرد بصفته كائن خالد. هذه المواضيع لا تقتصر على الكتب الروحية أو الإيزوتيرية، بل يمكن إيجادها في الكتب فلسفية وأخلاقية وبعض كتب علم النفس.

يُنصح الفرد بالتوقف عن قراءة الكتب المشوشة والموجهة والاهتمام بكل ما يساهم في تطوره وتقديمه ككائن كوني.

الممارسة الثالثة، و"إسوارا برانيدهانانا" īshwara-pranidhāna، تعني التفاني لله وعبادته بصدق وإخلاص، لكن وفق المفهوم الهندوسي، الذي ينظر إليه بصفته كيان كلي منتشر في كل مكان ويتخلل كل شيء، روح العالم، الانبعاث الباطني الذي يمثل كل منا جزء منه. على المرید أن يعود نفسه على رؤية هذا المبدأ في كل شيء من حوله، أن يتقبل الأمور كما هي وفقاً لهذه النظرة. يقول المثل الهندوسي "كل ما يأتي هو هدية.."، لكن القصد من هذه المقولة هو أكثر عمقاً. إنها هدية من الله، مقدمة للفرد وفقاً لحكمة كاملة، وبالتالي يجب تقبلها، مهما كانت، وفرح وابتهاج. وجب على المرید رؤية الإله الأسمى وراء عيون كل إنسان يلتقيه. التحية المألوفة للهندوسي، انحناءة طفيفة مع كفين متلاصقتين، تبدو غريبة بالنسبة للإنسان الغربي، حيث تشبه الصلاة أو التقديس. لكنها في الحقيقة صلاة فعلاً، وتعني الاعتراف بوجود الله في كل إنسان. إنها أعلى درجات تقدير الإنسان لأخيه الإنسان. عكس هذه المعاملة هي ترفع الإنسان على أخيه الإنسان والنفور منه بصفته مغضوب عليه من قبل الله. إذاً، الـ"إسوارا برانيدهانانا" تعني التقدير الكامل لكل شيء. فهي تنمي روح الحرص والتفاني بأعلى درجاته وبالتالي عيش الحياة بأقصى حدودها.

تساهم الممارسات الثلاثة، "تاباس"، "سوادهيايا"، و"إسوارا برانيدهانانا"، في تطوير الشعور الصحيح تجاه كل شيء. الممارسة الأولى تطوّر الاستخدام الصحيح للإرادة. والثلاثة مجتمعة، إذا مورست باجتهد سوف تساهم في وقت قصير جداً في إضعاف أو حتى إزالة "البلايا" الخمسة التي ابتلي بها الإنسان.

بعد أن ينجح المرید في إضعاف هذه "البلايا" بدرجة معينة، يصبح جاهزاً لتدريبات "باتانجالي" المعهودة، والمعروفة باسم "الأطراف الثمانية" لليوغا. يمكن تقسيم هذه

الأفرع إلى ثلاثة فئات. الفرعان الأولان أخلاقيان، الثلاثة التالية خارجية، والثلاثة الأخيرة داخلية. كما هي مُدرجة في الجدول التالي:

أخلاقي	الممنوعات الخمسة	Yama ياما	١
	الفرائض الخمسة	Niyama نياما	٢
خارجي	الوضعية المتوازنة	Āsanā أسانا	٣
	انتظام التنفس	Prāṇāyāma براناياما	٤
	جزر الحواس	Pratyāhāra براتياهارا	٥
داخلي	التركيز	Dhāranā دهارنا	٦
	التأمل	Dhyāna دهيانا	٧
	التعمق (الاندماج)	Samādhi ساماهي	٨

كل من الفرعين "الأخلاقيين" يشمل خمسة قواعد، وجب على الفرد العيش وفقها في حياته اليومية. إذا جمعت قواعد الفرعين معاً يمكن اعتبارها شبيهة بالوصايا العشر. القواعد الخمسة الأولى (الممنوعات) هي: وجب على الفرد عدم [١] الأذى [٢] الكذب [٣] السرقة [٤] الانغماس بالشهوات [٥] الطمع. يقول المعلم "قياساً" شارحاً هذه الحكمة بأن قاعدة "أهيمسا" (عدم الأذى) وضعت أولاً لأنها مصدر القواعد التسعة الباقية. وبالتالي فإن مبدأ "الأخوية" يُعتبر جوهرياً هنا.

يصعب على "الحقيقة" مثلاً الظهور إلا إذا كان هناك دافع متجاوز للترغبات الأنانية. يفسر المعلم "قياساً" أن هذا يعني الكلمة والفكرة تتوافقان مع الحقائق التي تمثل أقصى معرفتنا. فقط إذا كان الكلام غير مخادع، وغير مُظلل أو مُفرغ من المعرفة، سنعتبره "حقيقة"، لأن الكلام يُلفظ بهدف نقل المعرفة إلى الآخرين. ورد معنى "الحقيقة" في معجم "فاساسباتي" على أنه كلمات وأفكار متوافقة مع الحقائق، والحقائق هي ما يُعتقد أو يُفهم من قبلنا وفق خبرتنا المباشرة، أفضل أحكامنا أو بياننا المقبول لاستناده على شهادات موثوقة. اليوغا إذاً متجذرة في الفضيلة،

وبالتالي في الأخوية أيضاً، أو الشعور تجاه الآخرين. دون الرغبة في تحقيق هذه القواعد الخمسة السابقة، رغم أنه يصعب إحراز الكمال فيها، يستحيل أن يمنح التأمل ثماره الغنيّة. علينا أن نكون في حالة سلام مع العالم، حتى لو لم يكن العالم مسالماً معنا. في هذه الحالة يجب أن لا يكون هناك رغبة للأذى، الكذب، السرقة.. إلى آخره. هكذا أفعال لا تمثل مصدر للمتعة في أي حال من الأحوال.

القواعد الخمسة الثانية (الفرائض) هي: يجب على الفرد أن يكون [١] نظيفاً [٢] راضياً [٣] ضابط النفس [٤] دؤوب [٥] مخلص. هذه القواعد الأخيرة لا تتطلب الكثير من التعليق. "الرضا" هنا لا يعني إشباع النفس حتى ترضى، بل تقبل الأشياء كما هي والاستفادة منها بأقصى درجة. أي المعنى المقصود من هذه القاعدة هو "الاكتفاء" بالموجود. لكن من ناحية أخرى، من دون حالة "عدم الرضا" لما لجأ الفرد إلى ممارسة اليوغا. وبالتالي، هذا "الاكتفاء" لا يلغي رغبة الفرد في تحسين حياته، لكن بطريقة سليمة وعقلانية. أما الفرائض الثلاثة الباقية، فتغطيها الممارسات الثلاثة، "تاباس"، "سوادهييا"، و"إسوارا برانيدهانانا" المذكورة سابقاً، وهي اليوغا التحضيرية أو اليوغا اليومية التي يجب المواظبة على ممارستها رغم دخول فرائض أخرى جديدة إلى نظام الحياة اليومية. من خلال الالتزام بهذه الفرائض الخمسة، يستطيع الإنسان أن يكون في حالة سلام مع العالم. إنها تمثل نهاية الخصام من جانبه.

يقول "باتانجالي" أنه عندما تتأسس هذه الفضائل العشرة برسوخ في شخصية الفرد، سوف يلاحظ بعدها ظهور تأثيرات ملموسة، مثل غياب الخطر، فعالية في كلامه، تدفق الوفرة والبركة وحتى الغنى والثروة بطريقة غير متوقعة، زيادة في نشاط الجسم والعقل، الفهم العميق لأحداث الحياة، وضوح الفكر، قوة الانتباه، السيطرة على الحواس، سعادة كبيرة، كمال الجسم والحواس، الحدس وإدراك الذات الحقيقية. هذه النعم لا تأتي إلا بعد الانقطاع عن خصومة أي أحد أو أي شيء في العالم.

نصل الآن إلى ما يعتبره البعض الأفرع العملية، رغم أن اليوغي المتفهم يعلم أنه ليس هناك أكثر عملية من القواعد العشرة المذكورة سابقاً. على أي حال، أول هذه الأفرع هي الثلاثة "الخارجية" وتشمل: "أسانا" Āsanā، "براناياما" Prānāyāma، "وبراتياهارا" Pratyāhāra. الأول يمثل الوضعية الصحيحة، والثاني يمثل التنفس الصحيح، والثالث يمثل السيطرة على الحواس. هذه المجموعة تعني تدريب الأداة الخارجية أو الجسد بحيث لا ينتج أي عائق خلال ممارسات التأمل الجديّة في المرحلة التالية.

وجب على الفرد أولاً أن يجلس ساكناً وبوضعية مريحة يختارها بأي طريقة تناسبه. .. وجب على الوضعية أن تكون مستقرّة ومريحة..، يقول باتانجالي، هذا كل شيء. ليس هناك أي توصية تفضّل أي وضعية محددة، لكن التشديد كان على أن لا تكون وضعية غير صحيّة، مؤلمة، أو منحرفة. يتم تحقيق الوضعية الصحيحة عندما تصبح سهلة وغير مُجهدة مما يجعل العقل ينسى الجسد بسهولة. إنها مسألة توازن على الأغلب. من الأفضل ممارسة بعض التمارين على الجلوس باتزان، على الأرض أو على الكرسي، وذلك لتدريب الجهاز العضلي على هكذا وضعية. غالباً ما ينتج تعب شديد من الجلوس بوضعية معيّنة لمدة طويلة بسبب ضعف العضلات، فما بالك الجلوس بطريقة غير متوازنة. وبالتالي وجب تدريب العضلات أولاً، وذلك عبر محاولة الجلوس في وضعية واحدة لفترة طويلة، فقط من أجل الجلوس ودون أن تمارس أي تمرين تأمل أو غيره. هذه العملية وحدها كفيلة بتنشيط العضلات وتعويدها على التوافق مع هذه الوضعية المحددة.

يلي ذلك عملية تنظيم التنفس، "براناياما"، وهي أساسية. خلال ممارسة التأمل، غالباً ما ينسى الأفراد التنفس بشكل طبيعي، حيث بعض الأحيان يزفرون الهواء لكنهم وينسوا الشهيق مرّة أخرى، وبالتالي يستيقظون فجأة من سباتهم التأملي تاركين العالم التجاوزي ليجدوا أنفسهم في العالم الواقعي يعانون من خنقه في الحنجرة. الكثير من الناس يجهلون كيف يتنفسون بطريقة سليمة ومنتظمة. وبالتالي عليهم خوض تمارين بسيطة وسهلة، كتلك التي يعلمونها في دروس الغناء، وعليهم

الحرص على أن يستمرّ الجسم في التنفّس بانتظام وهدوء قبل وخلال دخولهم مرحلة التأمل.

في بعض الأحيان، توصف أعداد محددة أو متناسقة لعملية الشهيق والزفير، وأحد أهم المراجع في الهند يوصي بأن يشهق الهواء عند الرقم [١]، يمسك النفس حتى ينتهي من تعداد الرقم [٤]، ثم يزفر حتى تعداد [٢]، ثم يبدأ الدورة الثانية مباشرة. لكن الحقيقة هي أنه يستحيل تطبيق صيغة عددية محددة على كل الناس، لأن الناس تختلف بشكل كبير في معايير وصيغ التنفّس لديها. السؤال الفعلي هو: كم من الوقت على الفرد حبس نفسه خارجاً وداخلاً بحيث يوفر أكبر كمية ممكنة من الأكسجين؟ لا بد للعلم أن يجيب يوماً على هذا السؤال. لكن على أي حال، على الفرد أن لا يحبس نفسه خارجاً وداخلاً بشكل يتجاوز الحدود مما يساهم في تجريد منظومته الجسدية من الأكسجين. وجب على الجسم القيام بكل وظائفه اللاواعية خلال خوض عملية التأمل.

النصيحة العملية الوحيدة التي أستطيع تقديمها هنا هي أنه على التنفّس أن يكون منتظماً وبطيئاً قليلاً، ووجب أن يكون هناك فترات توقّف بين الشهيق والزفير. كما على العملية أن تكون هادئة بقدر المستطاع، بحيث لا تسبب اضطرابات في المجال الهوائي أمامك. على أي حال، لا بد من أن يجد الطالب ما يناسبه عبر الخبرة العملية. الحركات المثيرة مثل تلك المتمثلة بالشهيق عبر أحد المنخرين والزفير عبر الآخر، أو حبس النفس لمدة طويلة، أو غيرها من حركات هي ليست مذكورة أبداً في كتابات "باتانجالي" وبالتالي وجب تجنبها واعتبارها خطيرة.

أما الـ"براتياهارا" فهي عملية جزر الحواس، أي لجمها، من تحقيق غايتها الحسية. أي على الفرد أن لا يولي أي اهتمام أو انتباه للأصوات أو المشاهد أو المنبهات الجلدية، وعليه تسكين الحواس بحيث لا تخلق حالة إزعاج خلال التأمل. فكّر في ما قد يحصل معك أثناء قراءتك لكتاب مثير يجذب كل اهتمامك. يمكن لأحدهم أن يدخل إلى الغرفة حيث تجلس، يمرّ من جانبك ويأخذ غرض ثم يخرج.

لكن رغم ذلك، أنت لم تسمع أو ترى شيء مما حصل خلال العملية. هذا لأنك كنت في حالة تركيز عميق في ما تقرأه. كانت أذناك مفتوحة والموجات الصوتية تستثير طبلة الأذن دون شك، وأعصابك كانت تنقل الرسالة الصوتية إلى الدماغ. وعيونك كانت مفتوحة أيضاً، والموجات الضوئية كانت ترسم الصورة على الشبكية، لكن رغم هذا كله، أنت لم تسمع شيئاً ولم ترى شيئاً، والسبب هو أن الانتباه لديك كان منشغلاً بعيداً عن هذه الأحاسيس. يمكن ملاحظة الأمر ذاته خلال مشاهدة التلفزيون، حيث تفوتك أمور كثيرة قد تحصل حولك أو حتى أمامك خلال تركيز انتباهك كلياً على الشاشة.

بنفس الطريقة، على اليوغي أن يحصر انتباهه وفق إرادته، بحيث لا أصوات أو مشاهد تستطيع إلهاءه أو لفت نظره. يمكن تعزيز العملية عبر تعطيل الفضول حول أي شيء خارجي خلال وقت التأمل. إحدى الطرق للتمرين على ذلك هي الجلوس والاستماع لفترة من الوقت إلى الأصوات المتنوعة للطبيعة. ثم ركز على محاولة الاستماع إلى الأصوات المرهفة داخل الأذن مع نسيان أو تجاهل أصوات الطبيعة في الخارج. ثم استمع صوت ذهني معين تخيلته، ثم انسى أو تجاهل الصوت المرهف في أذنك.

نصل أخيراً إلى الأفرع الثلاثة الأخيرة (الداخلية)، والتي تقود إليها كل الأفرع والخطوات السابقة، وهي "دهارنا" Dhāranā، "دهيانا" Dhyāna، و"ساماهي" Samādhi. وتمثل "التركيز" concentration، "التأمل" meditation، "التعمق" contemplation (الاندماج).

"التأمل" هو في الحقيقة عبارة عن توجيه إرادي للانتباه، لكن هذه العملية تشمل أيضاً تضييق مجال الانتباه وتركيزه على الشيء المستهدف (موضوع التأمل). عندما تمارس تمرين التأمل أو التفكر العميق، اختر دائماً موضوع التأمل (الشيء الذي تستهدفه بتفكيرك) قبل البدء بالتمرين. يبدأ الأشخاص أحياناً تمرين التأمل في الوقت الذي لم يقرروا فيه بعد موضوع التأمل، ويمضي الوقت ولا زالوا عاجزون

عن الوصول إلى قرار. اختر موضوع التأمل قبل أن تبدأ جلسة التأمل، وهذا الموضوع قد يمثل أي شيء، غرض، فكرة... إلى آخره. وثانياً، لا تحاول إجهاد عقلك في الإمساك بالشيء بمكانه. تذكر أن هذا الشيء لن يهرب إلى أي مكان، بل العقل هو الذي يتجول. حاول أن تفكر بالشيء (أي تصوّره) وهو في حالته الطبيعية. إذا كان يمثل "قلم" وجب أن يكون ملقياً على الطاولة، وإذا كان "صورة" وجب أن تكون معلقة على الجدار. خلال التأمل على الشيء المُستهدف، قم بتضييق مجال الانتباه ليقترن عليه حصراً، وانظر إليه بهدوء تام، دون أي جهد أو توتر أو إثارة أحاسيس من أي نوع في الجسم والذهن.

لا تتفاجأ أو تنزعج إذا تطفّلت أفكار أخرى مشوّشة على تركيزك الذهني. اشعر بالاكتماء والرضا لأن الشيء لم يختفي تماماً من مجال نظرك وبقي يمثل الهدف المركزي لانتباهك. لا تولي أي اهتمام للأفكار المتطفّلة، فهذا سيشتت انتباهك. قل ببساطة: "لا أهتم إذا كانت هناك أم لا". حافظ على هدوء المشاعر بهذه الطريقة، وسوف تلاحظ بأن الأفكار المتطفّلة ستختفي تماماً لأنك لم توليها أي اهتمام. الهدوء – وليس التوتر الجسدي – يمثل عامل ضروري للتركيز الناجح، وبالتالي، لا تبدو العملية صعبة كما يُفترض لها أن تكون.

التأمل هو تدفق مستمر أو ينبوع من الأفكار المتعلقة بـ"الشيء" الذي تركز عليه. إنه يتعلّق بعملية تصوّر هذا "الشيء" بأوضح صورة ممكنة. وجب أن لا تسمح لسلسلة الأفكار أن تذهب بعيداً في أي اتجاه يجعل "الشيء" باهت أو غير واضح في الشاشة الذهنية. بالعكس تماماً، وجب التفكير في كل فكرة جديدة تخطر في ذهنك، لكن فقط إذا كانت تتعلّق بالشيء وتساهم في جعل صورته أكثر وضوحاً وقوة من قبل. وهكذا يمكنك أن تتمرّن التأمل على قطعة. عليك النظر في كل تفصيل يتعلّق بها. فكر في كل أجزائها وصفاتها الجسدية، العاطفية، العقلية، الأخلاقية والروحية. فكر في علاقتها بالحيوانات الأخرى. عند الانتهاء من هذا كله، سوف تدرك بأنك أصبحت تعرف عن القطعة أمور كثيرة لم تعرفها من قبل. تكون بذلك قد وفّقت بين كل معرفتك ومعلوماتك حول الموضوع وأدمجتها

ببعضها لتخرج بصورة جديدة عن القطعة. في عملية التأمل هذه، ليس هناك أي تلهّف أو تمسك بأفكار، بل ما يحصل هو مجرد مراجعة ذهنية هادئة وتفكير تلقائي، دون أي مجهود يُذكر.

الأمر ذاته ينطبق على الفضائل، مثل "الصدق"، "التسامح" و"الشجاعة".. إلى آخره. الكثير من الناس لديهم أفكار خاطئة أو مشوّهة بخصوصها. اصنع صور صلبة في خيالك عن موضوع "التسامح" و"الصدق" و"الشجاعة"، ثم حاول أن تشعر بالحالة العقلية والعاطفية لكل منها، وبالإضافة إلى الشروط الأخلاقية المرتبطة بها. ويفعل ذلك، حاول المحافظة على وضوح الصورة الذهنية وما يصحبها من مقومات الوعي (الشعور العقلي والعاطفي). هذا المشهد الكامل الذي صنعه في ذهنك عن أحد هذه الفضائل سيساهم في تزويدك بالإلهامات كثيرة حول الموضوع، معلومات جديدة لم تعرفها (أو تشعر بها) من قبل.

خلال ممارسة التأمل أنت تدخل في طور معيّن من الوعي، لكن بعكس حالة النوم تماماً، لأنك تبقى محتفظاً بالخواص الزاهية للواقع الذي ينتمي لحالة الصحوة المركّزة. لكن رغم ذلك، وجب القيام بذلك بهدوء تام، أي كما في النوم، حالة خالية تماماً من التوتر والإثارة. هذه الحالة من الوعي البديل قد تتوسّع، تشمل أشياء معيّنة، أو تندمج وتتكامل مع أخرى، لكن دون فقدان الخواص المكتسبة عبر التركيز أو تضيق مجال الانتباه الموجّه.

"التعمّق" يُمثّل نوع آخر من التركيز. هذه المرّة يتموضع العقل على الطرف العلوي من تسلسل الأفكار الجارية بينك وبين موضوع التأمل. أثناء التأمل، عندما تصل إلى أعلى مستوى وأكبر كمية من الأفكار حول الشيء المُستهدف، ويبدأ عقلك بالتذبذب، لا تحاول الاستمرار قدماً، لكن بنفس الوقت لا تتراجع إلى الخلف. تمسك بما أحرزته، واثبت عليه لبعض الوقت.

سوف نكتشف بأنه من خلال "التعمق" تكون قد خلقت أرضية معينة. أساس متين لأعمال روحية كثيرة مرتبطة بالقوى الخارقة. خلال التمارين السابقة، كنت تركز جهد معين لتتوصل لأمر معين لم تعرفه، لكن الآن، أقل ما يمكن قوله هو أنك طوّرت أو اكتشفت إمكانيات كامنة. قد تلمس في هذه الحالة شيئاً له طبيعة تنويرية (تنور). ووجب عليك الانتظار لترى ما سيأتيك. لا تحاول أبداً أن تتوقعها مسبقاً، دعها تكون تلقائية. (القصد هنا هو أن نتائج أو ثمرات هذه الحالة التي وصلها الممارس تختلف من شخص إلى آخر، لكنها على أي حال تمثل إحدى المظاهر المنتمية للعالم التجاوزي وقواه الخارقة). يفتح بعدها "التعمق" Samadhi باب العقل واسعاً أمام المعرفة التجاوزية وغيرها الكثير الكثير من القوى الخارقة. (هذه الفكرة ستتوضّح جيداً خلال تناول موضوع الوعي الديناميكي في الجزء القادم).

يوصى الطالب دائماً بأن يبدأ من مرحلة "التركيز"، ثم يتقدم إلى مرحلة "التأمل". هذه العملية ثلاثية المراحل (التركيز، التأمل، التعمق) تشكّل وضعية عقلية تُسمى "سانياما" sanyama. يقول المعلم "باتانجالي" شارحاً: ". إذا رغب المرید أن يكتسب ما تُسمى عموماً قوى وملكات خارقة، الطريقة المثلى لاكتسابها هي عبر السانياما. ذكر قدرات عديدة مثل معرفة الماضي والمستقبل، معلومات حول أجيال سابقة، قراءة أفكار الآخرين، وقدرات إدراكية تتعلّق بالرؤية الخارقة، السمع الخارق، الشم الخارق، الذوق الخارق، والشعور (اللمس) الخارق. لكنه يعلّق في النهاية قائلاً بأنها مجرد إنجازات العقل الموجّه إلى الخارج (الذنيوي)، وبالتالي هي عقبات أمام الوصول إلى الـ"سامادهي" الأسمى.

يعلّق المعلم "فاشاسباتي" على الموضوع قائلاً: ". في بعض الأحيان يُؤسّر العقل من قبل هذه القدرات الخارقة، حيث ينبهر بها الممارس كما يفعل المتوسّل حين يظنّ بأن المبلّغ الصغير الذي وجده يمثّل ثروة كبيرة. لكن اليوغوي الحقيقي سيرفض هذه الأمور ولا يخضع لتأثير إغراءاتها.."، ويضيف متسائلاً: ". كيف يمكن للإنسان الحقيقي، والمصمّم على إزالة كل الألم — بما في ذلك الألم النفسي والعاطفي — أن يجد متعة في هكذا إنجازات معاكسة تماماً لكيونته الأصلية؟.. فقط

عبر التخلي عن هكذا الأمور، مهما كانت عظيمة، تتلاشى بذور العبودية من النفس، ويتحقق الاستقلال الكامل أو الحرية الفعلية.."

يقول باتانجالي: ".. الساماهي الحقيقي، الموجه إلى مسائل سامية، هو الذي يقود إلى الإزالة الكاملة للبلايا، كما يقود إلى وضوح رؤية وبصيرة عظيمة، تنمو وتتعاظم بين المشهد والمشاهد، إلى الغياب الكلي للألم وكشف الحجاب عن النور الداخلي.."

انتهى الاقتباس

علم البرانا وتطبيقاته Science of Prâna

يزعم علم اليوغا الهندوسي بأفرعه المختلفة بأنه وجد الحلول والتفسيرات المناسبة لألغاز الحياة والموت. وقد بدأ عدد كبير من المفكرين اللامعين من بلاد مختلفة حول العالم تقدير أهمية هذا العلم النبيل وراحوا يعتمدون على مفاهيمه المختلفة في شرح المسائل المختلفة للوجود، مع العلم أن معظم هذه المسائل لازالت غامضة وعصية عن الحل بالنسبة للعلم المنهجي بكل ما يشمله من اختصاصي فيزيولوجيا، علماء تشريح، بيولوجيين، وأطباء. كلما تعمقوا في تحقيقاتهم كلما زاد الإرباك في نفوسهم. والأمر العجيب الذي يدعوا للذهول فعلاً هو أنه طوال قرن كامل من الزمن، وهو تاريخ استيلاء المذهب العلمي المادي على زمام الأمور في عالم المعرفة والأكاديميا بشكل حصري ودون منازع، ورغم ذلك الكم الهائل من الأبحاث المكثفة في كافة المجالات: الفيزياء، الكيمياء، الفيزيولوجيا، والبيولوجيا، لا زالوا يخرجون بنتيجة واحدة: أن الحياة هي ليست سوى نتيجة تفاعلات فيزيائية وكيميائية في النظم العضوية، وأنه ما من أثر لشيء يُسمى "قوة حيوية" vital force جلية ومنفصلة عن القوى الكيماوية والفيزيائية التي تم اكتشافها في المختبرات العلمية.

بعض طلاب العلم المنهجي لازالوا يخدعون أنفسهم و ينتظرون بلهفة ذلك اليوم الذي سيسمعون به عن خبر اكتشاف مادة خاصة تم إنتاجها في المختبر بشكل اصطناعي، والتي تستطيع أن تحيي، تنمو، تتكاثر، وتموت كما تفعل المادة العضوية الحية تماماً. السبب وراء هذا الوهم هو أن معظم المفكرين العصريين لازالوا مقتنعين بفكرة أن "الحيوية" vitality التي تُفعم بها الكائنات العضوية هي مجرد نتيجة نشاطات ميكانيكية للأعضاء الجسدية. وأن الحياة تأتي مباشرة من المادة الميتة، وتخضع لقوانين فيزيائية وكيميائية وميكانيكية. وأن الكائن الحي هو عبارة عن آلة. وأن كافة نشاطاته وأفعاله الجسدية والعقلية هي ميكانيكية بحتة. يقولون بأن البروتوبلازما الحية (الجلبة الأولى للخلية الحيوانية) هي مجرد خلطة

مؤلفة من عناصر كيمائية معينة، تخضع لقوانين كيمائية عادية. وأن المواد الحيّة وغير الحيّة هي واحدة. وأن المادة الحيّة تأتي من المادة الميتة. وفقاً لهؤلاء العلماء (الماديين) الكائن البشري هو مجرد نتيجة ميكانيكية لتغيرات كيمائية معينة محكومة بالقوانين الفيزيائية للطبيعة. لكن مع ذلك، إذا سألناهم ما هي تلك القوة التي تحدد هذه التغيرات الفيزيائية والميكانيكية، ما هي تلك القوة التي تسبب هذه التغيرات الكيمائية بهذا التنوع الواسع، ما الذي يدير كل هذه الإجراءات في الأنظمة الحيّة بهذه الدرجة من الدقة والتناسق والتنظيم، سيجيبون بأنهم لا يعلمون.

هل نحن فعلاً مجرد آلات، تخضع لقوانين ميكانيكية لا أكثر؟ هل يعود نموّنا إلى عملية تراكم المادة وتضخمها في عالم ميت عديم الحيوية؟ هل نحن عبارة عن طفرات وتراسبات وتبلور ذرات وجزيئات محكومة من قبل قوى لا تتعدى مستوى الطاقة الفيزيو كيمائية؟ لازالت الأجيال البافعة تتعلم هذه النظرية الفيزيو كيمائية لأصل الحياة في الكتب المدرسية. لقد علموهم كيف يضحكون باستهزاء على مصطلحات مثل "الطاقة الحيوية"، "القوة الحيوية"، أو "الحيوية" بمعناها الحقيقي بصفقتها "قوة حياتية". لقد تعلموا كيف يتكلمون على هذه المفاهيم التي تتناول قوة منفصلة تماماً وتتميز بطبيعتها عن القوى الفيزيو كيمائية في الطبيعة. عندما يدرسون الفيزيولوجيا (علم وظائف الجسد)، يرمون جانباً كل الأفكار المتعلقة بالحيوية والقوة الحياتية. لقد علموهم كيف يؤمنوا بطبيعة مجردة من الحيوية والحياة، ومحاولة تفسير تشكّل الخلايا الدماغية، الأعصاب، الأنسجة، وتشكّل أعضاء مختلفة في الجسد الحي دون أي اعتبار لوجود العامل الحيوي. لكن من أجل الإنصاف، وجب ذكر تلك المرحلة المهمة من تاريخ العلم الحديث والتي حصل فيها ردّ فعل بين بعض الأكاديميين في أوروبا قبل قرنين من الزمان، والذين وجدوا هذه التفسيرات الميتة للطبيعة والحياة غير مجدية إطلاقاً، حيث كانوا قد توصلوا إلى استنتاج واضح يشير إلى ضرورة وجود "قوة حيوية" تختلف تماماً عن القوى الفيزيو كيمائية، وتظهر نفسها بوضوح في الجسيمات الحية للمادة. لقد أصبح أنصار هذا المذهب العلمي يُعرفون باسم "المذهب الحيوي" Vitalism،

لكنهم اندثروا الآن بعد إقصاءهم تدريجياً من العالم الأكاديمي بفعل قوى الأمر الواقع. (ذكرت هذا الموضوع في إصدار سابق).

صحيح أن جسم الإنسان هو آلة، لكن ليس كالآلة التي يصنعها الإنسان. إنها آلة حيوية ذاتية الحركة، ذاتية الضبط، وذاتية التعديل، تحكمها قوة الإرادة والذكاء. خلقت أولاً من بذرة الحياة المُفعمّة أصلاً بالحيوية، وكان لها القدرة على أن تكون واعية، صاحبة، متحفزة، مفكرة، ومولدة لنشاطات روحية نفسية تشمل كافة العواطف والأفكار العائدة للإنسان. عندما قلت "بذرة حياة" كنت أقصد "بذرة مادية" أو مادة تحتوي على كافة إمكانيات الحياة والعقل. بالرغم من أن تجلّي هذه القوة الحيوية يعتمد على المادة العضوية، لكن رغم ذلك هي لا تشبه أي من القوى المعروفة لدينا. هي لا تشبه الحرارة، الكهرباء، المغناطيسية، أو التجاذب الجزيئي. بالعكس تماماً، هي القوة التي تحكم وتدير كل هذه القوى الفيزيائية الأكثر كثافة منها. إنها مدير التيار التلغرافي الذي يُعلم الطاقة في العضلة متى وكيف تبذل جهداً. إنها تنسق كافة الحركات الأوتوماتيكية، تتحكم بالنظام الجسدي بشكل إجمالي وكذلك بالتفصيل، كما أنها تمثل بذاتها مبدأ الحياة الجسدية البحتة. العضو الجسدي الذي تنشط فيه هذه الطاقة خلال أداء وظائفها المختلفة، والذي صُمم خصيصاً لتمييزها عن الطاقات الأخرى، لمنحها شكل وغاية معيّنة، ويمنحها وسيلة أو أداة للتعبير عن نفسها، هو العصب الشوكي للعمود الفقري spinal nerve، أو عضو آخر في الكائنات غير الفقارية (الرخويات). هذه الطاقة الحيوية الخفية والغامضة تُسمى باللغة السنسكريتية "برانا" Prâna. وذلك الفرع من علم اليوغا الذي يتعامل مع هذه القوة الغامضة، واصفاً أصولها وطبيعتها، شارحاً كيف يمكن التحكم بها واستخدامها لتجسيد نتائج مذهلة، يُسمى "علم البرانا" Science of Prâna.

لقد أسّيت ترجمة هذا الاسم إلى الإنكليزية نتيجة خلط كبير في المفاهيم، حيث أصبح معروف باسم "علم التنفس" Science of Breath. لكن البرانا ليست مجرد نَفَس عادي. أتساءل كيف يمكن للمترجمين أن يخطئوا الهدف بهذه البساطة بعد أن

تم توضيح طبيعة هذه المادة في ذات النصوص التي ترجموها، حيث عرفتها نصوص "الأوبانشاد" Upanishads بأنها سبب كل حركة وحياة في كلا العالمين العضوي والجامد. أينما تجد أثر مهما كان بسيط من الحركة، الحياة، أو العقل.. من أصغر ذرّة أو كائن مجهري أو أميبيا أو جبلة، صعوداً إلى أكبر الأنظمة الشمسية وأعلى إنسان، فهي حتماً تجسيدات مختلفة لهذه القوة المنتشرة في كل مكان والمعروفة باسم "برانا". إنها واحدة، لكنها تظهر مختلفة ومتنوعة بسبب تعدد الطرق التي تعبر فيها عن ذاتها. إنها أم كل القوى، الكيماوية والفيزيائية. توصفها فلسفة "الفيدانتا" Vedānta بأنها التعميم الجوهرى لكافة القوى المختلفة في الطبيعة. إنها غير قابلة للتدمير. إن موت الشكل الذي تجسده لا يعني أنها ماتت معه، لكن هذا لا يعني أنها تقبع على المستوى الذري بل هي أكثر دقة ونقاوة. لا يمكن رؤيتها، لمسها، وزنها، قياسها، أو أسرها بأي وسيلة من الوسائل. لكنها موجودة وتعبّر عن هذا الوجود بطرق كثيرة تجعلنا ندرك حضورها أو نستنتجها.

وفقاً لفلسفة "الفيدانتا"، قبل بدء الخلق، كانت الحالة السببية غير المشروطة للكون تحتوي على كمون "البرانا". "الفيدانتا" لا تقدم مزاعم سخيفة منافية للعقل، كما يفعل العلم المنهجي، كقولها بأن الحياة جاءت من اللاحياة. هي لا تزعم بأن الطاقة الحيوية هي منتوج قوى ميكانيكية، بل بالعكس، تقول لنا بأنها قوة قائمة بذاتها وتعمل بتزامن مع القوى الفيزيو كيميائية. وفي الحقيقة، جميع هذه الطاقات هي تعابير مختلفة لطاقة واحدة حيّة تُسمى "برانا". صحيح أن العلماء "الوحدانيين" monists (يؤمنون بأن الكون نشأ من طاقة واحدة) مثل الفيزيائيين الكموميين Quantum Physicists، يعترفون بأن كل أنواع المادة والقوى انبعثت من ذات المصدر، أو من طاقة أزلية واحدة، إلا أنهم بنفس الوقت ينكرون وجود الحياة أو الحيوية في تلك الطاقة المصدر ويعلنون بكل ثقة بأنها غير حيّة. يحاولون دائماً إثبات أن الحياة هي مجرد نتيجة حركة معينة للمادة الميتة. بينما "الفيدانتا" تعلم بأن كل الظواهر في الكون نشأت منبعثة من محتوى أزلي واحد يتألف من "البرانا" أو قوى حيوية كونية، عقل كوني، ذكاء كوني، والوعي. يمكن لهذه أن تكون متكافلة، مندمجة، أو مكملة لبعضها البعض.. لكن مهما كان الأمر، كلها حاضرة في الكائن

البشري، وبالتالي، فهي حاضرة أيضاً، على شكل قوى لامتناهية، في ذلك الكيان الأزلي الذي يمثّل جسده الكون بأكمله.

يدعي علم اليوغا بأن "البرانا" هي السبب الأولي والنهائي لكل القوى المتجسّدة في الطبيعة. لماذا تتحرك الذرة أو تتذبذب؟ العالم لا علم، لكن اليوغي يعرف الجواب: "البرانا". القوة التي تولّد الذبذبة في الذرة أو الجزيء هي إحدى تعابير طاقة "البرانا"، منشأ الحياة الكونية. "البرانا" ذاتها تظهر بصفاتها القوة المحركة لبذرة الحياة المتجسّدة على المستوى المادي، محفّزة الحركة في جزيئات خلاياها وتبنى هيكلًا جسمياً مناسباً وفق التصميم المخطط مسبقاً، تصلح الجروح والانشقاقات وتنتج ذات البنية الهيكلية عبر التناسل والتكاثر. إنها مسببة النشاطات في البروتوبلازم، وفي البيوبلازم، والأميبيا، وكذلك في الإنسان الكامل. هذه القوة قريبة الصلة للعقل، بما يشمله من نشاطات نفسية وذهنية والتي تستعرضها تلك البذرة خلال مراحل تطورها المختلفة. إن القوة الحيوية والعقل هما فعلاً مظهران للـ"برانا" ذاتها. بذرة الحياة تحوز على العقلية وكذلك الحيوية، وظواهر هذين المظهرين هي قريبة الصلة ببعضها البعض. في علم "اليوغا"، توصف العلاقة بين العقل و"برانا" كعلاقة الحصان والفارس، "البرانا" تمثّل الحصان الذي يمتطيه العقل الفردي. الجسم يسير كما السيارة التي يشغلها وقود "البرانا" والسائق الذي يقودها هو العقل. كامل نشاطات الجسم تتوقف مباشرة إذا توقفت ذبذبة "البرانا" أو القوة الحيوية. ومن ناحية أخرى، عندما تتوقف ذبذبة "البرانا"، لم يعد للعقل قدرة على العمل على المستوى الأرضي. لهذا السبب تُعتبر "البرانا" أو القوة الحيوية الوسيط الذي يعبر من خلاله "العقل" عن قدراته على المستوى الأرضي.

الكائنات الحيّة هي ليست سوى آليات تتجسّد من خلالها قوى "النفس". عندما ترغب النفس في التعبير عن قوى معيّنة على المستوى الدنيوي تقوم، عبر "البرانا"، بخلق هيئة مناسبة لتلبية رغبتها. إذا تغيّرت النشاطات العقلية لأي كائن حيّ، فسوف تتغيّر معها الهيئة العضوية للأعصاب والخلايا أيضاً. هذه الحقيقة لم تعد غريبة في الأوساط الطبية اليوم، حيث أثبتت التجارب بشكل جازم بأن الجهد

العقلي يشكّل أساس الحالة الجسدية ومستوى أداء الأعضاء. إن حصول أي نشاط غير طبيعي في العقل سوف يؤدي إلى تجسيد حالات مرضية معينة، لأن هذا الخلل في الأداء العقلي سوف يؤثر على العمل الحيوي، وعندما تتأثر القوة الحيوية، والتي تمنح الحياة لكل خلية في الجسم، فسوف تبدأ الخلايا بالتذبذب بطريقة مختلفة نتيجة الخلل في مسيرة جريان القوة الحيوية، والنتيجة النهائية في هذا الخلل الذي يصيب نشاط الخلايا في الأعضاء الجسدية هي حصول أمراض مختلفة. لكن بشكل معاكس، عندما يكون النشاط الحيوي طبيعياً، سوف يكون الأداء النفسي طبيعياً أيضاً. العقل يتأثر بالجسم المريض كما المنظومة الجسدية تتأثر بالعقل المريض. كل من يستطيع ضبط عقليته يعلم كيف يحافظ على حيويته ويبقي على جسم صحي ومعافى. وكذلك الذي لديه السيطرة الكاملة على وظائفه الحيوية يفهم سرّ المحافظة على عقل صحي وسليم. الشخص الذي يستطيع السيطرة على عقله وجسده معاً هو سيدّ لنفسه، الملك في نطاق إقليم الوعي لديه. لكن على الجانب الآخر، الذي لا يكون سيداً لنفسه يعيش كالعبد الراضح تحت سطوة استبداد الأهواء، الملذات الحسية، الثروة، الممتلكات، الطموح، وغيرها من رغبات دنيوية. الذين لا يعلمون كيف يضبطون قواهم الحيوية هم دائماً حزينين، لأنهم يعانون باستمرار إما عقلياً أو جسدياً.

كل نشاط غير طبيعي للعقل سوف ينتج تغييرات كيميائية وفيزيائية في مراكز الأعصاب، الأعضاء، وكل الجسم في آخر الأمر. يمكن استعراض هذا الأمر بسهولة من خلال تحليل الخواص الكيميائية لإفرازات الأعضاء، وخصوصاً عبر تحليل النفس. إذا قمنا بتحليل نفس الشخص الذي مرّ بنوبة غضب أو أي عاطفة عنيفة أخرى، سوف نجد أن كامل منظومته الجسدية قد تسمّمت لفترة معينة. من خلال جعل نفسه يمرّ عبر محلول معين في أنبوب زجاجي، سوف نلاحظ حصول تغييرات واضحة في المحلول. هذه التغييرات هي إشارات ظاهرية للتغييرات الداخلية الحاصلة في كامل النظام العصبي. وفي الحقيقة، هذه التغييرات العضوية الداخلية هي التي تغيّر محتوى النفس. لكن إذا أجرينا ذات التجربة عندما يكون الشخص في حالة عقلية وصحية سليمة، نجد أن المحلول يبقى ثابتاً دون أن يتغيّر.

حينها يكون التنفس طبيعي، عميق، وقوي. إن كلّ اندفاع عاطفي يستحوذ على العقل يسبب تغيير متناغم في وظيفة التنفس. فمثلاً الغضب، الكره، والغيرة تسبب وثيرة تنفس قصيرة وسريعة. بينما عندما تكون الأفكار هادئة وساكنة، أثناء السعادة مثلاً، يصبح التنفس عميق وطويل.

هناك طرق كثيرة للتعرف على وجود هذه العلاقة الوثيقة بين النشاط الحيوي والحالة العقلية. يقول "اليوغي" بأن كل الحالات المرضية في الجسم هي نتيجة مباشرة لعدم قدرة الطاقة الحيوية على التعبير عن نفسها بشكل كامل أو سليم، وكذلك النشاط غير السوي للعقل. وبالتالي، فإن علاج المرض يعني إزالة العقبات التي تمنع "البرانا" من العمل بشكل طبيعي. يمكن تحقيق ذلك إما عن ريق معالجة الجسد أو تسوية الوظائف العقلية. اليوغي يشفي نفسه من المرض عبر زيادة النشاط الحيوي بجسمه، وذلك عبر إيقاظ القوى الكامنة للـ"برانا"، التي هي مصدر كل الحياة. هو يعلم كيف يملأ كامل جسمه، لا بل كل خلية من جسمه، بالحيوية الزائدة. وذلك عبر تصحيح قطبية الخلايا عن طريق الذبذبات المرتفعة للـ"برانا". إنه يولد تيار قوي من "البرانا" المتذبذبة، ثم يوجّه مسارها عبر الخلايا المختلة في أعضائه الجسدية، ويغيّر بنية هذه الخلايا عبر خلق دورة دموية سريعة مشحونة بالطاقة الشافية للـ"برانا"، ويرسلها إلى الأجزاء المتأثرة. بهذه الطريقة تعود الخلايا إلى حالتها الطبيعية ويشفى المرض تماماً. يفعل اليوغي هذا بكامل وعيه وبطريقة علمية بحتة بمساعدة تمارين خاصة للتنفس مصحوبة مع التركيز.

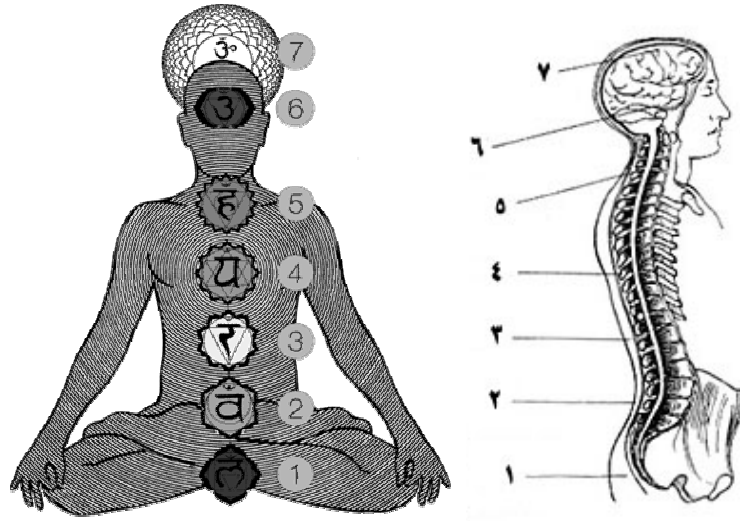
وفقاً لعلم "اليوغا"، كل التيارات العصبية وكل الحركات الجزيئية في خلايا الدماغ والمراكز العصبية تسببها هذه "البرانا". إذا كانت جزيئات الخلايا مملوءة بتيار قوي جديد من "البرانا" أو القوة الحيوية، فسوف تزداد ذبذبتها بشكل كبير جداً، وهذا سيمكنها من قذف كل الشوائب غير النقية التي تعيق نشاطها الطبيعي، فتستعيد حالتها الصحية الطبيعية. هذه القوة الحيوية، "البرانا"، هي الطاقة المحركة للدورة الدموية وكل الوظائف الجسدية الأوتوماتيكية في الجسم، وهذه القوة الحيوية مخزنة في مراكز عصبية محددة على طول العمود الفقري.

غاية "اليوغي" هي إقامة تناغم كامل بين نشاطاته الحيوية ووظائفه العقلية، لكي يتجاوز كل القوانين، ولكي يرتقي فوق كافة مؤثرات الظروف البيئية، ولكي يكون الحاكم الأعلى لعقله وكامل منظومته الجسدية. وفقاً لليوغي، هذه السيادة الكاملة والحرية لا يأتیان للذين لم يتعلموا سرّ تنظيم الطاقة الحيوية، والذي لم يكتسب القوة ليدبرها حسب الرغبة. قبل أن يستطيع الفرد السيطرة على هذه القوة الحيوية الخفية، عليه أولاً معرفة موقعها الرئيسي في الجسم، عليه معرفة أين يقبع عرش هذا الملك الذي يحكم كافة النشاطات الجسدية، ومن هم خدامه، وكيف يحكم مملكته.

يقول "اليوغي" بأن هذا الملك يسكن مع خدامه في المراكز العصبية على طول العمود الفقري. هذه المراكز هي المحطات الرئيسية التي تخزن هذه الطاقة الحيوية. هناك عدة مراكز في العمود الفقري والتي يخرج منها الأعصاب الحسية والحركية المنتشرة في كل الجسم، بما فيها الأعضاء الجسدية أيضاً. كافة أحاسيس وحركات الأطراف تعتمد على هذه المراكز العصبية في العمود الفقري والدماغ. هناك تيارين مختلفين يجريان إلى داخل وخارج الدماغ عبر العمود الفقري، ويُسميان باللغة السنسكريتية "إيدا" Idâ (التيار الوارد)، و"بينغالا" Pingalâ (التيار الصادر). يجريان في القنوات الأمامية والخلفية للعمود الفقري، وهما يوفران الممران للذات يسافر عبرهما تيارا "البرانا". بما أن الطاقة العصبية مبعثرة في كافة أنحاء المنظومة الجسدية، فالوسيلة الوحيدة لتنظيمها هي التحكم بالمراكز الرئيسية أو المحطات الموجودة في العمود الفقري.

بالتالي إذا رغب الفرد بالتحكم بطاقة "البرانا"، عليه أولاً تعلّم كيف يتحكم بهذه المحطات الرئيسية وآلية عملها. بعد دراسة العلاقة بين هذه المراكز المختلفة وجد اليوغيون ٧ منها التي لها أهمية جوهرية. و"اليوغي" الذي يرغب في إخضاع هذه المراكز الرئيسية لمشيئته وجب عليه أولاً تعلّم كيف يضبط عملية التنفّس لديه. من خلال "علم التنفّس" الذي يعلمنا كيف نضبط التنفّس لدينا، يمكننا تعديل حركة الرئتين وكذلك وظائف النظام العصبي بالكامل.

من خلال التحكم بالمراكز العصبية الرئيسية في العمود الفقري (الشاكرات)، يمكن تحقيق سيطرة كاملة على التيارات الجارية في كامل المنظومة الجسدية، وبالتالي على العقل ذاته بكل ما يشمله من قوى كامنة. إن الاستمرار في إجراء عملية التنشيط هذه للمراكز الرئيسية الممتدة على طول العمود الفقري، وبطريقة منظمة ومدروسة، سوف تبدأ القوى الخارقة بالصحو الواحدة تلو الأخرى، وهذه العملية تُسمى يقظة "الكونداليني" Kundalini. وهذا ما يتخصّص به منهج الـ"كونداليني يوغا" Kundalini Yoga.



المراكز العصبية الرئيسية على طول العمود الفقري، وتمثل هذه المناطق المحطات الرئيسية للطاقة الحيوية أو "البرانا" وتُسمى "شاكرات" Chakras، وهي دوامات كثيفة لهذه الطاقة الحيوية.

أسماء الشاكرات التي تمثلها الأرقام في الصور السابقة: [١] "مولادهارا" muladhara (الجزر)، [٢] "سفاداشثانا" svadhisthana (مسرات)، [٣] "مانيبورا" manipurna (تألق)، [٤] "أنهاتا" anahata (حب)، [٥] "فيسودها" visuddha (طهارة)، [٦] "أجنا" ajna (العين الثالثة)، [٧] "سahasrara" (البيئة). سوف أذكر الخواص العملية للشاكرات لاحقاً مع تسلسل المواضيع.

الغاية الأساسية التي ينشدها "اليوغي" هي النظر إلى طبيعته الحقيقية ككائن بشري والتعلم بشكل واضح وجلي أي من القوى تحرك منظومته الجسدية، وما هي العلاقة التي تربطها ببعضها، حيث من خلال اكتساب معرفة كاملة عن طبيعته الفعلية سوف يكتسب معرفة صحيحة بالكون بأكمله، لأن القوانين التي تحكم جسده هي ذاتها التي تحكم الكون. كل هذه القوانين هي مجرد صيغ وأنماط مختلفة تتبعها "البرانا" خلال عملها في الطبيعة. لهذا السبب ينشد "اليوغي" أولاً معرفة هذه "البرانا" والقوانين الحيوية التي تحكم منظومته الجسدية.

الكونداليني يوغا Kundalini Yoga تمثل المنهج الذي يهدف إلى تنشيط واستثمار طاقة الكونداليني (البرانا المتكاثفة في أسفل العمود الفقري) التي تُصوّر على شكل أفعى ملتفة عند قاعدة العمود الفقري، وذلك عبر ممارسة مجموعة تقنيات خاصة تشغل عقل الممارس وحواسه وجسمه. بالإضافة إلى الجلوس بوضعية جسدية معينة (أسانا Asanas)، وممارسة تمارين تأمل محددة، وتلاوة "مانترات" معينة، تجتمع جميعاً في مجهود موحد يهدف إلى تفعيل "الشاكرات"، واحدة تلو الأخرى (من الأسفل إلى الأعلى)، وتكون الوضعيات الجسدية (أسانا) متناسقة مع تمارين تنفس محددة (برانايااما Pranayama). من أجل التعرف على مبدأ هذا المنهج اليوغي، علينا أولاً الاطلاع على كل من موضوع "الكونداليني" و"الشاكرات"، وهذه الأخيرة تمثل المحور الرئيسي في هذا الكتاب.

الكونداليني

الكونداليني هي طاقة نفسية/روحية، أو "طاقة الوعي" إذا صحّ التعبير، التي يُعتقد بأنها تقبع كامنة في الجسم النائم (الجانب التجاوزي) للإنسان، ويمكن إيقاظها إما عبر التدريب الروحي أو بشكل تلقائي، فيتجلى معها حالات وعي جديدة، بما في ذلك التنوير الصوفي. كلمة "كونداليني" هي سنسكريتية الأصل ومعناها "أفعى" أو "قوة الأفعى"، وسميت ذلك لأنها تصوّر على شكل أفعى قابضة عند قاعدة العمود الفقري (شاكر الجذر).

يُقال بأن قوة الكونداليني هائلة. يزعم الذين اختبروها بأنها غير قابلة للوصف. الظواهر التي تتزامن مع بروزها تتراوح من أحاسيس وحركات جسدية غريبة، مُرفقة أحياناً مع ألم شديد، إلى بروز قدرات خارقة كالاستبصار أو سماع الأصوات البعيدة عن النطاق العادي أو تحريك الأشياء البعيدة تلقائياً، وصولاً إلى البُحران أو النشوة الروحية، البهجة المطلقة، التحوّل الروحي الكامل للفرد (يبدأ بالتفكير والتصرّف بطريقة تجاوزية، أي يشعر مثلاً بأنه كليّ الوجود وكليّ المعرفة، وغيرها من أمور يتعذّر وصفها بكلمات). إذا أردنا وصف الكونداليني لا نستطيع سوى تشبيهها بـ"نار سيولية" أو "نور سيولي"، وهذا وصف منطقي لطاقة روحية مكثّفة لدرجة تجعلها تتصرّف كالغاز (الهواء الكثيف) لكن وفق توجيهات إرادة الفرد وعقله الذي يعمل بدوره في مستويات أعلى من العادي.



إن تنشيط الشاكرات أو مراكز تجمّع الطاقة بطريقة منمّطة ومدروسة سوف تؤدي إلى استنهاض الملكات المسؤولة عن القدرات الخارقة، ويُشار إلى هذه الحالة بصحوة "الكونداليني" *Kundalini*. وتوصف على شكل أفعى قابضة في قاعدة العمود الفقري. إن سيرها من الأسفل إلى الأعلى يشير إلى عملية تنشيط "الشاكرات" ابتداءً من "الشاكرات" الأدنى صعوداً إلى "الشاكرات" الأعلى.

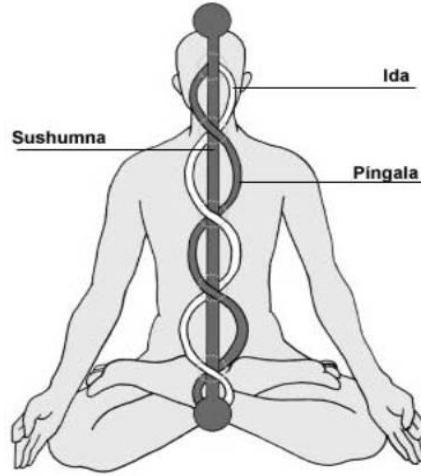
تُعتبر "اليوغا" الهندية، الساعية لتحويل الطاقة إلى مستويات عليا من الوعي، المساهم الرئيسي للتدريبات المختلفة التي تهدف إلى استنهاض وتهذيب الكونداليني، حيث حافظت عليها بأمانة خلال انحدارها عبر العصور الطويلة لتصبح متوفرة لنا في الوقت الحالي. كانت ظاهرة الكونداليني نادرة الحصول في الغرب قبل السبعينات من القرن الماضي، إلى أن بدأ الاهتمام يتنامى بموضوع

الوعي والوعي البديل. في العام ١٩٣٦م، لاحظ عالم النفس "كارل جونج" Carl G. Jung وغيره من الباحثين، بأن اختبار حالة الكونداليني نادرة جداً في الغرب. لكن في الوقت نفسه، إن إجراء نظرة فاحصة إلى كافة الأدبيات الصوفية والتقاليد الروحية تكشف عن أن ظاهرة "الكونداليني"، والتي يُشار إليها بأسماء مختلفة، هي ظاهرة عالمية وهي ذاتها التي سعت إلى تحقيقها كل التعاليم الإيزوتيرية على مدى آلاف السنين. يمكن إيجاد أوصاف مطابقة لحالة الكونداليني في التعاليم الإيزوتيرية لكل من المصريين القدماء، كهنة التبت، الصينيين، هنود أمريكا الشمالية، وحتى قبائل الكونغ بوشمان في صحراء كالاهاري بأفريقيا. كما أن حالة الكونداليني واردة بأسماء مختلفة في الكتب المقدسة للأديان السماوية، وكتابات أفلاطون وغيره من الفلاسفة الإغريق، والأدبيات الخيمائية (حجر الفيلسوف)، والكتابات الهرمزية، والقبالة، والروزيكروسية (الصليب الوردية)، والماسونية.

ليس كل حالات الكونداليني متشابهة تماماً مع تلك الصورة التقليدية الموصوفة في اليوغا، لكنها تنتمي إلى نفس النوع والاختلاف يكمن فقط في شدتها ومدتها الزمنية. سبق وقلت أن مناهج اليوغا الهندية هي الأكثر تكاملاً وشمولاً بين المناهج الروحية الأخرى التي انحدرت إلينا عبر العصور، ولهذا السبب أتناولها أصلاً. بالإضافة إلى أن وسائل بلوغ حالة الكونداليني في التعاليم الأخرى تختلف عن اليوغا الهندية، حيث معظمها لا يعرف "الشاكرات" مثلاً (وهي مراكز الطاقة التي يفعلها اليوغي لإحداث صحوة الكونداليني)، لكن هناك طرق كثيرة أخرى لتحقيق هذه الحالة وسوف أتناولها لاحقاً خلال الشرح. (وجب العلم بأنه ليس كل مناهج اليوغا الهندية مكرّسة لهدف استنهاض الكونداليني).

بالعودة إلى الطريقة اليوغية لإحداث صحوة الكونداليني. الطريقة النموذجية هي خوض اليوغي عملية تأمل معينة لاستنهاض الكونداليني ثم يبدأ برفعها عبر جسمه (أو جسمها). أولاً، يشعر اليوغي بالحرارة عند قاعدة عموده الفقري، وقد تكون حرارة قوية أو مجرد شعور محبب بالدفء. ثم تسافر الطاقة صعوداً عبر ممرّ

روحي (مفترض) موازي للعمود الفقري. الـ"سوشومنا" sushumna هي المحور المركزي، يلتف حولها بشكل حلزوني تياران هما "آيدا" ida و"بينغالا" pingala.



وفق تعاليم "اليوغا"، تتكون "البرانا" (الطاقة الكونية) من ضدين أو قطبين متعاكسين هما آيدا Ida وبينغالا Pingala اللتان تسمحان عند توازنهما بظهور ضد ثالث يدعى سوشومنا Sushumna. ويقال بأن هذه الطاقة الثالثة تنتزع في مناطق الجسم من خلال الشاكرات السبع. ويعاد توزيع طاقة هذه الشاكرات السبع إلى مناطق محددة من الجسم والتي تتناغم معها عبر نقاط أصغر تسمى ناديز Nadis. سوف أشرح المزيد من التفاصيل لاحقاً.

خلال صعودها، تبدأ الكونداليني بتفعيل الشاكرات الواحدة تلو الأخرى. يصبح الجسم بارداً ومتحشياً تقريباً خلال صعود الكونداليني تاركة القسم السفلي. على الأرجح أن الحالة العامة التي يصاب بها كل يوعي هي حالة الارتعاد أو الارتجاف أو الرعشة، أو يهتزّ ويتأرجح بعنف، مع شعور بدرجة حرارة أو برودة متطرفة، وسماع أصوات غريبة لكنها مزعجة بنفس الوقت، ورؤية أنواع مختلفة من الأضواء المتراقص على الدوام، بما في ذلك النور الداخلي. يمكن لهذه الحالة (يقضة الكونداليني) أن تدوم للحظات خاطفة أو تبقى قائمة لدقائق عدة. الهدف الأساسي هو رفع طاقة الكونداليني إلى شاكرات التاج (في قمة الرأس)، حيث تتحد مع "شيفا"، أو القطبية الذكرية، فيتجلى التنور (وهو أرقى أنواع الوعي البديل، وسوف أتناوله بالتفصيل لاحقاً). بعد ارتقائها إلى شاكرات التاج، يبدأ اليوعي في محاولة خفض هذه الطاقة مجدداً إلى شاكرات أخرى، لكن ليس إلى تلك القابعة تحت شاكرات القلب لأن الشاكرات الدنيا تستهض حالة متطرفة من "الأنانية" (الذات الدنيوية، أو الحيوانية) وتتجلى عموماً على شكل رغبة جنسية هائلة وغيرها من رغبات دنيوية مختلفة. مع الاستمرار في المحاولات المتكررة لرفع طاقة

الكونداليني إلى شاكرا التاج، شوف ينجح اليوغي أخيراً في تثبيت هذه الطاقة عند تلك الشاكرا العليا بشكل دائم ونهائي.

يُقال بأن الكونداليني تفتح ممرات جديدة في النظام العصبي، وبالتالي من الواضح أن الألم المصاحب بهذه العملية (بقطة الكونداليني) يعود سببه إلى عجز المنظومة العصبية للتألف مباشرة مع هذه الطاقة الجديدة. يؤكد اليوغيون على وجوب تحضير الجسد جيداً للتوالم مع الكونداليني عبر تمارين اليوغا المدروسة بعناية، حيث أن أي يقظة مبكرة أو غير محسوبة لهذه الطاقة المتقجرة قد تؤدي إلى الجنون أو الموت.

لقد بينت دراسات علماء النفس والأطباء النفسيين الغربيين حصول حالات مشابهة للكونداليني لدى بعض الأفراد، لكن ليس من النوع المتقجر الموصوف سابقاً. أحد مظاهر هذا النوع الخفيف من صحوة الكونداليني يتمثل في أن أولئك الأفراد يبدؤوا بالتفكير والتصرف والشعور بطريقة مختلفة تماماً (تبدل كامل للوعي). يمكن أن تكون مصحوبة ببعض الأعراض مثل حركات ووضعيات جسدية تشنجية وغير إرادية، ألم، نمط غير طبيعي من التنفس.. وقد يحصل أحياناً حالات شلل، حكة مدغدة، أحاسيس ذبذبية، شعور بالسخونة أو البرودة، سماع أصوات داخلية مثل الزئير أو الصفير أو الصرير، الأرق، حساسية مفرطة تجاه البيئة المحيطة، عواطف متطرفة بشكل غير عادي، نزعة جنسية مفرطة، انحرافات في الإجراءات الفكرية، انعزالية وانفصال عن المحيط،.. وغيرها من أعراض شاذة.

تذكروا أننا نتحدث هنا عن الطب الغربي وطريقة نظره إلى هذه الأمور. وهذه النظرة يشوبها سوء الفهم والجهل المطلق لما يجري وكيف يجري. حتى الممارس الغربي لهذه الرياضة، ذو العقلية والنظرة المختلفة للوجود، يسيء تفسير الكثير مما يصيبه من حالات وأعراض. لكن هذه الأعراض لا تتجسد عن ممارس اليوغا لأنه أخضع منظومته الجسدية/العقلية لتمرينات تجعلها منيعة ضد هكذا حالات.

يمكن لهذه الأعراض أن تأتي نتيجة حصول توسع كبير في الوعي (فيترجمها الممارس الغربي على أنها شعور بالتمدد الجسدي مثلاً)، وهذه الدرجة الكثيفة من قوة الوعي تؤدي إلى حالات خروج عن الجسد مثلاً، فيترجمها الممارس الغربي، الجاهل تماماً لمجال الروحانيات، بطريقة خاطئة تناسب مستوى فهمه للأمر حيث قد يعتبرها نوبة من الجنون مثلاً. بشكل عام، لوحظ بأن تناول وليمة ثقيلة يومياً والانقطاع عن ممارسة تمارين التأمل يؤدي إلى زوال هذه الحالة الشاذة التي تصيب الممارس.

يبدو أن هذه الظاهرة المتمثلة بحالة خفيفة من يقظة الكونداليني تتطلب ضرورة التوسع في تعريفها خارج هوامش مفهوم الأفعى لدى اليوغيين. هكذا حالات من الصحو صعبة التعريف علمياً لأن البحث العلمي المتناول لطاقة الكونداليني لازال في مراحله الأولى، وبالتالي لازال القليل جداً معروف بخصوص الطبيعة التجاوزية لهذه الطاقة، كما أن الكثير من أعراضها الجانبية شبيهة تماماً بتلك المتعلقة بالاضطرابات العقلية والعصبية. (تذكر أننا نتحدث هنا عن العلم المنهجي، لكن سوف نتعرف على كامل تفاصيل هذه الظاهرة ونفهم مبدأ عملها جيداً خلال توالي المواضيع).

إحدى أشهر الصحوات القوية وأكثرها وقعاً لما نسميها الكونداليني التقليدية هي تلك التي اختبرها "غوبي كريشنا" Gopi Krishna (عاش بين العامين ١٩٠٣ و ١٩٨٤) في الهند، الذي مارس التأمل ثلاث ساعات في صباح كل يوم وطوال ١٧ سنة. في يوم الميلاد من العام ١٩٣٧م، اختبر تلك اليقظة المتفجرة للكونداليني، والتي بدأت تتدفق بقوة من عموده الفقري. وفقاً لوصفه للعملية، اهتز بعنف لدرجة أنه انخلع عن جسده (خرج الوعي لديه) وأحيط بهالة من النور. توسع الوعي لديه إلى كافة الاتجاهات، وتكشفت أمامه رؤيا لامعة من الضوء. شعر بأنه كقطعة الفلين الصغيرة الطائفة على بحر واسع من الوعي. (هكذا يشعر الخارج عن جسده على أي حال). هذه التجربة المذهلة حصلت معه في مناسبة أخرى، ثم خاض بعدها كريشنا ١٢ سنة من البؤس والعذاب، فاختر خلالها

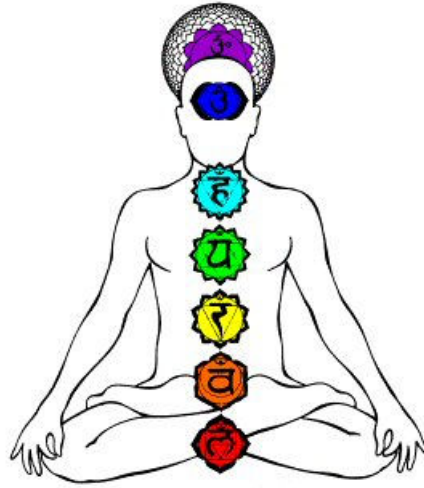
حالات النشوة الروحية (البحران) المتعدّد وصفها، والتي كان يختبرها المتصوفون عبر التاريخ... لكن بنفس الوقت ذاق طعم العذابات التي يختبرها المفجوع والمبتلي عقلياً. لكن بعد مرور هذه الأعوام المضنية، حيث استطاع جسمه الاندماج أخيراً مع هذه الطاقة الجديدة فبدأت تهدأ وتتوازن، تغيّر كريشنا تماماً. كل شيء في مجال بصره أصبح مغموراً بنور فضي اللون. بدأ يسمع نغمة داخلية، تُسمى "اللحن غير المعزوف" في أدبيات الكونداليني. وفي النهاية، أصبح باستطاعته الشعور بالبهجة الروحية المطلقة مجرد أن حول انتباهه إلى داخله. أصبح أخيراً، كما وصف نفسه، "بحيرة من الوعي تتوهج دائماً بالنور". لقد ارتفعت درجة الإبداع لديه مما سمحت له كتابة الشعر وتأليف الكتب.

أمضى كريشنا باقي حياته مخلصاً لتعلّم أسرار الكونداليني. اعتبر هذا المجال بأنه "السرّ الأكثر حراسة بحرص وأمانة عبر التاريخ"، كما اعتبره "مرشد البشرية في مسيرة التطور". تُعتبر الكونداليني بالنسبة له القوة المحركة الكامنة وراء العبقورية والإلهام. كما تصوّر بأنه داخل الدماغ يقبع المخطط الأولي (خريطة الطريق) لتطور البشرية نحو الوعي الأعلى، وهو الوعي الذي يناسب استخدامات الكونداليني المتعددة. آمن أيضاً بأن الكونداليني قادرة على تحسين الحالة الصحية للإنسان عبر قدرتها على تجديد الجسم والمحافظة عليه، فتطيل عمره. كما تستطيع إزالة أي مرض أو خلل عقلي. (سوف نتعرّف على حقائق أروع بكثير خلال الاطلاع على آلية عمل هذه الطاقة في موضوع الوعي الديناميكي).

لقد جاهد كريشنا في سبيل زيادة انتشار هذا العلم واستثمار الكونداليني في الغرب لكن دون جدوى. تبعه العديد من الباحثين، لكن هناك البعض (وهم الأكثر نفوذاً) الذين لم يوافقوه في مبالغته الزائدة للأهمية التي منحها للكونداليني.

الشاكرات

"الشاكرا" Chakra هي كلمة سنسكريتية تعني "دوامة" أو "عجلة"، وهي تبدو كذلك فعلاً. توصف الشاكرات في الأدبيات الهندية بأنها بتلات اللوتس أو عجلات متعددة الألوان تدور كالدوامات بسرعات متفاوتة خلال معالجتها للطاقة (البرانا) الداخلة والخارجة من الجسم. تم وصفها بشكل مفصل في الأدبيات اليوغية والبوذية، لكن كلا المنظومتين وصفتها بصيغة مختلفة، وحتى أن أوصافها تختلف في الأدبيات الغربية أيضاً. لكن على أي حال، سأحدث عن تلك التي لها أساس علمي/منطقي وأترك التنظير اللاهوتي لأصحابه.



الشاكرات هي دوامات كثيفة من الطاقة والموزعة على طول العمود الفقري

العلم الرسمي لا يتترف بوجود "الشاكرات" حيث يزعم بأنه ما من دليل علمي ملموس على وجودها. لكن تقدم أدوات البحث المخبري بدأ يفرض على هذا العلم وخصوصاً الطب المنهجي إعادة النظر مجدداً في الموضوع. بدأ ظهوره إلى الساحة العلمية عبر الأبحاث التي أجريت على مسارات الطاقة الصينية (الطب الصيني) وغيرها من أنظمة علاج مدعومة حكومياً، وهذه المناهج الطبية الخاصة

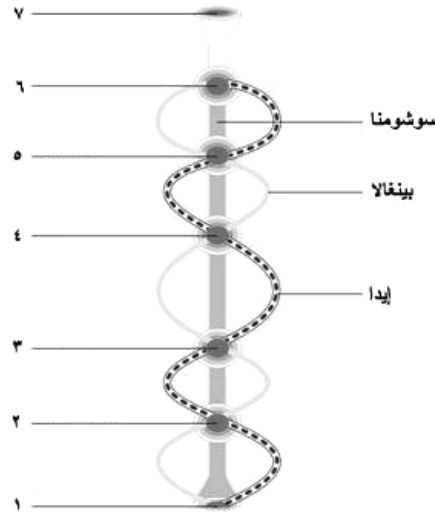
تتطلب مناهج بحث خاصة وقد عمل وفق هذه المناهج شخصيات علمية بارزة مثل الدكتور "هيروشي موتوياما" Hiroshi Motoyama الذي سأتناول أبحاثه لاحقاً.

هناك سبع شاكرات رئيسية موزعة على طول منطقة العمود الفقري، لكن هناك أيضاً المئات من الشاكرات الثانوية موزعة في مناطق مختلفة من الجسم. كل "شاكرا" تشبه كرة صلبة من الطاقة وتخترق الجسم بنفس الطريقة التي يفعلها المجال المغناطيسي. "الشاكرات" ليست مادية ملموسة. إنها تمثل أحد المظاهر المرتبطة بالوعي، تماماً كما تفعل "الهالة" أو "حقل الطاقة الإنساني". "الشاكرات" هي أكثر كثافة من "الهالة"، لكن ليس بنفس مستوى كثافة الجسم المادي. ومع ذلك، فهي تتفاعل مع الجسم المادي عبر وسيلتين رئيسيتين: نظام الغدد الصماء، والنظام العصبي. كل واحدة من "الشاكرات" السبع مرتبطة بإحدى الغدد الصماء endocrine gland. كما هي مرتبطة بمجموعة معينة من الأعصاب المعروفة بالصفائر plexus. وبالتالي فكل "شاكرا" مرتبطة بقسم معين ووظيفة معينة في الجسم مسؤولة عنها إحدى الصفائر أو إحدى الغدد الصماء.

تعتبر "الشاكرات" من العناصر التابعة للجسم الأثيري (النسخة الخفية من كينونتنا والملتزمة بالجسم المادي). وهذه "الشاكرات" موصولة ببعضها البعض كما أنها موصولة بأقسام معينة من البنية الخلوية للجسم المادي عبر قنوات خفية نسميها "ناديات" Nadis (جمع "نادي" Nadi). هذه "الناديات" تختلف تماماً عن مسارات الطاقة الصينية meridians، التي لها نظائر مادية متمثلة بنظام القنوات الأنيوية. تمثل "الناديات" شبكة واسعة ومعقدة من الطاقات شبه السيولية التي تسير بتوازي مع الأعصاب بكل تفرعاتها الشعيرية المعقدة. لقد وصفت مصادر عديدة أكثر من ٧٢,٠٠٠ "نادي" أو قناة أثيرية للطاقة الحيوية في التشريح الخفي لجسم الإنسان. هذه القنوات الخفية متشابكة مع الجهاز العصبي للجسم. إن حصول أي خلل على مستوى أداء "الشاكرات" و"الناديات" مرتبط جوهرياً بتغيرات سلبية في النظام العصبي، وهذا له أثر سلبي على الأعضاء الجسدية.

إذاً، "الشاكرات" موصولة ببعضها البعض كما أنها موصولة بالجسم المادي عبر قنوات خفية نسميها "ناديات" Nadis. من بين آلاف "الناديات" هناك ثلاثة قنوات بالغة الأهمية في تعاليم اليوغا: الـ"سوشومنا" sushumna، الـ"أيدا" ida والـ"بينغالا" pingala.

الـ"سوشومنا" هي القناة المحورية المركزية، متأصلة عند قاعدة العمود الفقري ثم تصعد إلى النخاع المستطيل medulla oblongata عند أسفل الدماغ. وظيفة هذه القناة هي معالجة الطاقة القادمة من المجال الأثيري للفرد. وبنفس الطريقة، تمتد قناتا "أيدا" و"بينغالا" من قاعدة العمود الفقري إلى الجبين (عند الرأس) وتنتهيان بشكل التفاضلي عند المنخر الأيمن والأيسر للأنف. هاتان القناتان تلتفان حول الـ"سوشومنا" بشكل لولبي، كما تلتفان حول الشاكرات، ووظيفتها هي إدارة تدفق الطاقة خروجاً ودخولاً (الشكل التالي).



منظومة القنوات الثلاثة: "سوشومنا"، "أيدا" و"بينغالا" كما يتصورها اليوغيون. الصورة تبيّن جهة دخول الـ"برانا" عبر قناة "أيدا" وخروجها عبر قناة "بينغالا"، والشاكرات موزعة على طول القناة "سوشومنا" الواصلة بينها وهي مرقمة بالتسلسل للدلالة عليها. كما يظهر الطريقة الالتفافية لقناتي "أيدا" و"بينغالا" حول "سوشومنا"، ومراكز الشاكرات.

توصف التعاليم اليوغية آلية إيقاظ الكونداليني على الشكل التالي: تدخل الطاقة الحياتية (برانا) عبر "الهالة" (مجال الطاقة المحيط بالفرد) من الأعلى فتدخل أولاً عبر شاكرا التاج (قمة الرأس)، فترشح نزولاً إلى الشاكرات الأخرى، وكل من هذه الشاكرات تحول الطاقة الكونية إلى صيغة أخرى من الطاقة القابلة للاستخدام لتنشيط الوظائف الجسدية المختلفة. عند استثارة الكونداليني، تبدأ هذه الطاقة بالتصاعد للأعلى عبر منظومة الشاكرات من خلال قناة "سوشومنا". في الحقيقة، الكونداليني هي عبارة عن تجمّع كثيف من الطاقة الكونية، أي برانا، يتم تراكمها عند قاعدة العمود الفقري بواسطة التأمل التصوّري، أو تمارين التنفّس (براناياما)، فتبدأ بالتصاعد مع زيادة كثافتها خلال التدفّق المستمر للبرانا. هذه العملية ستتوضح جيداً خلال توالي المواضيع.



صورة فنية تعبّر عن
تفجّر طاقة الكونداليني
بعد تفعيل الشاكرات
بأقصى قوتها، لكن
بطريقة منظمة وسليمة،
فتبدأ البرانا بالتدفق بقوة
عبر الممرات المناسبة
والمدروسة بشكل
صحيح. هذه العملية
تتطلب مدة طويلة من
التمرينات الموضنية
والشاقة.

في الحالة العادية، ووفق مفاهيم الطب اليوغي، عندما يكون الفرد متمتعاً بصحة جيدة، كل شاكرا تستعرض ألوانها الطبيعية الخاصة، وكذلك عدد برامقها spokes (شعاع العجلة) الطبيعية، وبالإضافة إلى وتيرةذبذبها وسرعة دورانها الطبيعي. أما إذا كانت حالته الصحية سيئة، تصبح ألوان الشاكرات ضبابية وغير واضحة، كما تُصاب وتيرة دورانها بالخلل والبلادة. فيما يلي وصف سريع ومختصر للشاكرات السبعة الرئيسية وفق المفهوم اليوغي، بالإضافة إلى شكلها الموصوف في أدبيات اليوغا. (سوف أتناول الكثير عن هذا الموضوع خلال توالي الفصول اللاحقة).

١- شاكرا الجذر ("مولادهارا" muladhara): موجودة عند قاعدة العمود الفقري وتُعتبر مقعد الكونداليني (نقطة تجمعها وانطلاقها). مرتبطة بالجانب الحيواني من الفرد، وكلك نزعة المحافظة على الذات، بالإضافة إلى حاسة الشم، والذوق. إنها أقل الشاكرات تعقيداً من حيث الوظائف والارتباطات، وعجلتها مُقسمة بواسطة [٤] مراتب. ولونها الطبيعي هو أجمر/برتقالي.

٢- شاكرا العجز ("سفاداشثانا" svadhisthana): موجودة بالقرب من الأعضاء التناسلية وتحكم الجنس والتناسل. لها [٦] برامق، ويطغي عليها اللون الأحمر. في بعض التعاليم اليوغية تُنسب الوظائف التناسلية والجنسية لشاكر الجذر، بينما تُجرّد هذه الشاكرا من أي أهمية. يُشار إليها أحياناً بشاكرا الطحال، وتوصف بأنها ذات لون زهري/أصفر مع [٦] برامق، وموجودة بين عظم العانة والسرّة. تحكم الصحة العامة، خصوصاً ذلك الجانب المتعلق بالهضم وأداء الكبد، والبنكرياس، والطحال.

٣- شاكرا الضفيرة الشمسية ("مانيبورنا" manipurna): موجودة فوق السرّة مباشرة. لديها [١٠] برامق ويطغي عليها لون الأخضر والأحمر الفاتح. مرتبطة بالعواطف وتمثّل النقطة التي تدخل منها الطاقة النجمية إلة المجال الأثيري للفرد.

هذه الشاكرا تؤثر على الغدد الكظرية، البنكرياس، الكبد، والمعدة. معظم الوسطاء الروحيين يعتمدون على هذه الشاكرا في عملهم.

٤- شاكرا القلب ("أنهاتا" anahata): لديها [١٢] بثلة ذهبية (أو برمق، حسب التعاليم) وموجودة في نقطة الوسط بين ألواح الكتف، عند مركز الصدر. تحكم الغدة الصعترية وتؤثر على المناعة ضد الأمراض. ترتبط بالمستويات العليا من الوعي والحب غير المشروط.

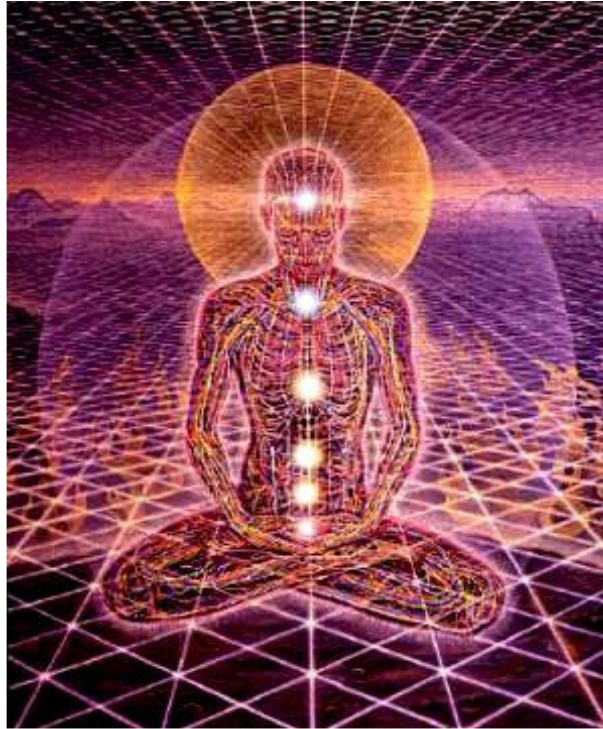
٥- شاكرا الحنجرة ("فيسودها" visuddha): هي عبارة عن عجلة ذات [١٦] برمق ولونها يميل إلى الأزرق الفضي، ومرتبطة بالإبداع، التعبير عن النفس، والبحث عن الحقيقة. هذه الشاكرا نشطة عند الموسيقيين، والمطربين، والمؤلفين والخطباء. هذه الشاكرا تحكم الغدة الدرقية والمجاورة للدرقية، كما تحكم عملية الأيض ومرتبطة بحالات معينة من الوعي المتمدّد.

٦- شاكرا الحاجب ("أجنا" ajna): موجودة بين الحاجبين ويُشار إليها أحياناً بالعين الثالثة بسبب تأثيرها على الحواس التجاوزية والتنوّع الروحي. لديها [٩٦] برمق، ونصفها مصبوغ بلون الأصفر/وردي، بينما النصف الآخر مصبوغ باللون الأزرق/أرجواني. هذه الشاكرا مرتبطة بالغدة النخامية، والغدة الصنوبرية، والذكاء، البديهية، والقوى الروحية التي تُسمى "سيدهي" في اليوغا الهندية.

٧- شاكرا التاج ("سahasrara" sahasrara): تدور عند قمة الرأس. لها [٩٧٢] برمق وتشعّ باللون الأرجواني، وهو اللون الأكثر روحانية. بعض التعاليم لا تربطها بأي من الغدد ولا أي عضو جسدي، حيث تحكم الجانب المسؤول عن تطوّر الوعي. لا يمكن تفعيل هذه الشاكرا قبل معالجة الشاكرات الأخرى وتوازنها. لكن عند تفعيلها سوف تجلب التنوّع الأسمى حيث التواصل المباشر مع الوعي الكوني.

خلاصة

إذاً، وفق التعاليم اليوغية، نحن أمام كائن بشري تختلف أوصافه تماماً عن تلك التي نعرفها في حياتنا اليومية أو حتى التي يقدمها لنا العلم المنهجي. إنها تختلف بشكل جذري. الصورة التي تقدمها تعاليم اليوغا تمثل إنسان مُحاط بفقاعة ("هالة") من الطاقة، وسط بحر الطاقة الكونية (البرانا)، مع سبع مراكز كثيفة من الطاقة (شاكرات) موزعة على طول منطقة العمود الفقري، مع أن هناك المئات من الشاكرات الثانوية أيضاً موزعة في مناطق مختلفة من الجسم. وهذه "الشاكرات" موصولة ببعضها البعض كما أنها موصولة بأقسام معينة من البنية الخلوية للجسم المادي عبر قنوات خفية نسميها "ناديات" Nadis (تبدو في الصورة التالية على شكل أوردة دموية).



منظومة شبكة الطاقة في الكينونة البشرية

الفكرة الرئيسية تكمن في أن مناهج اليوغا تعتمد على هذه الصيغة في النظر إلى المنظومة التشريحية للإنسان، حيث من أجل بلوغ التنور الروحي مثلاً، أو تحقيق يقظة الكونداليني، وجب على ممارس "الكونداليني يوغا" تفعيل الشاكرات بواسطة إحدى تمارين التأمل التصوري، أو التنفس (براناياما)، فيزيد ذلك من وتيرة معالجة الشاكرات للطاقة الكونية (برانا) التي تتدفق إلى الجسم وترفع أداء وظائفه العضوية، بالإضافة إلى تنشيط مجال الطاقة الحيوية (الهالة).



مخطط مراكز نشاط الطاقة ومساراتها خلال تمارين التنفس (البراناياما) لتفعيل الشاكرات الهادفة إلى يقظة الكونداليني. ويظهر في المخطط الناديات الرئيسية الثلاثة: الـ "سوشومنا" sushumna، الـ "آيدا" ida والـ "بينغالالا" pingala.

لكن مع ذلك، رغم كل هذه الشروحات والتوصيفات، لازال الأمر غامضاً ويتطلب المزيد من التوضيح. هناك الكثير من الأسئلة التي تتطلب إجابات وافية ومقنعة. ما هي العلاقة بين منظومة الطاقة الحيوية في الجسم والارتقاء الروحي أو التنور أو غيرها من حالات تتعلّق بالوعي؟ ما هي العلاقة التي تربط الشاكرات بكل من

الوعي، حقل الطاقة، وأداء وظائف الجسم؟ كيف تتم يقظة الكونداليني، أو دعونا نقول حالة التنوّ والارتقاء الروحي، عبر تفعيل الشاكرات؟



هناك الكثير من المدارس الروحية التي تستطيع إحراز التنوّ، أو شكل من أشكال الكونداليني، مع أنها لا تعتمد على منظومة الطاقة الحيوية التي توصفها تعاليم اليوغا. حتى أنها تجهل وجود الشاكرات أصلاً. لماذا اتبع اليوغيون وسيلة استخدام الشاكرات وليس شيء آخر لبلوغ حالة التنوّ؟ هل الشاكرات موجودة فعلاً أم أنها مجرد مراكز افتراضية يتصوّر الممارس وجودها فيتعامل معها افتراضياً لإكمال المسرحية الذهنية التي يفرضها عليه منهج التأمل الذي يتبعه؟ أسئلة كثيرة أخرى تفرّض نفسها بقوة في هذا المضمار. أين سنجد الإجابات الصحيحة على كل هذه التساؤلات المتناقضة؟

رغم التعقيد الكبير الذي تبديه هذه التساؤلات السابقة إلا أنها في الحقيقة مظاهر سطحية ناتجة من سوء النظر إليها. العيب يكمن في الطريقة الخاطئة التي ننظر من خلالها إلى الموضوع وليس في الموضوع ذاته. كل هذا الإرباك سيزول مباشرة، وبسهولة، مجرد أن نعرّفنا على بعض المعلومات الجديدة. وأرجو أن نطمئن، فمصدر هذه المعلومات ليس مراجع ماورائية أو إيزوتيرية، بل أبحاث علمية. دعونا إذاً نتوقف لبعض الوقت وننزود ببعض المعلومات الجديدة قبل أن نتابع رحلتنا في رحاب هذا الموضوع التجاوزي الرائع.

الجسم الطاقى الحيوي BioEnergetic Body

بقي العلم يعتمد على المفهوم الطبّي التقليدي خلال النظر إلى تشريح الجسم الإنساني لفترة طويلة من الزمن إلى أن شهد القسم الأخير من القرن الماضي ظهور معدات وأجهزة متطورة استطاعت الكشف عن جانب جوهري ومهم في المنظومة البيولوجية للإنسان (وكل الحيوانات الأخرى) لكنه لم يكن مرئياً بالعين المجردة مما جعل رواد العلم يتجاهلون وجوده تماماً خلال القرنين الماضيين أثناء اجتهاداتهم الأولى لوصف التركيبة العضوية للكائنات الحية.

لطالما تحدث العلماء الأكاديميون من أنصار المذهب "الحيوي" Vitalism عن وجود هذه المنظومة الخفية في جسم الكائن الحيّ، وراحوا يشيرون إليه وأقسامه المختلفة بمصطلحات علمية مختلفة كانت مألوفة جيداً في العالم الأكاديمي قبل أن يندثروا من الساحة العلمية في بدايات القرن الماضي، لكنهم عجزوا عن إثبات تلك المزاعم عينياً بسبب عدم توفر الأدوات التي تمكنهم من ذلك. لقد تحدثوا عن التدرّج الأثيري الذي يكوّن المادة الصلبة للكائن الحيّ، وأصرّوا على أن الإنسان هو منظومة بيولوجية مفتوحة وليس كما يدعيه خصومهم أنصار المذهب "المادي" Materialism بأنه منظومة مغلقة. ويرى أنصار المذهب الحيوي أن الكائنات الحية تختلف بشكل جوهري عن الأشياء غير الحية لأنها تحتوي على عنصر غير مادي لكنه يثبت وجوده العاقل، وبالتالي تخضع لقوانين غير تلك القوانين التي تحكم الأشياء غير الحية. وبكلمات أبسط، كان المذهب الحيوي يرى أن المخلوقات الحية تحتوي على جريان طاقة حيوية في الجسم آتياً من مصدر خارجي. هذه الطاقة الحيوية تصبح مادة عاقلة عندما تتخلل الأجسام وتمنحها الحياة.

لكن للأسف الشديد، في أواسط القرن التاسع عشر، أصبح للماديين اليد العليا سياسياً، وتمكّنوا، من قمع أتباع المذهب الحيوي وإقصاءهم من الساحة العلمية (بالرغم من وجود شخصيات علمية بارزة في صفوفه). فراح العلم في تلك الفترة

يصف الخليقة كلها بأنها عبارة عن آلية ميكانيكية شاملة ومعقدة، بما فيها الحياة. هذه النزعة لازالت تسيطر حتى اليوم على علومنا المنهجية، ولكن هناك الكثير من العلامات البارزة اليوم التي تشير إلى صحة جديدة تبعدهم تدريجياً عن تلك النظرة القاصرة والميل باتجاه نظرة أكثر شمولية. فالحقيقة هي الغالبة دائماً وهي متوفرة لكل من يريد أن يعرف. إن الأشخاص المتحررين من المعتقد العلمي السائد هم فقط الذين يمكنهم الكشف عن حقيقة الكون والطبيعة الرائعة للوجود.

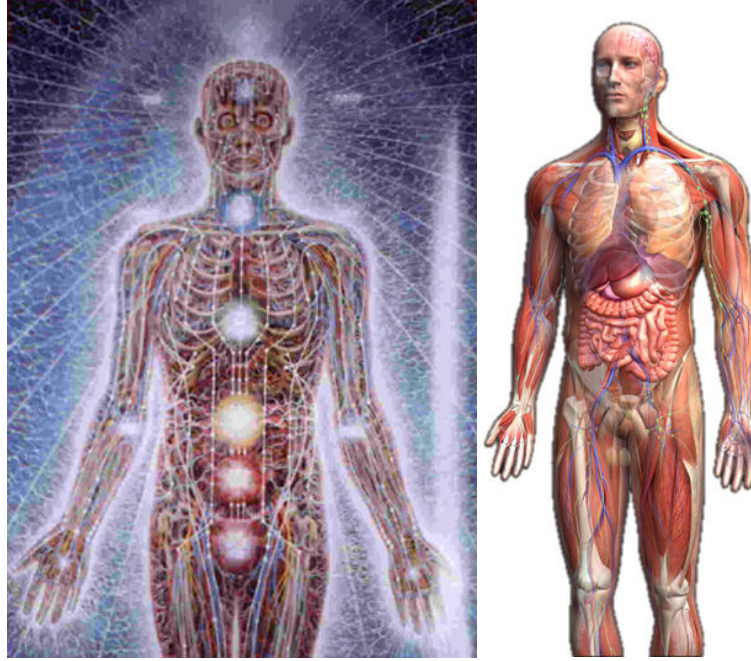
لقد شهد المذهب الحيوي في مجال الطب والبيولوجية بداية جديدة في نهاية القرن العشرين. خاصة بعد ظهور تقنيات معقدة سمحت برؤية حقول الطاقة الحيوية للكائنات بوضوح لا يمكن تكذيبه، وكذلك الاكتشافات الاستثنائية الأخرى التي حصلت في المختبرات العلمية المتطورة، كل هذا أدى إلى حث العلماء على إعادة النظر من جديد في هذا المذهب العلمي العريق.

تشرح منظومة الطاقة الحيوية في الجسم

أصبح هناك الكثير من الأدلة المتوفرة التي تشير إلى حقيقة وجود نسخة طاقية هولوغرافية مرتبطة بشكل وثيق مع الجسم المادي للإنسان. هذا الجسم "الأثيري"، هو جسم قائم بذاته ويشبه إلى حد كبير الجسم المادي الذي يرتبط به.

هذا الجسم "الأثيري" يحمل أيضاً المعلومات المشفرة (بايومعلومات) المسؤولة عن مراحل تطوّر الجنين داخل الرحم (أو البيضة)، وكذلك تحتوي على المعطيات البنيوية المتعلقة بنمو وإصلاح كافة الأعضاء الجسدية مكتملة النمو. هذا الهيكل المتشعب من المنظومة الطاقية يعمل بتناغم مع الآليات الجينية للخلايا. الجسم المادي موصولاً بالجسم الأثيري ويعتمد عليه بشكل جوهري في كافة مجرياته، حتى على مستوى الإدارة الخليوية. الجسم المادي لا يستطيع البقاء دون توأمه الأثيري. إذا حصل خلل في هذا الجسم الأثيري يصبح المرض بعدها محتوماً.

الكثير من الأمراض تأصلت من خلل حاصل في هذا الجسم الخفي الداعم للمنظومة البيولوجية للإنسان.



"الجسم الأثيري"، أو منظومة الطاقة الحيوية في جسم الإنسان (على اليسار) بالمقارنة مع أجهزة الجسم الأخرى. هذا الجسم الأثيري لا يقتصر على الهالة المحيطة بالجسم المادي بل يتغلغل إلى داخله ليشكل دائرة كاملة متكاملة مؤلفة من قنوات وفروع ومراكز تجمع رئيسية.

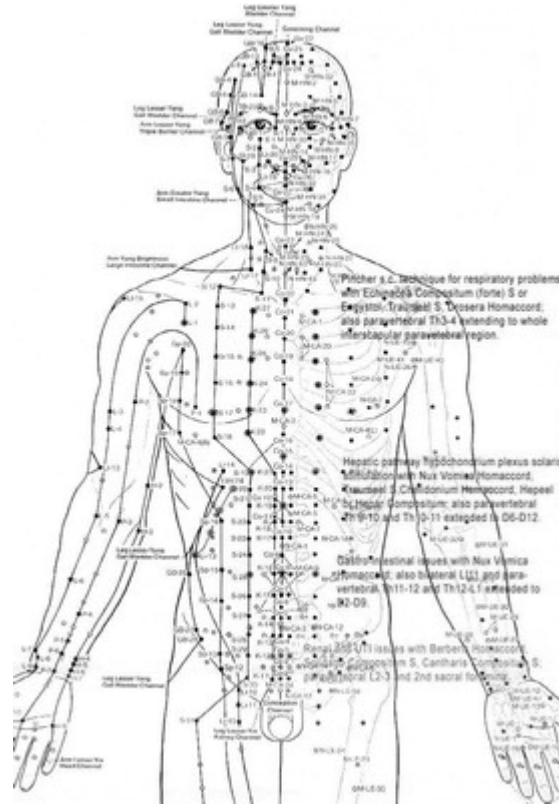
هذا الجسم "الأثيري" مؤلف من محتوى مادي، لكنه مختلف عن المحتوى المادي للجسم العادي من حيث الكثافة ووتيرة التردد. إنه ليس منفصل تماماً من المنظومة الجسدية العادية التي يتفاعل معها. هناك قنوات خاصة لتبادل الطاقة والتي تسمح بتدفق المعلومات العضوية المُشفرة من مستوى إلى آخر خلال إدارة مجريات الجسم وتنظيمه. لقد تم تناول هذه القنوات بشكل موسّع في الأدبيات الشرقية العريقة. أهم هذه الأنظمة الشرقية هي نظام "الوخز بالإبر ومسارات

الطاقة "Acupuncture Meridian System" الذي نشأ في الصين، ونظام "الشاكراوات والناديات" Chakras and Nadis الذي نشأ في الهند.

نظام الوخز بالإبر ومسارات الطاقة

تحدثت النصوص الصينية العريقة عن طاقة كونية تدعى تشي Qi وهي موجودة في جميع الأشياء. وذكر أن الـ "تشي" Qi تتألف من ضدين متعاكسين هما طاقتا الين Yin واليانغ Yang وهما يتوزعان في تيار دائم ضمن خطوط طولية تدعى مسارات الطاقة. وأن سبب المرض هو خلل في توزيع تدفق الطاقة الحيوية ضمن هذه المسارات. وفي التقاليد الطبية الصينية هناك علم قديم يدعى الـ "تشي كونغ" Chi Kung وقد تم تطويره على مدى آلاف السنين من قبل معلمي التاو في الصين. وقد استخدم بنجاح لآلاف السنين في الحفاظ على الصحة ومنع الأمراض وتسكين الألم وإطالة العمر. في الجسم السليم تتدفق الـ "تشي" Qi بحرية ضمن مسارات غير مرئية تدعى مسارات الطاقة Meridians. إن الظروف السيئة والضغط والتوتر الانفعالي قد تؤدي إلى إعاقة أو خلل في تدفق الطاقة الحيوية وبالتالي إلى المرض. في مجال الوخز بالإبر الصينية Acupuncture، يقوم المعالج بإدخال إبر معقمة لفتح نقاط على طول مسارات الطاقة في الأماكن التي تحدث فيها إعاقة لتدفق الطاقة الحيوية. ويستخدم المعالج بالتشي كونغ قدرته في التعامل مع التشي Qi عن طرق التركيز وتنظيم التنفس. وهو لا يقوم فقط بفتح الطرق المسدودة في مسارات الطاقة بل يقوم أيضاً بملء هذه المسارات بطاقة حيوية جديدة.

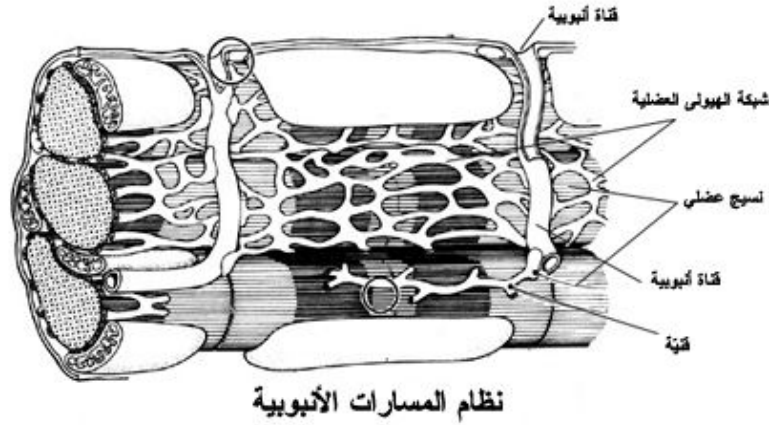
إذاً، يقول هذا المفهوم الصيني القديم بأن هناك نقاط خاصة للوخز بالإبر acupuncture points منتشرة في جسم الإنسان، وهذه النقاط متلازمة مع نظام متشعب من مسارات طاقة meridian system تجري بعمق في أنسجة الجسم. عبر هذه المسارات الطاقية تمرّ الطاقة المغذّية التي تحمل معلومات مشفرة (بأيومعلومات) تتزوّد بها العناصر العضوية المختلفة في الجسم.



نموذج عن خريطة مسار الطاقة في الجسم مع مواقع نقاط الوخز بالإبر.

لقد أجري عدد كبير من الدراسات العلمية التي تبحث في محتوى ومضمون هذا النظام ومدى فعاليته وجدواه. أشهرها هي تلك التي أجراها الطبيب الكوري الجنوبي، البروفيسور "كيم.ب. هان" Kim B.Han، في الستينات من القرن الماضي، وتناولت دراسته عدة فصائل من الحيوانات.

أظهرت أبحاث الدكتور "هان" على نظام المسارات الأنبوبية tubular meridian system في الأنسجة العضوية بأن هذا النظام منقسم إلى قسمين، نظام سطحي ونظام عميق. وقد تم تصنيف النظام العميق إلى عدة أقسام أيضاً:



١- "نظام القنوات الداخلية" Internal Duct System. وُجدت هذه الأنابيب تطوف بحرية داخل الأوعية الدموية والأوعية اللمفية، مخترقة جدران الأوعية عند نقاط دخول وخروج محددة. عادةً ما يُلاحظ بأن السوائل في هذه القنوات الداخلية تسافر بنفس اتجاه الجريان داخل الأوعية التي اكتشفت فيها. لكن في ظروف معينة لوحظت هذه السوائل الأنبوبية وهي تجري باتجاه معاكس.

إن حقيقة اختراق هذه القنوات لجدران الأوعية ومغادرتها تشير إلى أن أصل تشكّل هذه القنوات مختلف عن الأنظمة اللمفية والوريدية. يمكن لهذه المسارات الأنبوبية أن تلعب وظيفة المرشحات المكانية لنمو وتطور الأنظمة اللمفية والوريدية. خلال تشكّل الأوعية تقوم بالنمو حول هذه المسارات.

٢- "نظام القنوات الداخلية/الخارجية" Intra-External Duct System. هذه القنوات موجودة على طول سطح الأعضاء الداخلية ويبدو أنها تشكّل شبكة مستقلة تماماً من الأنظمة اللمفاوية، الوريدية، والعصبية.

٣- "نظام القنوات الخارجية" External Duct System. وجدت هذه القنوات تجري بجانب السطح الخارجي لجدران الأوعية الدموية واللمفية. وجدت هذه

القنوات أيضاً في الطبقات الجلدية ومعروفة باسم "نظام القنوات السطحية" Superficial Duct System. هذا النظام الأخير هو الذي يألفه المعالجون التقليديون بالوخز بالإبر.

٤- "نظام القنوات العصبية" Neural Duct System. وهو موزع في الأنظمة العصبية المركزية والمحيطية.

كل هذه القننات (مصغر قناة) وُجدت في النهاية متداخلة ببعضها البعض (ابتداءً من الأنظمة السطحية وصولاً إلى العميقة) فيُحافظ على استمرارية النظام بالكامل. أنظمة القنوات المختلفة موصولة ببعضها من خلال اتصال القننات النهائية لكل منظومة.

وجد الدكتور "هان" بأن القننات النهائية تصل حتى إلى نواة الخلية النسيجية. وبالإضافة إلى ذلك، وجد جسيمات صغيرة في مواقع منفصلة على طول المسارات الأنبوبية. وهذه الجسيمات تبدو في "نظام القنوات الخارجية" بأنها تتموضع تحت، وتتطابق مع، نقاط الوخز بالإبر المنتشرة على طول مسارات الطاقة meridians في الجسم.

كشفت السوائل المُستخلصة من هذه القنوات عن وجود تركيزات عالية من الحمض النووي DNA، والحمض النووي RNA، وحموض أمينية، وحمض الهيلوروني hyaluronic acid، و١٦ نوع من النيوكليوتيدات، الأدرينالين، الكورتيكوستيرويد، الإستروجين، ومحتويات هورمونية أخرى في مستويات مختلفة تماماً من تلك الموجودة في مجرى الدم. أصبح واضحاً وجود علاقة مهمة بين نظام مسارات الوخز بالإبر وعملية تنظيم الإفرازات داخل الجسم. لقد أُثبتت التجارب بشكل واضح أنه بعد تخريب (أو قطع) مسارات أنبوبية معينة ينتج بعدها مباشرة حالة ارتكاس خطيرة في الأوعية الدموية. كما حصل تغيير في زمن رد

الفعل اللاإرادي reflex للجسم، حيث بلغت نسبة تباطؤه ٥٠٠%. يبدو أن هذه المسارات الطاقية توفرّ جريان تغذية أساسية إلى كامل أعضاء الجسم.

اكتشف الدكتور "هان" بأن هذه المسارات الأنبوبية تتشكّل في بعض فصائل الحيوانات بعد ١٥ ساعة من الحبل. هذا يقترح بأن وظيفة أنظمة المسارات الأنبوبية هذه لها تأثير مباشر على نمو وتموضع وتشكّل الأعضاء في الجسم. لأن هذه الأنظمة الأنبوبية موصولة بمركز التحكم الجيني لكل خلية، هذا يجعلها تلعب دوراً مهماً في تناسخ وتمايز كل الخلايا في الجسم.

من بين التجارب الشهيرة الأخرى هي تلك التي أجراها الدكتور "هارولد بور" Harold Burr، الذي قام خلالها بإجراء مسح للمجالات الكهربائية المحيطة بالأجنة التي في طور التشكّل. اكتشف في أبحاثه وجود محور كهربائي تطوّر داخل البيضة الملقحة، وهذا المحور ينسجم مع التموضع المستقبلي للدماغ والنظام العصبي المركزي في الجنين البالغ. إن خلق هكذا محور كهربائي يشكّل دليل موجي waveguide لحقل الطاقة التوجيهي الذي يحدد التموضع المكاني للخلايا داخل الجنين الذي في طور التشكّل. والأمر المذهل الذي اكتشفه هو وجود مجال طاقة بايوكهربائية محيط بالجنين الذي في طور التشكّل ويتخذ شكل الجنين كامل النمو! إذاً، الطاقة الحيوية تسبق التجسيد المادي، وهي التي تحدد شكل المادة قبل فترة من خلقها.

لقد أصبح واضحاً نتيجة هذا النوع من الأبحاث بأن منظومة مسارات الطاقة الحيوية meridian system التي تعامل بها الصينيون القدامى تمثّل نقاط توصيل بين الجسم الأثيري والجسم المادي. هذه الدارة الطاقية تمثّل أول وصلة مادية بين الجسمين. وقد كشفت أبحاث أخرى عن أن حصول أي تغييرات في نقاط الوخز بالإبر في هذه الدارة الطاقية قد تؤدي إلى تغييرات ملموسة في الحالة الصحية بعد عدة ساعات أو أيام أو حتى أسابيع.

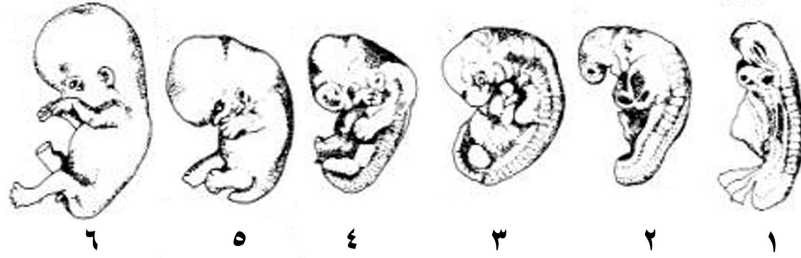
أما الأبحاث التي أجريت على المجال الأكتوبلازمي المحيط باليرقانة الحشرية (يسمونه أحياناً بالمجال المورفوجيني Morphogenic Field)، فبالإضافة إلى إثباتها الكثير من الحقائق المذهلة بخصوص المعلومات المشفرة التي يخزنها هذا الحقل البيوبلازمي المحيط بالأجنة واليرقانات ويزودها للجنين المنتشكّل بالترديج وعبر تتابع مراحل النمو، فقد أثبتت أيضاً الفكرة المطروحة سابقاً المتعلقة بالمحور الكهربائي الذي اكتشفه الدكتور "هارولد بور". تبين أن هذا المحور الكهربائي يبدأ بالتجسد مادياً وبشكل تدريجي ليشكل المحور العصبي للحشرات والعمود الفقري للكائنات الفقرية (الإنسان).



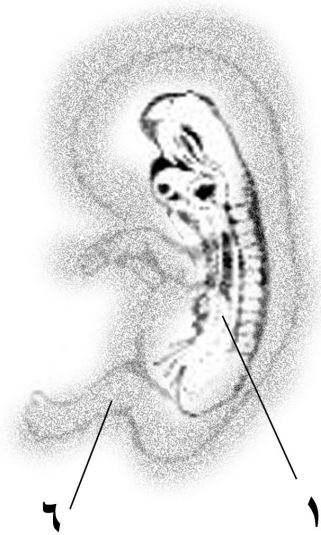
الصورة تبين يرقانة ذبابة كاملة لكنها غير مرئية، وتظهر هنا للعين المجردة من خلال طريقة تصوير خاصة. والقسم القاتم هو عبارة عن صبغة خاصة تم حقنها لإظهار النظام العصبي الذي في طور التجسد مادياً. يمكن ملاحظة المجال المورفوجيني بوضوح وهو محيط بالمادة التي في طور التشكّل، وهو المسؤول عن تزويدها بالمعلومات الأساسية لإدارة عملية النمو.

إذا أخذنا هذه المعلومة بعين الاعتبار، نستنتج بأن العمود الفقري يمثل الخطوة الأولى في مسيرة تشكّل الجنين. وهذا يثبت صحة مزاعم اليوغيين القائلة بأن هذه المنطقة المحورية تمثل مكان النقاط الرئيسية لانتشار الطاقة الحيوية في الجسم والتي سموها "شاكرات". لقد أصبح هذا الأمر يبدو منطقي جداً لأن الجسم لا

يستطيع إكمال مسيرة نموه دون حضور محطات الطاقة الرئيسية الموجودة على طول منطقة العمود الفقري (المتشكّل أولاً)، والتي وظيفتها هي تحويل الطاقة من شكل إلى آخر، كما تعمل على ترجمة المعلومات المشفرة (بايومعلومات) لتزوّد بها العناصر العضوية المختلفة في الجسم.



حتى في الجنين البشري نجد أن العمود الفقري (محطات الطاقة الرئيسية أو "الشاكرات") يتشكّل أولاً، ذلك لكي تتم ترجمة المعلومات المشفرة المخزّنة في الحقل المورفوجيني المحيط بالجنين.



لقد تم إثبات وجود هذا الحقل المورفوجيني عبر تجارب مختلفة، لكننا سنستشهد بدراسة الدكتور "هارولد بور" التي كشفت وجود مجال طاقة بايوكهربائية محيط بالجنين الذي في طور التشكّل، ويتخذ شكل الجنين كامل النمو. أي بمعنى آخر، في الوقت الذي لازال فيه الجنين بالمرحلة [1] من تشكّله، يكون المجال البايوكهربائي المحيط به متخذاً شكل الجنين النهائي، أي بالمرحلة [6] (كما الشكل المقابل).

هذه الحقيقة المتعلقة بالعمود الفقري توصلنا إلى موضوع "الشاكرات"، وتمثل الاسم "اليوغي" لتلك المحطات الرئيسية للطاقة والموزّعة على طول العمود الفقري.

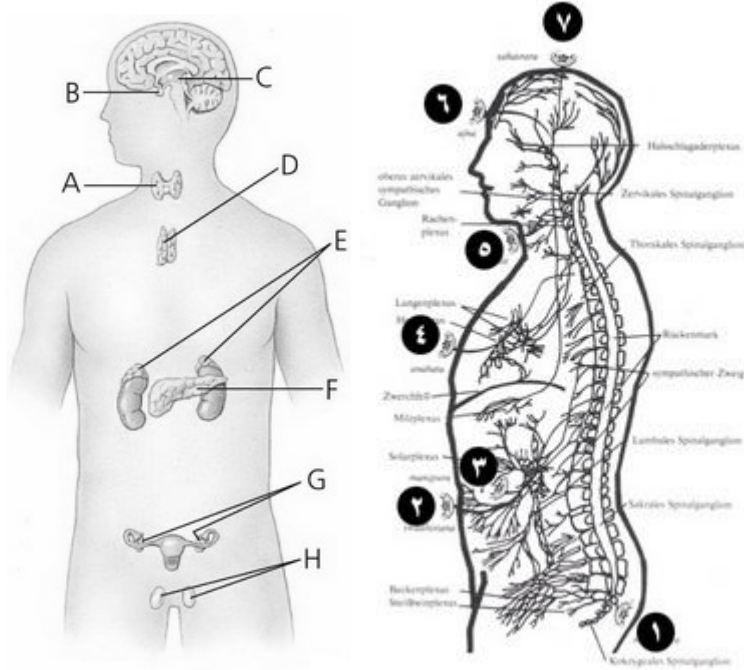
نظام "الشاكرات والناديات"

منظومة الطاقة الحيوية التي تحدث عنها الهندوس القدامى تختلف عن المنظومة الصينية، لكن رغم ذلك لها ما يثبت صحتها علمياً أيضاً. ذكرت سابقاً أن تعاليم "اليوغا" تمحورت حول مفهوم "البرانا" Prana. وهي الطاقة التي تسمح بوجود الحياة والتي تتخلل كل الوجود. ووفق تعاليم "اليوغا"، تتفاعل "البرانا" مع جسم الإنسان عبر تيارين متعاكسين هما الأيدا Ida (التيار الوارد) والبينغالا Pingala (التيار الصادر) اللذان يسمحان عند توازنهما بظهور ضد ثالث يدعى Sushumna. ويقال بأن هذه الطاقات الثلاث تتوزع في مناطق الجسم من خلال الشاكرات السبع. ويعاد توزيع طاقة هذه الشاكرات السبع إلى مناطق محددة من الجسم والتي تتناغم معها عبر نقاط أصغر تسمى "ناديات" Nadis، ومنها إلى باقي أنحاء الجسم، ومجموع طاقات هذه العقد الصغيرة هو الذي يسمح بتطور الجسم ونموه.

بدأت "الشاكرات" Chakras تجد طريقها إلى المختبرات العلمية منذ أواسط القرن الماضي، وراحت تثبت وجودها تدريجياً مع تقدم التقنيات التي تسمح باستشعارها وقياسها بدقة كبيرة وبالتالي سمحت بمراقبة سلوكها واستجاباتها في ظروف مختلفة. أشهر الباحثين الذين تناولوا نظام "الشاكرات" بطريقة علمية هو الدكتور الياباني "هيروشي موتوياما" Hiroshi Motoyama، والذي تقدم باكتشافات مهمة تثبت صحة وجود منظومة "الشاكرات" في جسم الإنسان. اكتشف الدكتور "موتوياما" بأن هناك أشخاص معينين يستطيعون قذف الطاقة بشكل إرادي من "الشاكرات" لديهم. وعندما يفعلون ذلك، تتبعث من "الشاكرا" تدفقات مضطربة من الحقول الكهروستاتيكية. هناك المزيد عن أبحاث "موتوياما" لاحقاً، وكذلك الدكتورة "فاليري هونت" Valerie Hunt التي تناولت موضوع "الشاكرات" خلال أبحاثها على حقل الطاقة الإنساني. (سوف أتحدث عن أعمالهم لاحقاً).

من الناحية الفيزيولوجية، يبدو أن "الشاكرات" مرتبطة بتدفق طاقات عالية عبر قنوات طاقة محددة إلى البنية الخلوية للجسم. في أحد مظاهرها، هذه "الشاكرات"

أو "الدوامات الطاقية" (وتعني "الشاكرا" بالسنسكريتية "عجلة" أو "دوامة") تقوم بوظيفة مشابهة للمحولات الكهربائية، حيث تعمل على خفض وتيرة الطاقة المتدفقة عبرها إلى الجسم. وهذه الطاقة بدورها يتم ترجمتها إلى تغييرات هورمونية، فيزيولوجية، وفي النهاية تغييرات خلوية في الجسم. أصبح واضحاً علمياً أن هناك ٧ "شاكرات" مختلفة مرتبطة بالجسم. وذلك لأسباب تشريحية. ومن الناحية التشريحية أيضاً، نبيّن أن كل من هذه المراكز من الطاقة (أي الشاكرات الرئيسية السبعة) مرتبطة بإحدى "الضفائر العصبية" nerve plexus الرئيسية، و"الغدد صماء" endocrine gland الرئيسية.



Endocrine Glands الغدد الصماء

Plexus System نظام الضفائر

لقد أصبح الأمر واضحاً بأن "الشاكرات" التي تتعامل معها تعاليم "اليوغا" موجودة في نفس المناطق التي توجد فيها مجموعة من "الضفائر" العصبية nerve plexus الرئيسية، و"الغدد الصماء" Endocrine Glands الرئيسية.

الضفائر العصبية

الضفائر العصبية هي مجموعة عُقد أو شبكات عصبية موزعة في الجسم، وتشكّل جزءاً من "المنظومة العصبية السمبائية" sympathetic nervous system (وهي القسم من النظام العصبي الذي يعمل أوتوماتيكياً أو خارج نطاق الإرادة، مثل الدورة الدموية، الهضم، التنفس... إلى آخره)، وهي قريبة الصلة وظيفياً بالأحشاء، وتخدم كمراكز تنسيق لأنسجة عصبية متنوعة حيث تضبط وتنظّم تحركاتها العضلية والعضوية. هذه الشبكات العصبية مرتبطة بشكل وثيق بالحالات العقلية والعاطفية، لدرجة أن إحدى هذه الشبكات العصبية الرئيسية، وهي الضفيرة الشمسية، تُسمى "الدماغ البطني" abdominal brain.

أول من ربط هذه العقد العصبية بالشاكرات اليوغية (السنسكريتية) هم الباحثون "التيوسوفيون" Theosophists، بالإضافة إلى مجموعة بارزة من العلماء الهنود، وذلك في بدايات القرن الماضي. كانت اقتراحاتهم في البداية نظرية أكثر من كونها تطبيقية، لكن بعد تطور أدوات البحث في أواخر القرن الماضي أثبتت معظم مزاعمهم التي جاءت في سياق اجتهاداتهم الهادفة إلى إيجاد توافق كبير بين المنطق السنسكريتي والمنطق العلمي الحديث حول تشريح كينونة الإنسان الطاقية والجسدية.

الغدد الصماء

هي مجموعة من الغدد الإفرازية التي تضبط وتنظّم الإجراءات الجسدية عبر إفرازاتها الكيماوية المسماة "هرمونات" hormones، والتي تنقلها المجاري الدموية إلى الأعضاء المستهدفة. يتم إدارة وتيرة الإفراز إما عبر ضوابط معيّنة في الغدة ذاتها والتي تستشعر بطريقة ما حصول ارتفاع أو انخفاض في مادة كيماوية معيّنة في الجسم، فتصدر الأوامر لكبح أو تحفيز عملية الإفراز حسب

الحالة، أو هناك آلية خفية أخرى لإدارة هذه العملية لازالت مجهولة لدى العلماء، لكنهم يعلموا بأنها تتصرف وفق أوامر صادرة من "تحت المهاد" hypothalamus و"الغدة النخامية" pituitary الموجودتان في الدماغ (سوف نتعرف على هذا السر لاحقاً). هذه المنظومة من الغدد المفرزة للهرمونات هي ضرورية جداً للنمو الطبيعي، التناسل، والاستقرار الجسدي عموماً. لكن نبيّن أن لها وظائف ومهام أكثر أهمية مما نتصوره.

لقد جذب سحر الغدد الصماء الباحثين من فروع علمية عديدة خصوصاً الطب العضوي. الاكتشافات العظيمة التي تم تحقيقها بهذا المجال في الماضي القريب نُشرت في أبرز الأوراق العلمية، وأغلبها دخل إلى الكتب المدرسية المنهجية. هناك سبعة غدد رئيسية في كامل منظومة الغدد الصماء، هي: الغدة الصنوبرية Pineal، الغدة النخامية Pituitary، الغدة الدرقية Thyroid، الغدة الجاردرقية Parathyroid، الغدة الصعترية Thymus، "البنكرياس" Pancreas، والغدة الكظرية Adrenal. كما أن الطحال Spleen وكذلك الغدد التناسلية Gonads (المبيض للأنثى والخصية للذكر) تدخل في هذه المنظومة المهمة للإفراز الغدي. فيما يلي أوصاف مُختصرة لهذه الغدد وبعض الخواص الوظيفية لإفرازاتها الهرمونية:

الغدة الصنوبرية Pineal

هي كتلة صغيرة موجودة في الدماغ، والمعروف عنها علمياً بأنها تفرز هرمون "الميلاتونين" melatonin. تكون كبيرة الحجم لدى الأطفال لكنها ما تلبث أن تبدأ بالتقلص مع نموهم التدريجي. يعتقد العلماء المنهجين بأنها قد تلعب دور رئيسي في النضوج الجنسي، التحريض على النوم، الاكتئاب، و"الإيقاع اليوماوي" circadian rhythm (إجراءات بيولوجية مختلفة في الجسم متناغمة مع الإيقاع اليومي الذي مدته ٢٤ ساعة، مثل النوم واليقظة، ونشاطات هرمونية وهضمية مختلفة). كما اكتُشف، من خلال التجارب على الحيوانات، بأن هذه الغدة تلعب دوراً رئيسياً في التطور الجنسي، السبات الشتوي، والتناسل الموسمي.

لكن نبيّن أن هذه الغدة مرتبطة بالتطوير العقلي والروحي. تُعتبر هذه الغدة صلة الوصل بين العالم الخارجي (المادي) والعالم الخفية الباطنية في حياة الكينونة البشرية. كما أنه يُشار إلى هذا العضو بـ"العين الثالثة" أو مركز "الحاسة السادسة". اليوغيون المحترفون يوصلون وعيهم مع نشاطات العالم المرئي وكذلك العالم اللامرئي عبر هذا المركز المهم الذي يعمل كوسيط بين العالمين. كما أن هذا المركز يُعتبر أداة استثارة الإلهام والوحي، كما يُعتبر المصدر الذي يتلقى النور الإلهي والمعرفة الغيبية. كما أن رؤية "الكينونات الفكرية" بصفة كائنات خفية مختلفة (حسب قناعة الفرد) تحصل بفضل هذا المركز الخفي للاتصال والتواصل الغيبي.

الغدة النخامية Pituitary

هذه الغدة أيضاً تكمن في الرأس، خلف جذر الأنف مباشرة. معروف عنها علمياً بأنها تلعب دوراً أساسياً في ضبط وتنظيم كامل منظومة الغدد الصماء. يقوم فصها الأمامي بإفراز معظم الهرمونات النخامية التي تحفز النمو، وكذلك تلعب دوراً في تطوّر السائل المنوي وبيضضة التلقيح، وذلك إفراز الحليب، وبالإضافة إلى أنها تلعب دوراً في إطلاق هرمونات الغدة الدرقية والغدة الكظرية، والجهاز التناسلي، وإنتاج الحصاب (المادة الملونة). أما الفص الخفي من الغدة، فيخزن ويطلق الهرمونات القادمة من "تحت المهاد" hypothalamus (وهو مركز لضبط مجريات الجسم عند قاعدة الدماغ) والتي تتحكم بأداء الغدة النخامية، تقلّصات الرحم وإفراز الحليب (عند الأم)، وكذلك ضغط الدم وتوازن السوائل في الجسم.

الذكاء المتوقّد، حدة الذهن، الحماسة، مشاعر الحب والعاطفة، قوة ضبط النفس، جميعها تنتج ويُسيطر عليها من هذه الغدة. كما أنها تنظّم نمو الجسم. القزامة، أو العملاقة، وهما حالتان شادتان من النمو، تنتجان من حصول خلل في أداء هذه الغدة. عملية التنويع بين الذكورة والأنوثة تصدر أيضاً من هذا المركز. هذه الغدة الصغيرة تحكم التحولات المتعلقة بالبلوغ، الصبا، والإمكانيات التناسلية أيضاً.

الغدة الدرقية Thyroid

هذه الغدة موجودة في الحنجرة، وتفرز هرمونات تلعب دور حيوي للأيض والنمو. يسيطر على عملية إفراز الهرمونات الدرقية (أغلبها هرمونات "ثيروكسين" T₄ thyroxine) من قبل الهرمون المحفز [TSH] الذي تطلقه الغدة النخامية، وذلك بعد أن ينخفض مستوى الهرمونات الدرقية في الدم إلى درجة معينة. الوظيفة الرئيسية لهذه الهرمونات لدى البالغين هي ضبط وتنظيم استهلاك الأوكسجين في الخلايا. كما أنها تساهم في خفض الكوليسترول في الدم، وهي ضرورية للنمو والتطور الطبيعي للأطفال. تنتج الغدة الدرقية أيضاً هرمون "الكلسيتونين" calcitonin الذي يحفز على ترسيب الكالسيوم من الدم إلى العظام، وموازنة نشاط هرمونات الغدة الجاردرقية.

تبيّن أن هذه الغدة تلعب دور رئيسي في المحافظة على التوازن العقلي ونمو الطبيعة الفردية. المستوى العاطفي وتطور الشخصية يعتمدان أيضاً على أداء هذه الغدة. إن حالة هذه الغدة مسؤولة عن استثارة النشاط المبتهج (الرشاقة) والحماسة. إن زيادة طفيفة في إفراز هذه الغدة تجعل الشخص نافذ الصبر، مثلهف وقلق، عصبي، ثثار متهيج.. إلى آخره، وغالباً ما يفقد الفرد عقله في هذه الحالة. أما الأداء المتناغم لهذه الغدة فيساهم في تطوير المواهب وارتقاء الشخصية بشكل سليم.

الغدة الجاردرقية Parathyroid

هذه الغدة، التي يبلغ حجمها حبة القمح، ويتراوح عددها بين اثنين وثمانية، وموزعة على جوانب الغدة الدرقية. تفرز هرمون "الجاردرقي" parathyroid hormone الذي يضبط مستويات الكالسيوم والفوسفور في الدم. عندما ينخفض مستوى الكالسيوم في سوائل الجسم، تزداد إفرازات هذا الهرمون تلقائياً مما يحرر الكالسيوم من العظام إلى المجرى الدموي. كما أن هذا الهرمون يزيد إفراز الفوسفات في البول، ويخفض تركيز الدم، وقد يلعب دوراً في استقلاب المغنيسيوم.

هذه الغدة مرتبطة بشكل وثيق مع الجهاز العصبي neuronal system (في الجهاز العصبي). بخصوص التأثيرات العقلية والعاطفية، تحتوي هذه الغدة على مخزون الشجاعة لمحاربة الظلم والفساد. كما أنها توفر الظروف المناسبة لإصلاح الخلايا المريضة أو المعطوبة، وكذلك تنظيم الأربطة والأنسجة العصبية. إنها مصدر غني للمناعة والحيوية.

الغدة الصعترية Thymus

تقع في القسم العلوي من مركز الصدر، بين عظمة الثدي والقلب. تبدأ بالتقلص التدريجي عند سن البلوغ. تتطور خلايا الجذع في قشرتها الخارجية إلى أنواع مختلفة من خلايا [ت] T cells (هي الخلايا المسؤولة عن إدارة تجاوب الجهاز المناعي للخلايا المؤذية أو الموبوءة). بعض هذه الخلايا تهاجر إلى نخاع العظم وتدخل إلى مجرى الدم، أما تلك التي لا تفعل ذلك فقد تدمر لمنع تفاعلات المناعة الذاتية. هذه الغدة تحوز على القوة المطلوبة لنمو وتطور الجنين. إذا كانت هذه الغدة غير نامية بما يكفي أو مصابة بخلل ما، فسوف يُحرم الجنين من تلقي التغذية الضرورية حتى لو كانت صحة الأم جيدة. هذه هي الغدة الأساسية التي تحكم النمو الطبيعي للطفل عبر مراحل متتالية، ابتداءً من الطفولة، المراهقة، وصولاً إلى الشباب. باختصار، إنها تمثل أداة فعالة لتنظيم نمو الجسم وتطوره الصحي السليم.

البنكرياس Pancreas

تحتوي البنكرياس على حوالي المليون من القطع الصغيرة من الأنسجة الإفرازية المسماة "جزر لانغرهانس" islands of Langerhans. أكثر الخلايا شيوعاً لهذه الجزر هي خلايا "بيتا" Beta cells، والتي تنتج "الإنسولين" insulin المسؤولة عن ضبط وتنظيم سكر الدم (يُعتبر انخفاض نسبة الإنسولين في الدم من الأسباب الرئيسية لمرض السكري). وهناك أيضاً خلايا "ألفا" Alpha cells التي تنتج هرمون مُعارض هو "الغلوكاغون" glucagon والذي يحرر "الغلوكوس" glucose من الكبد والحموض الدهنية من الأنسجة الدهنية. هذه الأخيرة تفضل إطلاق "الإنسولين" وكبح إفراز

"الغلوكاغون". أما خلايا "ديلتا" Delta cells فتنتج "السوماتوستاتين" somatostatin التي تكبح "السوماتوتروبين" (الموجّه الجسدي، أو هرمون النمو الذي تنتجه الغدة النخامية)، كما تكبح "الإنسولين" و"الغلوكاغون". أما دورها الاستقلابي فلزال غير واضح بعد. هناك أعداد قليلة من أنواع أخرى من خلايا البنكرياس تفرز مادة "عديد البابتيد" polypeptide التي تبطئ عملية الإمتصاص الغذائي.

الطحال Spleen

تُعتبر أكبر الغدد حجماً (تنتمي إلى الغدد اللمفاوية). كافة نشاطات الأيض، فعالية النظام الهضمي، نقاوة الدم، جميعها تعتمد عموماً على هذه الغدة الموجودة على يسار المعدة تحت الحجاب الحاجز. يُعتبر الطحال العنصر الرئيسي لتنقية الدم، كما يمتلئ موقع تخزين خلايا الدم الحمراء والصفائح الدموية. تحتوي أيضاً على الكريات البيضاء التي تزيل المواد الغريبة والمسؤولة عن إطلاق عملية محاربة الجهاز المناعي للأجسام الغريبة. كما أنها تلعب دوراً رئيسياً في نشاط النظام العصبي.

إن لهذه الغدة علاقة خاصة مع الضفيرة الشمسية solar plexus والجسم الخفي (الأثيري) وبالتالي تُعتبر مسؤولة عن نقل النشاطات الكونية (الفلكية) إلى العقل والجسم.

الغدة الكظرية Adrenal

متواجدة فوق الكليتين مباشرة، وتُسمى أيضاً "الغدة فوق الكلوية" supra-renal gland. إن حجمها وشكلها يشبهان حبة لوبياء كبيرة. تحتوي على نخاع داخلي ينتج هرمونات "الكاتيكولامين" catecholamine، وهي نوعين: "الأبينيفرين" (الأدرينالين) و"النورابينيفرين" norepinephrine. كما تحتوي على لحاء خارجي (يمثل ٩٠% من الغدة) يفرز هرمون "الستيرويد" steroid، وهرمون "الدوستيرون" aldosterone، وهرمون "الكورتيزول" cortisol، وهرمون

"الأندروجين" androgens (الهرموني الأخرين ينتجان تجاوباً لهرمون ACTH القادم من الغدة النخامية).

العديد من النزعات الطبيعية والخواص البيولوجية للذكر والأنثى تنشأ عبر نشاطات إفرازية خاصة لهذه الغدة. تُسمى هذه الغدة أيضاً بـ"الدماغ الثاني". إنها تطلق العنان لإلهامات تحفز على اتخاذ خطوات شجاعة وتصرفات صحيحة أثناء المواقف الصعبة والحرجة. البسالة، أو الجبن، تقررهما نوعية أداء هذه الغدة. إن حصول تحول في جنس الفرد (من ذكر إلى أنثى أو العكس) يعود إلى محفزات أطلقتها هذه الغدة نتيجة خلل في إفرازاتها الهرمونية.

الغدة التناسلية Gonads

هذه الغدة تمثل "الخصية" testis عند الذكور، و"المبيض" ovary عند الإناث. عند الذكور، هي العضو الذي ينتج الحييون المنوي، الخلية التناسلية الذكرية. كما تنتج الهرمونات الذكرية مثل "الأندروجين" androgens. بينما عند الإناث، هي العضو الذي ينتج البيضة، الخلية التناسلية الأنثوية. كما تنتج الهرمونات الأنثوية مثل "الأستروجين" estrogen و"البروجسترون" progesterone (تهيئ الرحم للقيام بعمله).

هذه الغدة تنظم نشاطات الأعضاء التناسلية والإمكانات الإنجابية. القوة الجنسية وما يصحبها من نشاط وإمكانية إنجابية للفرد تعتمد جميعاً على إفرازات هذه الغدة. من المألوف ملاحظة أنه في سن متقدم، تصبح كافة الأعضاء الحسية (التي تستجيب للنتيبه) ضعيفة تدريجياً ويفقد الجسم قوته. لكن مع ذلك، نجد أحياناً أشخاص يقاربون سن المائة عام أو أكثر لكنهم لازالوا قادرين على إنجاب الأطفال كما لو أنهم شباب. هذه الحالات غير الطبيعية تنتج من استمرارية أداء الغدة التناسلية بشكل سليم.

لا زالت الأبحاث الجارية على الغدد الصماء في بداياتها. المعرفة التي اكتسبها العلماء عن الإفرازات الهرمونية هي بعيدة جداً من كونها كاملة. لكن رغم ذلك، إن ما اكتُشف وحُلّل حتى الآن يكفي لتكوين فكرة عامة بخصوص الموضوع. لقد تفاجأ الاختصاصيون بوظائف الأعضاء لاكتشافهم حقيقة أن كميات قليلة جداً من الهرمونات التي تفرزها هذه الغدد تمثل أدوات التنظيم الرئيسية للوظائف الحيوية في الجسم والعقل.

إن الصحة العضوية للدماغ، القلب، العمود الفقري، الكليتين، الكبد، المعدة، المران وأعضاء أخرى تُعتبر أساس الصحة السليمة. مسببات الأمراض (إذا وُجدت) تُنسب عموماً إلى إمكانية الحالات المرضية التي تصيب هذه الأعضاء. تجري الفحوصات للدم بهدف البحث عن وجود عدوى جرثومية أو فيروسية. الفحوصات المرضية التي تجري على البراز، البول، اللعاب... إلى آخره تُستخدم كمؤشرات على الحالة الداخلية للجسم ثم تُقدّم العلاجات لإزالة هذه الأمراض المكتشفة. لكن من ناحية ثانية، بعد أن سلّطت الأضواء على الدور المذهل للإفرازات الهرمونية، أصبح واضحاً أن حالة وأداء الأعضاء المختلفة، وكذلك الأنظمة الخلوية والجزيئية، هي مجرد أوراق وأغصان في شجرة جسم الإنسان لكن جذورها مغروسة عميقاً في قلب منظومة الغدد الصماء.

الجسامة، الرشاقة، النظارة، الإمكانيات الاستثنائية للأعضاء الحسية المختلفة، المناعة، والحيوية.. إلى آخره، جميعها لم تعد تُنسب إلى القوة البنوية للجسم وأدائه. بدلاً من ذلك، أصبح معروفاً أن الفضل في تجسيد الحالات السابقة يعود للإفرازات الهرمونية. الحال ذاتها مع الملكات العقلية أيضاً. إذا كانت حالات مثل العقل الخامل، الذهنية الواهمة أو الطائشة.. إلى آخره، لا تتغيّر بالرغم من إخضاع الفرد لأفضل العلاجات الطبية، فإن الخلل في الإفرازات الهرمونية يمثل السبب الرئيسي لهكذا حالات. على الجانب الآخر، حدة الذاكرة، الذكاء اللامع، العقلانية، قوة البصيرة.. إلى آخره، تُعتبر هي أيضاً من العطايا الثمينة التي يمنحها لنا النظام السليم والمتكامل للنشاطات الهرمونية. يبدو أن القوى الكامنة

للإفرازات الهرمونية مرتبطة حتى بالذات الداخلية، المُعبر عنها من خلال النزعات الباطنية والعواطف العميقة. بعض الأبحاث الأخيرة (الدكتور "شارلز ر. ستوكارد" Charles R. Stoquard مثلاً)، أثبتت أن التعبير عن الحب، العاطفة، الشفقة، وغيرها من مشاعر وجدانية أخرى، تظهر جميعاً نتيجة إفراز هورمونات غدنية معينة. وإذا تعطلت هذه الغدد لسبب ما، يمكن للفرد أن يطور حالة مبتذلة، فتور في الشعور، وقد تنتهي بتحوّله إلى شخصية قاسية ووحشية.

في كتابه الذي بعنوان "تشریح العواطف" Anatomy of Emotions يلقي الدكتور "هيزل" Hyzel الضوء على آلية الإفرازات الهرمونية وتأثيرها على البروتوبلازما. إن وجود "الوعي" في الإنسان، بنظره، ليس فقط من أجل المحافظة على الطاقة الحيوية، بل بدلاً من ذلك، يبدو أنه يخدم هدف أعظم من ذلك وله علاقة بتعبيرات الذات الداخلية (النفس). إن لهذه الأخيرة قدرة عظيمة على أتمتة النشاطات اللامتناهية في الجسم ورفع العواطف والأفكار إلى مستويات عالية من الوعي. يؤكد المؤلف بأن "الاعتماد المتبادل القائم بين الإفرازات الهرمونية والحالات العاطفية هو مذهل بالفعل..". كما استنتج بأن "أصل وطريقة تجلّي عناصر الحياة المُعبر عنها في الوظائف الهرمونية لها أساس روحي أكثر من الأساس المادي. يبدو أن مصدر وجودها كامن في "الوعي" بدلاً من "المادة"..".

تأثير العقل على الجسم

كل ما يحدث في حياتنا، وما يحدث في أجسادنا، هو نتيجة حصول تغيير ما في وعينا. إن وعينا هو ما نحن عليه، وما نختبره في الحياة. أنت تقرر ما تتقبله من أفكار معينة، وترفض أفكاراً أخرى. أنت تقرر بما تفكر به، وما تشعر به، ولهذه الأفكار والمشاعر تأثير كبير على جسدك الفيزيائي. إن نوعية هذه الأفكار والمشاعر هي التي تحدد مدى الإجهاد أو الارتياح الذي يعاني منها أو يتمتع بها جسدك. أما الإجهاد، فسوف يؤدي لظهور أعراض تتجسد حسب نوع هذا الإجهاد ودرجته، أي حسب حالة الوعي. ومن أجل استيعاب هذه الفكرة التي تشير إلى أن ما يصيب حالتنا الصحية سببه داخلي وليس خارجي، سنأخذ أمثلة من الواقع المحيط بنا.

الجراثيم موجودة في كل مكان. لكن ما هو تفسير وجود أشخاص يتأثرون بها ويمرضون، بينما هناك أشخاص لا يتأثرون إطلاقاً؟... الجواب هو اختلاف حالة الوعي. في المستشفيات ولعيادات الطب المختلفة، لماذا نجد مرضى يتجاوبون مع الأدوية والعلاجات ويشفون تماماً، بينما هناك أشخاص لا يتجاوبون مع الأدوية؟ الجواب هو اختلاف في حالة الوعي. إن نظرهم لتلك الأدوية مختلفة، وتتفاوت درجات الإيمان بقدرتها على العلاج من شخص لآخر.

هل تعلم أن الهيكل العظمي في جسدك يتغير بالكامل خلال ٤ شهور؟ وأن المصران لديك يتغير كل ٥ أيام؟ وأن الجلد يتغير بالكامل خلال يومين؟ ويصبح لديك رنتين جديدتين خلال ٦ أسابيع؟ وكل عضو من أعضاء جسدك يتبدل بالكامل خلال فترة معينة؟... هذه ليست افتراضات بل حقائق طبية ثابتة. وطالما أن جسدنا يتغير باستمرار بحيث يصبح لدينا جسداً جديداً بين فترة وأخرى، لماذا تبقى الأمراض معلقة بأعضائنا الجسدية؟! هل حاول أحدكم التأمل بهذه الفكرة؟ إن الشيء الوحيد الذي لا يتغير في كياننا هو وعينا. أي أن حالتنا العقلية والنفسية ومعتقداتنا الخاصة عن أنفسنا تبقى كما هي. السبب الذي يجعل السرطان معلقاً

بالرئتين رغم تبدلها بالكامل خلال كل ٦ أسابيع هو الطريقة التي ننظر من خلالها إلى جسدنا الفيزيائي.

وعينا هو نظرتنا الخاصة تجاه أنفسنا.. الإيمان بما نحن عليه.. هو طاقة بحد ذاتها. طاقة عجيبة يمكنها تجسيد أي حالة عقلية في الجسم ابتداءً من الخلايا وصعوداً إلى كامل الجسم. هذه الطاقة لا تكمن فقط في الدماغ. إنها منتشرة في جميع أنحاء جسمنا. هذه الطاقة متصلة بكل خلية من خلايانا. وعن طريق هذا الوعي (الطاقة)، يمكننا التواصل مع كل عضو وكل قطعة نسيجية موجودة في أجسامنا. يتم ذلك عبر وسيط أثيري (طاقة حيوية) يمتلئ، كما رأينا سابقاً، أحد الجوانب الأساسية في الجسم. وهذا الجانب الخفي من الجسم يمتلئ منظومة كاملة متكاملة كما الأنظمة العضوية الأخرى. هذه الطاقة التي نسميها "الوعي" consciousness، والتي تعكس حالة الوعي لدينا، يمكن قياسها أو تقييمها من خلال تقنية خاصة أصبحت معروفة باسم "تصوير كيرليان" Kirlian photography. عندما تأخذ صورة "كيرليانية" ليدك، تُظهر نمط معين من الطاقة. وإذا أخذت صورة "كيرليانية" أخرى لليد بينما تتخيل أنك ترسل طاقة محبة إلى شخص تعرفه، سوف يظهر نمط مختلف من الطاقة في الصورة. وهكذا نستطيع رؤية أن أي تغيير في الوعي لدينا يُحدث تغييراً في حقل الطاقة الذي صورناه حول اليد، وهو الذي نشير إليه بـ"الهالة" المحيطة بالجسم.



صورة "كيرليانية" لليد (ويبدو حقل الطاقة محيطاً بالأصابع)



صورة "كيرليانية" مأخوذة لنفس الشخص في فترات زمنية مختلفة (فارق عشر دقائق)، ويظهر حصول تغيير في شكل "الهالة" ولونها بسبب حصول تغيير في المزاج.

هذا الحقل من الطاقة الظاهر في صور "كيرليان" خضع للدراسة المكثفة وتم قياسه وتحديد مقاديره بحيث يمكن تقييمه حسب الحالة. فمثلاً، عندما تظهر الصورة فجوات في مناطق محددة في "الهالة"، هذا يعني أنها مرتبطة بوهن معين في أقسام محددة في الجسم المادي. الأمر المثير بخصوص هذه الطريقة في التصوير هو أن الوهن أو الخلل يظهر في حقل الطاقة قبل أن يتجسد أي دليل عليه في الجسد المادي. وبالتالي هذا يكشف لنا عن اتجاه مسيرة التجسيد المادي، والذي يبدأ أصلاً من الوعي نزولاً عبر المستوى الأثيري ووصولاً إلى المستوى المادي:

- ١- أي تغيير في حالة الوعي يخلق تغييراً في حقل الطاقة.
- ٢- التغيير في حقل الطاقة يحصل قبل التغيير في الجسد المادي.

وبالتالي، مسيرة التجسيد المادي تبدأ من مستوى الوعي، عبر حقل الطاقة، وصولاً إلى الجسد المادي. عندما ننظر إلى الأشياء بهذه الطريقة، نرى بأنه ليس الجسد المادي يخلق حقل الطاقة أو "الهالة"، بل حقل الطاقة هو الذي يخلق الجسد المادي.

أي أن ما نراه كجسد مادي مائل أماننا هو عبارة عن مرحلة نهائية لعملية طويلة تبدأ أصلاً من مستوى الوعي.

هذه لم تعد إفتراضات نظرية بل حقائق علمية ملموسة. لطالما تحدثت عن هذا الموضوع في إصدارات سابقة، لكن ذكره هنا مرة أخرى يُعتبر ضروري لإكمال الصورة. إنه حقل الطاقة الإنساني (الهالة) الذي تم فحص واختبار وتحديد خواصه المرئية والملموسة في المختبرات العلمية المنهجية منذ العقود الأولى من القرن الماضي، وفيما يلي سرد مختصر لأبرز هذه الدراسات:

— في العام ١٩١١م، استطاع الدكتور "والتر كيلنر" Walter Kilner، في مستشفى سانت توماس في لندن، أن يرى هذا المجال الخفي للطاقة الحيوية الإنسانية واسماه "أورا" AURA (أي "هالة")، وكان ذلك عن طريق النظر من خلال ألواح زجاجية مطلية بصبغة "الديسيانين" DICYANIN ورأى ضباب مضيء حول الجسم وقد شكلت ثلاثة أقسام أو طبقات مختلفة:

- ١- طبقة رقيقة ملاصقة للجلد تعادل سماكتها ربع سنتيمتر.
- ٢- طبقة متطايرة (مشابهة لحركة البخار) عرضها ٢,٥ سم تتطاير بشكل عامودي إلى أعلى.
- ٣- طبقة خارجية ذات سطوع خافت عرضها ١٨ سم وحدودها غير مستقرة (متحركة ومتحركة على الدوام) فليس لها شكل ثابت.

ذكر الدكتور "كيلنر" في دراسته (نشرت بعد وقت طويل في نيويورك ١٩٦٥م) أن مظهر هذه "الهالة" يختلف من شخص لآخر ويعتمد ذلك على حالته الفيزيائية، العاطفية، والعقلية. وقد شكل نظام خاص لتشخيص المرض معتمداً على بنية الهالة وشكلها وقد أمكنه أن يحدد نوعية المرض أو الحالة الصحية عن طريق دراسة الهالة، فتمكن من معالجة حالات كثيرة مثل: أمراض القصبات، الأورام، الصرع،

التهاب الزائدة الدودية، والهستيريا. ولا زالت الأبحاث المعتمدة على أعماله قائمة في أوروبا حتى يومنا هذا.

— لقد جاء الإثبات الجازم على صحة ادعاءات الوسطاء الروحانيين والمعالجين بالطاقة حول مظاهر هذه الهالة بعد أن تم اكتشاف طريقة "تصوير كيرليان" Kirlian photography في العام ١٩٣٩م بمدينة كراسنودار على شاطئ البحر الأسود — الإتحاد السوفييتي، بعد أن لاحظ الكهربائي سيميون كيرليان SEMYON DAVIDOVICH KIRLIAN، وزوجته (فالانتينا)، بريق ضوء أو جزيئات ضوئية متراقصة، سببها اقتراب أقطاب كهربائية ذات جهد عالي، إلى جسم الإنسان (تظهر هذه الأضواء على الصورة الفوتوغرافية) وقد لاحظها علماء روس من قبل لكنهم تجاهلوا كلياً. وبعد فترة من الأبحاث التي أجريها على هذه الظاهرة، اخترع "كيرليان" مع زوجته طريقة جديدة في التصوير تستطيع إظهار الهالة بشكل واضح، وعُرفت بطريقة "تصوير كيرليان". وقد ساعدت هذه الطريقة في دراسة الأشكال المتنوعة التي تتخذها الهالة حول جسم الإنسان حيث اكتشفت أمراضاً لا يمكن معرفتها بالطرق التقليدية بسبب عدم وجود أعراض جسدية مرئية بينما يمكن تحديدها عن طريق شكل الهالة ولونها. وهذا الاكتشاف مكنهم من معرفة حقائق كثيرة لم تكن في الحسبان، خاصة في مجال البيولوجيا والصحة وكذلك الظواهر الخفية المتعلقة بالإنسان.

— منذ بدايات القرن العشرين، استمرّ العلماء المستقلّين في محاولتهم لفهم الهالة بصفتها حقل من الطاقة المتلازم مع الجسد الإنساني. وفي الخمسينات من القرن الماضي جاء مصطلح "حقل الحياة" life field كما سماه كل من الدكتور هارولد بور Harold Burr والدكتور "ف.أس.سي. نورثروب F.S.C. Northrup، ووصفاه بأنه طاقة تدير عملية تنظيم هيئة ومحتوى الكائن الحي. وقد أوجدا مفهوم الإيقاع اليومي circadian rhythm حيث تبين أن الهالة تمرّ في حالات منتظمة من الشدة والضمور خلال كل ٢٤ ساعة.

— ثم جاء الدكتور "ل.ج. رافيتز" Ravitz L.J. ليقتراح بأن هناك حقل آخر سماه "الحقل الفكري" thought field الذي كما قال، له تأثير جوهري وحاسم على "حقل الطاقة" حيث أن هذه العلاقة بينهما هي المسؤولة عن ظهور أعراض العلال الجسدية كنتيجة مباشرة للحالات النفسية.

استخدم الدكتور "ل.ج. رافيتز" جهاز كاشف للهالة من أجل قياس مدى عمق حالة النوم المغناطيسي عند الشخص. فخلال حالة النوم المغناطيسي تبقى الحالة الجسدية وكذلك الموجات الدماغية كما هي دون أي تغيير. قبل أن أجرى الدكتور "رافيتز" اختبارات الثورية، كان من المستحيل قياس مدى عمق النوم عند النائم مغناطيسياً. واكتشف أيضاً، بعد إجراء ٣٠,٠٠٠ تجربة قياس على ٤٣٠ إنسان، وجود إيقاعات دورية منتظمة في شدة الطاقة وضعفها. فعندما كان الأشخاص يشعرون بـ"حالة جيدة" سجل جهاز القياس درجة مرتفعة من الطاقة الحيوية، وعندما كانوا يشعرون بـ"حالة سيئة" كانت درجة الشدة ضعيفة. وبدا أن هذه الإيقاعات الدورية من شدة الطاقة وضعفها تستغرق أسبوعين كاملين خلال كل دورة، وهذه الحالة متجلية عند جميع الكائنات الحية. وقد تبين لدى بعض الباحثين الآخرين بأن هذا الإيقاع الدوري لشدة الطاقة مرتبط بفرص الحظ والقدرات الروحية (الخرافة) لدى الأفراد. فيمكن تحديد الفترات التي يتمتع بها الشخص بأعلى درجة من القدرة الروحية لديه بالاعتماد على فترة ارتفاع شدة الطاقة الحيوية عنده.

— أما في السبعينات والثمانينات والتسعينات من القرن الماضي، فقد حصل انفجار هائل من المعلومات والاكتشافات المتعلقة بهذا المجال. كأبحاث الدكتور "روبرت بكر" Robert Becker الذي تمكن من قياس ما بدا وكأنه حقل كهرومغناطيسي يحيط بجسم الإنسان وربطه بالحالة الصحية والأمراض. خلال عمله في مدرسة "أبستيت" الطبية، استطاع الدكتور "بكر" رسم خريطة تدل على حقل كهربائي معقد في الجسم، وكانت هذه الخريطة تتخذ شكل الجسم ومواقع الجملة العصبية. وسمي هذا الحقل بـ"نظام التحكم ذو التيار المستمر" THE DIRECT CORRENT CONTROL SYSTEM وكان هذا الاسم هو ذاته عنوان الكتاب الذي نشره عام

١٩٦٢م. اكتشف أن هذا الحقل يتغير شكله ودرجة قوته حسب حالة التغيرات الجسدية والنفسية في الإنسان. وأقام تجارب أخرى خلال العام ١٩٧٩م، ووجد بعدها إن هناك جزيئات بحجم "الإلكترون" تتحرك داخل هذا الحقل.

— الدكتورة "باربرا برينان" Barbara Brennan ومجموعة من زملائها راقبوا تغيير حالات حقل الطاقة الإنساني human energy field خلال تجاوبه مع حالات عاطفية مختلفة. نشرت في العام ١٩٧٨م دراسة بعنوان "طرق عملية لقياس حقل الطاقة الإنساني" للباحثين الثلاث: "باربارا برينان"، "ريشارد دوبرين"، و"جون بيراكوس". قاموا خلال أبحاثهم بقياس مستوى الضوء (بطول موجة يقارب ٣٥٠ نانومتر) في غرفة مظلمة قبل، خلال، وبعد تواجد أشخاص فيها. ودلت النتائج على أن هناك ارتفاع بسيط في مستوى الضوء عندما يتواجد الأشخاص في الغرفة، لكن عندما يكون الشخص الموجود في الغرفة مصاباً بالكآبة أو الإرهاق تنخفض قيمة الضوء في الغرفة. وقد استطاعوا، عن طريق آلات خاصة، تصوير الهالة المحيطة بالجسم بشكل واضح. كما استطاعوا تمييز ألوانها وطبقاتها المختلفة، حيث وجدوا أنها تتغير حسب الحالة النفسية أو الصحية.

— تمكن "هيروشي موتوياما" Hiroshi Motoyama (المذكور سابقاً) من قياس طاقة "تشي" chi أو نقاط الوخز بالإبر acupuncture meridians المرتبطة بهذه الطاقة بشكل وثيق. قام "موتوياما" بقياس الضوء الخفيف الصادر من الأشخاص الذين مارسوا اليوغا لمدة سنوات طويلة. استخدم بذلك كاميرا سينمائية عادية، في غرفة مظلمة. واستطاع أن يصور أيضاً الضوء الصادر من الأشخاص المرسلين للطاقة إلى الأشخاص المستقبلين لها (عملية وضع اليد على جسم آخر تسمى إرسال بينما الجسم الآخر هو المستقبل)، فكان مستوى طاقة المرسل في أغلب الأحيان تنخفض فجأة ثم تعود للارتفاع من جديد. وقد ذكر مشاهدات كثيرة أخرى حول حقل الطاقة الإنساني في كتابه الذي يحمل عنوان "آلية العلاقة بين اليوغا ونقاط الطاقة الجسدية" (المنشور عام ١٩٧٩م).

— تمكّن الدكتور "فيكتور إنيوتشين" Victor Inyushin (من جامعة كازاخستان في الإتحاد السوفيتي سابقاً) من اكتشاف أيون بايوبلازمي في هذا المجال الحيوي المحيط بالإنسان. وكان قد أجرى منذ الخمسينات من القرن الماضي أبحاثاً مكثفة حول ظاهرة حقل الطاقة الإنساني. وقد أكد حينها وجود مجال طاقة بايوبلازمي مؤلف من أيونات وبروتونات والكترونات محررة. واقترح أن الطاقة البايوبلازمية هي الحالة الخامسة للمادة. أظهرت أعمال "إنيوتشين" أن الجزيئات البايوبلازمية تتجدد على الدوام بفعل إجراءات وتفاعلات كيميائية في الخلايا، كما أنها في حالة حركة دائمة. وهناك توازن بين الجزيئات الموجبة والسالبة في الحقل البايوبلازمي الذي هو مستقر في حالته الطبيعية، لكن مجرد أن حدث خلل ما في هذا التوازن، يؤدي ذلك إلى تغيير في حالة الفرد الصحية وكذلك حالة الأعضاء والأنظمة المختلفة في جسم الإنسان. وإذا كانت الصحة في حالة جيدة، تفيض هذه الطاقة البايوبلازمية بشكل يجعلها تتذبذب نحو الفضاء المحيط.

— أما "الباحث جون زيمرمن" John Zimmerman، فقد تمكّن من استعراض تزامن عمل القسم الأيمن والأيسر من الدماغ بنفس الوقت (مع أن هذا غير ممكن في الحالة الطبيعية) في كل من المعالجين بالطاقة والمرضى خلال جلسة علاج لحقل الطاقة التابع للمريض.

— وهناك أيضاً أبحاث العالم الفرنسي غوستاف نايسنس GUSTAVE NAESSENS، عالم الأحياء المجهرية، الذي اكتشف أثناء أبحاثه أجزاء صغيرة جداً في الدم لا يمكن التعرف عليها عن طريق استخدام الأجهزة المخبرية التقليدية، فاخترع جهازاً مخبرياً سماه "سوماتاسكوب"، ذات قدرة تكبيرية (٣٠,٠٠٠ مرة)، واستخدمه لمتابعة دراسته للجزيئات المضيئة الصغيرة الدائمة الحركة. يقول في نظريته "السوماتيد" SOMATID، أن عملية انفصال الخلية لا يمكن أن تتم دون حضور هذه القوة الحياتية أو هذا الجزيء الطاقوي الذي أسماه السوماتيد. يعتقد نايسنس أن السوماتيد هو شرارة الحياة، هو تلك النقطة الدقيقة التي تتركز فيها

الطاقة لتصبح مادة ملموسة. ويؤكد أيضاً أن السوماتيد، تلك النقطة الدقيقة الدائمة الحركة، تمثل تجسيد حقيقي للطاقة الكونية.

— العالمان في الطاقة الأحيائية BIO-ENERGETICS، الزوجين "جون" و"إيفا" بيراكاس JOHN AND EVA PIERRAKAS، وجدا نظاماً تشخيصياً وعلاجياً جديداً للأمراض أو الإضطرابات النفسية، معتمدين بذلك على المشاهدة واستخدام "البندول" في التعرف على حقل الطاقة الإنساني (الهالة)، وأضيفت المعلومات المستخلصة من تلك المشاهدات إلى طريقة جديدة للعلاج النفسي، وجمعت جميعها لتشكل ما اسمه "علم الطاقة الحيوية" لقد أثبت الدكتور بيراكاس خلال أبحاثه أن انبعاث الضوء من جسم الإنسان له علاقة بالصحة. وهو أول من نادى بوجود استخدام آلات دقيقة خاصة لقياس حجم الضوء المنبعث حيث أنه يمكن لهذه الطريقة أن تحدد درجة الصحة في الإنسان، وقال إنه يجب أن تتواجد هذه الآلات في جميع المراكز الصحية، تشخيصية وعلاجية.

— الدكتور الصيني زهنغ رونليانغ ZHENG RONLIANG، من جامعة "لانزهو" الصينية، أقام دراسات متعددة على قوة أسيد "الشي غونغ"، فقام بقياس طاقة الـ"شي" المنبعثة من جسم أحد المعلمين الممارسين لها، وذلك عن طريق جهاز كشف طبيعي نوعاً ما، وهو عبارة عن ورقة نباتية موصولة بمقياس حجم الفوتونات، ودرس عملية انطلاق طاقة الـ"شي" من ممارس "الشي غونغ"، وكذلك درس الطاقة المنبعثة من "المستبصر" (الإدراك الخارق)، فوجد أن تذبذبات الطاقة المنبعثة من يد ممارس "الشي غونغ" تختلف بشكل كبير من تلك المنبعثة من المستبصر. في أكاديمية المؤسسة الذرية والنوية في شانغهاي — الصين SINICA، لوحظ أن هناك طاقة حيوية منبعثة من ممارسي الشي غونغ، ويبدو أن هذه الطاقة تتصف بموجة تذبذب ذات تردد منخفض. ولاحظوا أحياناً أن طاقة "الشي" كانت تظهر كجسم مؤلف من جزيئات مجهرية MICROPARTICLES تسبح في الهواء، وتكون هذه الجزيئات بحجم (٦٠ ميكرون) وسرعتها ٢٠ إلى ٥٠ سم في الثانية.

— أقام الباحثان "ديجان راكوفيش" DEJAN RAKOVIC، و"غوردانا فيتاليانو" GORDANA VITALIANO، تجارب مكثفة في يوغوسلافيا، بهدف دراسة الطبيعة البايوفيزيائية لحالة "الوعي الإنساني". الدكتورة "فيتاليانو" موجودة الآن في بوسطن — الولايات المتحدة، حيث أنشأت مؤسسة "مايند ويف" MIND WAVE (أي "موجة العقل"). تهدف أبحاث "فيتاليانو" بشكل رئيسي إلى دراسة الشبكات العصبية، والموجات الدماغية، والبنية الأيونية لدى الإنسان. وقد اقترحت إمكان وجود حقل طاقة إنساني ذات علاقة مباشرة ببنية أيونية عازلة تخفي في طبقاتها حقل كهرومغناطيسي ذات تردد منخفض الوتيرة.

— العلماء الروس، في مؤسسة "بوبوف لتقنيات الراديو والاتصالات الكهربائية" A.S. POPOV ALL-UNION SCIENTIFIC AND TECHNICAL SOCIETY OF RADIO TECHNOLOGY AND ELECTRICAL COMMUNICATIONS، بدؤوا في العام ١٩٦٥م بأبحاثهم غير المألوفة على ظاهرة "الإدراك الخارج عن الحواس" E.S.P، وراحوا يدخلون الأساليب العلمية الفيزيائية الحديثة في تجاربهم (خصوصاً على ظاهرة التخاطر). وأعلنت مجموعة علماء مركز "بوبوف" فيما بعد أن الكائنات الحية تطلق ذبذبات ذات ترددات تتفاوت بين ٣٠٠ و ٢٠٠٠ نانومتر. وسموا هذه الطاقة بالحقل الحيوي BIOFIELD أو "البايوبلازما" BIOPLASMA. واكتشفوا أن هذا المجال الحيوي يصبح أقوى عندما ينجح الإنسان في إرسال البايوبلازما إلى خارج الجسم. أعلنوا عن هذا الاكتشاف في أكاديمية العلوم الطبية في موسكو. ودُعمت هذه النظرية من قبل نتائج أبحاث متعدّدة أقيمت بعدها في ألمانيا، وبولندا، وهولندا، وبريطانيا.

— إحدى أكثر مجالات البحث إثارة هي تلك التي تديرها الدكتورة "فالري هنت" Valorie Hunt مع مجموعة من زملائها في جامعة كاليفورنيا UCLA. سجّلت خلال أبحاثها الموجات المنبعثة من جسم أحد الأشخاص الخاضعين لعملية تدليك روحية Rolfing (تدليك العضلات مع علاج بالطاقة) فتبيّن أن هذه الموجات المنبعثة من جسم الشخص تتوافق مع موجات الألوان التي يدعي الوسائط

الروحيين بأنهم يشاهدونها بأعينهم المجردة. (سوف أتناول هذا الموضوع بالتفصيل لاحقاً). تم تحليل هذه الموجات (التي تُقاس بالميليفولت) بطريقة رياضية معيّنة، وبنفس الوقت كانت حاضرة في المكان الوسيطة القديرة والراهبة "روزالين بروير" Rev. Rosalyn Bruyere التي شاهدت بأمر عينها الألوان المنبعثة من الهالة المحيطة بكل من جسم المُدَلِّك وكذلك الشخص الخاضع للتدليك، وقامت بتسجيل ما شاهدته بدقة متناهية مع التوقيت. وقد تم تكرار التجربة مع سبعة وسطاء روحيين غير الراهبة "روزالين بروير"، بحيث تمكنوا جميعهم من رؤية الهالة وألوانها المختلفة وقاموا بتسجيلها بدقة. وكانت النتائج مذهلة فعلاً! فقد توافقت وتيرة تردد الموجات التي سجلتها الدكتورة "هنر" مع الألوان التي شاهدها وسجلها الوسطاء الروحيين خلال جلسة التدليك.

لكي نوضح الفكرة أكثر، جميعنا نعلم أن الألوان هي عبارة عن ترددات كهرومغناطيسية معيّنة، وتختلف تردداتها حسب اختلاف اللون. وبالتالي، فالترددات التي سجلتها الدكتورة كانت متطابقة مع ترددات الألوان التي رآها الوسطاء. وفي ما يلي جدول بالترددات الأساسية للألوان، وقد حصلت الدكتورة من خلال أجهزة القياس على موجات تتردد بنفس الوتيرة رغم أنها لم تشاهد الألوان:

اللون الأزرق	يتردد ما بين ٢٥٠-٢٧٥ هرتز وأيضاً ١٢٠٠ هرتز
اللون الأخضر	يتردد ما بين ٢٥٠-٤٧٥ هرتز
اللون الأصفر	يتردد ما بين ٥٠٠-٧٠٠ هرتز
اللون البرتقالي	يتردد ما بين ٩٥٠-١٠٥٠ هرتز
اللون الأحمر	يتردد ما بين ١٠٠٠-١٢٠٠ هرتز
اللون البنفسجي	يتردد ما بين ١٠٠٠-٢٠٠٠ هرتز، و٣٠٠-٤٠٠، و٦٠٠-٨٠٠ هرتز.
اللون الأبيض	يتردد ما بين ١١٠٠-٢٠٠٠ هرتز.

إن ما يسميه العلماء "حقل الطاقة الحيوية" BIOFIELD أو "حقل الطاقة الإنساني" Human Energy Field هو ذاته الذي يشير إليه الوسطاء الروحيين بـ"الهالة"

Aura أو ما يسميه الروحيون الهنود "كوسا" Kosa (وهي كلمة سنسكريتية تعني طبقة أو غلاف)، وقد خضعت هذه الطاقة الحيوية لدراسة ومراقبة دقيقة من خلال استعمال أجهزة مختلفة مثل "جهاز تحطيط كهربية الدماغ" EEG، أو "جهاز تحطيط كهربية العضلات" EKG، وقد تمكنوا من قياس هذه الطاقة بدقة كبيرة في العقود الأخيرة من خلال جهاز "التداخل الكمي الفائق الناقلية" SQUID، وأثبت صحة ادعاءات الباحثين الرواد الأوائل للمذهب العلمي "الحيوي" Vitalism بأن هذه الطاقة الحيوية لها علاقة وثيقة بصحة الإنسان وحالته النفسية، حيث أنه يمكن التنبؤ بالمرض قبل حصوله بفترة طويلة من خلال ظهور خلل ما في هذا المجال الحيوي المحبط بالكائن الحي.

لم يعد مناسباً تجاهل وجود هذا الحقل الخفي من الطاقة المحيطة بأجسادنا، لأنها أصبحت من المسلمات العلمية، حتى أنك تستطيع إثبات ذلك بنفسك من خلال تجارب بسيطة لا تتطلب تقنيات معقدة. سوف أذكر أحد هذه التجارب في الجزء القادم (كل ما تحتاجه هو لوح "بلكسيغلاس" plexiglas والقليل من برادة الحديد)، في سياق أحد المواضيع المهمة بخصوص علاقة هذه الطاقة الحيوية بالوعي.

تأثير الوعي على الجسم عبر "الشاكرات"

وفق المفهوم الطبّي "اليوغي"، كل حواسنا، مشاعرنا، وإدراكاتنا.. كل مظاهر حالة الصحو لدينا، يمكن تقسيمها إلى سبعة فئات مختلفة، وكل من هذه الفئات مرتبطة بأحد المراكز الرئيسية لتوزيع الطاقة الحيوية في الجسم، أي "الشاكرات". وهكذا فـ"الشاكرات" لا تمثل عناصر تابعة للجسد المادي فحسب، بل عناصر تابعة للوعي أيضاً. وهي في الحقيقة تعمل كمحولات توصيلية بين هذين المستويين. عندما نشعر بتوتر في الوعي لديك، سوف يحصل إجهاد في "الشاكرا" المرتبطة بذلك القسم المتوتر من الوعي، وهذا بالتالي يحدث إجهاد في القسم من الجسم المرتبط بتلك "الشاكرا" تحديداً. وبالتالي فالمعادلة بسيطة وواضحة: أينما شعرت

بإجهاد يعتمد على لماذا شعرت بإجهاد. عندما يتأذى أحدهم في علاقته العاطفية، سوف يشعر بالألم في قلبه. عندما يكون عصبى المزاج، سوف ترتجف رجليه وتضعف مئانته.

عندما يكون هناك توتر في قسم معين من الوعي لديك، وبالتالي في "الشاكرا" المرتبطة بذلك القسم من الوعي، يتجسد هذا التوتر في الضفيرة العصبية plexus المرتبطة بتلك "الشاكرا" تحديداً، ثم توزعها على أقسام الجسم الخاضعة لسيطرة هذه الضفيرة العصبية. إذا استمرّ التوتر لفترة من الوقت، أو يصل إلى درجة معينة من الشدة، يتجسد لدى الشخص أعراض مرضية في المستوى الجسدي. مجرد أن أجرى الشخص تغييراً في طريقة تفكيره باتجاه معين، أي يحدث تغيير في جانب الوعي لديه المسؤول عن تلك الأعراض الجسدية بالذات، فسوف يلغي مسببات تلك الأعراض وبالتالي يعود ذلك الجانب من الجسم إلى حالته الطبيعية والمتوازنة.

الأمر ذاته ينطبق على منظومة الغدد الصماء. رأينا كيف أن مسيرة التجسيد المادي تبدأ أصلاً من الوعي نزولاً عبر المستوى الأثيري ووصولاً إلى المستوى المادي. هذا الجسم "الأثيري" الذي يؤثر عليه العقل مؤلف من محتوى مادي، لكنه مختلف عن المحتوى المادي للجسم العادي من حيث الكثافة ووتيرة التردد. إنه ليس منفصل تماماً من المنظومة الجسدية العادية التي يتفاعل معها. هناك قنوات خاصة لتبادل الطاقة والتي تسمح بتدفق المعلومات العضوية المشفرة من مستوى إلى آخر خلال إدارة مجريات الجسم وتنظيمه. والشاكرات تمثل المحطات الرئيسية الواصلة بين الجسم الأثيري والجسم المادي، وهذا يجعلها تتفاعل مباشرة مع طاقة "الوعي"، والتي بدورها موجهة بواسطة العقل.

تبيّن أن صلة الوصل بين الجسم الأثيري والجسم المادي محكومة أيضاً بالعلاقة بين "الشاكرات" و"الغدد الصماء". لهذا السبب نلاحظ أن مواقع "الشاكرات" تتوافق مع مواقع "الغدد الصماء" في الجسم. رأينا كيف أن الوظيفة الأساسية لهذه الغدد

هو ضبط وتنظيم عملية الأيض، وكذلك أداء كافة الأعضاء والأنظمة الأخرى في الجسم. فبالتالي، إذا كانت منظومة "الشاكرات" غير متوازنة، فهذا سيؤدي حتماً إلى حصول خلل في أداء الغدد الصماء. وبشكل معاكس، إذا كان أداء الغدد الصماء غير متوازن (نتيجة الحالة النفسية مثلاً، أو سوء النظام الغذائي..)، فهذا سيؤدي حتماً إلى حصول خلل في أداء "الشاكرات". تعمل "الشاكرات" بنفس الوقت بطريقة الدائمة والزوبعة. الدائمة [تمتص الطاقة داخلاً] والزوبعة [تنتشر الطاقة خارجاً]، بهذه الطريقة توصل بين الجسم الأثيري والوعي.

فيما يلي شرح مختصر يوضح المفهوم الطبّي "اليوغي" بخصوص العلاقة الوسيطة للـ"شاكرات" بين الحالة النفسية (الوعي) والحالة الصحيّة (الجسد)، ووظيفة كل منها على حدة:

الشاكرا الأولى:

وهي الشاكرا السفلى الموجودة عند القاعدة. هذه الشاكرا مرتبطة بقسم الوعي المتعلّق بـ: الأمان، البقاء، والاعتماد. أي وفق طريقة حياتنا العصرية، هي المسؤولة عن المال، المنزل، والعمل (باب الرزق). كما أنها متعلّقة بالأمومة، أي العلاقة مع الأم. ليس بالضرورة أن تمثّل الأم البيولوجية، بل تمثّل البيئة المحيطة (الطبيعة الأم) أو قد تمثّل، وفق مفهومنا العصري، "الدولة" وما توفره من خدمات أمنية وتموينية. أما أقسام الجسم التي تسيطر عليها هذه الشاكرا فهي: الضفيرة العصبية العجزية sacral plexus، الهيكل العظمي، الرجلين، نظام طرح الفضلات، وكذلك الغدد الكظرية adrenal glands. كما تسيطر على حاسة الشمّ، والعضو المسؤول عنها، أي الأنف. إذا كان الشخص يشعر بالأمان والاستقرار في النواحي المرتبطة بهذه الشاكرا، فسوف تكون الشاكرا مستقرّة وفي حالة سليمة. لكن إذا كان الشخص خائفاً ويشعر بعدم الأمان في هذه النواحي، أو كان في طفولته محروماً من الأمومة، سوف يؤدي ذلك إلى حصول خلل في أداء الشاكرا، ويزداد الخلل عندما يصبح بقاء الفرد مهدداً. وهذا الخلل في الشاكرا سوف يؤدي إلى حدوث خلل في الأعضاء الجسدية المرتبطة بها. وإذا مرّ وقت طويل على هذا

الخلل، ستتجسد الأعراض المرضية بشكل عيني وملموس في تلك الأعضاء بالذات. أما **الأمراض** المألوفة لهذه الحالة، فهي: فقر الدم، السرطان، التهاب المفاصل، مرض القلب، أمراض نسائية، القوباء، المبيضة (فطريات).

الشاكرا الثانية:

وهي شاكرا البطن. هذه الشاكرا مرتبطة بقسم الوعي المتعلق بـ: الطعام، العلاقات الجنسية، كافة الرغبات الجسدية (مسرّات دنيوية). كما أن هذا القسم من الوعي له علاقة بالأولاد والتكاثر. أما أقسام الجسم التي تسيطر عليها هذه الشاكرا فهي: الأعصاب القطنية lumbar plexus، الجهاز التناسلي، البطن، والناحية القطنية في أسفل الظهر. كما تسيطر على حاسة الذوق. إذا كان الشخص مكتفياً وراضياً في النواحي المرتبطة بهذه الشاكرا، فسوف تكون الشاكرا مستقرّة وفي حالة سليمة. لكن إذا كان الشخص غير راضي ومكتفي، سوف يؤدي ذلك إلى حصول خلل في أداء الشاكرا، وهذا الخلل في الشاكرا سوف يؤدي إلى حدوث خلل في الأعضاء الجسدية المرتبطة بها. وإذا مرّ وقت طويل على هذا الخلل، ستتجسد الأعراض المرضية بشكل عيني وملموس في تلك الأعضاء بالذات. أما **الأمراض** المألوفة لهذه الحالة، فهي: ضعف في أداء الكلى، إمساك، تشنجات عضلية، حساسية، فقدان الوزن.

الشاكرا الثالثة:

وهي شاكرا الضفيرة الشمسية Solar Plexus. هذه الشاكرا مرتبطة بقسم الوعي المتعلق بـ: الشعور بالقوة، السيطرة، الاستقلالية. أما أقسام الجسم التي تسيطر عليها هذه الشاكرا فهي الأعضاء الأقرب بالضفيرة الشمسية، أي: المعدة، المرارة، الطحال، الكبد، البنكرياس، بالإضافة إلى النظام الجلدي، النظام العضلي، والوجه بشكل عام. كما تسيطر على حاسة البصر. إذا كان الشخص يتمتع بحضور النواحي المرتبطة بهذه الشاكرا، فسوف تكون الشاكرا مستقرّة وفي حالة سليمة. لكن إذا عانى من فقدانها سوف يؤدي ذلك إلى حصول خلل في أداء الشاكرا، وهذا الخلل في الشاكرا سوف يؤدي إلى حدوث خلل في الأعضاء الجسدية المرتبطة

بها. وإذا مرّ وقت طويل على هذا الخلل، ستتجسّد الأعراض المرضية بشكل عيني وملموس في تلك الأعضاء بالذات. أما الأمراض المألوفة لهذه الحالة، فهي: عسر هضم، غازات، تحسّس غذائي، مشاكل في الكبد، السكري، حصوات مرارة، تشنجات عضلية، فورة نشاط، صعوبة تنفّس.

الشاكرا الرابعة:

وهي شاكرا القلب. هذه الشاكرا مرتبطة بقسم الوعي المتعلّق بـ: العلاقات الحميمة (أقارب، أولاد، أصدقاء..)، والشعور بالحب. أما أقسام الجسم التي تسيطر عليها هذه الشاكرا فهي: القلب، الرئتين، نظام الدورة الدموية، الغدة الصعترية thymus gland التي تحكّم النظام المناعي. كما تسيطر على حاسة اللمس. إذا كان الشخص يتمتع بعلاقات حميمة وعاطفية سليمة، فسوف تكون الشاكرا مستقرّة وفي حالة سليمة. عندما يتأذى أحدهم في أي من هذه العلاقات، سوف يؤدي ذلك إلى حصول خلل في أداء الشاكرا، وهذا الخلل في الشاكرا سوف يؤدي إلى حدوث خلل في الأعضاء الجسدية المرتبطة بها. وإذا مرّ وقت طويل على هذا الخلل، ستتجسّد الأعراض المرضية بشكل عيني وملموس في تلك الأعضاء بالذات. أما الأمراض المألوفة لهذه الحالة، فهي: آلام في القلب، ذبحة قلبية، ارتفاع ضغط الدم، إجهاد، صعوبة في التنفس، توتر، أرق، غضب، جنون الارتياب، السرطان.

الشاكرا الخامسة:

إنها شاكرا الحنجرة. هذه الشاكرا مرتبطة بقسم الوعي المتعلّق بـ: التعبير عن الذات، طريقة التلقّي. هذه الحالة لها علاقة بالوفرة، ونسُميها أحياناً النعمة. أما أقسام الجسم التي تسيطر عليها هذه الشاكرا فهي: الحلق (الحنجرة)، الكتفين، الذراعين، اليدين، والغدة الدرقية thyroid gland. كما تسيطر على حاسة السمع. إذا كان الشخص مكتفياً وراضياً في النواحي المرتبطة بهذه الشاكرا، فسوف تكون الشاكرا مستقرّة وفي حالة سليمة. لكن إذا كان الشخص غير راضي ومكتفي، سوف يؤدي ذلك إلى حصول خلل في أداء الشاكرا، وهذا الخلل في الشاكرا سوف يؤدي إلى حدوث خلل في الأعضاء الجسدية المرتبطة بها. وإذا مرّ وقت طويل

على هذا الخلل، ستتجسّد الأعراض المرضية بشكل عيني وملموس في تلك الأعضاء بالذات. أما الأمراض المألوفة لهذه الحالة، فهي: مشاكل في الغدة الدرقية، مشاكل في الجهاز المناعي.

الشاكرا السادسة:

وهي شاكرا الحاجب. هذه الشاكرا مرتبطة بقسم الوعي المتعلّق بـ: النظرة الروحانية للأمر، الموطن النهائي للروح، الكيان الروحي الداخلي. هذه الأمور تمثّل ما أصبح معروف بـ: اللاوعي أو العقل الباطن أو الفعل اللاإرادي، وفق المفاهيم الغربية. المنطقة التي تحتلها هذه الشاكرا تُسمى عموماً بالعين الثالثة، وهي مرتبطة بالإدراك فوق الحسي، الحواس الباطنية المتناغمة مع الحواس الخارجية، وتجعله ممكناً التواصل على المستوى الروحي (اللاوعي). أما أقسام الجسم التي تسيطر عليها هذه الشاكرا فهي: الضفيرة السباتية carotid plexus، أعصاب الوجه، الغدة الصنوبرية pineal gland، الغدة النخامية pituitary gland. هذه الشاكرا تسيطر على كامل منظومة الغدد الصماء، وبالتالي مسؤولة عن عملية النمو. باستثناء آلام الرأس، جميع الأمراض المرتبطة بهذه الشاكرا هي نفسية، وتحصل نتيجة توتر في النواحي المرتبطة بهذه الشاكرا. أما الأمراض المألوفة لهذه الحالة، فهي: الإرباك، أمراض عقلية، مشاكل بصرية، انعدام الموضوع في رؤية الأمور، إرهاق نفسي وروحي.

الشاكرا السابعة:

وهي شاكرا التاج. هذه الشاكرا مرتبطة بقسم الوعي المتعلّق بـ: الاتحاد والانفصال، العزلة أو الاندماج. وكما تمثّل الشاكرا الأولى علاقتنا بالأمومة، هذه الشاكرا تمثّل علاقتنا الأبوية، وليس من الضروري أن يكون والدنا البيولوجي، بل "أبنا الذي في السموات"، السلطة الكونية. أما أقسام الجسم التي تسيطر عليها هذه الشاكرا فهي: الغدة الصنوبرية، الغدة النخامية، الدماغ، كامل النظام العصبي. إذا كان الشخص يشعر بالأمان والانتماء في النواحي المرتبطة بهذه الشاكرا، فسوف تكون الشاكرا مستقرّة وفي حالة سليمة. لكن إذا كان الشخص خائفاً ويشعر بالعزلة

وعدم الأمان في هذه النواحي، أو كان في طفولته محروماً من الأب، سوف يؤدي ذلك إلى حصول خلل في أداء الشاكرا. جميع الأمراض المرتبطة بهذه الشاكرا هي نفسية، وتحصل نتيجة خلل في النواحي المرتبطة بها. أما **الأمراض** المألوفة لهذه الحالة، فهي: الإجهاد، القلق، الهستيريا، انعدام التوازن في قسيمي الدماغ الأيسر والأيمن، صداع، كآبة.

إن ما سبق مجرد عينة مختصرة لمجال طبي واسع وشامل يعتمد على العلاقة الوسيطة للـ"شاكرات" بين الحالة النفسية (الوعي) والحالة الصحية (الجسد). لكن هذا ليس كل ما تمثله "الشاكرات" في الكينونة البشرية، حيث هناك الكثير من الأدوار التي تلعبها. أهم الوظائف المنسوبة إليها تتمثل بدورها الوسيطي بين الجسد والأبعاد المتعددة للـ"فضاء الفوقي" hyperspace وما تشمله من قوى كونية مختلفة.

كل "شاكرا" تنتمي لأحد أبعاد الفضاء الفوتوي

أهمية "الشاكرات" في العلوم الخارقة للمشاريع السريّة

هناك حقيقة وجب ذكرها هنا من أجل توضيح الصورة بخصوص موضوع "الشاكرات". عندما نتحدث عن هذه المراكز الرئيسية في الجسم، هذا لا يعني أننا نعتمد كلياً على المصادر الروحية/الفلسفية ماورائية، بل على حقائق علمية ثابتة ومثبتة. إن الحديث عن "الشاكرات" وما تمثله طويل جداً ولا يمكن اختصاره في كتاب. فيما يلي اقتباس من دراسة علمية، تم تسريبها من عالم التقنيات السريّة، توصف الكائن البشري على حقيقته وتوصف الشاكرات بطريقة خاصة ووفق مصطلحات علمية تليق بالعقلية العصرية للمترّب. وعندما أقول تقنيات سريّة أعني بذلك تقنية السفر عبر الزمن، الانتقال اللحظي من مكان إلى آخر في العالم المادي، السفر في الفضاء العميق لمسافات تتجاوز آلاف السنوات الضوئية، الاختفاء من مجال البصر، اختراق الحواجز الصلبة كالجدران، وغيرها من تقنيات خارقة لا يعمل بها سوى فئة بشرية قليلة تخدم مصالح النخبة العالمية. تؤكد مراجع كثيرة أن البحث بهذه التقنيات بدأت منذ الحقبة النازية في ألمانيا، ولا زالت قائمة حتى اليوم، وشهدت درجة مذهلة من التقدم بفضل التطويرات التي أدخلت إليها في المختبرات السريّة التي ازدهرت في ظلّ الحقبة السوفييتية، وكذلك الولايات المتحدة طبعاً. كل ذلك دون إدراك أو شعور منا (شعوب العالم) بوجودها أصلاً. وكيف لنا أن نشعر بوجود هذه الأمور في الوقت الذي كنا منشغلين فيه بمسرحية "الحرب الباردة".

لا أريد الخوض عميقاً في هذه المواضيع لكي لا يتحوّل هذا الكتاب إلى مهزلة خيال علمي، لكن يمكنكم التعرف على الكثير مما يخفيه حكام العالم من تقنيات وعلوم متطورة عبر الاطلاع على كتابات أفراد عسكريين ومدنيين عملوا في المشاريع السريّة والذين تحدثوا عن أمور تجري في ذلك العالم السري لا يمكن بعدها سوى نعتهم بالمجانين (أهم رواياتهم هي تلك التي تتحدث عن سفرهم إلى المستقبل، أو الانتقال اللحظي إلى موقع تحت أرضي في المريخ والعمل هناك لمدة

سنوات قبل العودة، لحظياً، إلى الأرض). على أي حال، الذي يهمننا هنا هو أن تقنيات خارقة كهذه تتطلب تعريف مختلف تماماً للكائن البشري، والاقتباس التالي يعطينا فكرة عن ما يتعلمه الأفراد خلال دوراتهم التدريبية في هذه المشاريع السريّة، ويبدو أن للشاكرات مكانة بارزة بسبب ارتباطها بالفضاء الفوقي:

الطبيعة متعددة الأبعاد للكائن البشري

Multidimensional Nature Of The Human Being

هناك كم هائل من الأدلة العميقة التي تدعم المفهوم القائل بأن الإمكانيات البشرية ليست مقيّدة ضمن الأبعاد الثلاثة المتمثلة بالارتفاع، العرض، العمق، ولا حالة المادة، الطاقة، المكان، والزمان. لقد تم البحث في نماذج علمية جديدة تتعلق بتجاوز الزمان/مكان space-time transcendence، لكن مع ذلك فإن الثقافات البشرية غنية بما يتعلّق بظواهر فضائية فوقية hyperspace ومتعددة الأبعاد multidimensional اختبرتها النفس البشرية وهي متشابهة مع النماذج العلمية الحديثة.

الدلائل الثقافية والمخبرية قوية التي تشير بوضوح إلى تجلّي هذه الطبيعة الـ"متعددة الأبعاد" لدى بعض الأفراد البشر الذين يستطيعون "السفر" جسدياً أو عقلياً إلى أبعاد مختلفة في الفضاء الفوقي. أصبح هناك إمكانية تكنولوجية لإحداث هذا السفر أو التواصل "الفضائي الفوقي"، أو الحصول على معلومات فضائية فوقية hyperspace information.

يُعرّف "الفضاء الفوقي" hyperspace بأنه مجموعة أبعاد مكانية spatial dimensions متجاوزة للزمن والواقع الحالي الذي نعرفه بالعالم ثلاثي الأبعاد. يمكن الإشارة إلى "الفضاء الفوقي" بمصطلحات علمية أخرى مثل "الفضاء الباطني" subspace، أو "تعددية الأبعاد" multidimensionality.

البعد الثالث، الذي يعيشه ويختبره البشر، موجود ضمن "الفضاء الفوقي" كمجموعة جزئية أو أحد الأبعاد العديدة الأخرى. هذا الواقع، وفق الفيزياء النظرية، قد يمثّل أيضاً أحد مجموعة كبيرة جداً من "العوالم الموازية" parallel universes.

إن حقيقة وجود "أبعاد عليا" higher dimensions و"فضاء فوقي" راسخة بثبات في المبادئ العلمية المنهجية الحالية. لقد عرّف الفيزيائيون النظريون اليوم بوضوح "الفضاء الفوقي" ووصفوه

علمياً، كما أثبتوا وجود "الثقوب الدودية" wormholes أو "الأنفاق الواصلة بين الأبعاد المختلفة"، وكذلك تحدثوا عن "عالم موازية"، كما أنهم سلّموا، نظرياً، بإمكانية وجود ممرات فعلية توصل بين "الماضي" و"الحاضر". وقد نجح علمائنا اللامعين فعلاً (العاملين في المشاريع السريّة) بإيجاد وسائل ميكانيكية/كهربائية، تابعة لعالمنا الثلاثي الأبعاد، للاتصال مع الفضاء الفوقي، والنفوذ إليه، والسفر عبره.

تعريف الإنسان

الإنسان هو "كائن طاقي فضائي فوقي" hyperspace energy being يعيش في "حاوية فيزيائية"، نسميها "جسد"، مؤلفة من ماء بنسبة ٦٧%. هذه النسبة العالية من الماء تجعله ممكناً لتطبيق التقنيات الخارقة التي تمكّن الإنسان من التفاعل مع "الفضاء الفوقي" بسهولة. من خلال النظر إلى [الشكل ١] نلاحظ كيف يتلقى هذا "الكائن الطاقي الفضائي فوقي" (الإنسان) الطاقة في بعده الحالي عبر سبعة "دوامات" vortices موزعة عمودياً على طول الجسم. كل "دوامة" vortex متصلة بـ"بُعد" dimension مختلف في "الفضاء الفوقي" ولها وتيرة ترددها الخاصة بها. هذا الترتيب يسمح بتطوير سبعة "عناصر طاقة معيارية" modular energy components تتواءم مع العقل، العين الفضائية، الصوت، الجسد، البطن، كرة الطاقة البلازمية (بطارية)، والوصلة الأرضية.

— **الدوامة [A]:** معروفة بالدوامة العُلّيا، وتزوّد الطاقة للعقل وتوفّر قناة اتصال مع كيانات أخرى في الكون. وقد تم اختبار مدى فعالية هذه القناة على مسافة تتجاوز ١٠٠,٠٠٠ سنة ضوئية وهي تقارب قطر مجرتنا الحالية.

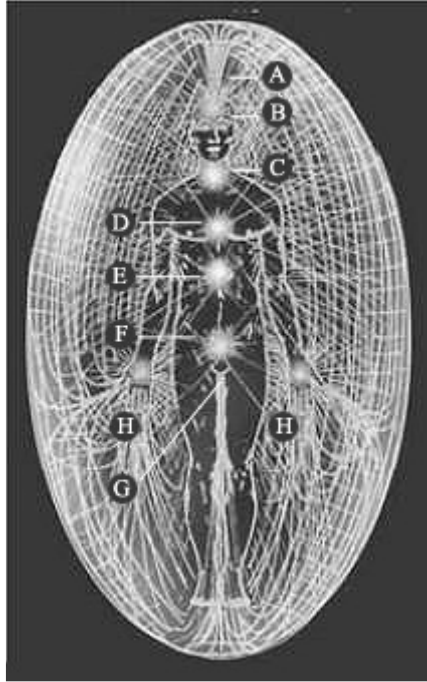
— **الدوامة [B]:** معروفة بدوامة العين الفضائية، ولها مظهر مخروطي مجوّف مُحاطة بطاقة فضائية فوقية ضبابية، بيضاء، منخفضة الكثافة. لأن العين تمثّل عضو معياري، يستطيع العقل أن يطلقها عبر مسافات هائلة، وأصبحت العملية معروفة اليوم بـ"الإطلاق عن بُعد" remote viewing.

— **الدوامة [C]:** معروفة بمدبول الصوت والسمع، ويمكن إطلاقها أيضاً عبر مسافات هائلة من أجل التواصل كلامياً مع كيانات أخرى. عبر استخدام أجهزة التواصل المناسبة، أصبح من الممكن اليوم إطلاق العين والمدبولات الصوتية معاً من أجل الرؤية والكلام والسمع معاً.

— **الدوامة [D]:** معروفة بدوامة القلب، وتوفر طاقة وقائية للأعضاء الداخلية العُلّيا، الذراعين واليدين.

— **الدوامة [E]:** توفّر الطاقة الوقائية للأعضاء السفلى مثل المصران، الكبد، والكليتين.

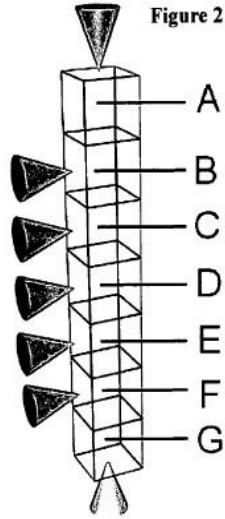
– **الدوامة [F]:** معروفة بـ"بطارية الجسم"، وتتألف من كرة طاقة بلازمية تبعث لون برتقالي، يبلغ قطرها ١ أو ٢ بوصة (حسب الحالة). إذا أزيلت هذه الكرة البلازمية من الجسم سوف يُصاب بشلل كامل. عندما يرحل "الكيان الفضائي الفوقي" من الجسم المادي (خروج عن الجسد)، تُغلق الدوامات جميعاً وتسيطر الكرة البلازمية على زمام الأمور من أجل المحافظة على أداء وظائف الجسم. هذه الدوامة تلعب أيضاً دوراً في خلق الجنين الطاقوي النجمي astral energy baby الذي يلتصق بالبيضة الملقحة خلال التزاوج. لهذا السبب يفقد الذكر جزء ملموس من حيويته بعد ممارسة الجنس، حيث يكون قسم من الطاقة المخزنة في البطارية قد انتقل منه خلال العملية.



الإنسان يتلقى الطاقة في بعده الحالي عبر سبعة "دوامات" من "الطاقة الفضائية الفوقية" موزعة عمودياً على طول الجسم. هذا التعريف مطابق تماماً للوصف المذكور في الأدبيات اليوغية العريقة مع فارق في الأسماء والمصطلحات.

– **الدوامة [G]:** هي الدوامة الأرضية التي تدور باتجاه معاكس لعقارب الساعة من أجل توفير أرضية طاقية للدائرة الكهربائية. كل الدوامات الأخرى تدور باتجاه عقارب الساعة.

– **الدوامة [H]:** هي دوامة اليد، وتدور بعكس اتجاه عقارب الساعة في اليد اليمنى، وباتجاه عقارب الساعة في اليد اليسرى.



كما هو مبين في [الشكل ٢]، كل دوامة تغذي الطاقة إلى مديولها "الفضائي الفوقي" الخاص المُمثل بأحد المكعبات المُشار إليه بحرف معين. وفق مفهوم "الفيزياء الكمومية"، كل مكعب هو في الحقيقة بئر من الطاقة الكامنة بحيث يتطور فيها كل مديول بشكل منفصل. في حالة موت الجسد، تجتمع كافة هذه المديولات مع بعضها لتشكل كيان طاقي واحد. ويتغذى هذا الكيان بالطاقة التي توفرها الكرة البلازمية (البطارية)، والتي تحتوي أيضاً على كل التعليمات المنطقية التي تحافظ على تماسك الكيان.

ملاحظة: التعريف طويل ومستفيض، لكن ليس له علاقة بسياق موضوعنا الحالي.

انتهى الاقتباس

ملاحظة: البحث الذي جاء منه الاقتباس السابق واسع وشامل ويحتوي على الكثير من المعلومات المختلفة المتعلقة بالإنسان، الذي يشيرون إليه بـ"كائن طاقي فضائي فوقي" hyperspace energy being يعيش في "حاوية فيزيائية" نسميها "جسد". لكنني اخترت المقطع الذي يهم موضوعنا ويثبت أن مسألة "الشاكرات" هي ذات أهمية بالغة بالنسبة لاستخدام التقنيات الخارقة التي يدرّبون عليها حالياً في المشاريع السريّة.

بعد توصل العلم الحديث إلى حقيقة وجود "الفضاء الفوقي" hyperspace وأبعاده المتعددة، يكون بذلك قد عاد مجدداً إلى المبادئ القديمة التي طالما سلّمت بوجود هكذا عالم "ماورائي". صحيح أن التعاليم "اليوغية" القديمة تحدثت عن "الشاكرات" بطريقة مختلفة ووفق مفاهيم مختلفة، لكنها في النهاية متطابقة مع التعريف

العلمي/التقني السابق لهذه الدوامات الطاقية. تقول التعاليم "اليوغية" مثلاً بأن كل "شاكر" تمثل مستوى طاقة مختلف وتتذبذب بوتيرة محددة، وبترتيب تسلسلي منطقي مؤلف من سبعة ترددات مختلفة. كلما ارتفعنا إلى أعلى كلما أصبحت العناصر أقل كثافة. وتوصف التعاليم هذه العملية بطريقة فلسفية حيث تشبه هذا الارتقاء للأعلى بالمرور عبر خمسة عناصر رئيسية في الطبيعة المادية: التراب، الماء، النار، الهواء، والأثير (برانا).. ثم تكمل مسيرة التدرج إلى عالم العناصر الروحية للنور الباطني والصوت الباطني.

العنصر الأثقل يكون في الأسفل، بينما العنصر الأخف يكون في الأعلى. إنه ترتيب منطقي فعلاً. وقد استخدمت الألوان المتسلسلة في الطيف الضوئي لتمثل هذا التسلسل المنطقي للذبذبات السبعة، وكذلك استخدم السلم الموسيقي أيضاً والمؤلف من سبعة نغمات. وفي كافة هذه الحالات، تكون الذبذبات (الصوتية أو الضوئية) الثقيلة، ذات وتيرة منخفضة، في الأسفل. بينما الذبذبات الخفيفة، ذات وتيرة مرتفعة، في الأعلى. أي وفق المفاهيم الروحية، الأسفل يمثل "الدنيوية" والأعلى يمثل "الروحانية". كلما ارتقينا في تسلسل الشكاكات إلى الأعلى كلما اقتربنا من الجانب "الروحي"، وكلما نزلنا في تسلسلها إلى أسفل نقرب من الجانب "الدنيوي".

لقد تم التعبير عن هذا التدرج الذبذبي للإنسان عبر إنساب كل "شاكر" إلى عنصر مادي مختلف ولون مختلف، وجرى ترتيبها على الشكل التالي: الشاكرا الأولى (الجزر): عنصر التراب، لون أحمر. الشاكرا الثانية: عنصر الماء، لون برتقالي. الشاكرا الثالثة: عنصر النار، لون الأصفر. الشاكرا الرابعة: عنصر الهواء، لون أخضر زمردني. الشاكرا الخامسة: عنصر الأثير، لون أزرق سماوي. الشاكرا السادسة: عنصر التخاطر (طاقة معلوماتية)، لون الأزرق النيلي. الشاكرا السابعة (قمة الرأس): عنصر المحتوى الكوني (الطاقة الكونية)، لون بنفسجي.

أعيد التذكير بفكرة أن هذه مجرد تعبيرات فلسفية تمثل القوى السبعة التي تساهم في خلق المادة المتجسدة، بما فيها الإنسان. هذه القوى السبعة تجتمع بفعل قوانين كونية معينة، وبصيغ مختلفة، لتخلق كافة أشكال الحياة. خلال الاطلاع على الموضوع السابق، بالإضافة إلى ما سنطرح عليه من مواضيع لاحقة، لاحظنا (وسوف نلاحظ) تكرار الرقم سبعة دائماً في العلوم الإيزوتيرية، مثل سبعة مراحل للخلق (بذرة الحياة)، سبعة كواكب رئيسية يتعامل معها القدماء، أو سبعة قوى كونية، سبعة أيام في الأسبوع. وهنا نحن نتعرف على سبعة أقسام للكينونة البشرية، وسبعة أقسام للروح، سبع سماوات، سبع شاكرات، وسبعة مراحل للتدرج المادي.. إلى آخره، وعلى الجانب الآخر نجد فقط خمسة مجسمات أفلاطونية، خمسة عناصر (نار، هواء، ماء، تراب، أثير)، كما نلاحظ وجود إثنا عشر برج فلكي، وإثنا عشر شهر في السنة.. إلى آخره. أي بمعنى آخر، نلاحظ تكرار الأرقام [5]، [7]، و[12] دائماً في التعاليم الروحية والإيزوتيرية عموماً. لماذا هذه التقسيمات تحديداً وليس غيرها؟ أول ما يجب معرفته هو أن التقسيم السباعي وما يفرزه من "خمس عناصر للطبيعة" و"خمس مجسمات أفلاطونية للتشكل المادي" لا يتوقف عند حدّ الترتيب التسلسلي لتجلي المادة، بل يتجاوزها إلى عامل آخر مهم جداً هو الذبذبة. سوف نتعرف على الكثير بخصوص هذا العامل المهم عبر توالي الفصول والأجزاء القادمة، لكن بخصوص المسألة التي نتناولها حالياً، الموضوع التالي يكفي لتوضيحها.

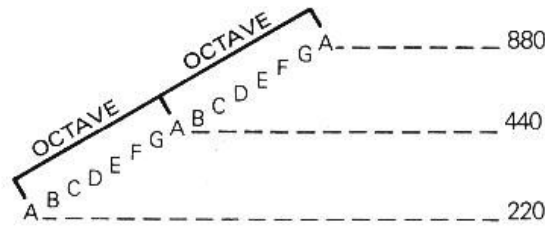
عامل الذبذبة

والطبيعة الاستثنائية للسلم الإيقاعي المتناغم

عندما نتحدث عن سلم الإيقاع المتناغم، فهذا يشمل الموسيقى، الألوان، القوى الكونية، تدرجات المادة، الأشكال،... وغيرها من أشياء يعتمد وجودها أو تشكلها على عامل الذبذبة. جميع المطلعين على الحكمة السريّة يعلمون جيداً بأن ما ندرسه حولنا هو مجرد تفاعل بين "المادة" و"العقل". يشرحها أحد الحكماء التجاوزيين الأفارقة على الشكل التالي:

".. الحقيقة هي أن هناك تجليين فقط: العقل والمادة. ما نسميها "قوة" ليست تجلياً منفصلاً عنهما. إنها مجرد إحدى الدرجات الدنيا، الأكثر كثافة، من العقل (أي عبارة عن وتيرة منخفضة في سلم الذبذبة العقلية). "القوة" هي ببساطة ذلك القسم من العقل الذي يمنح "الهيئة" للمادة. إنها ذلك القسم من العقل الذي ينقل فكرة "الهيئة" إلى المستويات العليا حيث يقع الوعي. فليتأمل الطالب في الأمر لبرهة وسوف يجد أن هذا صحيح. اللون، الحجم، الشكل، ما هي هذه الأشياء؟ هي مجرد ذبذبات من الضوء، والتي بعد انتقالها إلى الوعي توحى بفكرة "الهيئة". وما هي الذبذبة؟ إنها "قوة". حرارة، برودة، قساوة، طراوة.. الأنواع والروائح المتنوعة هي مجرد ذبذبة، وبالتالي فهي "قوى" مختلفة. إذا جعلت "القوة" تجلياً منفصلاً، فسوف تجعل بالتالي تلك المستويات من العقل التي تنقل أفكار الرغبة والعاطفة تجليات منفصلة أيضاً.."

وفقاً لهذا المفهوم، إذا كانت طاقات الذبذبة تقبع في قلب كل ما ندركه من حولنا، فسوف لن يفاجئنا بأن هكذا طاقات تخضع لنفس التصنيف الذي وزعت وفقه النغمات الموسيقية (سبع نغمات). هناك سلم محدد، وضمن هذا السلم هناك نغمات محددة، تتكرر عند كل أوكتاف، أي النغمة الثامنة صعوداً تمثل النغمة الأولى لكن طبقة الصوت تكون مرتفعة أكثر من السابق.. وترتفع أكثر كلما تجاوزنا أوكتافاً جديداً على السلم التصاعدي.



تبقى النغمة ذاتها رغم تصاعد وتيرة الأوكتاف في السلم الموسيقي

هذا التقسيم السباعي للسلم الموسيقي ليس تقسيم عابر أو جاء هكذا بالصدفة، بل نتيجة دراسة حسابية متأنية في موضوع "النسبة الذهبية" نسبت إلى فيثاغورث

("المقياس الدياتوني" *Diatonic scale*)، لكن الفضل في الحقيقة يعود إلى المعابد المصرية التي تعلم فيها هذا الفيلسوف اليوناني (سوف أتناول أبحاث فيثاغورث بها المجال في أجزاء لاحقة). عندما ندخل "أنصاف النغمات" *semi-tones* (الحادة/المسطحة) يصبح لدينا ١٢ نغمة في السلم الموسيقي. ويمكن أن نراها بوضوح في مفاتيح آلة البيانو حيث يتضمّن كل أوكتاف ٥ مفاتيح سوداء و ٧ مفاتيح بيضاء.



كل أوكتاف يتضمّن ٥ مفاتيح سوداء و ٧ مفاتيح بيضاء، المجموع ١٢

احفظ هذه الفكرة جيداً: سبع مراحل للخلق (بذرة الحياة)، سبع قوى كونية، ٥ مجسمات أفلاطونية.. دائرة زمنية مقسّمة إلى ١٢ جزء (شهر، برج فلكي) و ٧ كواكب، و ٧ أيام في الأسبوع.. ١٢ مقام فعلي في شجرة الحياة (مع مستويات "أين صوف")، و ٧ أقسام للروح، سبع طبقات للتدرّج المادي.. وغيرها من تناظرات تحتوي على الأرقام ٥، ٧، و ١٢ التي تتكرر دائماً في التعاليم الإيزوتيرية.

حتى الجدول الذري للعناصر الذي أوجده العالم الروسي "ديميتري مندلييف" Mendeleev استعرضت خاصية دورية مشابهة. هذه الخاصية تركز على السلوك شبه الموجي للجسيمات دون الذرية، وموصوفة رياضياً وفق صيغة مشابهة لتلك التي وجدت لوصف الموجات اللستيكية *elastic waves* (متمغطة) كالأوتار المتذبذبة لآلة الكمان. على أساس هذا النوع من الرياضيات الموجية النظرية فقط يستطيع العلم الحديث شرح الخواص الدورية للسلوك الكيمائي للعناصر.

وفي سياق آخر أيضاً، ضمن موضوع الطيف الضوئي، نجد أن هناك ٧ ألوان متميزة: أحمر، برتقالي، أصفر، أخضر، أزرق، نيلي، بنفسجي. بطرق معيّنة، وأخذاً بعين الاعتبار الإمكانات اللامحدودة للتدرّج الذبذبي ضمن أوكتاف واحد

من النغمات الموسيقية، أو الألوان المنفردة في الطيف الضوئي، السبب الذي يجعل أنظمتنا الحسية تبدو مرتاحة في كلا الحالتين مع تصنيفات سباعية لها علاقة بمسألة الإدراك. أو ربما الأمر لا يتعلّق بالإدراك، بل بواقع آخر يقبع ما وراء الواقع المُدرك وأنظمتنا الحسية موصولة به بطريقة لا نفهمها بعد. لكن على أي حال، تمكّن القدماء من اكتشاف هذه الحقيقة بطريقة أو بأخرى، ومن المؤكّد أنهم لم يتوصلوا إليها عبر المعادلات الرياضية المعقّدة، فاستطاعوا أن يصنفوا كل الأشياء وفق النغمة الذبذبية الطاغية على كينونتها. بناء على هذا، أصبحنا نفهم الآن لماذا وكيف يمكن للكواكب السبعة (قوى كونية ذات طبيعة دورية) والمعادن، وأيام الأسبوع، وأقسام الروح (الشاكرات) وغيرها من أمور أن تجد لنفسها توافقات مع مقامات "شجرة الحياة" (كما سنرى لاحقاً خلال تناول التعاليم الروحية المصرية).

لكن في الحقيقة، عندما يتعلّق الأمر بجدول العناصر الذريّة، تبدو الدوريات أحياناً أكثر تعقيداً من السلم الموسيقي البسيط. كما نعلم من هرمونيات الوتر المتذبذب، النغمة الواحدة هي مؤلفة فعلياً من مجموعة ذبذبات، تتوافق مع تقسيمات طول الوتر، أي، وتيرة ذبذبة الوتر بكامله، نصف الوتر، ثلث الوتر،.. إلى آخره. وفق هذه التقسيمات، لدينا الذبذبة الطاغية (1/1)، بالإضافة إلى ذبذبات وتيرة عالية مشكّلة للسلسلة: 1/1، 2/1، 3/1، 4/1، 5/1، 6/1، 7/1. وفق مفاهيم النظرية الموسيقية، الأقسام من 7/1 إلى 11/1 تبقى خارج العملية، وكذلك الأقسام التي ما فوق 12/1، وذلك لسبب بسيط هو أن خاصية النغمة تُعرّف من خلال الذبذبة الطاغية (1/1)، والثالثة (3/1)، والخامسة (5/1)، والأوكتاف. وبالتالي إذا وُلد الوتر النغمة [C]، سوف يكون القسم 1/1 هو الأساسي، والقسم 2/1 سيمثّل [C] في الأوكتاف الثاني، و 3/1 سيمثّل [G] في الأوكتاف الثاني، و 4/1 سينقلنا إلى [C] في الأوكتاف الثالث، و 5/1 سيمثّل [E] في الأوكتاف الثالث، و 6/1 سيعطينا [G] أخرى أيضاً في الأوكتاف الثالث، وأخيراً 12/1 سيمثّل [G] في الأوكتاف الرابع. (أنظر في الشكل السابق، البيانو مع الأحرف، لاستيعاب الشرح). أما قسم 7/1 فسوف يعطينا [B] في الأوكتاف الرابع، وهذا ما سيتم تجاهله لأنه سيُغمَر

بالنغمات الجوهرية [C]، [G] و [E] المؤلفة للمجموعة. وبشكل مماثل، القسم ١١/١ سوف يعطينا [F] في الأوكتف الرابع، وهو أيضاً سيُغمَر. وهكذا سيصبح لدينا مرةً أخرى تقسيم سباعي مؤثّر للوتر، مؤلف من السلسلة ١/١، ٢/١، ٣/١، ٤/١، ٥/١، ٦/١، ١٢/١ وفق مفهوم تكوين مجموعة النغمات tones والنغمات التوافقية overtones المؤلف لذنبذة الوتر.

حتى في السلم الموسيقي البسيط، كما لوحظ سابقاً، يمكننا إضافة "أنصاف النغمات" semi-tones لكامل النغمات، لنخرج بمجموع ١٢ نغمة معاً، بدلاً من ٧ فقط. بعد إضافة أنصاف النغمات، لتعطينا ١٢ نغمة في السلم، تبدأ الأمور بالوضوح حول السبب الذي يجعل الرقم ١٢ يتكرر دائماً مع الرقم ٧ و ٥ في العلوم الروحية والإيزوتيرية. لا أريد تعقيد الأمور من خلال الشرح المفصل لهذه المسألة، لكن أصبح واضحاً الآن أن ظاهرة الذنبذة وعامل وتيرة الذنبذة يتبعان قوانين رياضية تتعلق بعلم الصوتيات والتسلسل الصوتي. لهذا السبب لم يعد مستغرباً أن الطاقات المتذبذبة، إن كانت متعلقة باللون، الرائحة، الصوت، جدول العناصر.. إلى آخره، قابلة للتصنيف بطريقة مشابهة للنغمات الصوتية في السلم الموسيقي. الكون هو عبارة عن سمفونية هولوغرافية عملاقة! وهذا ما يجعل عامل الذنبذة من بين عناصره الأساسية.

هناك الكثير بخصوص موضوع الذنبذة لاحقاً

يبدو أن هناك غاية حكيمة، وكذلك قيمة تعليمية عظيمة، في هذا التقسيم السباعي للكينونة البشرية (وكذلك للروح)، وهو التقسيم المألوف في معظم التقاليد الروحية حول العالم. يعود الفضل إلى الهندوس والبوذيين في إيجاد المصطلح "شاكرا" chakra وما يصحبه من تقسيم سباعي للروح. لكن يبدو أن هناك أسباب قوية تجعلنا نجزم بأن العلوم الروحية التي اعتمدت عليها تعود أصولها إلى التقاليد المصرية التي هي أيضاً كانت تشرح مفاهيمها الروحية وفق التقسيم السباعي

للروح والتجسيد المادي (النفس)، والتي تتوافق تماماً مع منظومة "الشاكرات".
(سوف نتعرف على المزيد عن العلوم الروحية المصرية في أجزاء قادمة).

توافق أقسام النفس في التعاليم المصرية مع الشاكرات الهندوسية

الشاكرا اليوغية	الاسم المصري	
سahasrara (التاج)	BA [يا]	١
أجنا (العين الثالثة)	KHU [خو]	٢
فيشودها (الحنجرة)	SHEKHEM [سَخَم]	٣
أناهاتا (القلب)	AB [أب]	٤
مانيبورا (الصفيرة الشمسية)	SAHU [سَاهو]	٥
سوادهيستانا (السرة)	KHAIBIT [خايبيت]	٦
مولادهارا (الجزر)	KHAB [خاب]	٧

١- شاكرا الجزر (مولادهارا Muladhara)، تتوافق مع "خاب" Khab الذي يمثل الجسد المادي للإنسان. وفق التقليد المصري، هذا القسم يحكم الجسد المادي، نافذة الروح إلى العالم. يساهم في استمرارية الوهم الذي يقنع الفرد بانفصاله عن كل الأشياء من حوله.

٢- شاكرا السرة (سوادهيستانا Swadhisthana)، تتوافق مع "خايبيت" Khaibit الذي يمثل الجزء الحسي (الحيواني) من الإنسان. وفق التقليد المصري، هذا القسم يحكم الروح الحيوانية، الانفعالات الغريزية والإدراكات الحسية، الشهوانية، المحفزات العصبية الحركية والحسية.

٣- شاكرا الصفيرة الشمسية (مانيبورا Manipura)، تتوافق مع "سَاهو" Sahu ووظيفة هذا القسم هي تنسيق وتوجيه القسمين الأدنىين. وفق التقليد المصري، هذا القسم ينسق ويوجه قوى الروح الحيوية لتحقيق الغايات الدنيوية في الوجود.

٤- شاكرا القلب (أناهاتا Anahata)، تتوافق مع "أب" Ab الذي يتوسط بين الأقسام الإلهية للروح في الأعلى، وبين الأقسام الدنيوية في الأسفل. وفق التقليد المصري، هو القسم من الروح الذي يُلهم الوعي (يزوّد) بقانون الله، وممارسة الإنسان لإرادته الحرّة.

٥- شاكرا الحنجره (فيشودها Vishuddha)، تتوافق مع "سخم" Shekhem الذي تُلفظ عبره الكلمات القوية للخلق. الفرد المجرّد من القوة هو الفرد الذي لا صوت له، فبالتالي تتوافق هذه الشاكرا مع "سخم" في هذا القسم من الروح. وفق التقليد المصري، هذا القسم من الروح يتمتع بالقوة الإلهية. القدرة الكلية. الدعاء عبر التراتيل (المانترا).

٦- شاكرا العين الثالثة (أجنا Ajna)، تتوافق مع "خو" Khu الذي يمثّل ملكة التنبؤ (علم الغيب) الكامنة في الروح. واسم هذه الشاكرا (العين الثالثة) يفسّر الأمر بوضوح، حيث تحكم ملكة "الاستبصار"، وهذا يجعل النظامين المصري والهندي متوافقان تماماً. وفق التقليد المصري، هذا القسم من الروح هو "العظيم" بكل شيء. الحكمة. إرادة الله. التنبؤ وعلم الغيب.

٧- شاكرا التاج (سahasrara) تتوافق مع "با" Ba الذي يمثّل ملكة "كلية الوجود" (الوعي الديناميكي الذي يمكنه التجلّي في كل مكان). إنه عبر شاكرا التاج فقط نستطيع اختبار الوحدة الكلية لكل الخلق، والعودة للاندماج مع المصدر العظيم.. "أمين".. الذي يمثّل الواقع النهائي الذي لا شيء بعده. وفق التقليد المصري، هذا هو القسم من الروح الموصول مباشرة مع الله. المكان الذي يستطيع الإنسان عبره أن يختبر "كلية الوجود".. الوحدة مع كل شيء.. الاتحاد.

هناك الكثير مما سنطلع عليه في الأجزاء اللاحقة عن التعاليم الروحية المصرية، لكنني اكتفيت هنا باختيار تلك الأجزاء منها التي تناسب سياق المواضيع

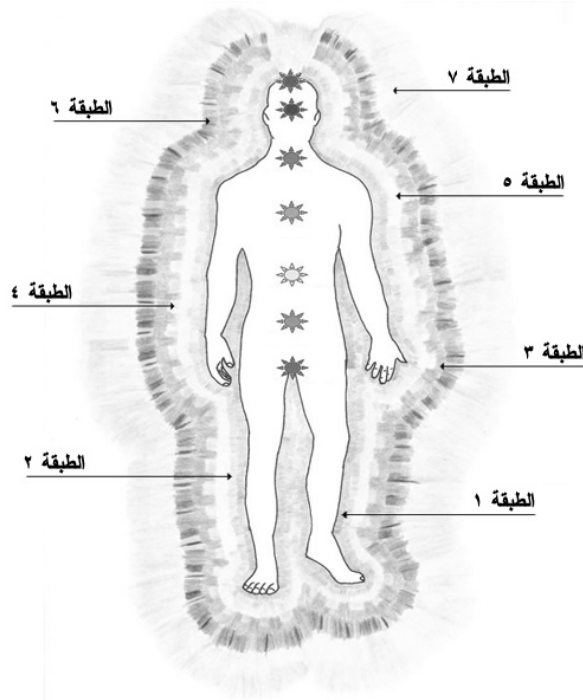
المطروحة في هذا الكتاب. أهم المظاهر التي تميّزت بها العلوم الروحية المصرية هي تلك التي تربط أقسام الروح بالإيقاع الفلكي، والموضوع التالي يوضّح الفكرة.

الهالة وطبقاتها السبعة وفق التعاليم المصرية

وفقاً للمصريين القدامى، الكائن البشري مُحاط بسبعة أنظمة طاقية، أو دعونا نشير إليها بـ"الهالة" التي على شكل سبع طبقات متدرّجة. هذا المجال البايوبلازمي، الذي يسميه الهنود "كوسا" Kosa (وهي كلمة سنسكريتية تعني طبقة أو غلاف)، كان معروف جيداً لدى المصريين، حيث وصفوا كل من طبقاته وحددوا المبدأ الذي تتعامل معه والمحتوى الذي يؤلف كل منها ومجموعة القوانين الطبيعية المختلفة التي يخضع لها. هذا التقسيم السباعي للتدرّجات المختلفة لكيونة الإنسان يختلف عن التقسيم السباعي للروح المذكور سابقاً والذي يتوافق مع الشاكرات.

تؤكد مدارس روحية عديدة بأن هناك سبعة طبقات رئيسية، أو أجسام أثرية خفية، وتشير إليها بأسماء مختلفة. إحدى أنظمة المصطلحات المألوفة حديثاً تشير إلى الطبقات الأربع الأولى باسم الجسم الأثيري، الذي هو مؤلف بدوره من الجسم النجمي astral، العاطفي emotional، العقلي mental، وأخيراً السببي causal أو الحدسي intuitive. يُعتقد عموماً بأن الجسم الأثيري الأقرب من حيث الحجم للجسم المادي، هو نوع من مخطّط أولي blueprint طاقي ووظيفته هي إرشاد وإدارة وصياغة عملية النمو الجارية في الجسم المادي (تحدثت عنه سابقاً). أما الأجسام الأثيرية الثلاث الأخرى: العاطفي، العقلي، والحدسي، فهي مرتبطة بالنشاطات التي تعبر عنها أسماءها. أما بخصوص الطبقات الثلاث الأخيرة في نهاية التدرّج الأثيري لحقل الطاقة الإنساني، فلم يُجمع على أسماءها بعد، لكن الجميع متفق على أن لها علاقة بالنفس ووظائف روحية سامية يصعب استيعابها من قبل العقل الدنيوي. منظومة الطبقات المصرية لم تبدأ من الطبقة الأثيرية الأولى الملاصقة بالجسد، بل بدأت من الجسد ذاته. سوف أذكر هذه الطبقات

(المبادئ) بالمصطلحات المصرية القديمة، لكن مع مرادفاتهما في كل من "البوذية الباطنية" Esoteric Buddhism، والـ"فيدانتا" Vedanta.



سبعة طبقات رئيسية، أو أجسام أثيرية خفية، محيطة بالجسم

أسماء الطبقات المصرية ومرادفاته الهندية:

١- "خات" Khat، وهو بكل بساطة الجسد المادي.

فيدانتا

البوذية الباطنية

أنامايا كوسا Annamaya-kosa

سثولا ساريرا Sthula-sarira

٢- "با" Ba، هو ما يعتبر بالمصطلح المصري "الجسم البايوبلازمي" الذي يصحب "الوعي الديناميكي" للتجسد في أي مكان في الوجود بفعل "الرنين".

فيدانتا

البوذية الباطنية

برانامايا كوسا Pranamaya-kosa

برانا Prana

٣- "خابا" Khaba، الجسم "النجمي" (الكوكبي)، أو الجسم "العاطفي".
البوذية الباطنية
فيدانتا
..... لينغا سراري linga-sarira، مركبة البرانا

٤- "خايبِت" Khaibit، الجسم العقلي الذي يشمل حالات الوعي الدنيا والمتوسطة.
البوذية الباطنية
فيدانتا
Kama-rupa كما روبا
Manomaya-kosa مانومايا كوسا

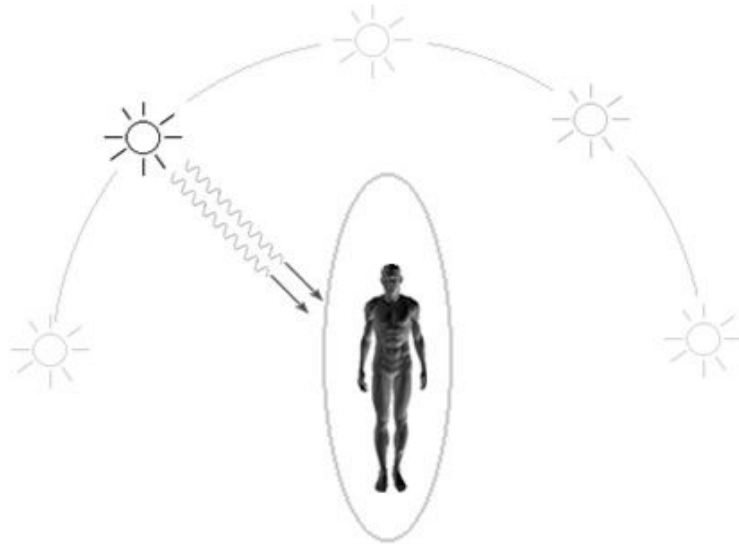
٥- "كا" Ka، النفس، الذات العليا، أو العقل الأعلى.
البوذية الباطنية
فيدانتا
Vijnana فيجنانا
Vijnanamaya-kosa فيجنانامايا كوسا

٦- "سيخن" Sekhen، الوعي الخارق، المعرفة الكونية المتوفرة لكل من يطلبها.
البوذية الباطنية
فيدانتا
buddhi النفس الروحية
Anandamaya-kosa أناندامايا كوسا

٧- "رن" Ren، الروح النقية، أو العقل الإلهي.
البوذية الباطنية
فيدانتا
..... أتمن Atman (الذات الحقيقية)

يبدو أن الأمر لم يتوقف هنا، بل يوجد تقسيم آخر للبنية الطاقية هذه. وفقاً للتعاليم المصرية، يتألف هذا المجال البايوبلازمي من تيارين مختلفين: "شو" Shu (بوازي "أيدا" اليوغية)، و"تفنوت" Tefnut (بوازي "بنغالا" اليوغية). هذه الصيغة مشابهة أيضاً لقطبية "البن" و"البانغ" الصينية. آمن المصريون بأن كل مظاهر الحياة في الطبيعة ترتكز على مبادئ "شو" و"تفنوت". وهذين الاسمين المستخدمان للإشارة إلى الآلهة في الأساطير كانا مفهومان جيداً لدى المطلعين على التعاليم السريّة

بأنها مجرد رموز تمثل خواص وتشابهات مجردة تشير إلى حالات معينة من الطاقة الكامنة في الأجسام الحية (سوف أتوسّع في هذه الفكرة بالأجزاء القادمة). اعتقد المصريون بأن الغذاء الشمسي (الطاقة الشمسية) يتدفّق باستمرار إلى الجسم عبر القطب الموجب "شو"، فيدور في الهالة البايوبلازمية وينشّطها، وهذه الأخيرة تغذي بدورها الأعضاء الداخلية والوظائف الحسية للجسم. أما المواد التي ينبذها الجسم (طاقات سلبية) فتخرج مع التيار الممثل للقطب السالب "تفوت". (هل يُعقل أن الكلمة العربية "تف"، والتي تعني لفظ الشيء خارجاً، جاءت من هذا المفهوم؟). المرادف الهندي لهذا المفهوم المصري هو "سافيتا شاكتي" Savitha shakti، ومعناها "قوة الشمس"، والتي تمثل الغاية الأساسية من ممارسة مانترا "غاياتري" Gayatri Mantra.



تتأثر الهالة بايقاع الدورة اليومية للشمس. كل موقع جديد للشمس في دورتها اليومية له نذببة خاصة، وتلعب دور كبير في نذببة الدماغ والإجراءات الجسدية عموماً.

اعتقد المصريون أيضاً بأن الجسم الطاقى، أو البايوبلازمى، له ثلاثة وظائف رئيسية بعلاقتها مع الشمس: [١] تلقي الطاقة من الشمس [٢] استيعابها وتدويرها على كافة أجزاء الجسم [٣] العمل كمخطط أولي لآلية نمو الخلايا، الجزيئات، والأنماط الجينية. لقد وصف الهنود نفس الآلية خلال وصف كل من مرحلة [١] استيعاب "البراناياما كوسا" للطاقة الحيوية [٢] "برانا فايو"، تدويرها في الجسم [٣] تركيزها في "فيانا فايو" و"سامانا" الموجودتان في منطقة السرّة، التي يُقال بأنها مركز "الخلق" في الجسم.

اكتشف المصريون بأن هذا المجال البايوبلازمى يلعب دور الوسيط بين حالات عليا من الوعي والدماغ وكامل الجهاز العصبي. فبالتالي، بما أن الشمس تؤثر عضوياً على الجسم عبر مجاله البايوبلازمى، فهذا يؤدي إلى استنتاجنا بإمكانية تأثيرها على الحالة العصبية، وبالتالي المزاجية، وبالتالي الفكرية وأخيراً العقلية للفرد. هذه الحقيقة سوف تتوضح بشكل كبير بعد الاطلاع على الأبحاث العلمية التي تناولت هذه الظاهرة.

المصريون القدامى والدورات الفلكية

أحد المفاهيم المهمة التي كان يأخذ بها المصريون القدامى هو أن كينونة الإنسان، بكل مكوناتها، مؤلفة من قسمين: "الذات" (الجانب الإلهي من النفس والروح) و"اللا ذات" (الجانب الدنيوي من النفس والروح). الغاية الرئيسية من التعاليم الدينية المصرية هي تهذيب "الذات" الإلهية في الفرد (عبر لاهوت أوزيريس)، وكذلك تهذيب "الروح" الإلهية لديه (عبر لاهوت رع). يمثّل لاهوت "أوزيريس" القاعدة الأساسية للشعائر والاحتفالات المقدسة الخمس التي تُقام في السنة الواحدة، ومُعظمها معروف لدى بعض الأديان العصرية لكنها تحولت اليوم إلى أعياد احتفالية مُفرغة المضمون. هذه الشعائر تشمل كافة ملكات الروح (أي كل فترة من السنة تمثّل جانب معين من الوعي، وهو تحت سيطرة أحد الآلهة. سوف أتحدث

عن الموضوع بالتفصيل في فصول قادمة) وتمتد على طول السنة الواحدة (دورة شمسية كاملة). أما لاهوت "رع"، فيمثل القاعدة الأساسية للاحتفالات القمرية الاثنا عشر في السنة الواحدة، وتهتم بتطوير الملكات الروحية للإنسان.

مواعيد الاحتفالات المقدسة الخمس التي اهتم بها المصريون (لاهوت أوزيريس) هي: ٢١ شباط/فبراير – الاعتدال الربيعي (٢١ – ٢٤ آذار/مارس) – الانقلاب الصيفي (٢١ – ٢٤ حزيران/يونيو) – الاعتدال الخريفي (٢١ – ٢٤ أيلول/سبتمبر) – الانقلاب الشتوي (٢١ – ٢٤ كانون أول/ديسمبر). (سوف أتناول هذا الموضوع بالمزيد من التفصيل لاحقاً).

هذه المواعيد تمثل مراحل معينة من سفر الأرض حول الشمس حيث تتعرض خلالها الكرة الأرضية لكمية كبيرة من الطاقة النشطة. والمعروف عن هذه الطاقة عموماً هو أنها تؤثر على الوعي البشري، أي تزيد من درجة احتياج الجانب الدنيوي (الحيواني) من كينونته، فتبرز وتنشط في أوقات معينة، وإن لم يتم السيطرة عليها سوف تسبب الكثير من المشاكل للفرد. لكن في جميع الأحوال، يمكن استثمار هذه الطاقة للخير أو للشر حسب نوعية المجموعة أو الإنسان الذي يدرك هذا السر. لكن على المستوى الشعبي عموماً، وجدت الشعائر الدينية أساساً لاستثمار هذه الطاقة لغايات تتعلق بتطوير وصقل الملكات المختلفة للروح. لهذا السبب نرى المواعيد الاحتفالية التي كانت معروفة منذ أيام مصر القديمة تتزامن مع عدد كبير من الاحتفالات التي تقيمها تقاليد دينية مختلفة حول العالم اليوم.

الصورة التي كوناها عن هذا النموذج من الممارسات الدينية تظهر كيف كان القدماء (الوثنيون) "يعبدون الشمس" بطريقة متخلفة! هذه الصيغة المحرفة من العبادة سادت بالفعل في إحدى الفترات، لكن بعد أن سيطر الكهنة المنافقون الذين جاؤوا فيما بعد (بعد أن سقطت الأرض في أيدي الأبالسة) وراحوا يفرضون الممارسات المحرفة للصيغة الأساسية التي فقدت تماماً من ذاكرة الشعوب.



هل يُعقل أن ما نعتبره هوساً في عبادة الشمس لدى القدامى هو في الحقيقة إمام بمعلومات تفصيلية تتعلق باستجابة الإنسان العقلية والبيولوجية للتغيرات الحاصلة في الأطوار الدورية لمواقع الشمس؟

أما صيغة إيفاج الدورات القمرية، فتختلف عن تلك التي للدورة الشمسية، حيث المنظومة المتبعة هنا هي منظومة "الشهر القمري" lunar cycle، أي يُقاس الشهر بين مواعيد للقمر الجديد (بدر) وهذا يعني أن مدة كل شهر تبلغ حوالي ٢٩ يوم ونصف اليوم، أي أن كل سنة عادية (دورة كاملة للشمس) تساوي ١٢,٤ شهر قمري (١٢ شهر ونصف تقريباً). وهذا يؤكد المزاعم بأن القدامى كانوا يقسمون السنة إلى ١٣ شهر (تقريباً). وإلغاء العمل بهذه الدورة رسمياً مثّل إحدى الخطوات المتخذة من أجل قطع علاقة الإنسان الوجدانية بالطبيعة والكون من حوله.

كل دورة قمرية مرتبطة بطاقة كونية معينة تحكم هذه الفترة (نسبت إلى أسماء سبعة كواكب). ويشيرون إلى كل من هذه الفترات الدورية من السنة بـ"فترة حكم الإله كذا.."، وبالتالي يجب إرضاءه عبر التضرع له (أو لها) وتقديم القرابين والعطايا للمعابد المخصصة لهذا الأمر. هذه الصيغة المحرفة من العبادة كانت سائدة في إحدى الفترات أيضاً، لكن بعد أن سيطر الكهنة المنافقون الذين جاؤوا

فيما بعد وراحوا يفرضون الممارسات المحرفة للصيغة الأساسية التي محيت تماماً من ذاكرة الشعوب. واستثمروا هذا التقليد الذي أصبح مفرغ المضمون لزيادة نفوذهم الديني والسياسي على حساب جهل الجموع البشرية.



تبدأ الدورة من قمر جديد (هلال)، فنتعاضم قوتها التأثيرية تدريجياً حتى تبلغ ذروتها عند القمر الكامل (بدر)، ثم تتضاءل قوتها من جديد لتزول عند هلال جديد، فتبدأ طاقة جديدة بالتجسد مع الدورة الجديدة. وهكذا. جميعنا نعلم مدى تأثير القمر على الكثير من الظواهر الأرضية (أشهرها وأكثرها وضوحاً تتمثل في المد والجزر) لكن يبدو أن هناك الكثير من الحقائق الأخرى المحجوبة عن الشعوب. على أي حال، الفكرة الجوهرية هنا هي أن الطاقة الكونية التي تتجلى قوتها خلال دورة قمرية معينة يتم تسخيرها لتحقيق مآرب معينة لها علاقة بخصائص تلك الطاقة تحديداً، بينما خلال ممارسة التطوير الروحي فحسب، فتستثمر بهدف تطوير مواهب الفرد وقواه وعبقريته الفطرية، التي تكمن في كل إنسان. أما من الناحية الفلكية (علم الفلك)، فظهور الدورة القمرية في برج معين يدل على الوقت المناسب جداً من السنة لتسخير الطاقة المتعلقة بذلك البرج تحديداً.

إذا عدنا إلى فكرة "تعدد جوانب الوعي للإنسان" وأسقطناها على هذه الظاهرة "الفلكية" التي تعرفنا عليها للتو، نستنتج بأن التأثيرات الدورية للقوى الكونية تتلاعب بمعايير جوانب وعينا بشكل دوري ومؤقت (نلاحظ ذلك من خلال حصول تغيير في مزاجنا بشكل دوري). وكل طاقة كونية تتناغم مع أحد جوانب شخصيتنا أو مجموعة منها. أي تزيد من قوتها في فترات معينة، ثم تضعفها في فترات أخرى. هذه السمفونية الخفية التي تتحكم بجوهر الكينونة البشرية كانت معروفة جيداً في الماضي وبكل تفاصيلها.

في الصفحات التالية سنتعرف على إحدى الدراسات العلمية التي تثبت حقيقة "تأثير الإيقاع الفلكي على الإنسان"، وهي أبحاث أجريت على دور الفلك في مواعيد إفراز الغدد الصماء في الجسم، ومدى أهمية هذه الإفرازات الغددية في تحديد الحالة المزاجية، الحيوية، العقلية، الروحية، والعاطفية للإنسان، وحتى مستوى ذكاءه. الأمر العجيب، كما رأينا، هو أن هذه الغدد الصماء تقبع في مواقع الجسم التي تتوافق تماماً مع الضفائر العصبية والشاكرات السبعة. فكما ترون، كل شيء مربوط ببعضه. يمكننا الاستنتاج بأن إحدى الغايات الأساسية وراء تنشيط الشاكرات (عبر التأمل أو غيرها من ممارسات) هو تحفيز تلك الغدد على الإفراز أو عدم الإفراز، حسب الحالة. وهذه تعتبر من الوسائل الاصطناعية على تحفيز الغدد دون حاجة لانتظار الموعد الفلكي للقيام بالأمر (كما كان يفعل المصريون).

كان القدماء يخصصون لكل فترة تنتفض خلالها إحدى هذه القوى الكونية (وما يرافقها من انتفاضة في جوانب معينة من الروح نتيجة زيادة أو نقصان في إفراز الغدد) التأمل بقانون إلهي معين (عبر إقامة طقوس معينة). هذا النوع من التأمل تحول فيما بعد، عبر العصور، إلى عبادة وثنية مفرغة المضمون. لقد عرفوا بأن إجراء تغيير في الوعي سوف يساهم في ضبط الخلل الذي تحدثه التأثيرات الفلكية في منظومة الفرد الروحية. ومن ناحية أخرى، كانوا يستثمرون الانتفاضة الإيجابية التي تحصل في جوانب معينة من روح الفرد، فيسخرونها لهدف تحقيق أعمال وإنجازات لا يمكننا وصفها سوى أنها "سحرية". لكن في الحالة العادية، هذه

الممارسة المتناغمة مع الدورة السنوية للشمس (لاهوت أوزيريس)، والدورات الشهرية للقمر (لاهوت رع)، والهادفة إلى تهذيب "الذات" و"الروح" الإلهية في الفرد، إذا تمت بنجاح سوف ترقى بالروح الفردية إلى درجات سامية بحيث يجعلها قابلة لتحسس واستشعار الكشوفات والإلهامات الكونية المختلفة (الاقتراب من العالم التجاوزي). كما أن هذه الممارسة توفر الظروف المناسبة ليقظة "الكونداليني" بطريقة طبيعية! (هذه الفكرة الأخيرة تتطلب المزيد من التوضيح وهذا ما سوف أفعله لاحقاً في سياق المواضيع).

ذكرت سابقاً، في موضوع الغدد الصماء، أن العلم المنهجي اعترف بجهله عن مصدر الأوامر التي تحفز وتكبح الإفرازات الغددية، وحتى الآلية التي تجري وفقها عملية الإفراز هذه لازالت غامضة بمعظمها. لكن يبدو أن هذا المصدر كان معروفاً منذ آلاف السنين.. إنه مصدر فلكي! وله علاقة بانتفاضات دورية لقوى كونية معينة مما تؤثر على كينونة الإنسان بكافة مستوياتها: الروحية، العقلية، والجسدية.

أعتقد بأن الدراسة العلمية التالية تكفي لتوضيح المفكرة، وهي مُقتبسة من ورقة علمية وردت في عدة مجلات علمية عام ١٩٧٥، قدمها الباحث "رتشارد ألن ميللر" Richard Alan Miller في مجلة New Physics الإلكترونية عام ٢٠٠٣م.

الوظيفة البيولوجية للعين الثالثة

بقلم الباحث "ريتشارد ألن ميللر"

Richard Alan Miller

منذ زمن "ديونيسيوس" Dionysius إلى زمن "أفلاطون" Plato، كانت ثقافات البحر الأبيض المتوسط تسلم بالعقيدة التي زعمت بوجود "واقع مطلق" يقبع ما وراء الواقع الحالي. يمكن نفاذ الوعي إلى ذلك الواقع الماورائي فقط بعد تعطيل الإجراءات الذهنية الروتينية (إسكات العقل الواعي). إنه "أرسطو" Aristotle، تلميذ "أفلاطون"، الذي أول من أجرى تغييرات جذرية في التعاليم التي اعتمدت على تلك المبادئ المسلّم بها. ففي أيامه حصل الفصل الكبير بين "الفيزيقيا" physics و"الميتافيزيقيا" metaphysics. إن المزاج الفلسفي لحضارتنا الحالية، الموجهة علمياً وتقنياً، هو "أرسطوي" أصلاً.

لحسن الحظ، لم يبرز في الشرق (الهند) شخصية علمية نافذة مثل "أرسطو" لتفعل ما فعله في المفاهيم الغربية. ولهذا السبب، حافظ الحكماء الهنود، الذين لم يكونوا أقل حكمة وتبصراً ومهارة من نظرائهم في اليونان، على المكانة السامية للميتافيزيقيا في مدارسهم. لقد بقيت "الفيزيقيا" و"الميتافيزيقيا" مندمجتان كالتوأم. وكنتيجة لذلك، الفرع العلمي الذي أصبح يُعرف في الغرب باسم "الطب" medicine، تطوّر في الثقافة الهندية إلى فرع علمي معروف باسم "كونداليني يوغا" Kundalini Yoga.

إذا أردنا وصف الـ"كونداليني يوغا" وفقاً لنظام المصطلحات الغربي، هو مجموعة من المعلومات البيولوجية المُبطّنة في النصوص الشعرية على شكل استعارات مجازية. يحاول هذا النظام التعليمي إدماج الكيانين المتباينين ظاهرياً: العقل والجسد، مما يجعلها منظومة تعاليم معقدة جداً بالنسبة للعقلية الغربية. إذا أردنا شرح الأمر ببساطة، هذا النظام يعلم المتدرب على التطوّر الذاتي من خلال السيطرة على عدة مستويات مختلفة من كينونته، وممثلة بمراكز رئيسية مسؤولة

عنها تُسمى "شاكرا". وهذه العملية تتم عبر مجموعة تمارين يجري خلالها التنسيق العقلي/الجسدي.

أحد هذه المراكز الرئيسية، وهي "الشاكرا" السادسة، يسمونها "أجنا" Ajna، وهي المرتبطة بالعين الثالثة المسؤولة عن الاستبصار والتخاطر.. وغيرها من تفاعلات مع العالم الماورائي. الموقع الفيزيولوجي لهذه "الشاكرا" هو في مركز الجبهة. يُرمز لها بالعين الثالثة، أو العين الداخلية، أو عين العقل. يُقال أنه عندما تُفتح هذه العين، تُكشف أمام ممارس اليوغا أبعاد جديدة ومختلفة تماماً للواقع. أول ما اطلع علماء الغرب على هذه الأدبيات، نظروا لمفهوم "العين الثالثة" بأنه استعارة مجازية استُخدمت في النصوص الشعرية وليس أكثر من ذلك.

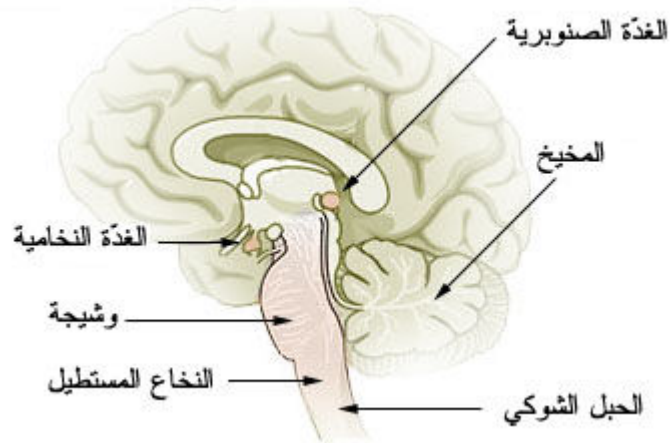
بقيت الحال كذلك حتى أواسط القرن التاسع عشر، بعد أن تم استكشاف شبه القارة الأسترالية والمناطق المحيطة، حيث برز اهتمام كبير بسحلية lizard تقطن إحدى المناطق الأسترالية، وتُسمى عذاءة "تواتارا" tuatara. فبالإضافة إلى عينين طبيعيتين متموضعتان على جانبي الرأس، هذه السحلية تحوز على عين ثالثة مدفونة داخل الجمجمة، تم الكشف عنها بعد إحداث فتحة في عظمة الرأس. كانت هذه العين المدفونة مغطاة بغشاء ومحاطة بقشور على شكل وردة. كانت "عين ثالثة" فعلاً ودون أدنى شك، رغم أنها بدت معطلة.

بالرغم من أن هذه العين الثالثة لا تزال تملك بنية العدسات البصرية والشبكية العينية، لكنها وُجدت غير صالحة للعمل، كما كانت تفتقد للتوصيلات العصبية مع الدماغ. لازال وجود هذه العين في سحلية "التواتارا" يمثل لغز محير بالنسبة لعلماء التطور، حيث أن كل الفقريات تقريباً تملك أعضاء مشابهة في مركز الجمجمة لديها. إنها موجودة في الكثير من الأسماك، كل الزواحف، الطيور، والثدييات (حتى الإنسان). هذا العضو أصبح معروف في الأدبيات العلمية المعاصرة بـ"الغدة الصنوبرية" pineal gland.



عظاءة "تواتارا"، طولها حوالي ٥٠ سم، تعيش في أستراليا ونيوزيلاندا

هذه الغدة تشبه شوكة كوز الصنوبر وموجودة عميقاً في مركز الدماغ بين قسَميه. بدأت الدراسات حينها تحاول التأكد من إذا كان هذا العضو يمثل غدة شغالة فعلاً أو مجرد بقايا عضو بصري، أو قطعة أثرية تذكارية من ماضيها البعيد عندما كنا زواحف نذبذب على الأرض (حسب النظرة الداروينية).



في العام ١٩٥٩م، وجد الدكتور "أرون ليرنير" Aaron Lerner ومساعديه في جامعة "يال" Yale بأن "الميلاتونين" melatonin، وهو هورمون تصنعه الغدة الصنوبرية، يُخلق عبر تفاعل أنزيمات معيّنة مع مادة كيميائية أولية وجب أن تكون موجودة أولاً في الغدة الصنوبرية من أجل أن تتحوّل إلى "الميلاتونين". تبين أخيراً أن هذه المادة الأولية هي "السيروتونين" serotonin.

— المادة الكيميائية "ميلانين" melanin هي صبغة تعمل على إعتماد لون الجلد. إنها موجودة في خلايا مخصّصة ممنتشرة في أعلى طبقات الجلد. اكتُشف بأن "الميلاتونين" melatonin هي المادة المسؤولة عن تقليص إنتاج الميلانين في الخلايا.

— "السيروتونين" serotonin هي من نفس التسلسل الكيماوي للإندولات القلوانية indole alkaloids التي تشمل المخدرات المهلوسة مثل: LSD-25، السيلوسيبين D.M.T.، psilocybin، والبوفوتينين bufotenine. يُعرف هرمون "السيروتونين" أيضاً بالمصطلح [5-hydroxytryptamine] تريبتامين.

أول من اكتشف الصلة بين "السيروتونين" والحالات الذهنية المختلفة كان "إي.جي. غادوم" E.J. Gaddum، الأستاذ في علم الأدوية بجامعة "أدنمبورغ" Edinburgh. في ورقة علمية منشورة عام ١٩٥٣، أشار إلى حقيقة أن المخدر LSD-25 هو مضاد فعال للسيروتونين. السيروتونين ليس عنصر كيماوي غير عادي في الطبيعة. فقد وُجد في أماكن كثيرة، بعضها تُعتبر أماكن مستغربة لوجوده فيها، مثل الغدد اللعابية في الأخطبوط، أما البعض الآخر فيُعتبر طبيعي، مثل تكاثره في فواكه مثل الموز، التين، والخوخ. ما هي وظيفتها إذاً في الدماغ البشري؟

تولى مهمة استكشاف الدور الذي تلعبه "الميلاتونين" وسليفتها "السيروتونين" العالم البيوكيماوي "جوليوس أكزلرود" Julius Axelrod. وجد أن "الميلاتونين" يقيم الوظيفة الجنسية في الثدييات. إذا حُقّرت الحيوانات المخبرية على إنتاج كميات زائدة من "الميلاتونين"، تميل الغدد التناسلية والمبايض لديها إلى التقلص في الحجم

والضمور الوظيفي. كما يمكن إحداث تغيير في موعد الخصوبة لدى الأنثى بنفس الطريقة، أي بعد تلقي جرعة عالية من "الميلاتونين".

لقد تم إنساب وظيفتين على الأقل للغدة الصنوبرية، أو العين الثالثة للعقل:

١- تم إثبات حقيقة أن هذا العضو ينتج مادة كيماوية لها علاقة، غير مباشرة على الأقل، بحالات مخدرة psychedelic states، أي تنتج عنصر كيماوي مخدر له تأثير نفساني وإرهاق للحس وإحداث تخیلات بالغبطة والقوة.

٢- كما أنه ينتج مادة كيماوية تقمع الوظيفة الجنسية.

لطالما صورت الأدبيات الدينية الصوفية في كل العصور وكافة المجتمعات "الشغف الصوفي" mystical passion المتجلى خلال حالة "البحران" بأنه نوعاً ما مضاد، أو منافس، "للشغف الشهواني الجسدي" carnal passion.

وقد اكتشف أكرلرود" أيضاً مع زملاءه حقيقة مذهلة أخرى: الغدة الصنوبرية تنتج مادتها الكيماوية بالتوافق مع نبضات دورية منتظمة، وهذه النبضات تنتمي لإيقاع الدورة اليومية circadian rhythm. وجدوا أن الغدة الصنوبرية تتجاوب بطريقة ما إلى الحالات المختلفة للضوء الشمسي، وإذا قاموا بالتلاعب بهذه الحالات الضوئية يستطيعون تمديد أو تقليص أو حتى موازنة إيقاع إنتاج الغدة للمادة الكيماوية.

إن لحقيقة استجابة الغدة الصنوبرية للضوء، رغم أنها بطريقة غير مباشرة عبر النظام العصبي، تطبيقات مفهومية عظيمة وبعيدة المدى. هناك الكثير من التغييرات السلوكية التي تحكم الحيوانات خلال تغيير المواسم، والتي يمكن إنتاجها صناعياً خارج سياق المواسم وفي المختبرات، وذلك عبر تحفيز النوع المناسب من ضوء النهار في أي توقيت نرغبه. لكن السؤال هو، هل هذه التغييرات

السلوكية الموسمية موجودة لدى الإنسان أيضاً؟ يبدو أن الإجابة على السؤال السابق واضحة بقدر وضوح الشمس. لطالما ارتبطت الاحتفالات الدينية الرئيسية في كل الثقافات حول العالم بمواقع الشمس في السماوات. لطالما مُنحت أهمية كُبرى للانقلابات الشمسية solstices (الشتوية والصيفية)، والاعتدالات الشمسية equinoxes (الربيعية والخريفية).

هل يُعقل بأن الغدة الصنوبرية لدى الإنسان تستجيب لهذه التغييرات الحاصلة في طول فترة النهار وجود الأشعة الشمسية اللذان يتبدلان مع التبدل الدوري لمواقع الشمس؟ يبدو أن التغييرات في الحالات العصبية داخل الدماغ قد تؤثر بشكل كبير على درجة إرهاف الحسّ عند بعض الأفراد الحساسين في تلك التوقيتات الموسمية المحددة. وهذه الإمكانية توفّر أبعاد جديدة كلياً لفهمنا الدنيوي لما نسميها "الممارسة الدينية". فمثلاً، بدأت الصورة تتوضّح بخصوص الهوس الذي كان يمتلك الشعوب القديمة بالشمس ومواقعها الفلكية الدورية.

أصبح يُشار إلى الغدة الصنوبرية مؤخراً على أنها نوع من الساعة البيولوجية، أي تتصرّف كنوع من النظام الجامع، ربما تعمل على إدارة العلاقات المرحلية مع نظام كوني متعدد الموجات. أي تعمل كمنسق حيّزي متعدد الإيقاعات البيولوجية. بمعنى آخر، الغدة الصنوبرية هي بكل بساطة "عين كونية". هي تستشعر، وتتناغم مع، الإيقاع الكوني. هي تولّف نظامنا البايو كيميائي لينسجم مع تلك الإيقاعات الضوئية المرهفة التي لا يمكن للعين العادية استشعارها، مثل التغييرات الموسمية لضوء القمر والشمس. يمكن رؤية "السيروتونين" Serotonin كمفتاح ضبط الكثافة في الدماغ. عندما يرتفع مستوى "السيروتونين"، يرتفع معه نشاط اللحاء الدماغي.

أصبح اشتباه كبير يحوم حول "السيروتونين" بصفته أحد العناصر الرئيسية الداخلة في حالات البحران (رهفة الحسّ وشعور غامر بالغبطة). تكشف الدراسات الآن بأن LSD-25 يدغر كالمقاتل الكيميائي الشرس، متغلغلاً في الحبيبات المستقبلية

للدماغ بشكل خاطف وسريع، ثم يغادر بسرعة، أي بعد عشرة أو عشرين دقيقة (في الحيوانات). عندما يغادر كامل الـLSD-25 من الحبيبات المستقبلة، تأخذ مكانها ما تبدو كميات زائدة من "السيروتونين". الـLSD-25 يخلق ما نسميه "التأثير الارتدادي" bouncing effect، كما النابض المضغوط بقوة. عندما يغادر الـLSD-25 النظام، ترتد "السيروتونين" كالنابض وتعوّض الفراغ الذي يخلفه.

العالم بالنسبة لمعظمنا، وفي معظم الوقت، هو عبارة عن بيئة داروينية (صراع عشوائي للبقاء). وجب علينا التماشي وفقاً لقوانينه، أو نحاول السيطرة عليها من أجل البقاء. هذه المتطلبات الضرورية للبقاء تصبغ وجهة نظرنا تجاه هذا العالم، ولازلنا نستمر في تقييمه وإصدار الأحكام بخصوصه. بعض هذه القيم والأحكام تستند على تجاربنا الشخصية، وبعضها الآخر توفرها الثقافة المحلية. هذه "المنظومة القيمية"، إذا صحّ التعبير، هي إحدى الأشياء التي تعطلها حالة البحران psychedelic state (أقصد هنا: إرهاف الحس وتخيلات بالغبطة والقوة التي تنتاب الفرد صناعياً عبر تناول أنواع معينة من المواد المخدرة، أو طبيعياً عبر إفرازات داخلية مثلاً). السؤال الجوهرى بخصوص حالات البحران يبقى: كم نسبة التعطيل التي يمكن "للمنظومة القيمية" تحمله؟ إن المشكلة المتمثلة بـ"كيفية المحافظة على جنون معين بينما العمل في الوقت نفسه بأعلى قمة العقلانية" قد شغلت علماء النفس طويلاً. يبدو أن هناك نقطة محددة يصبح فيها "الجنون المبدع" منحرفاً، أي يعيق الأداء بدلاً من تحفيزه.

على ضوء هذا التحليل، يستطيع "الشاماني" (طبيب القبيلة) أن يفصل مستقبلاته البايو/حسية من المنافذ الكونية (التي تأتي منها التأثيرات المحفزة). الطقوس والشعائر التي يمارسها صُممت خصيصاً لكي تحرره من سطوة تأثير بيئته الاجتماعية والكونية معاً. يمكن تحقيق هذا بنجاح عبر نوع من المواد المخدرة التي يتناولها خلال الشعائر. هذه المواد تعطل التناغم المتزامن لإيقاعاته الداخلية المحكومة بالتأثيرات الكونية. هذا التعطيل ينتج المزيد من الدخول المعلوماتي إلى هامش الصحة لديه. كما أنها توسّع هامش هذه الصحة أيضاً. هذا هو الهدف من

الطقوس أصلاً. أي، إنتاج حالة عقلية معينة بشكل اصطناعي، بدلاً من انتظار حدوثها في مواعيد موسمية دورية. أي بدلاً من انتظار الموعد الدوري الطبيعي لإفراز "السيروتونين" (الذي يُعتبر البوابة الطبيعية التي ينفذ عبرها الفرد إلى أبعاد أخرى لا يمكن للوعي العادي إدراكها)، وجد الشامانيون في نوع معين من المواد المخدرة بديلاً ناجحاً يمكن خلق ذات الحالة التي يخلقها إفراز "السيروتونين".

الإنسان هو كائن فريد من نوعه من ناحية استحواده من قبل الإلهامات الحدسية المتعلقة بدائرة الكون الغامض الذي يقطنه. لقد ابتكر لنفسه طيف واسع من الأدوات التي تكشف عن طبيعة هذا الكون. إن وصول الفهم العلمي إلى أعتاب الطقوس الشامانية ووظيفة العين الثالثة يوفر للإنسان آفاق جديدة وتقنيات قوية للاستكشاف. هذا سيسمح له باختراق أعماق الفضاء وامتداداته التجاوزية، حيث يقع تاريخ ملايين السنين من الذاكرة المتشابكة مع جذور النفس الأولية.

انتهت المقالة

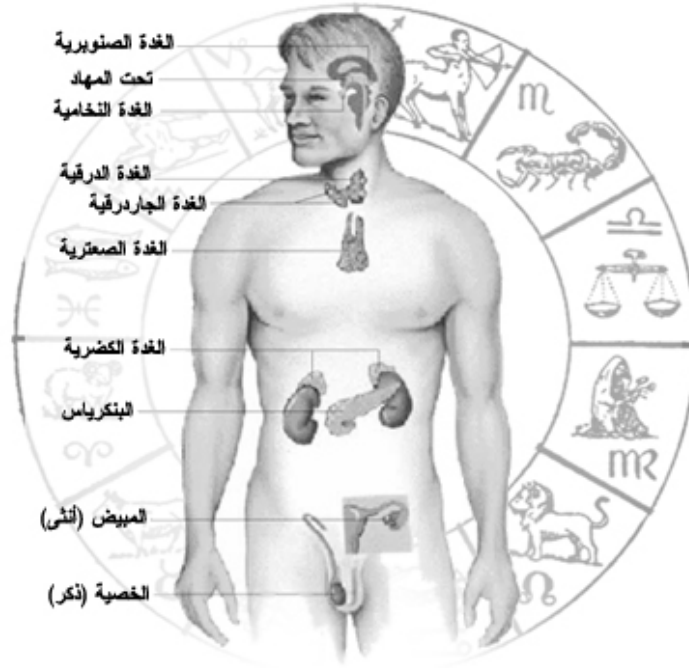
يبدو أن الغدة الصنوبرية ليست الوحيدة التي كشفت عن أسرارها البايو/فلكية. كل العدد الصماء لها مواعيد إفراز دورية، وجميعها أثبتت تناغمها مع تأثيرات إيقاعية للدورات الفلكية، وإفرازاتها تأثير ملموس على الحالة النفسية والعقلية والصحية للإنسان.

الإمكانات الماورائية للغدد الصماء

في كتابها الذي بعنوان "علم الفلك والغدد الصماء" ASTROLOGY AND THE DUCTLESS GLANDS (منشور في بدايات القرن الماضي)، وصفت الكاتبة الروحية "أوغوستا فوس هيندل" Augusta Foss Heindel الغدد الصماء بأنها "تجوم الكون الداخلي في جسم الإنسان". تضيف الكاتبة أيضاً بأن الاعتماد المتبادل والتعاون القائم بين الكواكب المختلفة في المجموعة الشمسية يُحافظ على الوجود المتوازن لكامل المنظومة، وكذلك الحال أيضاً مع الجهود الجماعية للغدد الصماء Endocrine glands خلال عملها على ضبط وتنظيم الوظائف المتناسقة للعقل والجسد. أما الروحي الأمريكي الشهير "أدغار كايسي" Edgar Cayce فقد زعم (في ثلاثينيات القرن الماضي) بأن الكنائس السبعة المذكورة في "سفر الرؤيا" (الإنجيل) ترمز إلى الغدد الصماء في الجسم (أي بمعنى آخر: "الشاكرا"). هذا النوع من الأوصاف المجازية: "تجوم الكون الداخلي" و"معابد الجسد"، وغيرها من استعارات كثيرة مشابهة يستخدمها الكتاب الروحيون، اقتبست أصلاً من تعاليم مصرية قديمة. خصوصاً تلك التي انحدرت إلى الزمن الحالي عبر محفل "الصليب الوردي" ROSICRUCIAN.

في الحقيقة، هذه الأفكار (التي كانت غريبة في حينها) لم تتبلور وتصبح مفهومة إلا بعد أن تناولها العلم الحديث عبر مجموعة من العلماء والباحثين العصريين. لقد تبين بالفعل أن حركة الأجرام السماوية (أو التدفقات الدورية لقوى كونية مجهولة المصدر) تؤثر في المادة على كوكبنا، وحتى على المستوى الجزيئي والذري. كما أنها تؤثر أيضاً على عناصر الوعي والعوامل النفسية للإنسان. إن نشاطات "النجوم الداخلية" (الغدد الصماء) في النظام الشمسي الكامن في داخلنا، تؤثر بصورة فعلية وملموسة في كينونتنا على كافة المستويات: الجسدي، العقلي، والعاطفي، وبشكل مترامن.

كافة أشكال الحياة موصولة ببعضها ومتكافلة. كل الأشياء الموجودة في العالم هي عبارة عن طاقات جماعية منبعثة من المصدر ذاته. كافة أشكال المادة تتذبذب بمستويات مختلفة من الطاقة، لكن رغم ذلك تبقى متداخلة وموصولة ببعضها. لقد تعرفنا في فصول سابقة على حقيقة أن جسدنا المادي مُحاط بطبقات متداخلة من الأجسام الخفية. هذه الأجسام الخفية تتذبذب بوتيرة عالية جداً مما يجعلها "خفية" عن مجال إدراكنا. لكن هذا لا يمنعها من أداء وظائف مهمة وأساسية للمحافظة على كينونتنا. يمكن تصنيف هذه الأجسام الخفية إلى قسمين رئيسيين: الجسم الأثيري، والجسم الروحي. الجسم الأثيري يتناغم مع (أي يتجاوب مع) الذبذبات عالية الوتيرة القادمة من الكون ثم يحول هذه الطاقة المرهفة إلى الجسم عبر الغدد الصماء. الوظيفة الأساسية لهذه الغدد هو ضبط وتنظيم عملية الاستقلاب، وتواظب كذلك على حسن أداء كافة الأعضاء والأنظمة الأخرى في الجسم.



كل الغدد الصماء لها مواعيد إفراز دورية، تتناغم مع دورات فلكية معينة، وإفرازاتها تؤثر ملموس على الحالة النفسية والعقلية والصحية للإنسان.

صلة الوصل بين الجسم الأثيري والجسم المادي تتمثل بالعلاقة بين "الشاكرات" (دوامات الطاقة) و"الغدد الصماء". لهذا السبب نلاحظ أن مواقع "الشاكرات" تتوافق مع مواقع "الغدد الصماء" في الجسم. إذا كانت منظومة "الشاكرات" غير متوازنة، فهذا سيؤدي حتماً إلى حصول خلل في أداء الغدد الصماء. وبشكل معاكس، إذا كان أداء الغدد الصماء غير متوازن (نتيجة الحالة النفسية مثلاً، أو سوء النظام الغذائي..)، فهذا سيؤدي حتماً إلى حصول خلل في أداء "الشاكرات". كل تأثير كوني (ينسبونها إلى نجوم، كواكب، مجرات.. إلى آخره) له وتيرة تردد معينة من الانبعاث الكهرومغناطيسي، والتي تتناغم مع إحدى "الشاكرات" في الجسم الأثيري، ثم تتفاعل عبرها مع الغدة الصماء المرتبطة بها، وهذا يؤدي حتماً إلى التأثير بطريقة ما على مزاج الفرد وصحته.

إذاً، هذه الغدد تمثل مراكز مادية/أثيرية تتناغم وتيرة نشاطها (إفرازاتها) مع نشاطات كونية دورية. كافة العناصر المادية والجزئيات العضوية في الكائنات الحية على كوكب الأرض تستقبل تأثيرات هذه النشاطات الكونية عبر علاقتها البنوية الذرية. الغدد الصماء مرتبطة أيضاً بمراكز طاقة تجاوزية، وهي "الشاكرات" المذكورة سابقاً. وتحفيز هذه الغدد ليس متصلاً بالمستوى المادي للجسم فحسب بل بالمستوى العقلي والعاطفي أيضاً. فبالنتالي، من المؤكد أن لهذه الغدد علاقة معينة بمراكز خفية لمستويات عليا من الوعي، والذي بدوره يمنح مجموعة من العطايا الثمينة للإنسان عبر النشاطات الهرمونية لهذه الغدد.

أما الآلية العلمية التي تجري وفقها هذه العملية فقد اكتشفت من العقود الأولى للقرن الماضي، حيث تم دراسة العلاقة التي تربط نمط التغيرات الحاصلة في النشاطات الشمسية (وقوى فلكية أخرى) بتلك الحاصلة في الجيومغناطيسية الأرضية التي تتذبذب بنفس وتيرة الموجات الدماغية للكائنات الحية، بما فيها الإنسان. الموضوع التالي سيوضح الفكرة باختصار.

النشاطات الكونية، الجيومغناطيسية الأرضية، والموجات الدماغية

خلاصة مختصرة

في العام ١٩٥٢، تقدم الفيزيائي الألماني "و.و. شومان" W. O. Schumann بفرضية أن الكرة الأرضية، بصفتها ناقل كهربائي جيد، مُحاطة بطبقة عازلة جيّدة تُسمى "هواء"، ويحيط هذه الطبقة ناقل كهربائي آخر جيد يُسمى "الغلاف الأيوني" ionosphere (يقصد الطبقة الثانية من الكرة الجوية الأيونية التي تعكس الأمواج الشعاعية القصيرة)، واستنتج بأن هذا الترتيب الطبقي يمثل منظومة رنين مُحتملة. هذا يعني أن أي طاقة محبوسة بين الأرض والغلاف الأيوني، كالعواصف الرعدية مثلاً، سيجعل هذه الطبقة ترنّ كالجرس. هذا الرنين أصبح يُعرف بـ"رنين شومان" Schumann Resonance، الذي يتذبذب بوتيرة موجات "شديدة الانخفاض" ELF. لكن المفاجأة كانت أن وتيرة تردد هذا الرنين متطابقة تماماً مع الطيف الموجي للذبذبات الدماغية البشرية. أدت الأبحاث التي أجريت على هذه الظاهرة إلى اكتشاف ظاهرة أكثر هولاً: تأثير النشاطات الشمسية والجيومغناطيسية على الموجات الدماغية.

العصبونات (الخلايا العصبية neurons) المسؤولة عن العاطفة، التفكير، الذاكرة، وردّ الفعل تستخدم "أيونات كلسيّة" calcium ion متذبذبة وإشارات "تواقل عصبية" تتذبذب عموماً ضمن مجال وتيرة تحت [٥٠] هيرتز. الموجات الدماغية البشرية تتذبذب بنفس مجال الوتيرة التي لإشارة "الموجات شديدة الانخفاض" ELF التابعة للأرض، أي "رنين شومان"، المنتشرة حول العالم وفق نمط دوري وموسمي يتناغم تماماً مع نمط المواعيد الدورية لإفراز هرمون "الميلاتونين" melatonin. تتغيّر شدة إشارة "رنين شومان" (ترددات بين [٦] و[٥٠] دورة في الثانية) بشكل دوري ومنتظم يومياً (حوالي [٥,٥] هيرتز للأعلى والأسفل) وذلك بشكل مترامن مع تغيّر النشاط الجيومغناطيسي Geomagnetic Activity. أثبتت دراسات كثيرة على الحيوانات أن مجالات "الموجات شديدة الانخفاض"

ELF تستطيع إخفاض معدل "الميلاتونين" في الجسم. في العام ٢٠٠١، أكثر من ١٣ دراسة علمية أثبتت أن البشر المعرّضون لمجالات معينة من "موجات شديدة الانخفاض" يعانون من انخفاض ملفت لهرمون "الميلاتونين" في أجسامهم. بما أن "الميلاتونين" و"السيراتونين" هما الهرمونان الرئيسيان "اليوماويان" (يُفرزان وفق إيقاعات يومية)، وأن كافة الأعضاء الحيوية (مثل الدماغ، تحت المهاد، النظام العصبي المركزي، الجهاز اللمفاوي، القلب، الرئتين، الكلاوي، الرحم، الخصيتين، الجنين،...) تملك جميعاً مستقبلات خاصة لهذين الهرمونين، هذا يجعلنا نستنتج بأن العامل الذي يتحكم بالتبديل الدوري لتوازن الميلاتونين/سيراتونين يستطيع بالتالي التأثير على كافة أعضاء الجسم.

كافة أنواع السلوك، بما في ذلك جوانب الوعي، تولد من، وتتناغم مع، النشاطات الدماغية. هذه النشاطات الدماغية تبدو على شكل مصفوفات معقدة من الأنماط الكهرومغناطيسية ومتزامنة مع تغيرات كيميائية في الجسم (إفرازات هرمونية). يمكن إحداث نشاطات دماغية معينة عبر إحداث تغيير في وتيرة الموجات الدماغية (أنظر في موضوع الدماغ لاحقاً). وبالتالي، بما أن الذبذبات المرهفة للمجالات المغناطيسية التي تولدها الكرة الأرضية (أو تكنولوجيا من صنع الإنسان) تستطيع إحداث تغيير في الموجات الدماغية فتغير نوعية نشاط الدماغ، هذا يعني أنها تستطيع التأثير مباشرة على "الوعي" البشري وسلوكه. العامل الجوهرية ليس مدى شدة هذه المجالات بل نمط تذبذبها الذي يتناغم مع الدماغ كافي لإحداث التأثير.

النشاطات الدماغية المرتبطة بالوعي تتجاوب بشكل كبير مع تغيرات طفيفة في النشاط الجيومغناطيسي الأرضي. هذه التغييرات في الوعي تشمل تبدلات في نمط الأحلام، الحساسية الكهربائية العصبية لمجموعات معينة من الخلايا الدماغية، القدرة على التركيز خلال اليوم،... وغيرها.

لأن كل الكائنات البشرية مغمورة في المجال الجيومغناطيسي، هذا يجعلنا مرتبطين جوهرياً بهذا المجال، وبتأثر بذبذباته المتغيرة على الدوام. أي تغيير

طفيف في نشاطات المغناطيسية الأرضية (بسبب النشاطات الشمسية المتبدلة) سوف يحدث تغييراً في الكائن البشري، وعلى كافة مستوياته. وهذا يؤدي بنا إلى السؤال المخيف: هل كانت معرفة القدماء شاملة وتفصيلية إلى هذا الحد؟!

هل كان هذا السبب وراء هوس الكهنة القدامى في ترقب مواعيد أيام محددة في السنة (مواعيد الانقلاب الشمسي الشتوي والصيفي، والاعتدال الشمسي الربيعي والخريفي المذكورة سابقاً)، حيث تشهد تغيرات جذرية في وتيرة تردد المغناطيسية الأرضية مما يحدث تغيرات جوهرية في وعي الإنسان ومنظومته البيولوجية عموماً؟ السؤال الأخطر هو: هل صحيح أنه في هذه المواعيد المحددة في السنة يمكن للكهنة (المطلعين على هذا السر) أن يزرعوا إحياءات معينة في عقول الرعايا دون أن يشعروا بذلك حتى، وذلك خلال الطقوس الاحتفالية المقامة في هذه المناسبات، بهدف التحكم بسلوكهم طوال أيام السنة المقبلة؟



الدائرة الفلكية المصرية، وتعتبر أساس الدائرة الفلكية الحديثة، صُممت بهدف تحديد مواعيد محددة من السنة لها أهمية كبرى بالنسبة للكهنة

لا نستطيع الإجابة على هذه الأسئلة بشكل دقيق، لأن الأمر يتطلب المزيد من المعلومات عن هذه الظاهرة، لكن يبدو أن هناك من بدأ يشارك الكهنة القدامى بهذا الاهتمام الفلكي في العصر الحديث، بدأ الأمر منذ أيام الاستخبارات الألمانية النازية، ثم تلاها مباشرة الاستخبارات الأمريكية والسوفيتية في أواخر الأربعينات من القرن الماضي. ويُقال بأن "الهاتف الجوّال" الذي دخل إلى حياتنا اليومية على نطاق واسع يمثل امتداد لهذه التكنولوجيا السريّة، والغاية الرئيسية هي التحكم بالمزاج والسلوك الجماهيري حسب الرغبة والطلب، وذلك عن طريق بثّ أنماط معيّنة من موجات شديدة الانخفاض ELF تساهم في زيادة نسبة إفرزات هورمونية معيّنة في الجسم مما يؤدي إلى إحداث تغييرات معيّنة في وعي الفرد وسلوكه.

لكن على أي حال، ومهما كان الأمر، هذا الكتاب مُكرّس للحديث عن استثمار التأثيرات الفلكية لغايات روحانية تعمل على ترقية وتنشيط الجانب التجاوزي للفرد، أما الطرق الشيطانية الأخرى التي يتبعها "الأبالسة" للسيطرة على البشرية، فسوف أتناولها في إصدار آخر مخصّص لهذا الغرض.

خلاصة

من بين أهم ما تعرفنا عليه في الفصول السابقة هو ذلك المستوى من كينونتنا والذي لازال غائب تماماً من مناهجنا العلمية. علمائنا المنهجين لا يتجاهلونه فحسب، بل يرفضون وجوده أصلاً! إنه "الجسم الطاقى الحيوي". وقد تعرفنا على إثباتات مخبرية تكشف عن العلاقة الصميمة بين الوعي وهذا "الحقل من الطاقة"، وبالتالي لم يعد مجدياً تجاهل حقيقة أن مسيرة التجسيد المادي يبدأ أصلاً من الوعي نزولاً عبر المستوى الأثيري ووصولاً إلى المستوى المادي، وليس العكس، كما يصوره العلم المنهجي. لقد أصبح واضحاً أن أي تغيير في حالة الوعي يخلق تغييراً في حقل الطاقة. والتغيير في حقل الطاقة يحصل قبل التغيير في الجسد المادي. وبالتالي، مسيرة التجسيد المادي تبدأ من مستوى الوعي، عبر حقل الطاقة، وصولاً إلى الجسد المادي. عندما ننظر إلى الأشياء بهذه الطريقة، نرى بأنه ليس الجسد المادي يخلق حقل الطاقة أو "الهالة"، بل حقل الطاقة هو الذي يخلق الجسد المادي. أي أن ما نراه كجسد مادي مائل أمامنا هو عبارة عن مرحلة نهائية لعملية طويلة تبدأ أصلاً من مستوى الوعي.

تبيّن أيضاً من خلال الأبحاث التي اطلعنا عليها أن "الشاكرات"، تلك المراكز الكثيفة من الطاقة الأثيرية، لها أهمية بالغة في كينونتنا وعلى كافة المستويات. يبدو أن لهذه المراكز وظائف عديدة تتجاوز كونها مجرد دوامات أثيرية كثيفة تمتص الطاقة للداخل وتلفظها خارجاً، أو يتباطأ دورانها أو يتسارع حسب الحالة النفسية والفكرية (الوعي عموماً)، بل تعمل بنفس طريقة منظمات التحويل الكهربائي، حيث تحوّل أشكال مختلفة من الطاقات التجاوزية والكونية المتدفقة إلى الجسم عبر "حقل الطاقة" إلى شكل آخر من الطاقة لتصبح قابلة لأن يقرأها الجسم ويستثمرها على طريقته البيولوجية الخاصة.

لكن الذي يهمنا من هذا كله هو أنه بعد اطلاعنا على الأوصاف والتعريفات المختلفة التي تناولت الشاكرات من جوانب عدة، أصبحنا نعلم السبب وراء اهتمام

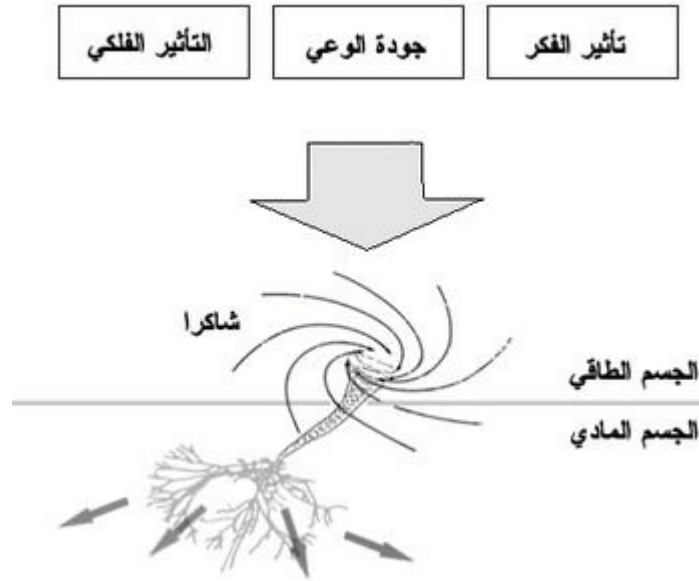
المدارس الشرفية بها. لكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد، فقد أصبحنا أيضاً نعلم السبب وراء وجود مدارس روحية كثيرة أخرى لا تعتمد على الشاكرات، أو حتى أنها تجهل وجودها أصلاً، لكنها مع ذلك تتجح في بلوغ حالة التنوير (النيرفانا أو الكونداليني). في الوقت الذي تهمل فيه هذه المدارس الأخيرة مفهوم "الشاكرات" وتركز اهتمامها على مفهوم "الوعي"، يبدو أنها تجهل حقيقة أن تعاليمها مرتبطة بهذه المراكز الطاقية بطريقة أو بأخرى. صحيح أن الدور الرئيسي هو للوعي في التأثير على الجسم، لكن هذا لا يتم دون المرور عبر الشاكرات.

وفي الحقيقة، الشاكرات تلعب دور الوسيلة في كافة حالات تأثير الوعي على الجسم. ومن خلال ما اطلعنا عليه من حقائق بخصوص هذه المراكز الطاقية، يمكننا استنتاج ثلاثة وسائل مختلفة للتأثير على الشاكرات، ويبدو أنها الوسائل الوحيدة المتبعة في كافة المدارس الروحية حول العالم، إن كان بشكل مباشر أو غير مباشر:

١- الطريقة الفكرية: أي التأثير على الشاكرات مباشرة بواسطة الفكر. أشهر من يتبع هذه الطريقة هي مدرسة "كونداليني يوغا". يتم تفعيل الشاكرات بشكل مباشر عبر التأمل التصوري، أو تمارين التنفس (براناياما).

٢- معالجة الوعي: أي التأثير على الشاكرات بطريقة غير مباشرة، وذلك من خلال رفع جودة الوعي، عبر تحسين طريقة التفكير (الزهد) بهدف تحرير الإنسان من الانغماس في الشؤون الدنيوية فيسوده الهدوء النفسي والفكري، كما يتبعه نظام باتانجالي لليوغا، ومدارس صوفية أخرى سنتعرف عليها لاحقاً.

٣- التأثير الفلكي: أي التأثير الدوري لقوى كونية معينة تحدث في مواعيد محددة. وقد رأينا هذا التأثير بوضوح من خلال دراسة الغدد الصماء. أشهر المدارس الروحية التي اتبعت هذه الطريقة هي المصرية القديمة (لاهوت أوزيريس، ولاهوت رع)، وسوف نتحدث عنها بالتفصيل في الجزء القادم.



تلعب الشاكرات دور "الصنابير" التي تنظّم عملية تدفق الطاقات المختلفة إلى كينونة الفرد. هناك ثلاثة طرق مختلفة للتحكم بهذه "الصنابير" للسيطرة على عملية التدفق، وهي: [١] التأثير بالفكر، [٢] تحسين جودة الوعي، [٣] التأثير الفلكي.

التفعيل المباشر للشاكرات

مُعظم مدارس اليوغا (وكافة المذاهب الصوفية الأخرى) تلجأ إلى رفع جودة الوعي (الالتزام بطريقة حياة خاصة) بصفقتها الوسيلة الأكثر جدوى وأمان لتفعيل الشاكرات بطريقة غير مباشرة (وفقاً لمعادلة تأثير الوعي على الشاكرات). بينما نجد مدارس قليلة جداً، مثل "الكونداليني يوغا" تذهب إلى تفعيل الشاكرات مباشرة.

السبب الذي يجعل معظم مدارس اليوغا تتجنب التفعيل المباشر للشاكرات يرتكز على قدر كبير من الحكمة، حيث كل من يفقه بهذه المراكز الطاقية يعلم أن تفعيلها المباشر، صحيح أنه سهل وميسر، لكن نتائجه خطيرة. إن تفعيل الشاكرات

والسماح بتدفق كميات كبيرة من الطاقات المختلفة إلى كينونة الفرد ودون أي تحضير مسبق لذلك سيؤدي إلى عواقب وخيمة بالفعل. حتى أن مدرسة الكونداليني يوغا التي تتبع طريقة التفعيل المباشر للشاكرات، لا تنصح الشخص بالقيام بذلك إذا لم يبلغ مرحلة عالية من التطور الروحي، وأقصد بذلك "بلوغ الحالة الجسدية والعقلية المناسبة"، وسنعلم لاحقاً بأن هذه الحالة تعني من الناحية التقنية "ارتفاع وتيرةذبذبة الوعي والجسم".

إن أي محاولة من قبل الطالب غير المتطور روحياً (بالمعنى التقني) أو في غياب معلّم أو أي تدريبات تحضيرية مسبقة، لتفعيل هذه الشاكرات سيُجلب إلى نفسه الكوارث حتماً. إذا افترضنا أنه نجح في تفعيلها، يكون بذلك قد فتح "صنابير" الطاقة على مصراعيها وتدفقت إلى كينونته كميات كبيرة من أشكال الطاقة المختلفة مرّة واحدة، كل ذلك مع عجزه الكامل للسيطرة عليها فتسيطر هي عليه. والأمر الأخطر هو بعد تجلّي هذه الحالة (صحوة الكونداليني) لا يمكن إلغائها أو تنويمها مجدداً. وهذا سيؤدي إلى حصول حالات خلل جسدية وعقلية، أو حتى علل وأمراض، وحتى الجنون أو الموت. ماذا سيتوقع هذا الأحمق أن يحصل بعد أن أصبح وجهاً لوجه مع العالم التجاوزي ولازال يجهل كيف يستخدم عقله للتعامل معه بشكل سليم؟

قبل أي محاولة للتلاعب بهذه المراكز الطاقية الرئيسية، وجب أولاً صقل القوى والقدرات الفكرية والتجاوزية، وهذا لا يمكن أن يتم من خلال الطرق السطحية المُتبعة لتفعيل الشاكرات اصطناعياً والتي تعتمد على تركيز الفكر على مواقع معيّنة في الجسم والرأس. الطريقة الآمنة الوحيدة هي تجاهل الجسد أصلاً وكل آلياته ووظائفه، والتركيز كلياً على رفع جودة الوعي وترك عملية تفعيل الشاكرات تتطور لوحدها وبشكل طبيعي وسليم. وحينها تبدأ القوى التجاوزية بالتجلّي الواحدة تلو الأخرى وتتوافق مع الجسم بشكل متناغم.



إن الدخول إلى العالم التجاوزي من باب تفعيل الشاكرات فقط (دون أي تحضير عقلي ونفسي مسبق) هو مشابه لدخول طفل صغير إلى حلبة مصارعة ليواجه مصارع عملاق، ويمكنك تصوّر النتيجة عندما نفترض بأن هذا المصارع استخدم كامل قوته وحرفيته لمناوحة الطفل.

عندما كان المعلمون الأوائل يشددون على إتباع سلوكيات أخلاقية محددة وصارمة، فهذا لأسباب تتعلق بمسائل بعيدة كل البعد عن الروحانيات الماورائية والمسلّمات اللاهوتية أو غيرها. الأسباب هي تقنية وعلمية صرف، وتعلّق بالطاقة الحيوية وآلية تفاعلها مع المنظومة العقلية البشرية. هذه الطاقة، إذا تدفقت بكميات كبيرة إلى كينونة الإنسان العقلية والجسدية في الوقت الذي يكون فيه جاهلاً لكيفية استخدام عقله بطريقة سليمة، سوف يُصاب بأذى كبير. هذه الفكرة بالذات ستوضح جيداً عبر الفصول التالية.

رياضة اليوغا

بصفتها مناهج تحضيرية للتعامل مع العالم التجاوزي

لقد اكتشف الحكماء اليوغيون حقيقة أن كوامن القدرات الخارقة هي سمات فطرية أساسية متجسدة في "القرص الصلب" لكامل الفصيلة البشرية (وفق مفهوم "الكمبيوتر" الذي ذكرته في الجزء الأول). أدركوا هذه الحقيقة من خلال التجسيّدات التلقائية لعدد كبير من القدرات الاستثنائية بين الأفراد في مناسبات مختلفة. وقد استطاعوا بناء مناهج تدريبية صارمة، كاملة متكاملة وعالية التنظيم، بهدف تطوير تلك القدرات "التلقائية" حتى أصبحت تحت سيطرة الإرادة بحيث تبرز حسب الرغبة وحين الطلب ("سيدهيات" Sidhis). أي بمعنى آخر: القدرات الخارقة التي كانت تتجسّد تلقائياً دون سابق معرفة أو إرادة أصبحت (بعد خوض النظام التدريبي) في حالة تجعلها تخضع للإرادة والتحكّم حسب الرغبة.

بالنسبة لليوغيين، خُلق الكائن البشري مجهّزاً بعقل حيوي يحوز على قوى كامنة. لكنه خُلق بحالة بدائية (خام)، أي يبقى هذا العقل في حالة عدم تنظيم إلى أن يخضع لعملية تنظيم صحيحة ومدروسة بشكل جيّد. الأمر ذاته ينطبق على الجسم وتكويناته العضوية والأثرية، التي هي أيضاً تكون في حالة بدائية (خام) إن كان من حيث أدائها الوظيفي أو جريان "البرانا" فيها. والقصد هنا من عبارة "عملية تنظيم صحيح" هو أنها تشبه عملية تزويد جهاز الكمبيوتر لديك ببرنامج محدّد. فالعقل هو الكمبيوتر والبرنامج هو المعلومات المناسبة التي توفّر الشروط المناسبة لاستنهاض القدرات العقلية الخارقة بشكل صحيح. ومن هنا يأتي دور "المنظومة المعلوماتية الذهنية" mental information grids، وهي "المنظومة المعلوماتية" التي تسمح بالتعرف على، ومن ثم الاندماج مع، الطيف الواسع من الملكات العقلية/الجسدية الكامنة في فصيلتنا البشرية. من المؤكّد أن تحميل "برنامج معلوماتي صحيح" سيساهم في "تنظيم" العقل الحيوي بحيث يجعله يرتقي إلى مستويات رفيعة من منهجية التفكير الفعّال. بينما على الجانب الآخر، إن تحميل "برنامج معلوماتي خاطئ" سوف يفعل العكس تماماً.

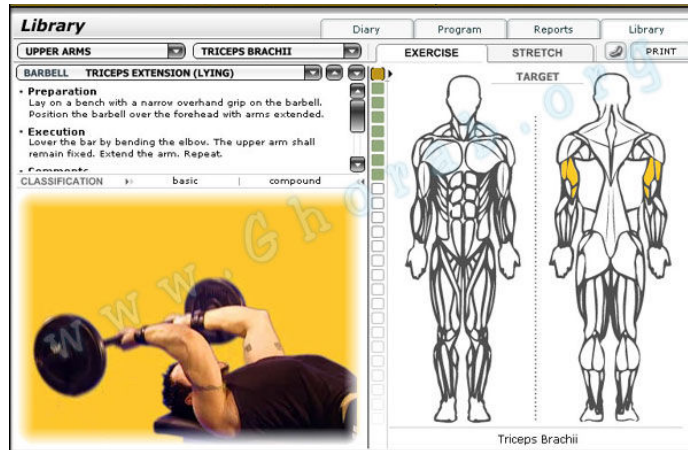
لقد نجحت تعاليم اليوغا فعلاً، وبكفاءة عالية، في رفع الإنسان الدنيوي إلى أعلى مراتب التطور الروحي. وليس هذا فحسب، بل نجحت في تطوير عدد لا يُحصى من القدرات الاستثنائية الكامنة في جوهره. وقد فعلت هذا عبر إتباع إستراتيجية تدريبية مؤلفة من طريقتين متلازمتين: [١] تزويد المرید ببرنامج معلوماتي جديد عن طبيعته الحقيقية ومكانته في الكون، [٢] تفعيل القدرات الخارقة المرغوب استنهاؤها عبر ممارسة تدريبات محددة ومدروسة بعناية بالاستناد على ذلك البرنامج المعلوماتي الجديد.

أحد أهم تلك المعلومات الجديدة التي يتعرف عليها الممارس اليوغي هي تلك المتعلقة بتشريح كينونته الجسدية. وفي غياب هذه المعرفة الدقيقة والتفصيلية عن تشريحه الجسدي لا يمكن النجاح في تحضيره (أي الجسد) لكي يصبح مناسباً للتعامل مع العوالم الروحية والخوارق العقلية، إذا صح التعبير. وهذه طبعاً إحدى الغايات الرئيسية من منهج التدريب اليوغي.

هذه العملية مشابهة تماماً لتلك الرياضة الجسدية المألوفة اليوم، والمعروفة بالرياضة "بناء الأجسام". فهذه الأخيرة تحضّر جسم الممارس لكي يناسب الرياضات الجسدية الثقيلة مثل المصارعة ورفع الأثقال والملاكمة.. إلى آخره. لكن لا يمكن النجاح بهذا النوع من المناهج التدريبية دون معرفة تفصيلية عن النظام العضلي/العصبي في الجسم.



الفرق بين رياضة "اليوغا" ورياضة بناء الأجسام هو أن الأخيرة تتعامل بشكل أساسي مع الجانب العضلي من الجسم بما يشمل من تمارين خاصة ومنظومة غذائية خاصة ومفاهيم مختلفة بخصوص الجسم عموماً.



بناء الأجسام يتعامل بشكل أساسي مع الجانب العضلي من الجسم بما يشمله من تمارين خاصة ومنظومة غذائية خاصة ومفاهيم مختلفة بخصوص الجسم عموماً.

أما بخصوص رياضة "اليوغا"، فهي مشابهة من حيث المبدأ رغم اختلافها من حيث الموضوع والغاية. هي تهدف أولاً إلى تنشيط ذلك الجانب من الجسم المتعلق بتعزيز العناصر المسؤولة عن آليات القدرات الخارقة أو التعامل مع العالم التجاوزي عموماً، وهذا الجانب ليس له علاقة بأي من تلك الجوانب الجسدية التي تعلمناها في دروس التشريح في المدرسة. المسألة لا تتعلق بالجهاز العضلي ولا العظمي ولا العصبي، بل بمنظومة خفية تماماً عن إدراكنا المرئي والملموس رغم وجودها فعلياً وتلعب دوراً جوهرياً للمحافظة على بقائنا، كما رأينا في الفصول السابقة. وبسبب طبيعتها الخفية تجاهلها العلم المنهجي تماماً خلال تناول موضوع تشريح جسم الإنسان. نحن نتكلم عن منظومة الطاقة الحيوية التي لها مساراتها وتياراتها ومراكزها الخاصة، مثلها مثل أي جهاز آخر في الجسم (كما رأينا سابقاً). إنها تمثل دارة طاقة قائمة بذاتها ومنتشرة في كافة أنحاء الجسم كما تنتشر العروق العصبية والأوردة الدموية. هذه الحقيقة لم تعد تعتمد على مزاعم اليوغيين وغيرهم من متصوفي الحضارات الغابرة فحسب بل أثبتت علمياً وأصبح لها مصطلحات علمية خاصة تشير إليها. هذا الجانب أصبح معروف اليوم باسم "الجسم الطاقوي الحيوي" BioEnergetic Body، وقد تعرفنا على بعض تفاصيله في الفصول السابقة.

وظيفة تعاليم اليوغا هي إعادة ربط توصيلات هذه المنظومة الطاقوية المؤلفة من "الجسم الطاقوي الحيوي" و"العقل" و"الشاكرات"، ثم تنشيطه عبر تدريبات محددة. هذه التدريبات تؤلف منظومة عقلية/طاقوية خاصة تتألف من عنصرين رئيسيين متداخلين لدرجة الاندماج: [١] الوعي، و[٢] الجسم الطاقوي.

تحرص التدريبات على التوافق بين هذين العنصرين (المندمجين عملياً) خلال التمارين، بحيث تجري خلالها عمليتين مترامنتين:

١- فيما يتعلق بعنصر الوعي: تحسين جودة الوعي، تنشيط الوعي الديناميكي، تعزيز حالات الوعي البديلة.

٢- فيما يتعلّق بعنصر الجسم الطّاقِي: تنشيط الجسم الطّاقِي، رفع وتيرة ذبذبته في الحالة العادية، رفع نسبة تدفّق الطاقة إليه، إخضاعه لسيطرة العقل (الإرادة).

من أجل أن نستوعب هذه العملية بشكل جيّد، سوف نتعرّف على العناصر الأساسية التي تتمحور حولها التدريبات. سنعمل ذلك من خلال الاطلاع على المواضيع التالية:

الصفحة	
١٧٧	التأمّل والوعي البديل
١٨٨	العلم المنهجي وربط الوعي بالدماغ
١٩٤	الموجات الدماغية
٢٠١	الموجات الدماغية وحالات الوعي البديلة
٢١١	الوعي بصفته الطاقة
٢٣٦	الوعي بصفته تفاعل معلوماتي مع البيئة المحيطة
٢٨٤	التصوّف ورفع جودة الوعي
٢٨٧	التجربة الصوفية
٢٩١	العالم التّجاوِزي ومستوياته
٣٠١	الحياة الدنيوية والحياة الروحانية ومستوى الذبذبة
٣١١	التصوّف في البوغا
٣١٣	الصوفية الإسلامية
٣١٤	البونية
٣١٨	جودة الوعي

التأمل والوعي البديل

حالة الوعي البديلة هي حالة وعي تختلف تماماً عن حالة الوعي الطبيعية التي يتمتع بها الشخص. يمكن أن تختلف هذه الحالة البديلة من الوعي من مجرد حالة شروذ ذهني إلى حالة غشبية أو بحران أو شبه غيبوبة أو حتى غيبوبة كاملة. وهذا يجعلنا نستنتج بأن هناك درجات متفاوتة للوعي.

حالة الوعي البديلة هي بشكل عام حصول تبدل في محتوى وأداء الوعي لدى الفرد ويلاحظها الحاضرون. كثيراً ما يظهر الأشخاص في هذه الحالة بأنهم في حالة شبه نائمة تُسمى عامةً بالغشبية (أو شبه غيبوبة) trance. من بين التأثيرات بعيدة المدى الملحوظة بعد فترة من دخول النوع النشط من هذه الحالة (البحران أو النشوة الروحية) هو حصول تحول جذري في إدراك الشخص لنفسه والبيئة المحيطة به، مما ينتج من ذلك إعادة تعريف شبه دائمة للذات وللعالم والقيم الاجتماعية بشكل عام.

هناك أنواع (أو مستويات) من حالات الوعي البديلة، ويتم إحداثها إما ذاتياً أو بواسطة آخرين، لكن ليس جميعها تنتج تأثيرات بعيدة المدى كالحالات النشطة المذكورة سابقاً. بعض المجموعات الدينية تنشُد إحداث هذه الحالة من الوعي البديل في أشخاص معينين (وسطاء صوفيين...) بهدف استخلاص منهم التبصر الروحي وتطوير القيم. أقرب الأمثلة على هذه الحالات البديلة من الوعي هي ما تسمى "التجربة الصوفية" mystical experiences.

في حالة التصوف mysticism، يمكن لحالة الوعي البديلة أن تكون كاملة أو جزئية. عندما تكون جزئية، يمكن أن تكون مجرد شعور، وغالباً ما يكون هذا الشعور بشكل عام "اتحاد" أو "اندماج" مع الله أو الكون أو التور أو غيرها من مفاهيم ومصطلحات تشير إلى هذا المحتوى العقلي الذي يغمرنا. يستطيع المتصوفون إحداث حالة وعي بديلة من خلال الصيام الشديد، الجلوس بوضعية

جسدية مجهدة لفترات طويلة، أو التركيز المُكثّف. وعند دخوله هذه الحالة من الوعي البديل، يصبح المتصوّف غير شاعر ببيئته الفيزيائية بما في ذلك المضايقات الجسدية التي يعانها. وبدلاً من ذلك، يغوص في رحاب الوعي الوجداني العميق أو يخوض مغامرات عقلية وفكرية استثنائية.

أما في مجال السحر الشعائري، فتُعتبر عملية الدخول في حالة وعي بديلة من العناصر الأساسية لاستنهاض القوى السحرية. يتم ذلك غالباً عبر الخوض في طقوس معينة تختلف حسب اختلاف ثقافة الساحر ومنهجه السحري. لكن بشكل عام، هذه الطقوس السحرية هي عبارة عن تصرفات يقوم بها الساحر خلال التعرّيم (الذي يشمل التلاوة والتركيز على الهدف وتصوّر الغاية من السحر). وتتراوح هذه التصرفات بين الرقص أو هزّ الرأس أو غيرها من حركات، أو الجلوس بوضعية العبادة (التضرّع أمام صنم معين أو التوجّه لله)، أو استخدام أدوات سحرية مثل "الخشخاش" أو الطبلّة أو غيرها من أشياء تسعده في هذه الحالة من الوعي البديل.

يتم الاستعانة بحالة الوعي البديل لدى الشامانيين أيضاً. وهذه الحالة هي ذاتية التفعيل من قبل الشاماني وغالباً ما تُسمى "حالة الوعي الشامانية" shamanic state of consciousness. ويمكن لهذه الحالة أن تتراوح بين نوم خفيف (غشبية) إلى غيبوبة كاملة (إغماء)، فيتمكن خلالها الشاماني من رؤية الأشياء أو القيام بمهمات في واقع ماورائي يختلف تماماً عن الواقع المألوف الذي نخبره في حالة الصحة العادية. وفي هذه الحالة بالذات يستطيع الشاماني إنجاز معجزاته العلاجية إن كانت جسدية أو روحية. هناك مجموعات شعائرية كثيرة تتناول المواد المخدّرة لإحداث هذه الحالة من الوعي البديل. مع العلم بأن بعض هذه المخدرات قد تكون خطرة جداً ولها تأثيرات سلبية بعيدة المدى.

أفضل الوسائل المتبعة للدخول في حالات وعي بديلة هي ممارسة التأمل. ولهذه الأخيرة أشكال وهيئات مختلفة سوف نتعرّف عليها في الصفحات القادمة.

التأمل

القصْد من التأمل هنا هو أي تمرين أو ممارسة عقلية و/أو جسدية تمكّن الفرد من تبديل حالة الوعي لديه، أو بمعنى آخر، تحقيق مستويات أعلى من الوعي. يُمارس التأمل عموماً لإحراز حالة من التحسين الذاتي والنمو الروحي.

هناك نوعان رئيسيان من التأمل: التأمل الصوفي *mystical*، والتأمل الدنيوي *secular*. يُعتبر التأمل الصوفي أرقى أشكال التأمل لأن الشخص الذي يمارسه يسعى إلى التواصل (أو الاندماج) مع الكيان الإلهي أو المطلق. عادةً ما يُمارس في أجواء غير دنيوية، كالدير مثلاً، حيث يعيش الممارسون في حالة منعزلة عن العالم، حياة زاهدة، منظومة غذائية صارمة، وغيرها من شروط. لكن في نفس الوقت، هناك أفراد يفضلون عيش هذه الحياة باختيارهم دون أن ينخرطوا في أنظمة صارمة تجبرهم على ذلك.

أما التأمل الدنيوي، فهو الذي يُمارس لأهداف دنيوية (لا ينشد الارتقاء الروحي)، حيث يساعد الممارس على تحسين حالته الصحية والفكرية، ويعزز عناصر الإبداع، الثقة بالنفس، النجاح في شؤونه الدنيوية، وتحسين علاقته مع الآخرين والعالم من حوله. كما يستطيع هذا النوع من التأمل أن يعزز القوى الوسيطة للممارس وإحراز المعرفة التلقائية (إلهامات أو معلومات غيبية). التأمل وحده لا يستطيع تحقيق هذه الأمور طبعاً، بل يمثّل مرحلة أساسية لإحرازها. التأمل يعزّز عملية الدخول في حالات وعي بديلة، وهذا العامل هو الأهم في العلوم الوسيطة والتجاوزية. غالباً ما يوصى بممارسة هذا النوع من التأمل مرتين في اليوم، ومدة كل جلسة حوالي عشرين دقيقة. وقد أثبتت الأبحاث العلمية بأن التأمل يساهم فعلاً في تحسين الحالة الصحية.

"التأمل" هو ممارسة عالمية. لقد تم تحويله في الشرق إلى نظام روحي قائم بذاته يشمل تقنيات عديدة ومتنوعة. "التركيز" هو العنصر الأكثر جوهرية في التقاليد

الشرقية، خصوصاً تعاليم اليوغا، حيث تسعى إلى تبديل حالة الوعي عبر التحكم العقلي، وتذهب إلى ما وراء حالة غياب الفكر. في الوقت الذي تهدف تمارين التركيز التأملي إلى تحقيق غايات صوفية، إلا أن الوضعية الجسدية مهمة أيضاً في العملية. يكون التركيز منصّباً على شيء واحد بعينه، مثل عملية ضبط التنفس، المانترا (تلاوة صلوات وأشعار)، المنترا (التحديق إلى أشكال هندسية)، شعلة شمعة، إشغال الذهن بأحجية أو حزورة (مثل الكوان koan في تعاليم الـ"زن" Zen)،.. وهكذا إلى آخره.

التأمل "الغيوبي" (الغياب عن الوعي مدة أيام) هو ممارسة مُحكّرة على التقاليد الشرقية أيضاً، خصوصاً بين المدارس البوذية المتعددة. من بين أفضل الوسائل المختلفة المُتبعة لتحقيق هذه الغاية هي الـ"زاسن" zazen، أو "تأمل الجلوس" التي تتبعها مدرسة الـ"زن" (اليابانية).

بين أبرز الأديان أو الفلسفات الشرقية التي تستخدم التأمل في شعائرها نجد البوذية، الهندوسية، الزن، والطاوية،.. وغيرها. الهدف الأولي وراء ممارسة التأمل في كل هذه الفلسفات الدينية يتمثل بالتحرّر من العالم الدنيوي والارتقاء إلى العالم الروحي. وهذا يعني تحديداً التحرّر من الجسد وحاجياته واهتماماته ووظائفه التي هي جميعاً ذات طبيعة دنيوية. هذا بالإضافة إلى إضعاف سيطرة "الأنا" لدى الفرد. تستمرّ ممارسة التأمل حتى يصل الفرد حالة الـ"نيرفانا" nirvana (فناء النفس في "براهمان"، العقل الكوني). ما وراءها تكمن حالة "نيرودها" nirodha (الانقطاع)، وهي حالة انقطاع كامل للوعي عن الجسد وسكون أو تباطؤ الإجراءات الجسدية (حالة خروج عن الجسد). هذه الأخيرة تُعتبر مرحلة صعبة الوصول لأن وتيرة الأيض في الجسد تنخفض إلى أدنى درجة، وبالتالي لا يمكن البقاء في هذه الحالة أكثر من سبعة أيام. يُفرض على الممارس أن يحدّد مسبقاً المدّة الزمنية التي سيقضيها بهذه الحالة قبل الانخراط في عملية التأمل.

أما في الغرب، فتنحصر وسائل التأمل عموماً حول "التفكير". هذه العملية تشمل ممارسة التفكير بعمق في معاني أشياء مثل الصلوات والأشعار، المفاهيم الغامضة، والأسئلة المستعصية. لكن بشكل عام، عملية "التفكير" هذه لا تضمن النجاح في إسكات العقل أو إحداث حالة من الاسترخاء الجسدي.

عُرف التأمل في المسيحية منذ القرون الأولى للميلاد حيث كان الرهبان يعيشون حياة متنسكة في الصحراء المصرية. كانوا ينشدون طهارة الروح والتأمل لتحقيق الوحدة مع الله. كما عُرف التأمل في الإسلام عبر الصوفية. أما اليهودية فعرفت من خلال نظام القبالة.

من أجل فهم الغرض الفعلي من التأمل وكذلك آلياته، وجب علينا النظر إلى الإنسان على أنه يتدرج إلى قسمين: جسدي وروحي. الغاية من التأمل هي الوصل بين المستويين المادي والروحي للإنسان. وفقاً للمفاهيم الهندوسية، عملية الوصل هذه تتم من خلال المراكز الحيوية في الجسم والمعروفة باسم "الشاكرات". خلال عملية التأمل، تتراكم الطاقة الحيوية (كونداليني) في الجسم أثناء تدفقها إليه عبر الشاكرات، وخلال تعاضدها تبدأ بتفعيل الشاكرات، الواحدة تلو الأخرى، ابتداءً من الشاكرة السفلى وصولاً إلى العليا. خلال تفعيل الشاكرات بالتسلسل، يتم تنشيط مستويات الوعي/العقل وجوانبه المتعددة لدى الممارس، حيث كل جانب ومستوى من الوعي/العقل يتوافق مع أحد الشاكرات. بشكل عام، هناك ثلاثة مستويات مألوفة ويتم الحديث عنها دائماً: الوعي conscious، اللاوعي subconscious، والوعي الخارق super-conscious. [١] "العقل الواعي" يحكم التصرفات الإرادية التي يقوم بها الفرد خلال حالة الصحو العادية، مثل الأكل، الكلام، المشي، الكتابة.. إلى آخره. وهذا القسم من العقل يشمل أيضاً "العقل الباطن" الذي هو مسؤول عن الاستجابات التلقائية أو الأوتوماتيكية المتعلقة بشؤون الحياة الدنيوية والتي تم برمجته عليها منذ الطفولة. كما أنه يمثل صلة الوصل بين العقل الواعي والعقل اللاوعي (مع أنه غالباً ما يتم الخلط بينهما). [٢] "العقل اللاوعي" يحكم الحركات والوظائف اللاإرادية في الجسم، مثل التنفس، ضربات القلب،.. إلى

آخره. [٣] "الوعي الخارق"، والمُشار إليه عموماً باسم "النفس العليا"، أو "العقل الفضائي الباطني"، وهو المسؤول عن الأقسام السابقة مجتمعة، وبالتالي عندما يرتقي الفرد إلى هذا المستوى خلال التأمل يستطيع بعدها التحكم بكافة المجريات اللارادية في جسمه.



أقسام العقل حسبما توصفه مفاهيم التأمل

هناك عدد كبير من التقنيات التي يمارس عبرها الفرد التأمل. إن فشله في عملية التأمل قد يعود سببه إلى اختياره للتقنية التي لا تناسبه أو ربما لم يمارسها بشكل صحيح. هناك عدد كبير من المراجع الفلسفية الشرقية التي توصي بتقنية التركيز على ما تُسمى "العين الثالثة" (الشاكرا السادسة) الموجودة في وسط الجبهة. عند القيام بذلك يركّز الفرد بعدها على الشاكرا السابعة الموجودة في قمة الرأس بهدف

إعادة وصل المستوى المادي مع المستوى العقلي، مشكلاً بذلك رابط تجاوزي بين الذات الدنيوية مع الذات العقلية لاستكشاف الذات الحقيقية. لكن في النهاية، لا يمكن أخذ هذه التوصيات على محمل الجد إذا لم يكن الفرد قد أجرى تحضيرات مسبقة كثيرة. وحسب معرفتي بهذا المجال، الطريقة الأسلم هي الاهتمام بكل الشاكرات، ابتداءً من السفلى وصولاً إلى العليا، للمحافظة على تدفق الطاقات المختلفة، التي تمثلها هذه الشاكرات، بشكل متوازن. لكن مع هذا كله، أنصح بعدم الخوض في هكذا الممارسات قبل الإلمام الكامل بهذا المجال.

إذا تناولنا المسألة وفق المفاهيم العلمية، أحد الجوانب المهمة في ممارسة التأمل هو حالة الاسترخاء العقلي، حيث يسعى الممارس إلى الدخول في حالة استرخاء عميقة تتناغم مع موجات "ألفا" alpha، أو حتى موجات "ثيتا" theta للنشاط الدماغي، بدلاً من مستوى "بيتا" beta الذي يمثل حالة الوعي العادية (أنظر في موضوع الموجات الدماغية لاحقاً). تكون التغييرات محدودة في حالة الوعي نتيجة التركيز على هذا الجانب تحديداً من ممارسة التأمل لأن التركيز يكون فقط على الجسم بدلاً من العقل. الغاية هنا هي التخلص من التوترات الحاصلة في العضلات ومناطق أخرى من الجسم، والتي تتراكم لتشكّل عقبة مهمة أمام الاسترخاء العقلي، لكن هذه العملية تساهم أيضاً في التخلص من الإجهادات، المخاوف، وانفعالات سلبية أخرى نحملها في أعماقنا. لكن على أي حال، رغم عدم جدوى هذا النوع من التأمل في إحراز التنوير أو الارتقاء الروحي لكن له حسنات وفوائد صحية عديدة لكل من العقل والجسم، كما أن ممارسته ممتعة.

إذا تجاوزنا هذا النوع البسيط من التأمل "الاسترخائي" وانتقلنا إلى مرحلة أكثر تقدماً، نصل إلى التأمل "التركيزي"، أي حصر الانتباه على شيء معين. الأغلبية العظمى من ممارسات التأمل تدرج في خانة هذا النوع من التأمل. في أنظمة تدريبية عديدة، يبدأ الطلاب الجدد تمرينهم التأملي عبر التركيز على وتيرة التنفس كموضوع رئيسي للتأمل. أولاً لأنه يمثل أسهل الأشياء التي يمكن التركيز عليها، وثانياً بسبب وجود علاقة جوهرية بين النفس والقوة الحياتية (برانا).

لكن هناك أشياء كثيرة أخرى تمثل مواضيع تركيز خلال ممارسة التأمل. لكن قبل الحديث عنها من المفيد التمييز بين الصيغ المتعددة للتأمل "التركيزي"، والتي كل منها لها طريقتها وغايتها. يمكن تقسيم هذا النوع من التأمل إلى نوعين رئيسيين: الأول هو توجيه التأمل (التركيز) على شيء ثابت (عرض معين) أمام الممارس، ومعروف باسم "التأمل التسكريني" *quiescent meditation* (أي جعل العقل ساكناً). أما الثاني، فهو توجيه التأمل على شيء سيولي، مجهول أو شبه مجهول، ومعروف باسم "التأمل الإلهامي" *revelatory meditation*. صحيح أنه ليس كل ممارسات التأمل تتناسب تماماً أي من الخانتين السابقتين، لكن من المفيد إحداث هذا التقسيم من أجل فهم طبيعة التأمل ذاته.

المثال التقليدي للتأمل على شيء ثابت هو التركيز على وتيرة التنفس. والأمثلة الشائعة الأخرى هي التركيز على شيء مادي (قلم مثلاً)، أو لون معين، أو صورة أو شكل هندسي. الغاية النهائية لهذا النوع من التأمل هي إحراز حالة من السكون العقلي، والنتيجة من تركيز الانتباه نحو شيء معين وتضييق هوامشه بحيث تشمل هذا الشيء بالذات. في حالتنا العقلية العادية الأفكار لا تستقر إطلاقاً، بل تتبع سلسلة سببية لا نهائية من الأفكار بحيث كل فكرة تؤدي إلى ظهور أخرى، ونسمي هذه الحالة عموماً "توارد الأفكار". وبالتالي، خلال ممارسة "التأمل التسكريني"، تساهم عملية التركيز على "شيء" واحد في إبعادنا عن ذلك النهر الفكري الجاري على الدوام، فيستقر العقل ويسكن. الغاية إذاً هي تخليص العقل من كافة الإجراءات الفكرية المختلفة باستثناء تلك الموجهة حصراً إلى موضوع التأمل. وفقاً للتقاليد الشرقية، هذا نوع من التأمل (التعمق في شيء واحد) يندرج تحت عنوان "ساماهي" *Samadhi*، وهو نوع من الاندماج الروحي والعقلي مع الشيء الذي يمثل موضوع التأمل (أنظر في موضوع "باتانجالي يوغا" في هذا الكتاب).

في نفس التقاليد الشرقية، يمكن استخدام هذه الصيغة من التأمل لإحراز فهم كامل للشيء ذاته الذي يمثل موضوع التركيز. هذه الطريقة تعاكس تماماً الطريقة العلمية المألوفة، والمتمثلة بدراسة علاقة هذا "الشيء" وتفاعلاته مع الأشياء

الأخرى بالإضافة إلى تقييمه بطريقة "كمية" (قياس رقمي لخواصه)، بدلاً من التعمق في جوهر هذا الشيء بشكل مجرد ومستقل دون ربطه بالأشياء الأخرى، أي تقييمه بطريقة "نوعية". (هنا بالذات يكمن الفرق بين العلم "النوعي" والعلم "الكمي" للذات تناولتهما في أجزاء سابقة). هذه الصيغة من التأمل تمثل أيضاً المرحلة الأولى للتدريبات البوذية على التنوير، حيث بعد التعلّم على إسكات ثرثرة العقل، يسعى الطالب إلى التعرف على الطبيعة النقية للعقل ذات بصفته منفصلاً عن محتوياته العقلية، وبالتالي يكون قد فهم الطبيعة الجوهرية لكل الأشياء. هذا النوع من التأمل قد يشمل التركيز على مفهوم "الفراغ"، أو يشمل صيغة أكثر سكوناً تُسمى "تأمل الانفصال" حيث يسعى خلاله الممارس إلى تجاهل كل ما يدخل العقل من معطيات خارجية.

والآن جاء دور المنطق الرمادية بين نوعي التأمل الرئيسيين المذكوران سابقاً ("التأمل التسكيني" و"التأمل الإلهامي"). أنه شائعاً اختيار موضوع التأمل بحيث يكون ثابت ومحدود لكنه بنفس الوقت يمثل واقع تتجاوزي أكثر عمقاً. فيمكن للطالب مثلاً أن يتأمل على رمز معين (ماندالا)، أو ترتيباً شعرياً (صلوات)، صورة إله معين، أو على مفهوم معين كموضوع "الشفقة" مثلاً. الغاية من هذه التأملات ليست إحراز الاتحاد مع موضوع التأمل أو سبر خفاياه الجوهرية، بل من أجل إحراز الاتحاد أو فهم خفايا الواقع التجاوزي الذي يمثله هذا "الشيء" الذي يلعب دور البوابة إلى أعماق ذلك الواقع التجاوزي. فبالتالي هناك عامل "إلهامي" في هذا النوع من التأمل والذي ليس موجوداً في "التأمل التسكيني" الصافي الموصوف سابقاً.

هناك أيضاً صيغ كثيرة من "التأمل الإلهامي" التي تقع في المنطق الرمادية بين النوعين. أهم هذه الصيغ هي ما تُعرف بـ"التأمل البصري الاستكشافي" (هو نوع من الاستبصار، لكنه ذو طبيعة خيالية). يمكن لها أن تتخذ شكل "الطرح النجمي" astral projection (الخروج عن الجسد)، "التخيّل الفعّال" active imagination، أو تطبيقات مختلفة للـ"منام الصافي" lucid dreaming. في هذه الصيغة من التأمل

يتم اختيار موضوع تأمل غير واضح المعالم، ثم تُستكشف جوانبه المتعددة عبر "التأمل البصري الاستكشافي".

صيغة التأمل الأخرى التي لا تنتمي إلى أي من النوعين الرئيسيين هي "التأمل الاستطرادي" *discursive meditation*. تُعتبر بطريقة ما معاكسة لأنواع "التأمل التسكريني". في التأمل "الاستطرادي" غالباً ما يكون موضوع التأمل عبارة عن "مفهوم فكري"، أو يمثل جانب معين من حياة الشخص، أو مشكلة معينة يعاني منها. الهدف في هذه الممارسة هو الدخول في حالة استرخاء عميقة واستخدام قوة التركيز، بحثاً عن جواب أو حلّ على شكل إلهام أو وحي يأتي من العقل اللاواعي خلال حالة الغشية أو الغيبوبة التي يدخلها الفرد. ها النوع من التأمل يسمح للفرد أن ينظر إلى المسألة (موضوع التأمل) من زوايا عديدة، كما تتكشف له كافة جوانب المسألة. المثال التقليدي لهذا النوع من التأمل يتمثل بالبوذي الذي يتأمل على موضوع "عينية الرغبات المادية"، متفكراً في كل الأسباب التي تعلّمها مع مقارنتها بما اختبره شخصياً، وذلك كمحاولة تعزيز الميل إلى الاجتهاد نحو الأهداف الروحية بدلاً من المادية.

النوع الأخير الذي يجب ذكره هو ما يُسمى التأمل "العملي" أو "الديوي"، وهو النوع المُصمّم لمساعدة الفرد على تحقيق هدف معينة، غالباً ما يكون وطبيعة ديوية. المثالان الرئيسيان على هذا النوع هما "العلاج بالتنويم المغناطيسي" الذي يستخدم قوة الإيحاءات الكلامية للتأثير على النائم مغناطيسياً بهدف إعادة برمجة قناعاته بخصوص صحته (ويدخل في هذا المضمار "السحر الشعائري" حيث استخدام الترتيلات والدعوات بهدف التأثير على الشخص المستهدف). والنوع الثاني هو "التصور الخلاق" *creative visualization* (ذكرته في أحد الأجزاء السابقة) والذي يتصور خلاله الفرد بأنه يحقق هدفه فعلياً، وذلك لكي يساهم في تحقيقه على أرض الواقع.

بدأت اهتمامات الغرب الواسعة بموضوع التأمل منذ الستينيات من القرن الماضي، ومُعظم التقنيات المتبنّاة هي مُشتقة من البوذية والهندوسية. لكن إخضاع هذه

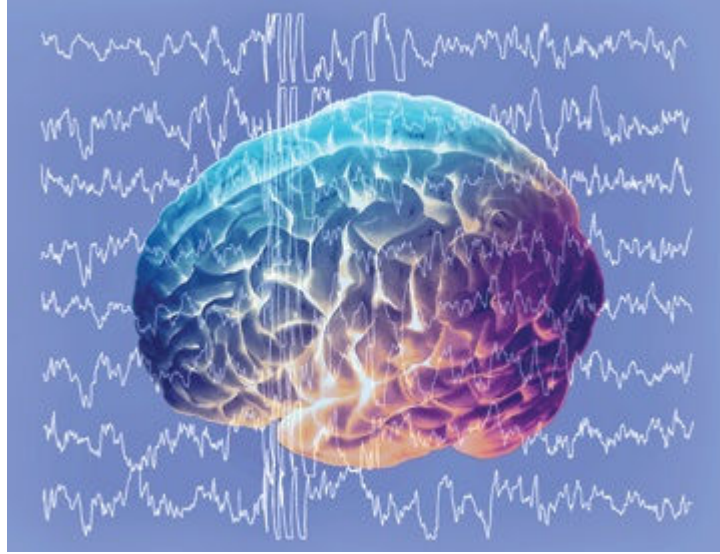
الظاهرة العقلية للبحث العلمي حصل قبل ذلك بسنوات. فمنذ بداية الخمسينات من القرن الماضي كان العلماء اليابانيون يقيمون الدراسات المكثفة على اليوغيين وكهنة "الزن" خلال ممارستهم للتأمل. ومنذ أوائل الستينات كان العلماء الغربيون يجرون أبحاث مخبرية على ممارسي "التأمل التجاوزي" Transcendental Meditation، وذلك بدعوى مفتوحة من قبل مؤسس هذه الممارسة "ماهاريشي ماهيش يوجي" Maharishi Mahesh Yogi. والرغم من اختلاف النتائج (كل بحث له غايته ووسائله وأدواته الخاصة)، إلا أن الجميع اتفق على عناصر مشتركة: يساهم التأمل في خفض وتيرة الأيض في الجسم، يُبطئ وتيرة الموجات الدماغية، ويحدث حالة راحة واسترخاء عميقين. كما اكتُشف بأن الذين يمارسون التأمل بشكل دائم ومنتظم يظهرون مقاومة ضد الأرق والإجهاد والمرض، كما يشهدون تحسناً ملموساً من الناحية النفسية أيضاً.

كل هذه الأنواع والصيغ المختلفة لممارسة التأمل، رغم تعدد مظاهرها مما يوحي بأنها معقدة ومتشابكة، إلا أن الجوهر يبقى واحداً، وكم ستبدو بسيطة وواضحة مجرد أن نعرفنا على المبدأ الذي تستند عليه. هذا المبدأ يبقى ذاته مهما اختلفت صيغة التأمل. أنا واثق بأن الموضوع لازال غامضاً بمعظمه بالنسبة لكم. من المؤكد أن السؤال لازال ماثلاً في الذهن: ما علاقة هذا كله بحالة الوعي البديل؟ ما هو الرابط بين الاثنين؟ ما هي الآلية، وكيف تتم العملية؟ كل هذا ستوضح جيداً بعد التعرف على المبدأ الجوهرية الذي تستند عليه كامل العملية، ولدرجة تجعلك قادراً على صياغة نظام التأمل الذي تريده ووفق ما يناسبك. (هناك الكثير مما سنعرفه عن حالة الوعي البديل خلال الحديث عن أقسام العقل في الجزء الثامن من هذه المجموعة).

لكن قبل هذا كله، دعونا أولاً نتعرف على النظرة العلمية الرسمية تجاه موضوع الوعي العادي والوعي البديل، والطريقة التي عالجه فيها، والوسائل المتبعة لفعل ذلك، بالإضافة إلى الاستنتاج النهائي الذي توصلوا إليه بهذا الخصوص.

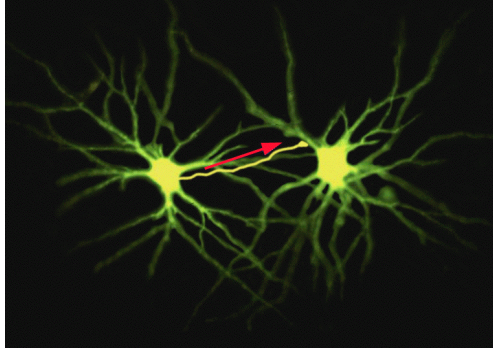
العلم المنهجي

وربط الوعي بالدماغ

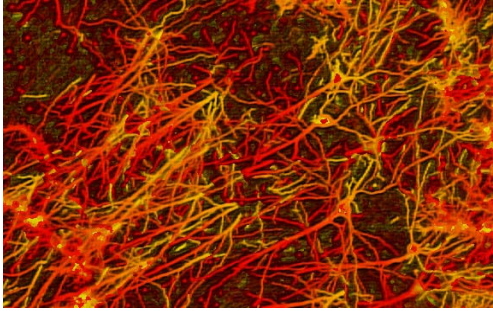


الدماغ هو عضو مُشغّل كهربائياً ومولّد كهربائي بنفس الوقت. يتألف من ما يُقدر بمئة مليار "عصبون" (نيرون)، وكل "عصبون" ينتج ويرسل نبضات كهربائية تسافر من بدن العصبون عبر ألياف تُسمى "ذيول" axons حتى تصل إلى تقاطع، أو ما يُسمى "مشبك عصبي" synapse يوصل بين عصبونين. عند نقطة التقاطع، تطلق النبضة الكهربائية رسائل كيميائية تُسمى علمياً "نواقل عصبية" neurotransmitters، فتنقل بدورها عبر "المشبك العصبي" إلى مستقبلات خاصة في العصبون التالي. بعد تلقيه الرسالة، يولّد هذا العصبون التالي نبضاته الكهربائية الخاصة التي يرسلها إلى عصبونات أخرى موصولة به عبر "المشبك العصبي"،.. وهكذا إلى آخره. يمكن لكل عصبون أن يكون موصولاً بآلاف العصبونات الأخرى، وكل منها ترسل وتستقبل النبضة، بشكل لحظي، إلى ومن آلاف العصبونات الأخرى. لهذا السبب، يستطيع العصبون الواحد أن يحدث تغيير كهربائي في ملايين العصبونات الأخرى في مدة لا تتجاوز لمحة البصر. من أجل

التعرّف على مدى تعقيد هذه المنظومة الكهربائية، قدّرت الأكاديمية الوطنية للعلوم (الولايات المتحدة) بأن "كل دماغ بشري واحد يحتوي على عدد وصلات بين خلاياه العصبية (العصبونات) يفوق عدد الجسيمات الذرية في الكون..!".

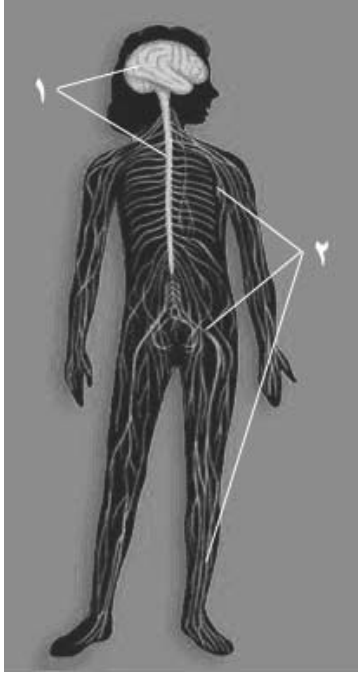


"المشبك العصبي" *synapse*، هو التقاطع الواصل بين نيتون عصبونين.



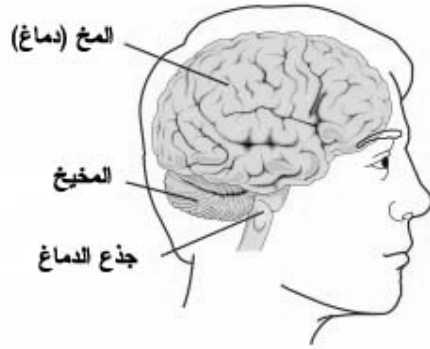
كل عصبون موصول بآلاف العصبونات الأخرى، وكل منها ترسل وتستقبل النبضة، بشكل لحظي، إلى ومن آلاف العصبونات الأخرى

الدماغ هو جزء من الجهاز العصبي الشامل للإنسان، والذي مؤلف بدوره من قسمين رئيسيين (أنظر في الشكل التالي): الجهاز العصبي المركزي *central*، والجهاز العصبي المحيطي *peripheral*. الجهاز العصبي المركزي يشمل الدماغ والنخاع الشوكي. بينما الجهاز العصبي المحيطي يشمل العصبونات الحسية التي توصل الدماغ والنخاع الشوكي بالمستقبلات الحسية والعصبونات الموصولة بالعضلات والغدد والأعضاء.



الدماغ هو العضو الأكثر تعقيداً في جسم الإنسان. هو مُحاط بثلاثة طبقات حماية مؤلفة من أنسجة تُسمى "سحايا" meninges، ومغمور بسائل يُسمى "السائل المخي النخاعي" cerebrospinal fluid. هذا السائل يحمي أيضاً الدماغ من الجروح والكدمات، كما يوفر التغذية لأنسجة المحيطة.

الجهاز العصبي مؤلف من قسمين: [1] الجهاز العصبي المركزي، [2] الجهاز العصبي المحيطي. (الشكل المقابل)



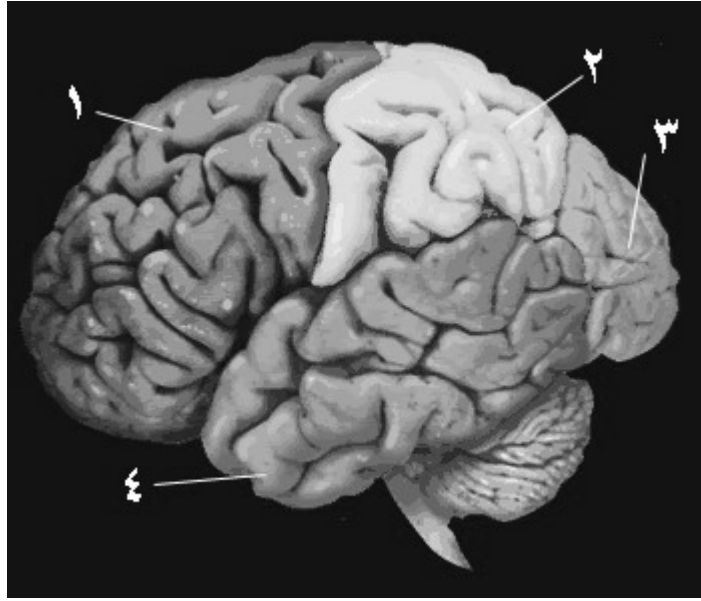
دعونا الآن نلقي نظرة على أقسام الدماغ، وهي التالية:

- ١- جذع الدماغ
- ٢- المخيخ
- ٣- المخ

١- جذع الدماغ: وهو أقدم قسم من الدماغ. وظيفة جذع الدماغ هي ضبط وتنظيم أشياء مثل وتيرة دقات القلب، التنفس، البلع، رمش العينين (غمزها)، الهضم، وغيرها.

٢- المخيخ: هذا العضو يكون مشغولاً دائماً في تحويل المحطات. فهو يستقبل الرسائل من معظم العضلات في الجسم. كما أنه يتواصل مع الأقسام الأخرى من الدماغ، ثم يرسل الأوامر المتعلقة بالحركات والتوازن إلى الجسم.

٣- المخ: هو القسم المسؤول عن التفكير والتعلم، الإبداع، الحواس الخمس، الذاكرة والعاطفة، حل المسائل، واتخاذ القرارات. يتألف المخ من أربع فصوص
lobes:

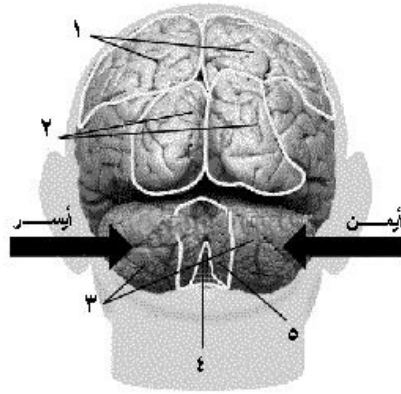


[١] الفصّ الجبهي Frontal lobe [٢] الفصّ الجداري Parietal lobe [٣] الفصّ القذالي Occipital lobe [٤] الفصّ الصدغي Temporal lobe.

يشكّل "المخ" ٨٥% من إجمالي وزن الدماغ البشري. إن له سطح ملتوي بشكل كبير. لقد حدّد أطباء الأعصاب مناطق مختلفة من القشرة الدماغية والتي تتحكم بنشاطات حسية وحركية معيّنة في الجسم.



كما حالة "المخيخ"، يُقسم "المخ" إلى نصفين متناظرين. كل نصف مقسوم إلى أربع فصوص، وهي ذاتها المذكورة في الفقرة السابقة (الجبهي، الجداري، القذالي، و الصدغي). إن لهذه الفصوص وظائف محدّدة. الفصّ الجبهي يتعلّق بالتخطيط والحركة، الفصّ الجداري يتعلّق بالحسّ، الفصّ القذالي يتعلّق بالبصر، والفصّ الصدغي يتعلّق بالتعلّم والذاكرة والعاطفة.



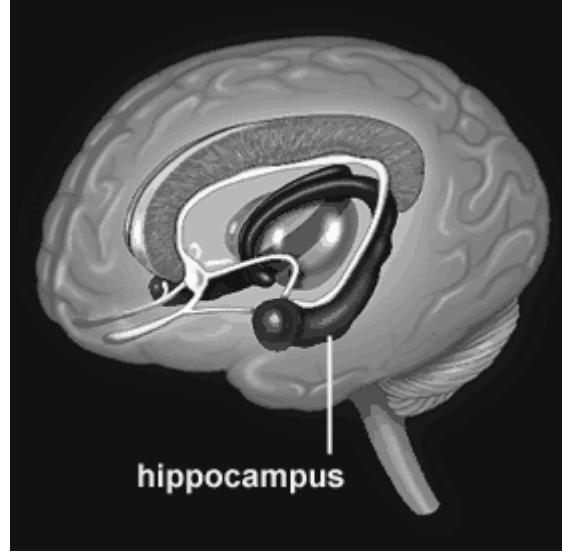
نصفي الدماغ مع فصوصهما: (الشكل المقابل):

- [1] الفصوص الجدارية *Parietal lobes*
- [2] الفصوص القذالية *Occipital lobes*
- [3] المخيخ المخي *cerebrocerebellum*
- [4] المخيخ الدهليزي *vestibulocerebellum*
- [5] المخيخ الشوكي *spinocerebellum*

يحيط نصفي الدماغ بمنطقة تُسمى "الدماغ البيني" *diencephalon* (في الجزء الخلفي من الفصّ الجبهي)، وتشمل هذه المنطقة "المهاد" *thalamus* و"تحت المهاد" *hypothalamus*. "المهاد" يمثّل جوهر بنية الدماغ. فهو يلعب دور البوابة للمعطيات الحسيّة القادمة من الأنظمة الرئيسية في الجسم، مثل البصر والسمع والتوازن والذوق والشم.. إلى آخره، فيوزعها إلى المناطق الحسيّة المخصّصة في القشرة الدماغية. أما "تحت المهاد" فوظيفته هو ضبط وتنظيم النظام العصبي

اللاإرادي والتناسل والاستتباب homeostasis. أما عملية "الاستتباب"، فهي الآلية التي تحقق أجسامنا عبرها حالة توازن واستقرار بيئي داخلي في وجه الحالات الخارجية المتغيرة.

أما "الحصين" Hippocampus فيساعد على تخزين الذكريات من خلال ترميزها، ثم إيجادها عند الطلب. كما أنه يؤثر في العواطف.



"الحصين" Hippocampus

إذاً، من خلال الحقائق العلمية السابقة، لم يعد هناك شك بأن الدماغ يمثل العامل المركزي في منظومتنا العقلية/الجسدية بحيث يلعب دوراً مركزياً في آلية تفكيرنا وسلوكنا وتنظيم وإدارة كافة المجرىات البيولوجية في أجسادنا. كل شيء تم تفسيره وفق مفهوم "مركزية الدماغ". حتى أنه تم إنساب كل وظيفة جسدية أو ذهنية إلى قسم معين في الدماغ وأثبتوا هذه الحقيقة عبر عدد كبير من الاختبارات مما يزيل أي شك بذلك. أشهر الوسائل التقنية التي اعتمدوا عليها، والتي ساهمت بشكل كبير في إحراز هذا الإنجاز العلمي الهائل، هي تقنية استشعار الموجات الدماغية.

الموجات الدماغية

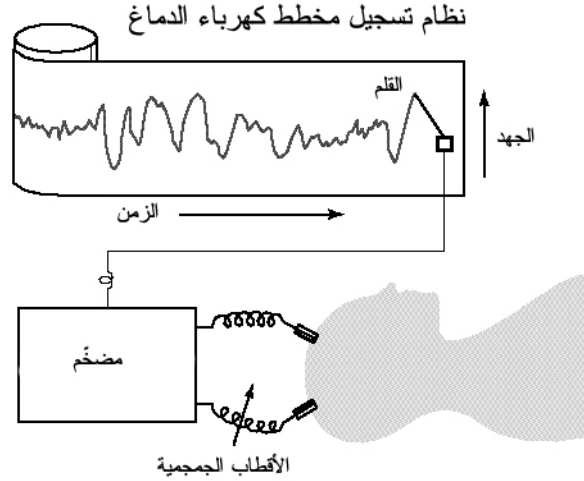
لقد لعبت دراسة الموجات الدماغية دوراً جوهرياً في فهم طريقة عمل الدماغ والعقل. لولا ظهورها على ساحة البحث العلمي لما حصل هذا التقدم الكبير في استكشاف خفايا الدماغ ووظائفه المختلفة. هي عبارة عن إشارات كهربائية دقيقة جداً تعكس التغييرات الحاصلة في تردد موجات الدماغ خلال حالات عقلية وذهنية مختلفة، مما مكن الباحثين من رسم خريطة شاملة للدماغ وربط أقسامه المختلفة بوظائف عصبية وعقلية محددة. حوالي العام ١٩٠٨م، أعلن الطبيب النفسي النمساوي "هانز بيرغر" Hans Berger أنه بالإمكان تسجيل تيارات كهربائية ضعيفة تنبعث من الدماغ (موجات دماغية)، وذلك دون حاجة إلى فتح الجمجمة، بل عبر ملامسة أقطاب تحسّس خاصة بجمجمة الشخص، هذه الأقطاب تلتقط نشاطات الدماغ بحيث يتم قياسها بواسطة جهاز خاص لاستشعار كهرباء الدماغ، ثم تُرسم الإشارات على شريط ورقي. أطلق "بيرغر" على هذه الصيغة الجديدة من التسجيل "التخطيط الكهربائي للدماغ" (EEG) electroencephalogram.



أكد "بيرغر" بأن هذه النشاطات الموجية للدماغ تتغير حسب الحالة الوظيفية للدماغ، مثل النوم، التخدير، النقص في الأكسجين بالدماغ، وبالإضافة إلى بعض الحالات المرضية العصبية مثل "الصرع". أول نمط من الموجات الدماغية التي اكتشفها "بيرغر" سماها "ألفا" Alpha وجاءت من الحرف الإغريقي الأول.

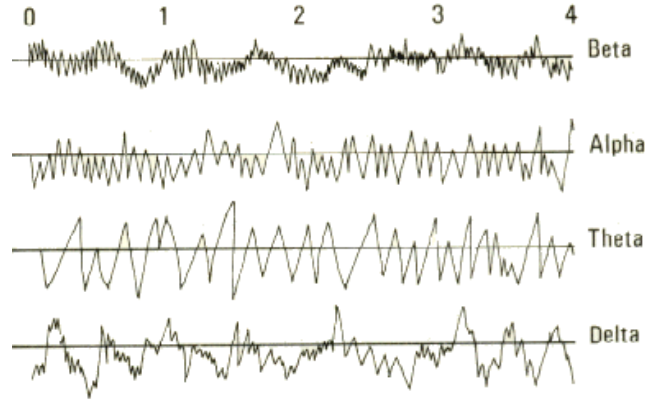
التطويرات التي شهدتها جهاز EEG في العقود القليلة الماضية جعلته قادراً على تسجيل كمية أكبر من الموجات الدماغية في الثانية الواحدة (بين ١٢٨ و ٢٥٦ دورة في الثانية الواحدة) بالإضافة إلى تعدد وسائل استعراض النتيجة البيانية

بحيث لم تعد تقتصر على قلم متحرك فوق شريط من ورق. وبالتالي أصبحت عملية "التخطيط الكهربائي الكمي للدماغ" Quantitative EEG دقيقة بما يكفي لدرجة نستطيع فحص أي منطقة محددة من الدماغ وليس بالضرورة كامل الدماغ، كما أصبح ممكناً إجراء مقارنة دقيقة بين النتائج المختلفة للتخطيط الدماغي.



"التخطيط الكهربائي الكمي للدماغ" Quantitative EEG هو عملية تسجيل رقمي للموجات الدماغية. لمدة عقود طويلة، لم يكن ممكناً سوى إتباع هذه الطريقة البدائية (بالنسبة للتقنيات الحالية) في تسجيل الموجات الدماغية على شريط طويل من الورق. كانت إيقاعات الموجات الدماغية تمرّ عبر مضخم فتصبح بعدها قادرة على تحريك الأقلام فوق الورقة المتحركة.

في حالة الصحة العادية، نكون بشكل عام في حالة "بيتا" beta الدماغية (أي أن موجات الدماغ تتذبذب بين حوالي ١٣ و ٣٠ هيرتز، أو دورة في الثانية). أثناء الاسترخاء التام، ينتقل الدماغ للعمل وفق موجات "ألفا" alpha (أي بين ٨ و ١٣ هيرتز). أما موجات "ثيتا" theta (بين ٤ و ٧ دورة في الثانية) فلا نختبرها في الحالة العادية سوى في اللحظات القليلة قبل النوم وبعد الصحة منه. أما موجات "دلتا" delta البطيئة جداً (٠,٥ إلى ٤ دورة في الثانية) فتظهر أثناء النوم.



الأنواع الرئيسية للترددات الدماغية التي يرسمها جهاز EEG

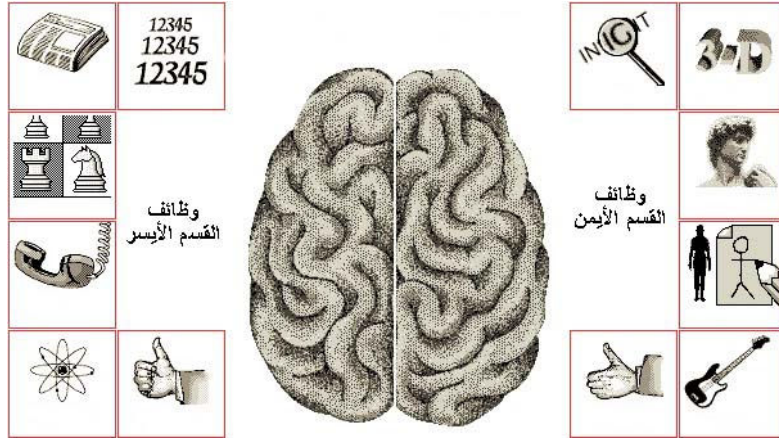
وجد العلماء بأنه عندما يصل المتأملون (اليوغا) إلى حالة عميقة من الوعي، حيث الهدوء العقلي الداخلي، يصبح قسما الدماغ لديهم (الذان يولدان موجات مختلفة في الحالة العادية) متزامنين، أي أنهما يولدان ذات الموجات الدماغية.

اكتُشف بأن نصفي الدماغ، الأيمن والأيسر، مسؤولان عن وظائف دماغية مختلفة. تبين أن النصف الأيسر ينشط خلال انشغال العقل في مسائل منطقية، عملية، تسلسلية، وتلك المتعلقة بالزمن. بينما النصف الأيمن يبدو مجرداً وغير تسلسلي، وينشط في حالات انشغال العقل بمسائل غير منطقية تتعلق عموماً بالإبداع، والنظرة الشمولية للأمور. فيما يلي قائمة مختصرة توضح الفرق بين نشاطات نصفي الدماغ:

النصف الأيمن	النصف الأيسر
بديهى Intuitive (حديسى): البصيرة المفاجئة، غالباً ما تستند على أنماط غير مكتملة، إحساس باطني، مشاعر وصور بصرية.	منطقي Logic: التوصل إلى الاستنتاجات بالاعتماد على المنطق، أي التسلسل المنطقي للأمور.
الشمولية Holistic: رؤية الأمور بنظرة شمولية، إدراك النماذج	التسلسل الخطي Linear: التفكير وفق ترابط الأفكار بشكل متسلسل، أي

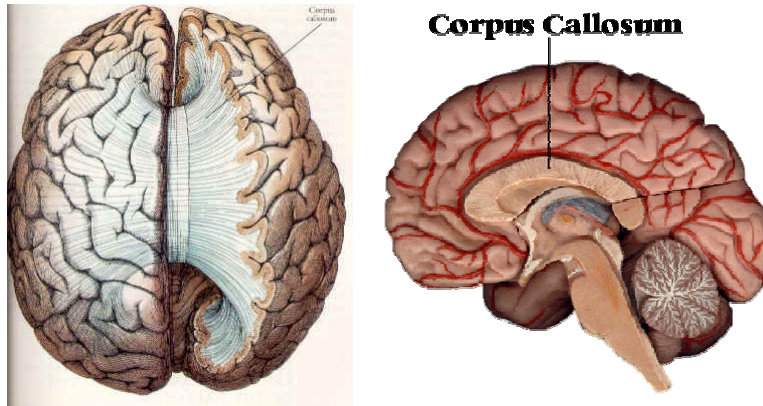
استنتاجات متباينة. استنتاجات متقاربة. استنتاجات متقاربة. استنتاجات متقاربة.	استنتاجات متباينة. استنتاجات متقاربة. استنتاجات متقاربة. استنتاجات متقاربة.
غير لفظي <u>Nonverbal</u> : إدراك الأشياء، لكن مع أقل درجة من التواصل الكلامي.	لفظي <u>Verbal</u> : استخدام الكلمات في سبيل التسمية والوصف والتعريف.
غير وقتي <u>Nontemporal</u> : انعدام الحسّ بالزمن.	وقتي <u>Temporal</u> : الالتزام بالسياق الزمني، تسلسل كل حدث بعد الآخر.
غير عقلائي <u>Nonrational</u> : لا يجده ضروري الاعتماد على المنطق والحقائق، مع ميل إلى تأجيل الحكم.	عقلاني <u>Rational</u> : التوصل إلى استنتاجات بالاعتماد على المنطق والحقائق.
تركيبى <u>Synthetic</u> : فهم الأشياء عبر جمعها ببعضها لتشكيل كليّات شمولية.	تحليلي <u>Analytic</u> : فهم الأشياء خطوة خطوة، أو جزء بعد جزء.
تشبيهي <u>Analogic</u> : رؤية العلاقة الرابطة بين الأشياء، وفهم العلاقات المجازية.	تجريدي <u>Abstract</u> : أخذ أجزاء من كل معلومة واستخدامها لتمثيل الشيء بكامله.
المباشر <u>Concrete</u> : الإشارة إلى الأشياء كما هي حالياً.	الرمزي <u>Symbolic</u> : استخدام الرموز لتمثّل الأشياء.
حيّزي <u>Spatial</u> : تحديد مكان الأشياء وفق علاقتها مع أشياء أخرى، وكيف تتناسب الأجزاء لتشكّل الكلّ.	رقمي <u>Digital</u> : استخدام الأرقام، كما في حالة التعداد.

نميل إلى التركيز على أحد النصفين تحديداً أثناء التعامل مع مسألة معينة تتوافق وظيفياً مع هذا النصف من الدماغ. إذا كنا نعمل على حلّ مسألة رياضية، يكون النصف الأيسر من الدماغ أكثر نشاطاً. إذا كنا نؤلف قطعة موسيقية فهذا يجعل النصف الأيمن من الدماغ أكثر نشاطاً. كلا النصفين يكونان دائماً في حالة تفاعل مستمر مع بعضهما وبالتالي كلاهما في حالة عمل بنفس الوقت.



كل من نصفي الدماغ له طبيعة مختلفة من الوظائف والنشاطات

نصفي الدماغ موصولان ببعضهما من خلال ما يُسمى "الجسم الثقني" corpus callosum، الذي يخدم كجسر وصل بين الاتنين. هذا النشاط التوصيلي قابل لأن يُقوّى أكثر بهدف زيادة انتقال المعطيات، مثل الأفكار والمعلومات الارتجاعية، بين النصفين. فهذا يسمح لهما بالعمل معاً مما يزيد من الإبداع الذهني.



"الجسم الثقني" corpus callosum

بسبب التعقيد الكبير الذي يتسم به دماغنا غالباً ما نجد فيه عدة أنواع من الموجات الدماغية المتفاعلة فيه بنفس الوقت. لكن الموجة الدماغية الطاغية في لحظة القياس

هي التي تحدد الحالة العقلية التي نكون فيها. فمثلاً، خلال وجود دماغنا في حالة "بيتا" beta، قد يكون هناك آثار لموجات "ألفا" و"ثيتا" بنفس الوقت، لكنها تكون صغيرة بالمقارنة مع الكمية الطاغية من موجات "بيتا".

في العام ١٩٥٦م، خرج الباحث "جيمز أولد" للعالم بنتائج أبحاثه التي أجرى خلالها تحفيز كهربائي لأدمغة الفئران. بعد زرع أقطاب كهربائية في مركز "المتعة" في دماغ الفأر، وصلها بجهاز مولد للنبضات الكهربائية مُصمم بطريقة تسمح للفئران أن تشغله حين الطلب.

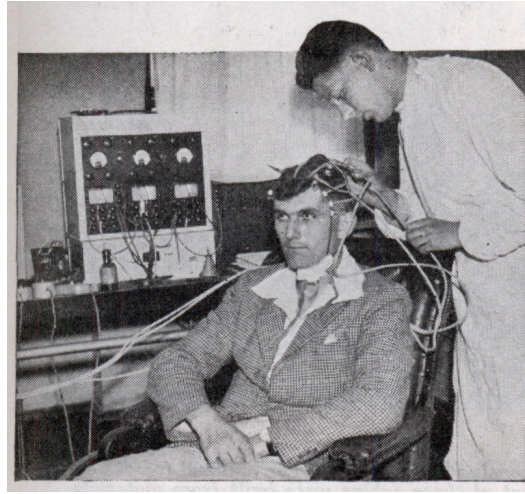


اكتشف بأن هذه الفئران أصبحت مهووسة بهذا التحفيز الذاتي لدرجة أنها فضلت "المتعة" التي يوفرها الجهاز على تناول الطعام، مما أدى إلى موتها جوعاً.

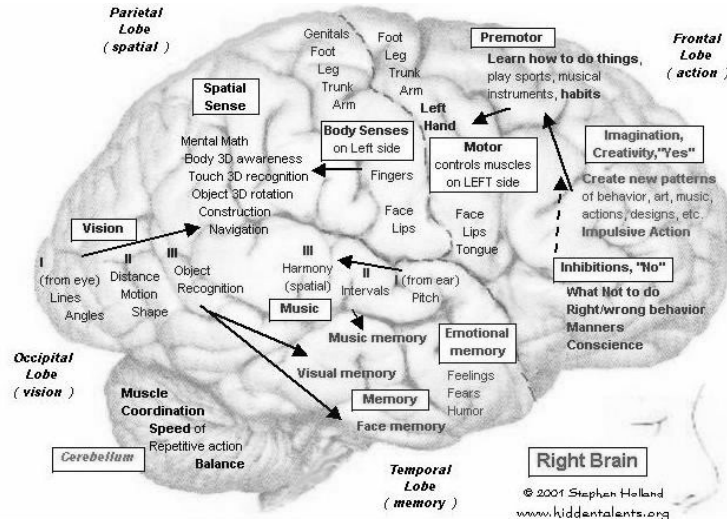
يمتلك جسم الإنسان محفزاته الكيماوية الذاتية تُنتج طبيعياً في كل من الجسم والدماغ (تعرفنا عليها في موضوع الغدد الصماء). من بينها مجموعة جزيئية تُسمى "إندورفين" endorphins التي تسكن الألم، تخفف الإجهاد، تستثير حالة المتعة، تعزز أو تقمع الذاكرة، وأخيراً تحدد نوع المعلومات التي ندخلها إلى دماغنا.

الدكتور "روبرت هيث" Robert Heath، رئيس قسم علم النفس والأعصاب في جامعة "تولين" Tulane الطبية (لويزيانا، الولايات المتحدة)، كان أول من زرع أقطاب كهربائية في دماغ إنسان. اكتشف بأن عملية تحفيز مركز "المتعة" أو "الألم" في الدماغ تطغي على، أو تعطل، التحفيزات الأخرى التي يجريها الدماغ تلقائياً. لهذا السبب ماتت الفأرة من الجوع، لأن "الشعور بالجوع" لديها كان معطلاً. تبين أن

التحفيز الكهربائي لمركز معين في الدماغ يعطل بالمقابل تحفيز تلقائي معين أو مجموعة تحفيزات.



شهد مجال الموجات الدماغية قدر كبير من الأبحاث والاكتشافات المهمة بخصوص الدماغ ووظائفه. (صورة مأخوذة من مجلة "بوبولار ميكانيكس" العائدة إلى الشهر ١٢ من العام ١٩٣٦)



تم الاستعانة بتقنية قياس الموجات الدماغية لتخطيط الدماغ بشكل كامل، بحيث رسموا خريطة شاملة لكل المناطق التي تستثار خلال قيام الفرد بنشاط معين.

الموجات الدماغية

وحالات الوعي البديلة

من خلال الاطلاع على موضوع الموجات الدماغية في الصفحات السابقة، تعرفنا على حقيقة أن كل حالة "وعي"، أو حالة عقلية معينة، مرتبطة بنمط معين من الموجات الدماغية. وبالتالي توصل الباحثون إلى أنه يمكن تفسير حالات الوعي البديلة بسهولة من الناحية العلمية، حيث يوصفها العلم بأنها حالة تغير ترددات الموجات الدماغية تجاوباً مع تغير مستوى النشاط العقلي. كلما قلّ النشاط العقلي، زاد عمق الغيبوبة (الوعي البديل). إن حالة الوعي العادية تسبب الكثير من النشاطات البايوكهربائية المرتبطة بنشاطات العقل الواعي. يُشار إلى هذا المستوى من الوعي العادي (الذي نخبره جميعاً في الحالة الطبيعية) بـ"مستوى بيتا" beta level. لكن عند الدخول في إحدى مستويات الغيبوبة، ينخفض نشاط العقل الواعي بشكل كبير.

تُصنّف النشاطات الدماغية إلى أربعة أقسام رئيسية: مستوى بيتا beta، مستوى ألفا alpha، مستوى ثيتا theta، ومستوى ديلتا delta. هذه التصنيفات تعتمد على وتيرة تردّد الموجات الدماغية. وقد تبين أن نماذج معينة من نشاطات الموجات الدماغية لها علاقة بحالات عقلية معينة. دعونا نتعرف عليها من وجهة نظر متناغمة مع موضوع التأمل:

١- **مستوى بيتا beta**: ذبذبات بيتا الدماغية مرتبطة بحالة الوعي الطبيعية (الصحوّة). فالانتباه موجّه نحو البيئة الخارجية المحيطة بالشخص. أي خلال قراءة هذه السطور مثلاً، تكون أنت في حالة بيتا الدماغية. تتذبذب موجات بيتا بين ١٤ و ٣٠ مرّة في الثانية (Hz).

٢- **مستوى ألفا alpha**: تمثّل حالة استرخاء، دون تفكير بأي شيء تحديداً، وتجسّد أحياناً شعور ممتع كأنك تطوف في الهواء. هذه الحالة الدماغية تتجسّد في

أنواع معينة من رياضة التأمل. وقد ارتبطت موجات ألفا بحالة الهدوء العقلي، الجلاء الذهني، وغيرها.. وهي تتجسد أيضاً في مرحلة الحلم أثناء النوم. تتذبذب موجات ألفا بين ٩ و ١٣ مرّة في الثانية.

٣- **مستوى ثيتا theta**: يتجسد مستوى ثيتا في حالة الاسترخاء العميق. يرتبط نشاط ثيتا بانتفاضات البصيرة المبدعة، أفكار ملهمة، وخيال خصب جداً. هذه الحالة تتجسد عند المتأملين المتقدمين. تتذبذب موجات ثيتا بين ٤ و ٨ مرّات في الثانية.

٤- **مستوى ديلتا delta**: إنه أبطأ النشاطات الدماغية. يتجسد خلال أعماق مرحلة أثناء النوم حيث يخلو حتى من الأحلام. وهذه الحالة موجودة عند المتأملين المتمرسين جداً. تتذبذب هذه الموجات بين ١ و ٣ Hz.

تكون النشاطات الدماغية لديك في حالة تغيّر دائم ومستمرّ خلال الليل والنهار. إن أي نشاط جسدي أو ذهني يسبب حصول تغييرات في النشاطات الدماغية. إن أي صوت مفاجئ أو مفاجئة غير متوقّعة سوف تسبب حصول تغيير فوري في نماذج الموجات الدماغية لديك. حتى أن مشاهدة التلفزيون قد تؤدي إلى حصول تبادلات في الموجات الدماغية بشكل تلقائي حسب المشهد ووتيرة أحداث الفيلم.

مولد الموجات الدماغية

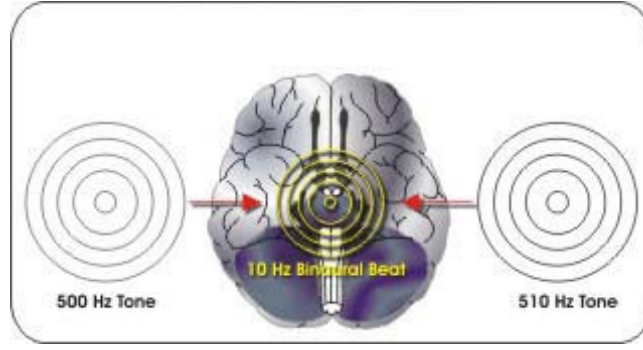
Brain Wave Generator

خلال العقود الأخيرة من القرن الماضي، تم تطوير تقنيات عديدة تمكّن الفرد من الدخول في أي من الحالات الدماغية المذكورة سابقاً المختلفة بشكل طوعي، خاصة حالة ألفا و ثيتا. وقبل ذلك، كانت الوسيلة الوحيدة التي تمكّنك من الدخول في هذه الحالات الذهنية البديلة هي رياضة التأمل.

أما التقنيات الحديثة التي تمكّن الأشخاص من الدخول بشكل طوعي في هذه الحالات الدماغية العميقة، فرغم اختلافها إلا أنها تعتمد على مبدأ واحد. هذا المبدأ يُسمى "استجابة تعقّب الموجات" frequency following response. هذا المبدأ يمثّل عملية بسيطة جداً، هي تعريض الدماغ لمصدر تذبذب خارجي، مما يجعل الدماغ يتناغم مع تذبذبات ذلك المصدر الخارجي. فمثلاً، إذا كان الإنسان في حالة بيتا الدماغية (أي حالة يقظة قصوى) ثم تعرّض دماغه لمصدر تذبذب بقوة 10Hz، لفترة معيّنة من الزمن، فسوف تتغيّر ترددات دماغه من مستوى التردد الطبيعي إلى مستوى التردد الذي يولّده المصدر الخارجي. وتأثيرات هذا التغيير الحاصل في ترددات الدماغ لها طبيعة استرخائية ومحبّبة للشخص.

أشهر الوسائل الحديثة المتبعة الآن في مؤازرة الأشخاص على الدخول في حالة وعي بديلة هي الاستماع إلى نوع من النبضات الصوتية الخاصة (تُسمّع من كلتا الأذنين binaural beats) التي تساعد على الدخول في حالة استرخاء فكري وهدوء ذهني معيّن يناسب جميع أنواع التأمل وما شابهه من أعمال ذهنية أخرى. تزعم الشركات المصنّعة بأن الاستماع إلى هذه الأصوات لفترة معيّنة من الوقت وبشكل دوري ومستمر يساعد على تدريب العقل على تجاوز عتبة الوعي العادية والدخول إلى مراحل متعددة من الوعي. هذه التقنية الجديدة كانت حصيداً عشرات السنين من الأبحاث المتواصلة. أما مبدأ عمله فهو التالي:

بعد استخدام سماعة أذن عادية، وتشغّل القرص أو شريط التسجيل المحتوي على الأصوات في جهاز عادي لكنه يعتمد على نظام ستيريو stereo سنطلق كل سماعة أصوات معيّنة يختلف كل صوت عن الآخر في وتيرة التردد. إن اختلاف الترددات الصادرة من السماعتين يولّد صوت جديد (ثلاثي الأبعاد)، فيتجاوب الدماغ معه و يجعل تردداته تتوافق مع هذا الصوت الجديد. إذا كانت السماعة الأولى تطلق ترددات بقيمة ٥٠٠ hz والسماعة الثانية تطلق ترددات بقيمة ٥١٠ hz يتشكّل في الدماغ صوت ثلاثي الأبعاد بتردد قيمته ١٠ hz، أي فرق قيمة التردد بين الصادريين من كلا السماعتين. (الشكل التالي).

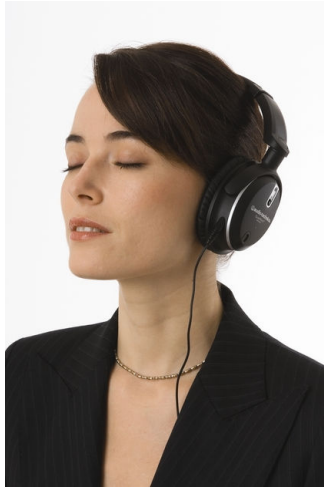


يتشكل الصوت الثلاثي الأبعاد في المخيخ الزيتوني الموجود في جذع الدماغ، أي في الجهة المقابلة لدخول الترددات الصوتية المختلفة. ثم يتم نقل الصوت المنشكل في المخيخ الزيتوني إلى اللفائف الدماغية المحيطة التي تستعين بالناقلات العصبية عند حصول أي تغيير أو تبدل في الترددات الدماغية.



خلاصة الكلام: يمكن للدماغ أن يتناغم مع مؤثرات خارجية، كالأصوات المتذبذبة أو وميض الأضواء، فيحصل رنين متوافق بينها وبالتالي يتخذ الدماغ ذات وتيرة التردد التي يتخذها المؤثر الخارجي.

بعد الاستماع إلى هذه الأصوات المتذبذبة منخفضة الوتيرة لفترة زمنية معينة (ربع ساعة مثلاً)، تكون الترددات الدماغية لدى الفرد (والتي تفاعلت مع هذه الأصوات المتذبذبة وتناغمت معها) قد انخفضت إلى الوتيرة المنخفضة ذاتها التي تتذبذب وفقها تلك الأصوات، أي المستوى المشابه تماماً لذلك الذي يصل إليه دماغ ممارس اليوغا بعد أن قضى عدة ساعات في التأمل. أي أن الموجات الدماغية عند الشخص أصبحت مناسبة للقيام بأعمال روحية مختلفة كالتأمل أو الاستبصار أو غيرها من أعمال أخرى (حسب وتيرة الذبذبة). لكن هل هذه العملية تكفي لتحقيق كل تلك الإنجازات؟



يزعم أصحاب الشركات بأنه من خلال الاستماع لهذه الأصوات يمكنك أن توقّر على نفسك الكثير من الجهد والوقت، حيث أنك خلال نصف ساعة فقط ستتوصّل إلى حالة عقلية متقدمة تشابه تلك التي يتوصّل إليها المتأملين المحترفين بعد قضائهم عدة ساعات من اتخاذ الوضعيات الجسدية والعقلية الصعبة والمضنية. لكن هل هذا الكلام صحيح؟

لقد تبين أخيراً، ومن خلال التجربة العملية، أن هذه الوسيلة لا تتجح دائماً مع كل الأفراد. إنها لا تنفع مع النسبة العظمى منهم. ماذا تتوقع من شخص قرّر التعامل مع العالم التجاوزي هكذا دون أي تحضير مسبق، دون أن يتمتع بأقل درجة من الاستعداد النفسي والجسدي الذي يمكنه من ذلك؟ ماذا تتوقع أن يحصل مع هذا الفرد الذي لا يفهم العالم التجاوزي أساساً أو المبادئ الخاصة للتعامل معه؟ تصوّر مدى السخرية، أشخاص لازالوا يؤمنون بأن الكون ذو طبيعة ميكانيكية، خلق نتيجة عامل الصدفة... وغيرها من مفاهيم علمانية/مادية شاذة، ماذا سيفعل في العوالم التجاوزية إذا استطاع بلوغها؟ هذا النوع من الأشخاص "الميكانيكيين"

سيترجم ما يختبره في هذه الحالات على أنه جنون. هناك معلومات كثيرة وجب على الفرد الإلمام بها للنجاح في مسعاه هذا. الأجهزة الصوتية التي تتبعها الشركات لا تكفي وحدها لتحقيق الأمر. هذه الأدوات ليست عديمة الجدوى فحسب، بل هي خطيرة أيضاً. هذا إذا كان الفرد يسعى فعلياً إلى التطور الروحي الأصيل، وليس ملاحقة إحدى الألعاب الاستهلاكية التي تتبعها شركات العلم المنهجي. رغم ما شهدناه من عظمة الدماغ وسحره الوظيفي العجيب، إلا أن هذا الأمر لا يفيدنا بشيء بخصوص التعرف على حالات الوعي البديلة. ليس هناك فرق بين تقنية الموجات الدماغية وضرب الطبل أو الخشخاش عند الشاماني. إن تعلمك على استخدام طبل الشاماني أو خشخاشه لا تكفل نجاحك في الانتقال إلى العالم التجاوزي. الأمر بحاجة إلى الكثير من العناصر الأساسية الأخرى. وبالتالي، فالمجال المتعلق بـ"حالات الوعي البديل" هو واسع ومتنوع ولا يمكن حصره في مجريات تتمحور حول الدماغ وموجاته. خلال تناول موضوع الوعي، وجب علينا الاستناد على الحقيقة التالية قبل القيام بأي خطوة في مسعانا:

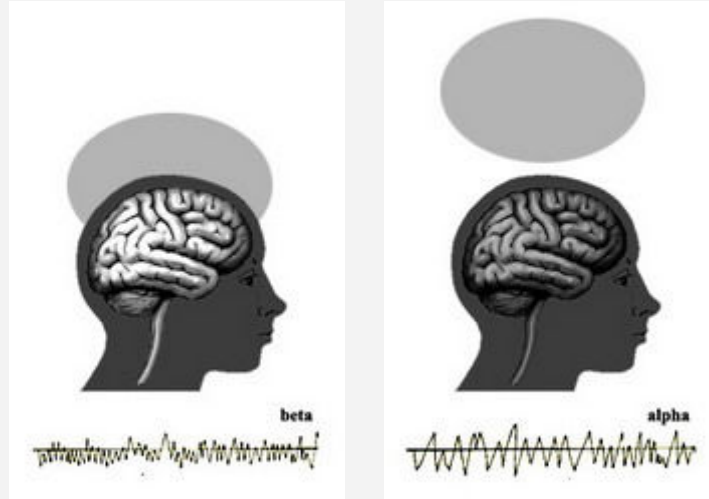
نحن نمثل أنظمة بيولوجية مفتوحة على الكون، وبالتالي:

في الأنظمة البيولوجية المفتوحة لا علاقة للدماغ بحالات الوعي البديلة

إن الموجات المذكورة في الأعلى (ألفا، بيتا، ثيتا، دلتا) تعبر عن نشاطات الدماغ فحسب، وبالرغم من أن الكثيرون يعتمدونها لوصف حالات الوعي المختلفة في أبحاثهم ودراساتهم (لأنها الموجات المعترف بها علمياً)، إلا أنها لا تعبر عن الطبيعة الحقيقية لحالات الوعي المختلفة. ففي الوقت الذي تُسلط الأنظار على الدماغ ونشاطاته، هناك من وجّه اهتمامه إلى جانب آخر، كحقل الطاقة الإنساني مثلاً، واكتشف بأنه كلما انخفضت وتيرة تردد الدماغ (نزولاً) زادت هذه التوتيرة بشكل كبير (صعوداً) في حقل الطاقة الإنساني، مما يعني أن الوعي، خلال غيابه الملموس من الدماغ، يكون في نفس اللحظة نشطاً في مكان آخر. وإذا عدت إلى الأبحاث التي أجرتها الدكتورة "فاليري هونت" Valerie Hunt (المذكورة لاحقاً في هذا الكتاب) ستلاحظ حصول مستويات أعلى من التردد الموجي في مجال

الطاقة الحيوية (اكتشفت الدكتورة "هونت" مثلاً وجود أشخاص يحوزون على ترددات مرتفعة جداً في حقول الطاقة لديهم بحيث تصل حتى ٢٠٠,٠٠٠ دورة في الثانية). هذا يكشف عن محدودية المنهج المتبع علمياً والذي يسلط انتباهه على الدماغ فقط.

خلال حالة الصحة العادية، تسجل الموجات الدماغية وتيرة مرتفعة (مستوى "بيتا" beta)، ويزداد ارتفاعها كلما زادت نسبة إثارة الدماغ أو زادت وتيرة نشاطه (تعصيب، خوف أو ذعر..). بينما خلال الغيبوبة، تسجل الموجات الدماغية وتيرة بطيئة (مستوى "ألفا" alpha وما دون)، ويزداد بُطئها كلما زاد عمق الغيبوبة. هذا يجعلنا نستنتج حقيقة مهمة: حضور الذبذبات المرتفعة في الدماغ يعني أنه مفعم بالحيوية، بينما غيابها أو ضعفها (بطئ) يعني أن الحيوية ابتعدت أو غادرت. ما هو هذا الشيء المفعم بالحيوية الذي يغيب ويحضر في الدماغ حسب الحالة؟



في حالة الوعي البديل، شيئاً ما يغادر الدماغ مما يجعل موجاته تبطؤ، وخلال حالة الوعي العادي يكون هذا الشيء حاضراً في الدماغ، فتزداد وتيرة الموجات الدماغية، وكأنه أصبح مفعماً بالحياة من جديد. ما هو هذا الشيء؟

ما هو هذا الشيء المفعم بالنشاط والحيوية، وأين يذهب عندما يغادر الدماغ؟

إذا قارنا هذه الحالة مع تلك الموصوفة في الأدبيات التجاوزية، مثل الاستبصار أو الخروج عن الجسد، حيث يتم إدراك أشياء ومواقع بعيدة جداً عن موقع الشخص، هذا يجعلنا نستنتج بأن الوعي انتقل إلى مكان آخر خارج الدماغ.

وإذا استطعنا إثبات ذلك، فهذا سيؤدي بنا إلى استنتاج الحقيقة الأهم: صحيح أنه تم إثبات مركزية الدماغ في كافة المجريات الذهنية والعصبية، كما رأينا سابقاً، لكن دوره لا يتجاوز كونه جهاز مشابه للتلفزيون، حيث رغم تعقيده الفائق إلا أنه لا يجدي نفعاً في غياب الإشارة اللاسلكية القادمة من الخارج، وهذه الإشارة هي التي تشغله، أي بمعنى آخر، تجعله مفعماً بالحياة! الموضوع التالي، والذي يتحدث عن ظاهرة يومية مألوفة لدى الجميع، سوف يوضّح الفكرة بشكل جيد:

النفس لا تنام

الحلم هو مألوف لدى كل الناس. بعض الأشخاص يقولون بأنهم لا يحلمون، لكن بعد إخضاعهم للفحص يُكتشف بأنه راودهم حلم أو اثنين فيصحّون خطأهم بالقول أنهم قصدوا القول أن أحلامهم نادرة وليست معدومة. إنه مشكوك به وجود إنسان لم يراوده حلم يوماً في حياته. يُقال بأن الأحلام مجردة من أي أهمية تُذكر، وأنها تحصل نتيجة تغيرات في ضغط الدم أو سوء الهضم أو المرض، أو أسباب أخرى مشابهة. من المفروض أن تكون عديمة الأهمية لأنها، إذا نظرنا إليها من زاوية المنفعة، ليس لها أي فائدة عملية. لكن رغم هذا كله، هناك البعض ممن يستفيدون من أحلامهم باستمرار، ويروي لنا التاريخ الكثير من الحالات (الدينية والدينيوية) التي كان للحلم فيها فائدة تحذيرية أو تنبؤية، أو إلهامية.

النقطة المهمة التي تهمننا بخصوص الحلم هي حقيقة أنه رغم نوم الجسد والدماغ، حيث النوم يبدأ أولاً في الدماغ ويُحكم من قبله، إلا أنه يبقى هناك كيان صاحي ونشط بحيث يدرك ويتذكر كل ما شاهده واختبره في الحلم. الحزن، الفرح، الخوف، الغضب، الطموح، الحب، الكره، وكل العواطف الممكنة الأخرى يتم إدراكها والشعور بها في الأحلام.. [من يشعر بهذه العواطف خلال نوم الدماغ؟!]. الفائدة من هذه التجربة في حالة الصحوة ليس لها علاقة بظاهرة الإدراك. يُقاس "الزمن" في الحلم، ليس عبر أطوار الشمس كما في حالة الصحوة، بل وفقاً لتأثيرات معينة على الحالم. وبما أن السيل الزمني في الحلم هو بوتيرة أعلى بكثير مما يناسب الدماغ، فهذا يعني أن هناك "شخص ما" يسجل الوقت.. [من يسجل الوقت خلال نوم الدماغ؟!]. في كل هذه الأحلام يتم تذكر كل الأحداث المُدركة، وتنتقل هذه الذاكرة إلى حالة الصحوة.. [من يخزن هذه الذاكرة خلال نوم الدماغ؟!]. وفي الأحلام أيضاً، يُستخدم المنطق وكل الملكات الفكرية الأخرى التي يستخدمها الإنسان في حالة الصحوة.. [من الذي يفكر خلال نوم الدماغ؟!]. بما أن العواطف، التفكير، الإدراك، والذاكرة هي جميعاً نشطة خلال الحلم، وحتى اكتُشف بأنها أكثر نشاطاً من حالة الصحوة، فبالتالي، لا بد من وجود حالة صحوة لكن من نوع آخر.. "وعي بديل".. أو "صحوة بديلة"، مسؤولة عن هذه الظاهرة.

المظهر "الخيالي" للأحلام لا يُضعف من هذه الحجّة. فالخيال لا يقتصر حصراً على حالة الحلم، بل هو حاضر أيضاً في حالة الصحوة. يكون الخيال عند بعض الناس الواعين أكثر غناً وخصوبة من الحلم ذاته. وكلنا نعلم أن الخيال متطور جداً عند الأطفال. إن حضوره في المنام يعني ببساطة أن "المفكر"، بعد تحرره مؤقتاً من الجسم والدماغ، يختبر هذه الملكة بشكل أوسع وأكثر قوة. إذا تجاوزنا موضوع الخيال إلى موضوع الأحلام التنبؤية نجد أنفسنا أمام ظاهر أكثر عجباً بقدر ما هي أكثر إرباكاً بالنسبة للباحثين. كيف يستطيع الحالم أن يستشرف أحداث مستقبلية لازالت في رحم الزمن؟! لا يمكن لهذه الظاهرة أن تُفسّر سوى بالاعتماد على منطق مختلف تماماً عن المنطق العلمي المنهجي.

كافة الباحثين في مجال خفايا العقل، الأكاديميون منهم والماورائيون، ينسبون هذه الحالات والظواهر إلى أقسام خفية من العقل، وأشهر المصطلحات المستخدمة هي "اللاوعي"، "العقل الباطن"، "النفس الخفية"، "الذات العليا"،.. إلى آخره. لكن كل هذه الأسماء التي تشير إلى كيان خفي يقبع في كينونتنا هي مجرد عناوين عريضة، نستخدمها دائماً كملاجئ أخيرة هرباً من المسائل المستعصية التي نتحدثنا، ولم نتعمق يوماً في تفاصيل هذا الموضوع لنكتشف السرّ.

لكن من أجل توضيح المسألة بشكل نهائي، سوف أشرح الموضوع بطريقة مختلفة تماماً عن تلك التفسيرات المألوفة (علمياً وماورائياً). من أجل سهول استيعاب هذه الفكرة، سوف أتناول موضوع "الوعي" من جانبين مختلفين: [١] الوعي بصفته الطاقة، و[٢] الوعي بصفته تفاعل معلوماتي مع البيئة المحيطة.

الوعي بصفته طاقة

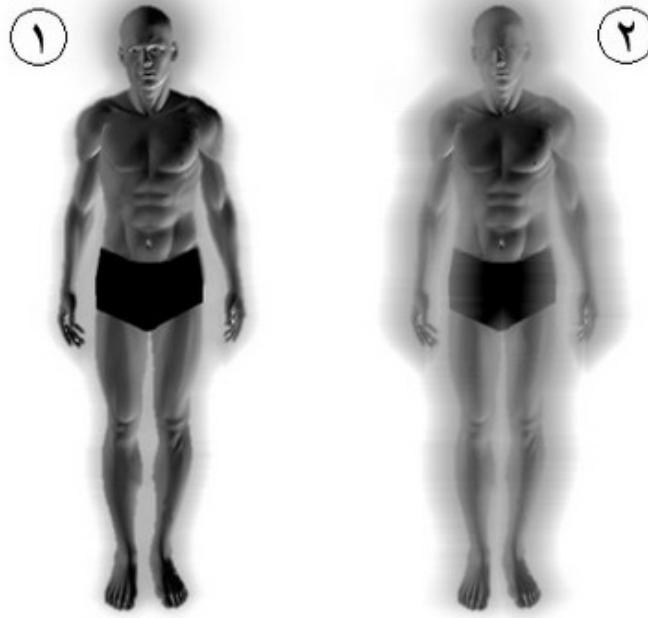
تحدثت في أحد الفصول السابقة عن الجسم الأثيري الذي خضع للبحث العلمي منذ الخمسينات من القرن الماضي وأصبح يُسمى "الجسم الطاقوي الحيوي" BioEnergetic Body. تبين أن هذا الجسم الخفي مرتبط بشكل وثيق ومتداخل مع الجسم العضوي. هذا الجسم مؤلف من مادة أثيرية مركزة وكثيفة لها بنية مستقرة وثابتة. هذا القسم لا ينفصل أبداً عن الجسم العضوي طالما بقي الأخير على قيد الحياة.

في حالته المنكمشة (عندما يكون الجسم العضوي صاحي بالكامل) يكون الجسم الأثيري مُحاطاً بغلاف كثيف، يُسمى عموماً بـ"الغلاف الحيوي"، يلعب دورين: طبقة تخزين للطاقة وحاجز وقائي. هذا الغلاف يحمي الداخل الحساس من طاقات، أجواء، وتأثيرات خارجية متطفلة. في الحالة العادية، يرخي الجسم الأثيري هذا الغلاف الوقائي الكثيف فقط عند تمدده أثناء النوم أو حالات الوعي البديلة بمستوياتها المختلفة (يعتمد على عمق الوعي البديل، كما سنرى لاحقاً).

في حالة تمدده الكامل، يبدأ هذا الجسم الأثيري بامتصاص إشعاعات طاقوية مرهفة (لا يمكن تحديد كامل جوانب طبيعتها لكنها بكل تأكيد "برانا" كونية) تصدر من الكون المحيط به. يبدو أن منافذ تبادل الطاقة energy exchange ports المنتشرة على امتداد الجلد (بالإضافة إلى الشاكرات الرئيسية) تتفتح كالأزهار خلال حالة التمدد هذه (أثناء النوم) وتصبح قابلة لامتصاص وتكثيف أشعاعات الطاقة المرهفة تلك، فترشحها إلى مناطق التخزين الحيوي للجسم الأثيري. (هذه ليست مزاعم ماورائية مأخوذة من التعاليم الإيزوتيرية، بل حقائق علمية مثبتة).

هذا الإجراء الذي يقوم به الجسم الأثيري، والمتمثل بالتمدّد والتنقية والتحسين، لا يترك الجسم العضوي ولا النسخة الأصلية للعقل، الذاكرة، والوعي عرضة لخطر التدخّل الخارجي خلال النوم أو الوعي البديل. ففي حالته الممتدة، يبدو أن الجسم

الأثيري يصبح أكثر حساسية للطاقت المتطفلة، ويشكل ما يمكن وصفه بـ"جهاز إنذار طاقي" حول الجسم العضوي النائم.



الجسم الأثيري ينكمش أثناء الصحوة [١]، ويتمدد أثناء النوم أو الغيبوبة [٢]
(ولهذه الحالة أسباب خاصة سأشرحها لاحقاً)

يُعتقد عموماً بأن الغاية الأساسية من وجود الأجسام الخفية المتدرّجة حول الجسم المادي، بما فيها الجسم الأكثر كثافة وهو الأثيري، تتمثل في السماح للـ"نفس" (أو الوعي الجوهري المانح للحياة) أن تتجلى عبر كائن حيّ من لحم ودم. الأجسام الخفية تمسك بالـ"نفس" الجوهرية بقوة داخل الجسم المادي، فتحبسها داخل البعد المادي وما يصحبه من تجارب شاقة ومضنية. وبالتالي يمكن اعتبار المحتوي الأثيري وكأنه نوع من المادة اللاصقة (صمغ)، تعمل على ربط وتثبيت الـ"نفس" في الجسم المادي، لأن النفس تنزع دائماً للانفصال هرباً من هول المعاناة الدنيوية.

هذا سيسمح للـ"نفس" أن تتجسّد في الهيئة المادية وتعبّر عن نفسها في البُعد المادي، بينما في الوقت نفسه، يُسمح لها بالمحافظة على صلاتها الطاقية الثابتة مع باقي المستويات العُليا من الوجود عبر طيف من الأجسام الخفية المتدرّجة.

إذاً، لقد أصبح واضحاً وجود علاقة جوهرية بين هذه الطاقة الحيوية الغامضة وبين حالتَي الصحة والغيوبية. ومن الواضح أن هذه الطاقة هي المسؤولة عن تمدّد وتقلّص الجسم الأثيري (كما سنثبتها عملياً في الجزء القادم)، ولهذا السبب يُسمى هذا الأخير أيضاً بـ"الجسم الطاقِي" energy body.



ترتفع كثافة الطاقة
إلى أعلى درجة
أثناء النوم

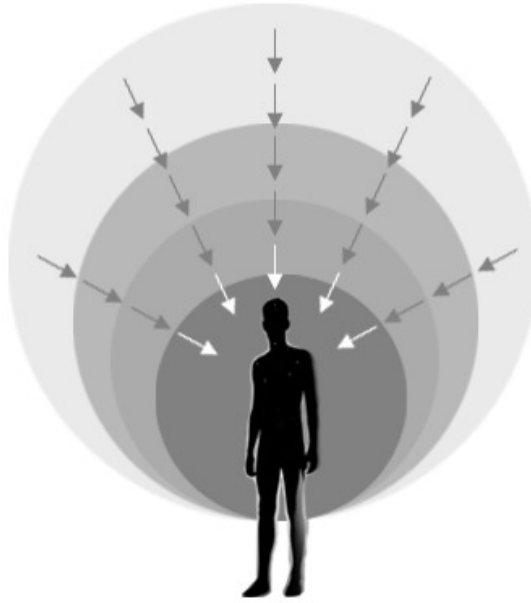
تنخفض كثافة الطاقة إلى أدنى
درجة خلال الصحة



لكننا رغم هذا كله لا زلنا نجهل مصدر هذه الطاقة الحيوية التي لمسنا وجودها عبر تجارب مخبرية وعملية متعددة. من أين تأتي؟ كيف تتولّد داخل الجسم؟ الجواب على هذه التساؤلات السابقة سيكون واضحاً وجلياً بالنسبة لمن أدرك الصورة الحقيقية للكائن البشري. أما بالنسبة لمن لا زال يأخذ بفكرة أن الإنسان

يُمثّل منظومة مُقفلة (أي معزول عن البيئة الكونية المحيطة به) فسوف لن يصل إلى إدراك الجواب أبداً.

لم يُعد هناك شكّ بحقيقة أن الإنسان (وكل الكائنات الحيّة الأخرى) يُمثّل منظومة بيولوجية مفتوحة. لقد تعرفنا في الأجزاء السابقة كيف تكون هذه المنظومة البيولوجية (الإنسان) مفتوحة على مصراعيها لكم هائل من المعلومات الأساسية للمحافظة على بقاءها. لكن هذا لا يعني أنه لا يُزوّد بكميات كبيرة من الطاقة الصرفة أيضاً. أعتقد بأنك بعد الاطلاع على موضوع "البرانا" Prana الوارد في بدايات هذا الكتاب أصبحت تعلم ما هي طبيعة هذه الطاقة الحيوية وآلية عملها.



الإنسان يُمثّل منظومة بيولوجية مفتوحة على طيف واسع من الطاقات الكونية،
المعلوماتية منها والحيوية

بعد جمع ما تعرفنا عليه من معلومات (هنا وفي أجزاء سابقة) بخصوص هذه الطاقة الكونية التي يتلقاها الإنسان، يمكن تحديد ثلاثة مظاهر مميزة وجلية تتجسّد

بوضوح من خلال الجسم الأثيري: [١] مظهر حيوي طاقي bioenergetic، [٢] مظهر طاقي صرف pure-energetic، [٣] تمدد طاقي expanded-energetic. وهذه السمات الثلاثة متصلة ببعضها بشكل وثيق.

— أما بخصوص المظهر الحيوي الطاقي للجسم الأثيري، فيتمثل بالآلية الطاقية الداعمة والمعززة لكل الإجراءات الحيوية والذكاء الجسدي الذي ينسق بين كافة الوظائف الجسدية. هذه الطاقة البايومعلوماتية تعمل جنباً إلى جنب مع الوظائف العضوية للجسد المادي، مما يجعلها تشكل نسخة طبق الأصل للجسم المادي (كما رأينا) ومتداخلة معه بشكل وثيق.

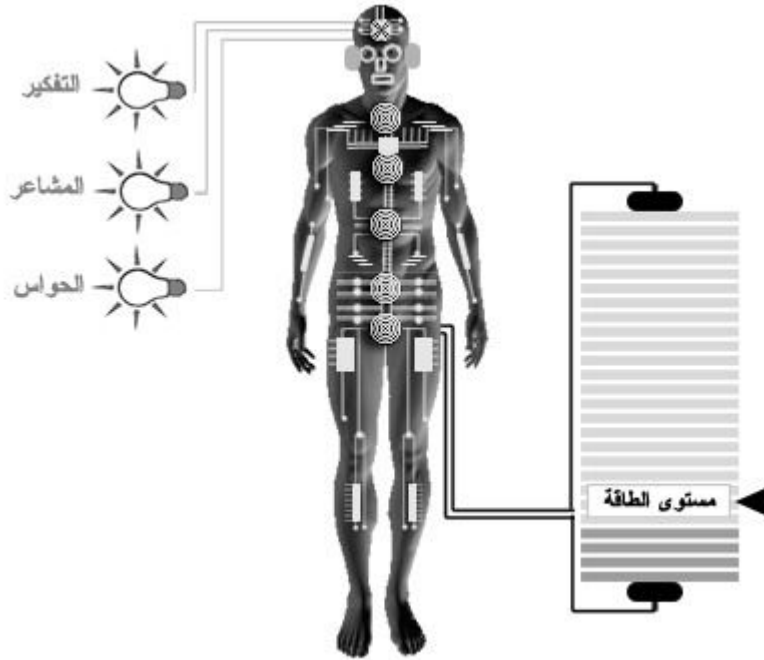
— أما بخصوص المظهر الطاقي الصرف للجسم الأثيري، ويبدو أنها تشبه المجال المغناطيسي ولهذا السبب سميتها "طاقة بايومغناطيسية" (سوف نلمسها ونستشعر بها ونختبر بعض خواصها من خلال بعض التجارب العملية في الجزء القادم). هذه الطاقة بالذات لها على الأقل سبعة مراكز تجمع رئيسية (معروفة باسم "الشاكرات")، ومئات من مراكز الطاقة الثانوية (شاكرات ثانوية)، وآلاف من منافذ تبادل الطاقة الدقيقة جداً والموزعة في جميع أنحاء الجسم. ويوصل بين هذه المراكز شبكة معقدة من مسارات الطاقة الداخلية والخارجية، دارات توصيل، وهيئات طاقية.

— أما بخصوص مظهر التمدّد الطاقي للجسم الأثيري، فهو حالة توسع يحصل عندما يكون الجسم المادي نائماً، أو داخلاً في حالة وعي بديلة (وتزداد درجة التمدد مع ازدياد التعمق في الغيبوبة). في هذه الحالات البديلة من الوعي، يُستثار المحتوى الذي يتألف منه المظهر الطاقي الصرف من الجسم الأثيري ويبدأ بالتوسّع للخارج.

لكن يبدو أن الإنسان له حصّة محددة من هذه الطاقة الحيوية التي يُزوّد بها، وإلا لما كانت تتخفّف شدتها عندما تُستهلك بمعدلات معينة ووفق شروط معينة. سوف

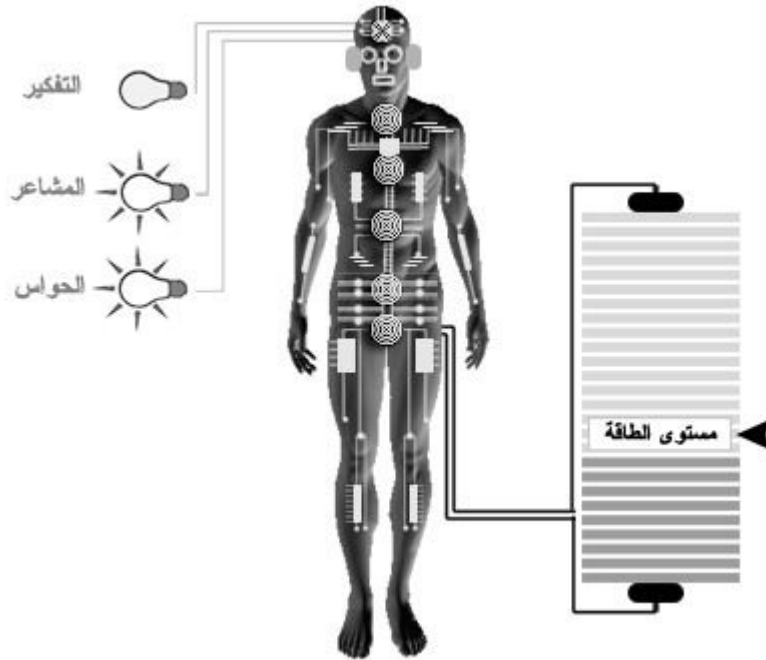
نكتشف خلال التجارب العملية أن مجرد الدخول في حالة سطحية من الوعي البديل (هدوء ذهني ونفسي) ترتفع نسبة الطاقة التي نستشعرها بين القرصين بوضوح. كما سيتبين أيضاً أن إغلاق أي من المنافذ الحسية لدينا (العينين مثلاً) يؤدي إلى ارتفاع قوة هذه الطاقة، وكذلك الحال مع عملية التفكير التي لها تأثير على مستوى شدتها أيضاً. هذا يشير إلى أن الطاقة قابلة لأن تتكاثف وتتقلص وفق إجراءات ذهنية معينة. ومن خلال البحث في هذه الإجراءات وإخضاع كل منها لدراسة معمقة، خرج الحكماء القدامى بمنهج كامل متكامل يستطيع تنشيط هذه الطاقة واستثمارها بطرق مذهلة فعلاً. لكن لا يمكننا تكوين صورة واضحة عن إنجازهم العظيم هذا قبل التعرف على المزيد من المعلومات.

من أجل فهم الفكرة جيداً، دعونا نشرح هذه الحالة بطريقة كهربائية: سوف نشبه الإنسان بـ"الروبوت" (رجل آلي)، يتغذى على طاقة كهربائية محدودة تزودها بطارية. كما في الشكل التالي:



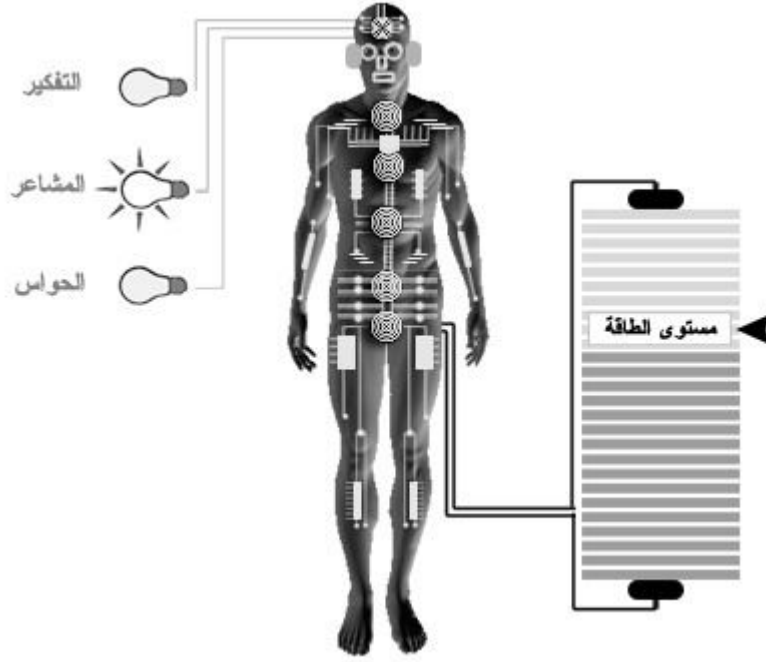
كما نلاحظ في هذا الشكل في الأعلى، البطارية تغذي الرجل الآلي، والذي لديه ٣ منافذ استهلاك للطاقة الكهربائية (مصابيح مضيئة) مُمثلة لثلاثة عناصر صحوّة أساسية هي: التفكير، المشاعر، والحواس. (هذه مجرد عينات من عناصر الصحوّة، حيث إذا أردنا ذكرها جميعاً، مع تفرّعاتها، سوف تزيد من تعقيد الفكرة).

نلاحظ أيضاً في الشكل السابق بأن البطارية شبه فارغة بسبب استخدام كافة منافذ استهلاك الطاقة الكهربائية، وهذا يعني أن الإنسان في كامل صحوته، وبالتالي فالطاقة الحيوية منخفضة لديه. لكن مجرد أن دخل الإنسان في حالة "عشبية" (حالة سطحية من الوعي البديل يسببها الهدوء الفكري)، فهذا يماثل إغلاق منفذ واحد لاستهلاك الطاقة في الرجل الآلي، ممثلاً بعنصر "التفكير". كما في الشكل التالي:



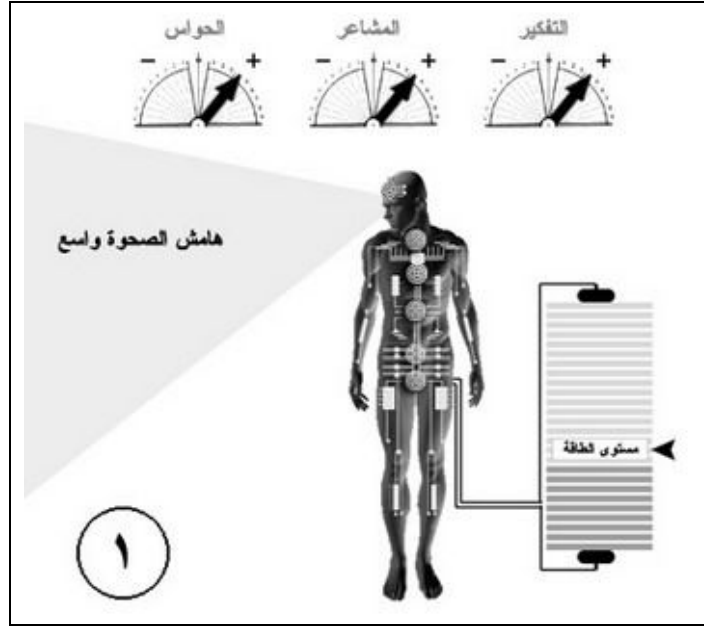
مع إغلاق هذا المنفذ الواحد لاستهلاك الطاقة (التفكير)، نجد أن مستوى الطاقة المخزّنة في البطارية قد ارتفع قليلاً.

لكن إذا دخل الإنسان في حالة عميقة من الوعي البديل، مثل "النوم" أو "شبه الغيبوبة" (مما يجعله يستغني عن "الحواس")، فهذا يماثل إغلاق معظم منافذ استهلاك الطاقة في الرجل الآلي. أي تكون الصحوة غائبة، أو شبه غائبة (حسب الحالة)، وهذا يجعل مستوى الطاقة يرتفع بشكل كبير في البطارية.

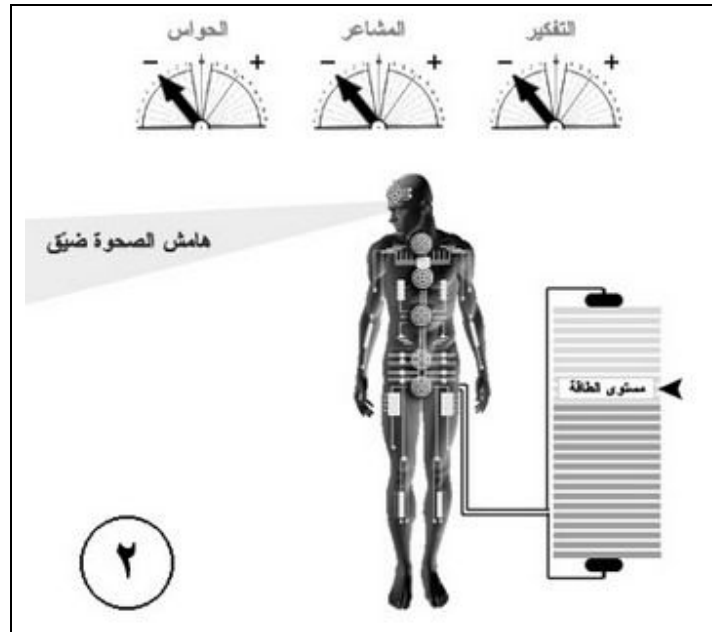


يمكن التعبير عن هذه العملية بطريقة أكثر قرباً من الواقع. فخلال جلسة التأمل، لا يمكن لعناصر الصحوة أن تنطفئ فجأة، بل تغيب تدريجياً عن ساحة الصحوة وبشكل متزامن. لهذا السبب سوف أستخدم المصابيح بمقاييس مئوية (عدادات) تعبر عن حالتها، كما هو مبين في الصور التالية:

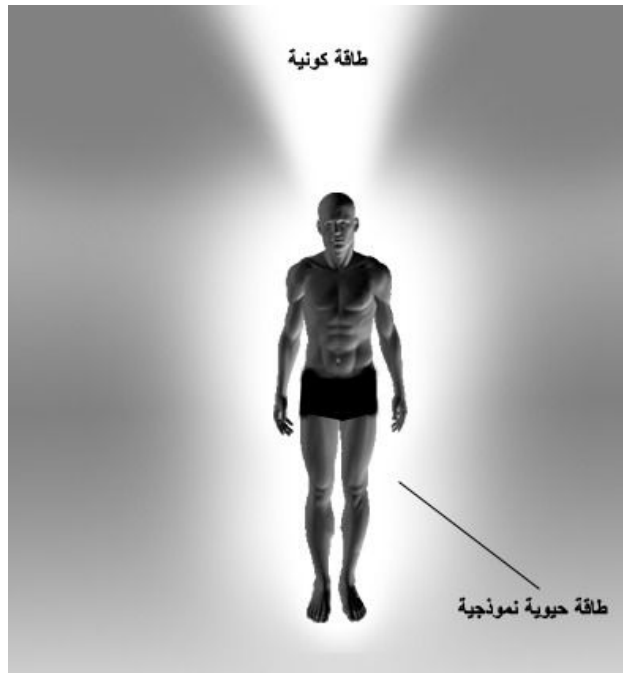
— الشكل [١] يبين حالة الصحوة الطبيعية، حيث تكون عناصر الصحوة نشطة بنسبة كبيرة، وبالتالي يكون مستوى الطاقة منخفضاً.



الشكل [٢] يبيّن حالة الغشبية، حيث يضيق هامش الصحة، فتتخفّض نسبة نشاط عناصر الصحة، وبالتالي يكون مستوى الطاقة مرتفعاً.



بعد أن فهمنا آلية عمل هذه الطاقة الكونية وفق مفهوم كهربائي، دعونا الآن نحاول إسقاط هذه العملية على الإنسان العادي لنرى كيف تعمل منظومة الطاقة هذه وفق مفهوم بيولوجي كما طريقة البطارية الموصوفة (كهربائياً) في الصفحات السابقة، فإن الإنسان، بما أنه يمثل منظومة بيولوجية مفتوحة، يتزود طبيعياً من طاقة حيوية كونية. هذا المصدر الكوني من الطاقة الحيوية خصص للإنسان قسط معين يكفي للمحافظة على بقاءه وتعزيز كافة الوظائف العضوية والعقلية في كينونته لكي يستمر في الحياة. يمكن تصوّر آلية تغذي الإنسان بهذه الطاقة الكونية بطريقة مشابهة لما هو مبين في الشكل التالي:



إذا اعتبرنا أن الفرد لا يقوم بأي وظيفة أو نشاط من أي نوع، سوف تبدو الطاقة النموذجية كما في الشكل السابق. لكن قوة وكثافة هذه الطاقة تزداد أو تنقص وفقاً للنشاط الذي يقوم به الفرد. يمكننا تصوّر كيف تبدو الطاقة الحيوية خلال أقصى حالتين متناقضتين، "الصحة الكاملة" و"النوم العميق"، من خلال الشكلين التاليين:



تكون الطاقة في
أدنى مستواها
خلال الصحة
الكاملة. بسبب
استنزاف معظمها
عبر المنافذ
الحسية (عناصر
الصحة)



تكون الطاقة في
قمة كثافتها خلال
النوم العميق.
بسبب إغلاق
كافة المنافذ
الحسية.

سوف نتعرّف لاحقاً (في أجزاء قادمة) كيف يمكن إتباع وسائل مختلفة لخلق حالة نوم صناعي، أي نوم كامل للجسد مع إبقاء الوعي مستيقظاً، بحيث تبقى الطاقة الحيوي مرتفعة جداً، وقابلة للاستثمار حسب الطلب ووفق الرغبة، وهذه هي الحالة ذاتها التي نسميها "النوم المغناطيسي" أو "الغيبوبة الشامانية" أو "الغيبوبة المسمرية"، إلى آخره، ويتم ذلك عبر استثمار ظواهر وخواص طبيعية أخرى تتمتع بها الكينونة البشرية، أشهرها "الصحة الديناميكية" (الوعي الديناميكي) التي سأشرحها في الجزء القادم، والتي يمكن تصويرها في حالتها الطبيعية كما في الشكل التالي:



بعد إفعال كافة منافذ استنزاف الطاقة عبر النوم الاصطناعي، يمكن تشكيل منفذ وحيد لتجسيد هذه الطاقة الزائدة، ويتمثل بنقطة معينة استهدفت فكرياً، ثم ينتقل إليها الوعي المركزي، فتتشكل صحة ديناميكية.

الوقت لازال مبكراً للحديث عن هذه الهيئة من الطاقة التي سميتها "الصحة الديناميكية" أو "الوعي الديناميكي"، حيث هناك الكثير من المعلومات التحضيرية التي وجب التعرف عليها أولاً، لكن ما يهمنا بخصوص هذا الموضوع الآن هو أن هذا "الوعي الديناميكي" له علاقة جوهرية بعملية توجيه الانتباه.

طاقة الانتباه

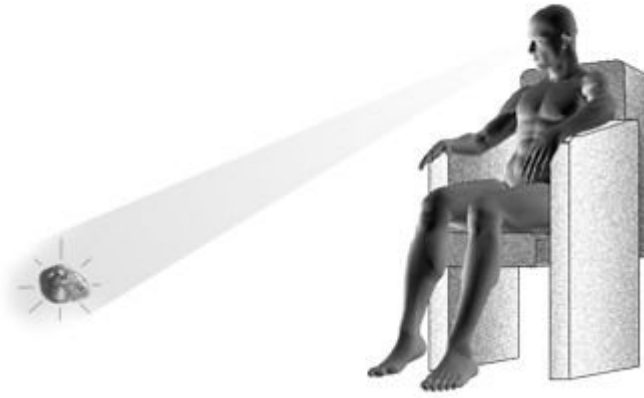
هناك حقيقة مهمة وجب معرفتها بخصوص الانتباه. ذكرت سابقاً أن العينين، والحواس الخمس بشكل عام، تمثل منافذ استنزاف للطاقة الحيوية. لكن لم نأتي على ذكر أحد أهم عناصر الصحة وأكثر المنافذ استنزافاً للطاقة وهو الانتباه. يُعد توجيه الانتباه المحرك الرئيسي لعملية الإدراك، وبما أن الإدراك هو عبارة عن عملية تسخير للطاقة، فالانتباه هو موجّه للطاقة، وبالتالي هو مستنزف لها.



توجيه الانتباه (بطريقة تشبه المصباح اليدوي) يساعد العقل على إدراك الواقع بطريقة منظمة وقابلة للاستيعاب

الإدراك يتناول الأشياء التي نقوم بتوجيه انتباهنا نحوها فقط. وهذه العلاقة الصميمية بين الإدراك والانتباه هي في الحقيقة لصالحنا، حيث إذا كان عقلنا مفتوحاً على مصراعيه ويتلقى ذلك الكم الهائل من المعلومات (المُدركة وغير المدركة) التي تأتينا دفعة واحدة، واضطربّ بالتالي إلى التعامل معها مرة واحدة

فسوف يتعطل في الحال بسبب الحمولة الزائدة و سنبصج مجانين. نحن لا نستطيع قيادة سيارة مثلاً في الوقت الذي نتعرض فيه للملايين من المعلومات ونعالجها دفعة واحدة. هذا مستحيل. لهذا السبب وجب على الدخل المعلوماتي للعقل أن يكون محدوداً، أي وحب أن يكون العقل قابل للتوجيه نحو أمر واحد فقط حتى يتمكن من استيعاب هذا الأمر بسهولة ويسر. لهذا السبب هناك عامل خاص يتحكم بالدخل المعلوماتي المحدود الذي يستطيع العقل الواعي تحمله، وهو عامل توجيه الانتباه – أي تركيز العقل الواعي تجاه نقطة محددة من الواقع المحيط بنا، كما يفعل المصباح الكهربائي اليدوي الذي يسلط نوره تجاه موقع محدد.

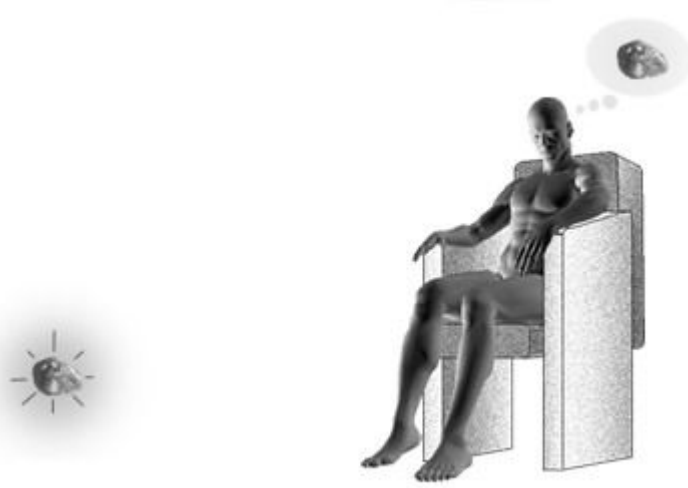


توجيه الانتباه نحو الأشياء على شكل ضوء المصباح، ويُسمى "الانتباه الإشعاعي"

لكن هذا ليس كل ما يفعله الانتباه، بل هناك المزيد. سوف نتعرف على هذا الموضوع بالتفصيل في الجزء القادم. لكن ما وجب معرفته هنا هو أن الفرق بين النوم العادي والنوم الصناعي هو أن الانتباه في الحالة الأولى يكون مُعطلاً، لهذا السبب لا نستطيع التحكم بمجريات أحلامنا، حيث يكون الانتباه تلقائي التوجيه. لكن خلال النوم الاصطناعي، حيث يمكن تفعيل الانتباه، نستطيع حينها توجيهه حسبما نشاء في ذلك العالم الحلمى. وهذا ما نسميه "أحلام الصحوة" أو "الخروج عن الجسد". لكن هذه الحالات تتطلب نوع آخر من الانتباه وهو الانتباه الرينى، وهذا الأخير يتعلّق بالتصوّر (أنظر في الشكل التالي). إذا كانت جودة صورة

الهدف الذي تتخيله عالية، أي صورة ذهنية واضحة ونقية، سوف يتمكن الانتباه من إصابة الهدف بقوة (أي التشكل عنده بكثافة). في الحقيقة، إن تنشيط الانتباه الرنيني يشغل جزء كبير من تمارين اليوغا. وهو ذاته الذي يُشار إليه بالكلمة "سامادهي" Samadhi.

الانتباه الرنيني هو الموجّه الرئيسي لما نسميه "الوعي الديناميكي"، وهذا الأخير يمثّل العامل الجوهري الذي تستند عليه كافة الظواهر العقلية الخارقة، ابتداءً من التحكم بالأشياء عن بُعد، أو الاستبصار، وصولاً إلى ظاهرة الخروج عن الجسد. لكن من أجل التوصل إلى هذه المرحلة المتقدمة من الاستيعاب، أنت بحاجة إلى الكثير من المعلومات الأولية المصحوبة بتجارب عملية تلمسها بنفسك. دعونا في الوقت الحالي نكمل مسيرتنا في جمع المعلومات الجديدة تحضيراً لتلك المرحلة.



توجيه الانتباه نحو الشيء المستهدف فكرياً (وليس حسياً) يُشكّل رنين متناغم بين الفرد وبين الشيء، أينما كان موقعه ومهما كانت المسافة الفاصلة. يُشار إلى هذا النوع من توجيه الانتباه بـ "الانتباه الرنيني".

من أجل خلق حالة النوم الصناعي والتمكّن من استثمارها بالطريقة المرغوبة، نحن بحاجة للتعرف أكثر على النوم العادي وآلياته وعناصره المختلفة، والموضوع التالي سيحقق هذا الغرض.

الوعي المركزي

وآلية نشاطه في الأبعاد التجاوزية للكينونة البشرية

بسبب محدودية الإدراك التي تفرضها عوامل الدماغ العضوي، فإن العقل الواعي محبوساً في إطار زمكاني (زماني/مكاني) ثابت، أو دعونا نقول سكة مقفولة، أو حلقة مغلقة من "السياق الزمني". أقصد بذلك إطار التسلسل الزمني الأرضي. وبناء على هذا تُعتبر حالة "الحلم" أو "الخروج عن الجسد" مثلاً عملية انتقال الوعي من حالة احتباس ضمن حدود الوصلات العصبية للدماغ وإطاره الزمني الثابت، إلى المستوى التجاوزي الذي يمثّل حالة بديلة من الوعي. الجهاز العصبي المستقل يسمح لوظائف الجسم أن تعمل بشكل طبيعي بينما الوعي المركزي للفرد موجّه بعيداً عنه. لكن خلال وجود الوعي المركزي في هذه الحالة التجاوزية، يكون قد تحرّر من قيود الزمان/مكان ودخل عالم مختلف تماماً سوف أوصفه لاحقاً بالتتابع. (سوف نتعلّم لاحقاً بأنها مجرد عملية إحداث رنين مع موقع معين تستهدفه بتفكيرك، يمكن أن يكون في البعد الأرضي أو الأبعاد العليا، ثم تنقل الوعي لديك إلى ذلك المكان المستهدف بفعل الرنين. وبالتالي، أنت لا تذهب إلى أي مكان فعلياً، بل صنعت نسخة أخرى لحالة الصحة لديك في المكان المُستهدف).

أعلم بأن معظمكم سوف يتساءل عن مدى جدوى هذا الكلام السابق الذي سئم منه القراء حيث يتم تكرار ذكره في الكتب الإيزوتيرية لكن دون أي فائدة عملية. قد يكون هذا الكلام صحيح، لكن فقط إذا اكتفينا بهذا المستوى من المعلومات بخصوص الكينونة البشرية. إن ما سنتعرفون عليه في هذه السلسلة من الكتب لم يتوفر في أي مرجع يتناول هذا المجال إطلاقاً. أنا لم أكتب هذا الكتاب لأسوق مذهب روحي معين أو التبشير بعقيدة معينة، بل الهدف هو التعرف على جانب

رائع من كينونتنا البشرية لكنه يقبع مُهملاً، منسياً، خاملاً في داخلنا دون أن نستكشفه أو نستثمره ونتمتع بعجائبه المذهلة. لقد تحدثت عنه المذاهب الروحية المختلفة باستفاضة، لكن بطريقة لاهوتية وفلسفية معقدة مما أدى إلى نفور الكثير من الناس عن هذا المجال. لكن في هذه المجموعة من الكتب سوف نعرف كيف نستفيد عملياً من هذا الجانب الرائع وليس الاكتفاء بالتغني به والوقوف على أطلاله ننشد الشعر. كل ذلك بطريقة بسيطة ومفهومة ومتحررة من أي تعقيدات لاهوتية أو فلسفية.

هناك الكثير من الغموض المحيط بالمفهوم الذي تمثله كلمة "وعي" رغم استخدامنا لها في أحاديثنا مقتنعين بأننا نفهم معناها بالكامل. لكن ما فعله هو استخدامها بطريقة سطحية وعابرة دون أن نتوقف للحظة والنظر في معناها الحقيقي لإدراك مدى الغموض الذي يشوبها. فمثلاً، خلال استخدامنا للعبارة الشائعة ".. فلان غاب عن الوعي.."، أو ".. غاب وعي فلان.."، أو غيرها من عبارات يُقصد منها التعبير عن انفصال الوعي عن الشخص، هل توقفنا لبرهنة وتساؤلنا: إذا غادر هذا الوعي من الشخص، فإلى أين يذهب؟

في الحقيقة، الوعي لم يذهب إلى أي مكان، بل انتقل إلى مستوى آخر من كينونة الفرد، وهذا المستوى هو أعلى من المستوى الأرضي الذي نألفه خلال الصحة العادية. صحيح أنه يكون صاحياً في ذلك المستوى العالي لكننا لا نتذكر شيئاً عن ما جرى خلال وجوده في ذلك المستوى لأنه ينتمي إلى بُعد آخر يختلف عن البعد الذي نألفه ونعتاد على التعامل معه. بالإضافة إلى أن وتيرة أداءه في تلك المستويات العليا لا تتوافق إطلاقاً مع الوتيرة الطبيعية للعمليات الذهنية التي تألفها في حالة الصحة العادية.

إذاً، ليس هناك وجود لحالة تُسمى "غياب الوعي"، بل هناك حالة "وعي بديل". أي أن الوعي المركزي انتقل للعمل في مستوى آخر، وليس لأنه غاب تماماً. وأقول "وعي مركزي" لأن هناك نسخة من الوعي يمكن خلقها في بعض الحالات (مثل

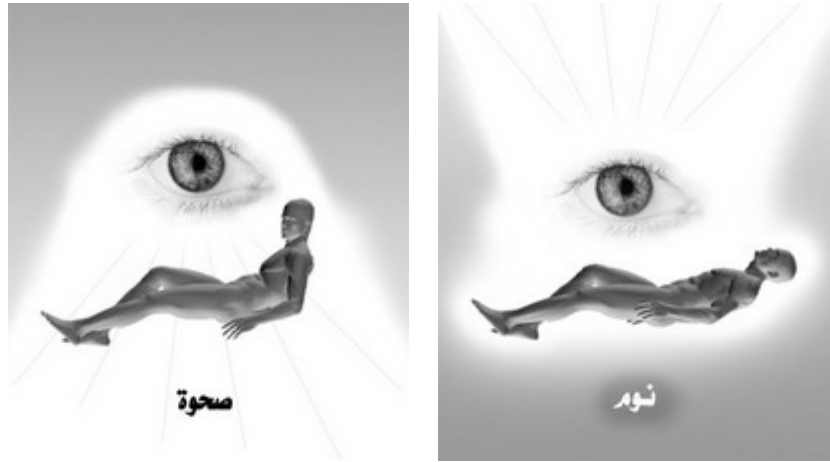
حالة الصحة الديناميكية، والمعروفة عموماً بالخروج عن الجسد) بينما الوعي المركزي يبقى ثابتاً في مكانه، وبكل تأكيد، مكانه ليس في الدماغ، بل في مكان غامض له علاقة بخفايا "النفس" (سوف نستنتج السرّ مع توالي المواضيع).

تذكر أننا نتحدث هنا عن "المنظومة العقلية" للكائن البشري، وهي بكل تأكيد أكثر تعقيداً مما تعلمناه في المدرسة، وبالتالي فإن الانخراط في شرحها وتشرحها بالاعتماد على المفاهيم العلمية السائدة تُعتبر مضيعة للوقت لأننا لازلنا نجهل قسم كبير من هذا الكيان الغامض والمهيب بالإضافة إلى أن معظم أقسامه لا يمكن وصفها والتعبير عنها بكلمات عادية لأنها بكل بساطة تتجاوز اللغة والمعادلات والمصطلحات العلمية. فمحاولة فهمها يتطلب الاعتماد على التجربة العملية والخبرة الذاتية وليس النصوص المكتوبة. وبالتالي، إن كل ما توصلنا إليه أو ادعيناه بخصوص "المنظومة العقلية" للكائن البشري هي مجرد افتراضات ومزاعم وتظيريات لا أكثر.

لكن من أجل توضيح الفكرة المطروحة هنا، لا مانع لأن نفترض بأن الوعي المركزي للكينونة البشرية، يمثل العين الصاحبة للنفس" (الشكل التالي)، وخلال النوم، ينتقل الوعي المركزي تلقائياً إلى المستويات العليا من كينونة الشخص (أحد مستويات الامتداد التجاوزي) ويبدأ العمل من هناك، أي يكون في حالة صحة تامة (لأن "النفس" لا تنام)، لكننا لا نتذكر شيئاً عن نشاطاتها في ذلك المستوى لأننا غير معتادين سوى على العمل في المستوى المادي، أي إدراك الانطباعات التي تترك أثراً في الدماغ بينما المعطيات التي تأتي من ذلك المستوى العالي هي ذات وتيرة عالية مما يجعلها عاجزة عن ترك أثر ملموس في الدماغ، فنعجز عن إدراكها أو الشعور بها أصلاً.

لكن الحال هي كذلك في الحالة العادية فقط، بينما هناك حالات استثنائية، وهي حالات تلقائية تحصل باستمرار في المستشفيات مثلاً، حيث يبلغ بعض المرضى عن بقائهم في حالة صحة تامة لكل ما يجري حولهم رغم غرقهم في غيبوبة

عميقة بفعل التخدير خلال خضوعهم لعمليات جراحية. كيف أدركوا كل ما كان يحصل من حولهم رغم وجودهم بهذه الحالة؟



"الوعي المركزي" يمثل العين الصاحبة للـ"نفس" التي لا تنام. وخلال نوم الجسد تنتقل للعمل في مستويات أعلى فنعجز عن إدراك ما تختبره هناك.

وهناك حالة أخرى تعتبر الأكثر شيوعاً، جميعنا نتذكر في بعض الأحيان ما شاهدناها أو اختبرناه في أحلامنا، خصوصاً في اللحظات الأولى بعد اليقظة من النوم، حيث يكون الوعي المركزي لازال يعمل بوتيرة شبه عالية خلال هبوطه إلى المستوى الأرضي فيصبح في مستوى يمكنه فيه ترك انطباعات ملموسة في الدماغ. وطبيعة الأحلام (الزئبقية والمائعة) تمنحنا فكرة عن تلك العوالم العليا التي يكون الوعي المركزي فيها. فتلك العوالم لا تخضع للقوانين التي نألفها، وبالتالي تبدو سريالية أو سيولية بالنسبة لنا.

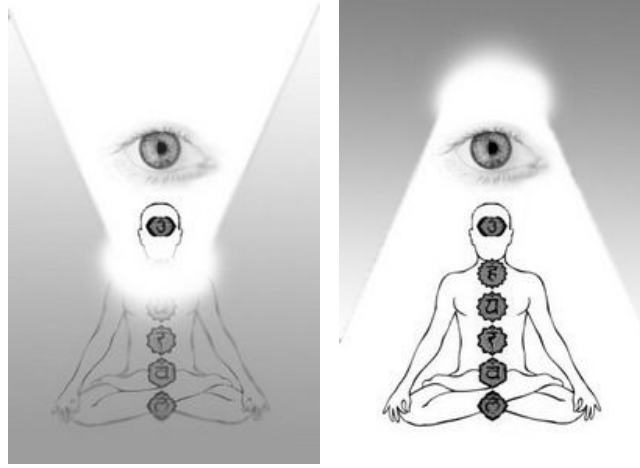
إذا أجرينا مقارنة سريعة بين حالات الصحوة الغامضة التي تحصل لبعض المرضى في المستشفيات وتلك التي نختبرها في الأحلام، ندرك الفرق الكبير بينهما، لكن ليس لأن الأول صحيح والثاني وهمي، بل لأن كل منهما يمثل عالم مختلف تماماً وهذان لا يمثلان سوى مستويين فقط من المستويات التي يستطيع

الوعي المركزي الانتقال إليها (ذبذبياً). ومن المؤكد أن الحالات التي تحصل في المستشفيات تمثل انتقال الوعي المركزي إلى مستوى قريب جداً من المستوى الأرضي لأن الشخص تذكر إدراكات مألوفة تنتمي للصحة العادية (أصوات، صور.. إلى آخره)، بينما الإدراكات التي نتذكرها عن المجرىات الحاصلة في الأحلام تنتمي لعوالم غريبة عن عالمنا الأرضي.

لكن يبدو أن هناك من استطاع تطوير القدرة على البقاء صاحباً (إذا صح التعبير) خلال انتقال الوعي المركزي إلى تلك المستويات العليا من الكينونة البشرية. كافة التعاليم الإيزوتيرية لديها مناهج تعليمية خاصة تمكن الفرد من البقاء صاحباً خلال نوم الجسد. وهذه تعتبر مرحلة ضرورية من أجل إحراز حالة "الطرح النجمي" أو "الخروج عن الجسد".

كافة التعاليم الروحية الشرقية تحدثت عن هذه الظاهرة وطريقة تنشيطها وصقلها وإخضاعها للإرادة. لكن لم تنجح أي منها في وضع تفسير منطقي قابل للهضم يستطيع شرح آليتها الفعلية. والسبب طبعاً هو الطريقة الخاطئة في تشريح الكينونة التجاوزية للإنسان. مثل ذلك المفهوم الذي يقسمه إلى عدة أجسام منفصلة. ليس هناك أجسام بل مجرد مستويات للكينونة، وبالتالي الوعي المركزي لا يذهب إلى مكان ممتطياً أحد هذه الأجسام، بل كل ما يفعله هو رفع وتيرة ذبذبه ليتناغم مع مستوى أعلى من الوجود. (هذه الفكرة بالذات ستوضح جيداً خلال تناول موضوع الصحة الديناميكية في الجزء القادم).

هناك بعض المناهج العصرية التي تتوافق مع هذه الفكرة الأخيرة، حيث قسّمت الكينونة البشرية إلى مستويات متدرجة وليس أجسام (وهذا أقرب إلى المنطق)، وتفسّر الأمر بأنه عبارة عن عملية رفع وتيرة أداء العقل/الدماغ بحيث يستطيع حينها تذكر كل ما اختبره الوعي المركزي خلال وجوده في تلك المستويات العليا أثناء النوم أو الغيبوبة.



كافة التعاليم الإيزوتيرية، مثل اليوغا، لديها مناهج تعليمية خاصة تمكن الفرد من البقاء صاحباً خلال انتقال الوعي المركزي للعمل في المستويات العليا

هناك الكثير من التفسيرات والشروحات التي تترجم بها التعاليم الإيزوتيرية المختلفة وجميعها تتخذ طابع لاهوتي/ماورائي، وبدلاً من أن تساعد الفرد على توسيع معرفته توقعه في شرك الأوهام والتظليل. لا أرغب في الحكم الآن على مدى صحة هذه التفسيرات المختلفة، رغم معارضي لها جميعاً، هذا رغم أنني لازلت ملتزماً باستخدام المصطلحات التي اتفقت عليها هذه التعاليم، وذلك لكي أجنب القارئ تعقيدات إضافية هو بغنى عنها، والناجئة من استخدام مصطلحات جديدة. لهذا استخدم المصطلحات التي يألّفها الجميع مثل تصنيف المستويات التجاوزية والإشارة إليها بالأسماء المألوفة، كتصنيف مستويات الوجود إلى سبعة أقسام، أو طبقات: [١] المستوى المادي Physical، [٢] المستوى النجمي Astral، [٣] المستوى العقلي Mental، [٤] المستوى البوذي Buddhist، [٥] المستوى الأثمي Atmic، [٦] مستوى الأنوباداكا Anupadaka، [٧] مستوى آدي Adi. مع أنني في الحقيقة لا أعتقد بأنه خلال زيارة تلك العوالم العليا (أثناء الخروج عن الجسد أو الطرح النجمي) سيجد الشخص لافتات موضوعة على جانب الطريق وتقول مثلاً: ".. أهلاً بكم في العالم النجمي.."، أو ".. خفف السرعة.. مفرق العالم العقلي على اليمين.."، أو غيرها من إشارات أو دلائل

تُعلمك بأنك خرجت من عالم لتدخل إلى عالم آخر. كافة هذه المفاهيم هي مجرد تعبيرات دنيوية تستخدمها المصطلحات اللغوية الأرضية لكي يفهما البشر، بينما الحقيقة تختلف تماماً عن ذلك. أعتقد بأنه تم تقسيم المستويات التجاوزية بهذه الطريقة لكي تُفهم بطريقة سهلة وميسرة، وليس لكي تُعتبر مسلمات لاهوتية غير قابلة للنقاش. وحتى مفهوم الأجسام التجاوزية المتعددة للإنسان هي تعبير رمزي لحقيقة تجاوزية غير قابلة للاستيعاب بالنسبة للعقل البشري الأرضي. أما عملية التقسيم إلى سبعة فلا بد من أننا لاحظنا هذه العملية في تقسيمات وتصنيفات كثيرة، وأعتقد جازماً أن لها علاقة بمفهوم الذبذبة وقانون الأوكتاف الذي تعرفنا عليه سابقاً في هذا الكتاب.

الصحة خلال نوم الجسد

يُعتبر النوم أحد أعظم الابتكارات التي أنعمت بها الطبيعة على الإنسان. إنه يمثل مرحلة دورية من الراحة التامة للجسد، وهذا الأمر جوهري بالنسبة للمحافظة على حُسن أداءه الوظيفي. يُشار للنوم عموماً بأنه أكثر العمليات المنعشة والمُجددة لحيوية الجسم. (أصبح من السهل استيعاب هذه الحقيقة بعد التعرف على الدور الكبير للطاقة الحيوية أثناء النوم). لهذا السبب يُعتبر النوم المصدر الوحيد الذي يزود الجسم بالطاقة الحيوية. بالرغم من أن معظم الناس يجهلون آلية عمل هذه الطاقة الحيوية، أو يقبلون هذا المفهوم أصلاً، لكنهم يعلمون بأن هناك عامل غامض وراء هذه العملية العجيبة، حيث يلجأ الفرد إلى النوم في حالة تعب وإرهاق ليصحو منه بعد ساعات يتمتع بحالة انتعاش وحيوية ونشاط.

النوم يصلح الأعطال في الجسم ويُجدد ما هو مُستهلك ويستبدل ما هو بالٍ ويوازن ما هو مختلٌ وغيرها من عمليات ضبط وتعديل للجوانب التي تضررت خلال فترة الصحة. لا شيء هو أكثر إنعاشاً وشفاءً للأعصاب أكثر من النوم الهنيء والعميق. فالنوم إذاً هو عنصر حيوي في حياة الإنسان. إنه حاجة أساسية لبقاءه سليماً من الناحية العقلية والجسدية.

خلال النوم، تنخفض وتيرة معظم الوظائف الجسدية بأكثر قدر ممكن. ينخفض إنتاج الحرارة مثلاً بمعدل ١٠ إلى ١٥% تحت المستوى الطبيعي. الآليات التي تعدّل الحرارة تصبح أقل حساسية من حالة الصحوة. ينخفض معدل ضربات القلب إلى ١٠ و ٣٠ ضربة في الدقيقة، كما يتراجع ضغط الدم خلال النوم العميق. حجم البول يتقلص بشكل كبير، لكن مستوى تركيز المادة الصلبة فيه ترتفع. كما تنخفض نغمة كافة العضلات العظمية. تلتفّ العيون إلى الأعلى ويتقلص بؤبؤها. وتيرة الموجات الدماغية تنخفض إلى أدنى مستوياتها. إنها تمثل ورشة صيانة شاملة للجسد بكل ما للكلمة من معنى. يبدو الأمر وكأن الجسد معلقاً في هنغار تصليح.

إن لفّة النوم تأثيرات مؤذية على النظام العصبي. كما أن فترات طويلة من الصحوة المستمرة قد تسبب تغييرات سلبية في الحالة النفسية والذهنية، مثل فقدان الذاكرة، الهلوسة، حدة الطبع، وحتى حالات انفصام بالشخصية. وعلى ضوء المعلومات الجديدة التي تعرفنا عليها في هذا الكتاب، خصوصاً فيما يتعلّق بدور الطاقة الحيوية وعامل "التفكير"، أعتقد بأن هذا يزيد من رصيد أهمية النوم.

إذاً، هناك سبب منطقي لخلق هذه الظاهرة البيولوجية، وليست مجرد لعبة تقوم بها "النفس الكلية" للتسلية أو إمضاء الوقت خلال فترة وجودها الدنيوي. لو أن النوم لم يكن ضرورياً لما نزعنا "النفس" إلى ابتكار طريقة مبدعة لتجسيده بشكل دوري كمحطة استراحة وصيانة مرحلية للكائن الحي المتجسّد دنيوياً.

لكن بنفس الوقت، وكما وصفها أحد المتصوّفين: *".. النفس تعلم أيضاً بأن العقل الواعي (وهو القسم المبرمج دنيوياً/منطقياً من المنظومة العقلية البشرية) يلعب دور الفتى الرذيل الذي يمكنه أن "يخرّب الطبخة" خلال عملية الإصلاح المبدعة هذه التي تجري أثناء النوم. السبب طبعاً هو فضوله الحشري الزائد ورغبته في التدخل بكل عملية وكل إجراء، وفرض آراءه الدنيوية/المنطقية التي لا ترقى إلى مستوى الحقيقة المطلقة التي تعمل وفقها "النفس" لإصلاح الجسد وموازنته. فما*

عليها سوى إيجاد حل لهذه المسألة، فنتخلص من إزعاجاته عبر جعله ينام مع الجسد. لكن هذا لا يعني أن كامل المنظومة العقلية تنام..".

بالإضافة إلى هذا الشرح المجازي الرائع للمتصوّف الجليل، هناك المزيد في العملية. ذكرت سابقاً بأن المنظومة العقلية البشرية تمثّل كيان هائل ومعقد بشكل مخيف، والأمر الأسوأ هو أننا بالرغم من كل ما توصلنا إليه من معلومات حوله، وكل ما أجريناه من تصنيفات وتقسيمات، إلا أننا بالكاد بدأنا نسبر أعتاب هذا العالم العقلي الواسع. لهذا السبب، لا أريد أن أدخل في لعبة الافتراضات والتتظير الفارغ كما يفعل الآخرون، لكن بخصوص موضوعنا، أعتقد بأنه يمكن شرح ظاهرة الصحوة خلال نوم الجسد على الشكل التالي: خلال انتقال الوعي المركزي إلى مستوى أعلى، بالطريقة التي شرحتها سابقاً، يترك وراءه ذلك القسم من "المنظومة العقلية" المسؤول عن العمليات الذهنية الدنيوية التي نألفها في حالة الصحوة العادية، أي عناصر مثل: الإدراك الحسي، التحليل المنطقي، التفكير المنطقي، التسلسل المنطقي، الموضوعية، التفصيل، .. إلى آخره. فهذه العناصر لا حاجة لها أصلاً في تلك العوالم لأنها لا تتناسب معها إطلاقاً. فهي تتوافق فقط مع العالم الأرضي الذي يخضع لقوانين فيزيائية ثابتة، ومحسوس ضمن قيود الزمان/المكان.

لكن رغم ذلك كله، يمكن التدريب على إبقاء هذا القسم من المنظومة العقلية صاحباً خلال انتقال الوعي المركزي إلى مستويات أعلى. حينها يستطيع الفرد إدراك العوالم العُلّيا واستيعاب ما يجري حوله من أمور. بينما في غياب هذه العناصر الذهنية خلال وجود الوعي المركزي في المستويات العُلّيا، تغيب الوسيلة الوحيدة لترجمة المعطيات إلى معلومات قابلة للاستيعاب من قبل العقل الواعي. هذا إذا افترضنا بأن الذاكرة تستطيع أصلاً الاحتفاظ بالانطباعات التي اختبرتها هذه العناصر الذهنية المرافقة للوعي المركزي خلال ارتقائه إلى ذلك المستوى الرفيع. وهذه مشكلة أخرى يمكن أن نعانيها حتى لو بقينا صاحبين تماماً خلال ارتقاء الوعي المركزي، حيث هناك الكثير من الخارجين عن أجسادهم الذين لا يستطيعون تذكر أي شيء مما اختبروه في تلك العوالم العُلّيا. الأمر مشابه تماماً

لمسألة تذكر الأحلام. ووفقاً للاعتقاد الشائع، فإن سبب عدم قدرة الذاكرة على الاحتفاظ بالمعطيات القادمة من تلك المستويات العالية هو النقص في المادة الأثيرية مما يجعل الوعي المركزي، الذي يكون في مستوى طاقة نقية صرفة، عاجزاً عن ترك أي اثر أو انطباع في الدماغ القابع في المستوى المادي، حيث سيبود الأمر وكأنك تحفر الصخرة بواسطة آلة نفخ الهواء، أو تكتب بقلم مفرغ من الحبر بحيث لا يترك أي أثر على الورقة. لهذا السبب يوصي المعلمون بأن يكتسب الممارس أكبر نسبة ممكنة من المحتوى الأثيري قبل "خروجه عن الجسد" لأن وجود كمية كثيفة من المادة الأثيرية يزيد من إمكانية هذه العملية العقلية الرفيعة أن تترك انطباع ملموس في كيان الشخص، أو دعونا نقول "ذاكرته". فالأمر مشابه لتزويد القلم بالحبر قبل أن يتمكن من ترك أثر على الورقة. من هنا يتأتى أهمية اكتساب أكبر قدر ممكن من الكثافة الأثيرية (طاقة حيوية)، والتي تتفاوت معدلاتها حسب الحالة.

التفاعل المعلوماتي بين الوعي المركزي والبيئة المحيطة

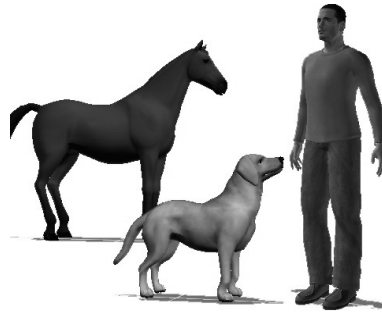
في المواضيع السابقة كنا نتحدث عن الجانب الطاقى من "الوعي"، أما المواضيع التالية فسوف نتناول الجانب المعلوماتي، أي طريقة تفاعله معلوماتياً مع البيئة المحيطة. لقد تعرفنا في إصدارات سابقة على بعض التفاصيل المتعلقة بعملية الإدراك ومراحله المختلفة، وتعرفنا في الجزء الثاني من هذه المجموعة (النظرية الهولوجرافية) كيف أنه، في الكون الهولوجرافي، يتخلل الوعي كالمادي، والعالم "المعاني" meaning لها حضور فعال في كلا العالمين المادي والعقلي. العالم الصلب الذي نراه حولنا هو عبارة عن شبكة هائلة من المعاني المتداخلة، برامج وأوامر معلوماتية متناغمة، متجاورة، ومتشابكة.

إذا نظرنا إلى مشهد معين في الواقع من حولنا، سوف ندرك مباشرة ما يظهر فيه من أشياء. لكن وفقاً للكلام السابق، نحن ندركه بهذه الطريقة ليس لأن ما نراه يكون هو ذاته الموجود أمامنا، بل لأن العقل لدينا حول ما التقطته عيوننا ليتخذ هذا الشكل. وبدلاً من ذلك نحن نرى معاني متجسدة بطريقة معينة، لكن الدماغ (أو العقل) لدينا يلتقط الشيفرة المعلوماتية القادمة من المشهد وكل ما يحتويه ليترجمها على طريقته الخاصة لنتلقاها نحن بالصورة التي نراها الآن.

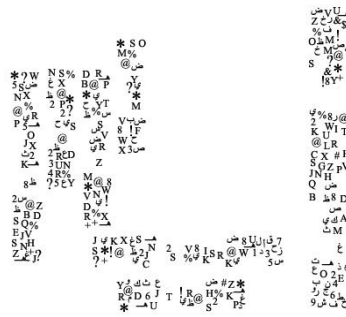
كل كائن مادي (جماد أو حي) له شيفرته الخاصة التي تحدد هويته وفصيلته ومنشأه.. إلى آخره، أي تشمل كامل تفاصيل حياته الشخصية. ويُشار إلى هذه الشيفرة في الحقيقة باسم "البرماج البايومعلوماتي" Matrix. لكن يبدو أن لغة الشيفرات هذه لا يستطيع التعامل بها سوى العقل (الهولوجرافي) لدينا، وإحدى وظائفه هي ترجمتها قبل أن يقدمها لنا بحيث ندركها بالطريقة المعتادة.

طالما أن كل شيء في الوجود له شيفرة معلوماتية خاصة به، ومتما وجّهنا إدراكنا إليه، في أي زمان أو مكان، فهذه الشيفرة (أو المعاني كما يسميها "بوهم") تبقى

كما هي ولن تتغير، فبالتالي، يمكن لمشهد بصري عادي [الشكل ١] (الرجل الكلب والحصان) أن يبدو كما في [الشكل ٢].



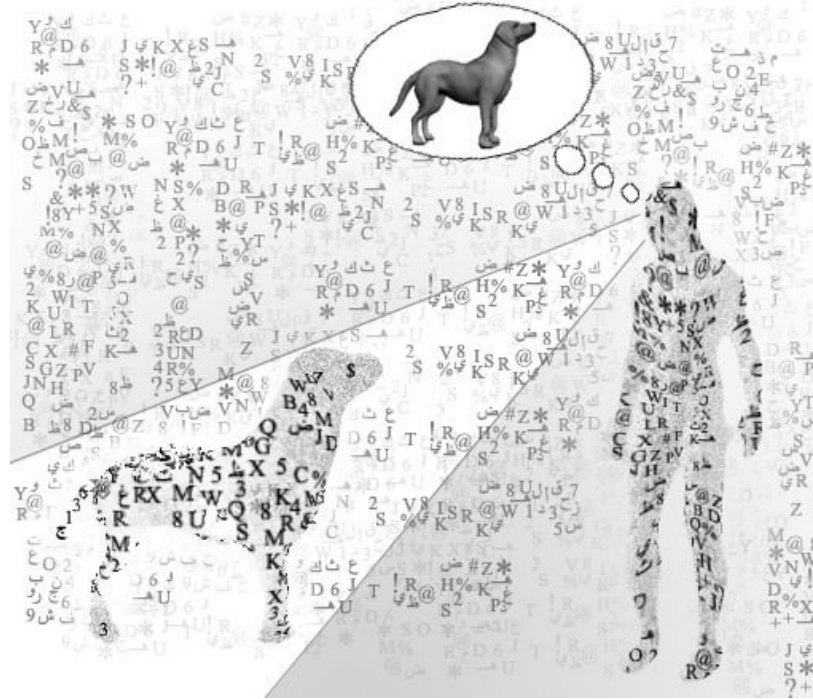
[الشكل ١]



[الشكل ٢]

هذه الصور وردت في الجزء الثاني من المجموعة مع المزيد من الشرح المفصل

إذاً، فالمعلومات البصرية التي تدخل أدمغتنا تتعرض للتعديل والتحرير قبل مرورها إلى القشرة البصرية ومن ثم تتشكل هولوغرام الرؤية. فبالتالي، العيون قد تمثل أعضاء بصرية لكن العقل هو الذي يري. وليس هذا فحسب، بل هو الذي يشعر وبحسّ ويدرك ويتفاعل مع البيئة المحيطة. أما ما يراه ويشعره فعلياً، فلا أحد يعلم، لكن دعونا نفترضه بطريقة نستطيع استيعابها، أي كما في الشكل التالي، مع تصوّر الإنسان كبنونة معلوماتية قائمة وسط عالم من المعلومات والمعاني المتداخلة ببعضها:



الإنسان يوجّه انتباهه (الإشعاعي) نحو الكلب الواقف أمامه، فتتشكل صورته في ذهنه بالطريقة التي يراها العقل وليس العيون.

إذا سلّمنا جدلاً بأن الكلام السابق صحيح، فهذا سيؤدي بنا إلى طرح سؤال كبير: طالما أن كل شيء من حولنا هو مجموعة من الأنماط الموجية المتذبذبة، أو شيفرات معلوماتية مختلفة، ماذا سيحصل إذا ارتفعت وتيرة الوعي لدينا؟ كيف سيبدو العالم من حولنا؟ هل شيفرة المعاني للأشياء ستبقى ذاتها أم ستبدو مختلفة؟ هل الإنسان في الشكل السابق سيرى الكلب كما هو، أو بهيئة مختلفة؟

إذا كنا نرغب في معرفة الحقيقة فعلياً، لا يمكن الإجابة على هذا السؤال بطريقة عابرة وسطحية. من أجل استيعاب المسألة بشكل وافي ومفصل لنخرج أخيراً بصورة واضحة وشاملة، سوف نلقي نظرة فاحصة على إحدى الظواهر المهمة التي تتعلّق بهذا الموضوع تحديداً. إنها ظاهرة "الرؤية الاستبصارية"، وهي قدرة

بعض الأشخاص على رؤية أشياء معينة يعجز غيرهم إدراكها. لكن قبل ذلك، هناك حقيقة علمية مهمة وجب الاطلاع عليها أولاً كمرحلة تحضيرية، وتتعلق بظاهرة الذبذبة.. نحن نعيش في عالم متذبذب.

لكن، قبل هذا كله أيضاً، هناك سؤال مهم لازال عالماً في ذهننا منذ الفصول السابقة، وينقّ بشدة مصراً على جواب. وللمصادفة الحسنة، الموضوع التالي يمثل الجواب اليقين. هذا السؤال يتعلّق بكيفية استكشاف القدماء للجسم الطاقوي (الأثيري) والتعرّف على أدق تفاصيله التشريحية.

كيف عرفوا كل هذه الحقائق العلمية قبل ٥٠٠٠ سنة!؟

هذا هو السؤال المحير الذي يزيد الأمر إرباكاً وغموضاً. ذكرت سابقاً أن هذا الجانب الأثيري الخفي من جسم الإنسان بقي مجهولاً تماماً لفترة طويلة من الزمن إلى أن شهد العلم في القسم الأخير من القرن الماضي ظهور أجهزة ومعدات متطورة ساعدت على اكتشافه، ثم تم بعدها التصديق على كل ما كان يدعيه أولئك الصوفيين الشرقيين "الأميين" من مزاعم وافتراضات بهذا الخصوص. وبالتالي أصبح من المنطقي طرح السؤال: كيف تعرف حكماء الحضارات القديمة على هذا الجانب الخفي في جسم الإنسان رغم غياب الوسائل التقنية المتطورة التي تمكنهم من ذلك!؟

كيف عرفوا أن هذا الجانب الأثيري الخفي يمثل عنصر جوهري ومهم في المنظومة البيولوجية للإنسان بحيث لا يمكن أن تستمر الحياة دونه؟ على ماذا اعتمدوا في وصفهم الدقيق والمفصل لعملية تدفق الأثير الكوني ("برانا" أو "تشي") من وإلى الجسم عبر شبكة معقدة ومتفاوتة من محطات تجمع وفروع منتشرة في كافة أنحاء الجسم؟ كيف استطاعوا تحديد هذه الدارة الطاقوية الحيوية بدقة وعرفوا التعامل معها بطريقة سليمة ومناسبة رغم غياب التقدم التكنولوجي الذي ساعدهم على تحقيق ذلك؟

إذا أجرينا بعض التعديلات في طريقة تفكيرنا، سوف نرى الجواب ماثلاً أمامنا بوضوح. في الجزء الثالث من هذه السلسلة ("أقول شمس المعارف الكبرى") تحدثت عن نوعين من البحث العلمي: "النوعي" Qualitative و"الكمي" Quantitative. والعلوم الرسمية المألوفة اليوم تعتنق المذهب "كمي". أي أننا نطلق صفة "مُعترف به علمياً" على كل ما يمكن قياسه كميًا، أو تصنيفه، أو تسميته فقط، متجاهلين أن عدم القدرة على قياس الشيء إنما هو في الحقيقة قصور في إمكانيات أدواتنا القياسية وليس غياب ذلك الشيء. وبالتالي نستنتج بأن العلوم العصرية لا تتعامل مع كل مستويات الطاقة الموجودة في الطبيعة، لأن هناك الكثير من هذه الطاقات التي لا يمكن استشعارها بواسطة أدوات القياس الموضوعية التي يعتمد عليها العلم العصري في استخلاص معطياته. بينما من ناحية أخرى، علماء الزمن القديم لم يكونوا مجرد تقنيين في استخدام أدوات قياس القوة كما هو الحال مع علماء اليوم، بل كانوا أساتذة فلسفة بكل ما تعنيه الكلمة. أولئك الفلاسفة الطبيعيين استخدموا الأداة الأقوى المتمثلة بـ"الوعي" من خلال استثمار أحد مظاهره الجلية: "الإدراك الباطني" خلال تفسير وترجمة واستنباط سلوك الطبيعة. فالمعطيات ومدى دقة اكتسابها لم تُعتبر أكثر أهمية من الاعتبارات الفلسفية المتعلقة بمعاني الطبيعة وتفسيراتها. "الوعي" هو الوسيط الذي تجولوا في رحابه، وتفاخروا به، وتفكروا عبره في سلوكيات الطبيعة. لقد تطلبت علومهم المتطورة عملية خاصة تتعلق بالحساسية المرهفة والإدراك الباطني. كانت "علوم نوعية" بكل ما تعنيه الكلمة.

في النظرة "النوعية" للعالم، كل شيء في الكون هو في حالة تفاعل وانسجام كسيميوفونية هائلة متناغمة من خلال لغة "النوع" وليس لغة "الكم". المظهر "النوعي" للأشياء لا يمكن قياسه بوسائل علمية كما هو الحال مع المظهر "الكمي" لها، لكن تأثيرها واضح وملموس بالنسبة لنا، ولا يمكن قياس هذا المظهر "النوعي" سوى بعقولنا.

عقولنا فقط تستطيع قياس الجانب "النوعي" من الأشياء، بينما أجهزة العلم وأدواته لا تستطيع سوى قياس الجانب "الكمّي" منها. وهذا المظهر النوعي للأشياء هو الذي برع القدماء في قياسه وتحديده بدقة فائقة من خلال استخدام وسائل وأساليب وأدوات بسيطة تمكّنهم من ذلك. هذا العلم الذي يعتمد على القدرة العقلية للإنسان أكثر من أجهزة القياس المعقّدة التي صنعها لهذا الغرض.

العلم النوعي هو الباب الوحيد للدخول إلى المستوى التجاوزي للأشياء، بينما العلم الكمي يبقى عالقاً في المستوى المادي الملموس لأنه يعجز عن إدراك ما يتجاوزه من امتدادات مرهفة. العلم النوعي هو أساس الكثير من الاكتشافات العلمية التي تمت في الماضي البعيد لكن أعيد اكتشافها في هذا العصر عن طريق العلم الكمي. وأكبر دليل على ذلك هو الموضوع الذي تناولناه للتو، والمتعلق بالجانب الأثيري لجسم الإنسان.. "الجسم الطاقى الحيوي" BioEnergetic Body.

إذا لازالت المسألة غامضة بالنسبة للبعض، خصوصاً أولئك المتشككين الذين يجهلون بأنهم يجهلون. في الصفحات التالية سوف تتوضّح الأمور جيداً. سأسلط الضوء على موضوع علمي جميعنا نعرفه لكن نادراً ما نفطن له أو نمنحه أي اهتمام أو جدية. سوف نلقي نظرة على العالم من حولنا بطريقة فيزيائية بحثية. ونتساءل مع الفيزيائيين: هل نحن نرى كل شيء من حولنا فعلاً؟

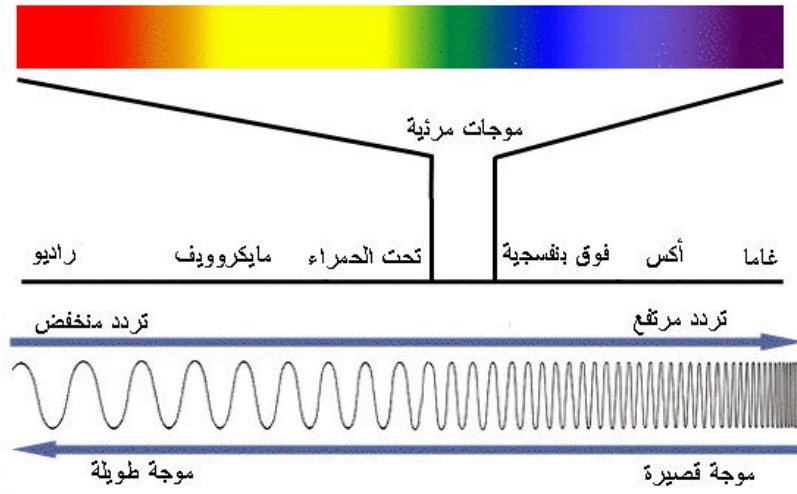
عالمنا الصلب هو أثيري متذبذب

هناك الكثير من المظاهر المهمة للواقع والتي نعجز عن رؤيتها. وفقاً لنظرة "كارل بريبرام" الهولوجرافية (الجزء الثاني)، فإن الواقع بشموليته هو عبارة عن حقل ترددات frequency domain، ودماعنا (أو عقلنا الشخصي) هو نوع من العدسات البصرية التي تحول هذه الترددات إلى العالم الموضوعي بكل ما يشمله من مظاهر. يؤمن "بريبرام" بوجود أنواع مختلفة من الأشياء هناك في الخارج من حولنا، لكن في حقل تردد نعجز عن إدراكه. وقد تكون أشياء تعلم دماغنا (عقلنا) منذ نشأتنا على أن يحررها ويصفيها من مجال الواقع الذي نراه. يعتقد بأنه عندما يختبر الصوفيون تجارب تجاوزية، ما يفعلونه في الحقيقة هو النقاط لمحات من حقل التردد الذي نتكلم عنه. كتب يقول: ". يمكن للتجربة الصوفية أن تبدو منطقية إذا وفرنا المعادلات الرياضية المناسبة التي تنقل الفرد ذهاباً وإياباً بين العالم العادي (أو الحقل المرئي والملوس) وبين ذلك الحقل الترددي".

العالم الذي نعيش فيه هو عبارة عن بحر واسع من الترددات المتداخلة، أو أنماط متنوعة من الذبذبة الأثيرية (ذبذبة "البرانا" وفق المفهوم اليوغي). هذه الذبذبة الأثيرية تشكل هياكل ومجسمات تتراوح من مستوى المواد الصلبة إلى مستوى البلازما منتهياً بالمستوى الأثيري. إنه فقط عبر الذبذبة تصل إلينا الانطباعات المختلفة عن هذا البحر الأثيري الذي يغمرنا. هذه حقيقة يسلم بها الجميع. دون ذبذبة لما كان هناك كون مرئي وملوس.. لما كان هناك وجود أصلاً. الذبذبة هي الأساس. لكن هناك حقيقة أخرى لم يفطن لها أحد، وهي أن كمية الذبذبات التي نستطيع إدراكها (أو نتجاوب لها) هي قليلة جداً بالمقارنة مع ذلك الطيف الواسع منها والموجود هناك من حولنا.

في كامل الطيف المترج للذبذبات السريعة التي يتردها الأثير، هناك مقطع صغير جداً فقط تستطيع شبكية العين إدراكه، وهذه الذبذبات بالذات تنتج في داخلنا

إحساس معيّن نسميه نحن "ضوء". أي بمعنى آخر، نحن نستطيع رؤية فقط الأجسام التي يمكن لهذا الـ"ضوء" أن ينعكس عنها أو يصدر منها.



شبكة العين لدى الإنسان العادي لا تستطيع إدراك سوى مقطع صغير جداً من الطيف الترددي لذبذبة الأثير. وبالتالي فإن عدم إدراك باقي الطيف لا يعني أنه غير موجود.

بنفس الطريقة أيضاً، فإن طبلة الأذن لدى الإنسان تستطيع الاستجابة إلى مجال صغير جداً من الترددات الذبذبية ذات الوتيرة البطيئة نسبياً، وهي بطيئة بما يكفي لتؤثر على الهواء المحيط بنا، وبالتالي فإن الأصوات الوحيدة التي نستطيع سماعها هي تلك التي تولدها أشياء تتذبذب بوتيرة معيّنة وضمن مجال معيّن.

في كلا الحالتين أصبح معروف جيداً في العلم بأن هناك أعداد كبيرة من الذبذبات فوق وتحت هذين المقطعين، السمعي والبصري، وهناك الكثير من الضوء الذي لا نستطيع رؤيته، وهناك أصوات كثيرة لا نستطيع سماعها. في حالة الضوء مثلاً، يمكن إدراك مفعول الذبذبات (العالية والمنخفضة) غير المرئية للعين من خلال ملاحظة التأثيرات (الفوتوكيماوية) التي تنتجها الأشعة الأكتينية actinic rays في

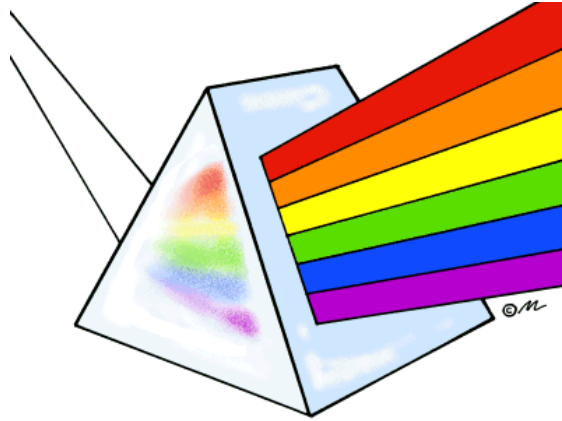
أحد نهايات الطيف والتأثيرات (السخونة) التي تخلفها أشعة الحرارة على الطرف الآخر من الطيف، بالرغم من أننا لا نستطيع رؤيتها.

يوجد طيف واسع من الذبذبات بوتائر مختلفة وأنماط مختلفة، تملأ الفضاء من حولنا وتتداخل في بعضها البعض، مندرجة بين موجات صوتية بطيئة وموجات ضوئية خافتة السرعة، ومع ذلك هناك حتماً موجات أكثر بطئاً من الموجات الصوتية، وتشكيلة واسعة من الموجات الأكثر سرعة من تلك التي نعرفها بالضوء. وجب علينا التسليم بهذه الحقيقة، حيث إذا أردنا تقييم الذبذبات التي نستطيع أن نراها ونسمعها فهي لا تمثل سوى مجموعتين صغيرتين من الأوتار في قيثارة عملاقة تحتوي على أوتار غير محدودة. وعندما نبدأ بالتفكير بما حصلنا عليه من معلومات مُدركة عبر هذين المقطعين الصغيرين من الذبذبات (السمعية والمرئية) سنكتشف بأن ما نعرفه عن هذا الكون لا يمثل سوى نسبة صغيرة جداً جداً مما هو موجود فعلاً. فما الذي نستطيع إدراكه إذاً لو كان بإمكاننا الاستجابة لمجال أوسع من الذبذبات؟

هناك حقيقة أخرى تتعلق بهذا الموضوع بحيث وجب أخذها بعين الاعتبار. هناك تفاوت ملفت بين البشر فيما يخص قدرتهم على إدراك المقاطع الذبذبية التي نستجيب لها في الحالة الطبيعية. يبدو أن هناك من يستطيع إدراك المزيد من هذه الذبذبات. أنا لا أقصد الأشخاص الذين يتمتعون ببصر أو سمع حاد، أي يستطيعون مثلاً رؤية الأشياء البعيدة أكثر من غيرهم أو سماع أدق الأصوات أكثر من غيرهم. أنا لا أتحدث هنا عن القوة بل عن سعة مجال التحسس.

لكي أوضح المسألة جيداً، إذا أخذنا موشور، ومن خلال تمرير الضوء عبره نشكل طيف من الألوان على قطعة من الورق الأبيض، ثم نطلب من عدة أشخاص النظر إلى الطيف اللوني على الورقة، ونطلب من كل شخص أن يضع علامة على النهايات القصوى للطيف اللوني حسبما يظهر له، سوف نتفاجأ لاكتشافنا بأن قدرتهم البصرية تختلف بشكل كبير. بعضهم سوف يرى اللون البنفسجي ممتداً

أكثر من الآخرين، بينما البعض يرى هذا اللون أقصر لكن بنفس الوقت يستطيع رؤية اللون الأحمر (على الطرف الآخر من الطيف) ممتداً أكثر مما يراه الآخرون. لكن هناك أشخاص نادرين يستطيعون رؤية امتدادات إضافية لهذا الطيف اللوني، وهم ما نشير إليهم بالـ"حساسين" أو "المرهفين" sensitives. هؤلاء الأشخاص "المرهفون" يتمتعون بقدرة على استشعار، أو رؤية، أو سماع أشياء يعجز عنها الإنسان العادي. هذه النوعية من الأشخاص "المرهفين" هي التي اعتمد عليها الحكماء القدامى الذين انتهجوا "العلم النوعي" خلال بحثهم في ظواهر الطبيعة (أنظر في موضوع "العلم الكمي والعلم النوعي" في الجزء الثالث).



تشكل طيف من الألوان نتيجة تمرير الضوء عبر منشور

العلم المنهجي يستند على النظرة "الكمية" للوجود وليس النظرة "النوعية". لهذا السبب هو يتعامل فقط مع ظواهر ملموسة ومُدركة من قبل الجميع. هو لا يسلم بحقيقة وجود نوعية معينة من الأشخاص الذين يستطيعون إدراك أكثر مما يدركه الآخرون. عندما يتعلّق الأمر بإدراك الواقع، يعتبر العلم المنهجي أن الجميع سواسية، حيث يشدد على أنه لا يعترف بالظاهرة رسمياً إذا لم يستطيع الجميع إدراكها، وهنا بالذات تكمن مساوئ العلم الكمي. بالإضافة إلى ذلك، نلاحظ بأن هناك مفارقة ملفتة في هذا التوجّه العلمي الخاطئ، حيث نرى كيف يسلم العلم المنهجي بحقيقة وجود تفاوت في مستوى الذكاء لدى الأفراد، وحتى هناك تفاوت

في المواهب المختلفة كالرياضة والفن والقدرة الحسابية.. إلى آخره، لكنه لا يعترف بحقيقة وجود أفراد "مرهفين" يستطيعون إدراك أشياء معينة يعجز غيرهم عن إدراكها. هنا تأتي أهمية "العلم النوعي"، وهو ذاته الذي كان يمثل التوجه العلمي السائد في حضارات الزمن الغابر.

نعود إلى الفكرة المطروحة سابقاً ونقول، إذا كان الحكماء القدامى يتوهمون عندما أجروا تشريح دقيق ومفصل لمسارات ومراكز الطاقة الحيوية غير المرئية في جسم الإنسان مستندين على "العلم النوعي"، كما يزعم المتشككين ذوي العقلية العلمية العصرية، أعتقد بأن هؤلاء مجبرون على تقبل الحقائق التالية التي خرجت من أفواه الأكاديميين. تذكر أنه حتى الأكاديميين هم بشر عاديين، وبالتالي يمكن أن نجد بينهم الكثير من الأشخاص "المرهفين" أيضاً. وقلنا أن هذه النوعية "المرهفة" من الناس تتمتع بقدرة على استشعار، أو رؤية، أو سماع أشياء يعجز عنها الإنسان العادي، وبالتالي تستطيع إدراك الواقع بطريقة مختلفة تماماً. ما الذي أدركه هؤلاء الأكاديميون؟ ما هي المعلومات "العلمية" التي قدموها بخصوص الواقع الذي أدركوه؟ هذا ما سنتعرف عليه في الموضوع التالي، المُقتبس من كتاب "الكون الهولوجرافي" Holographic Universe لمؤلفه "مايكل تالبوت".

الرؤية بطريقة هولوغرافية Seeing Holographically

".. نحن الكائنات البشرية نعتبر أنفسنا مصنوعين من "مادة صلبة". في الحقيقة فإن الجسم المادي هو منتج نهائي، إذا صح القول، لمجالات معلوماتية تساهم في قولبة وتشكيل جسمنا المادي ليصبح بصلابة المادة الجامدة. هذه الحقول أو الهولوجرامات التي تتغير مع الوقت هي خارج مجال إدراك الحواس العادية. هي ذاتها التي يراها المستبصرون كهالات ملونة ببيضاوية الشكل تحيط بأجسامنا المادية.."

زهاك بينتوف Hzhak Bentov

حقل الطاقة الإنساني

إحدى الظواهر التي لها علاقة بقدرة بعض الأفراد على رؤية أطياف ذبذبية أكثر من غيرهم هي "الهالة" aura، أو حقل الطاقة الإنساني human energy field. إن حقيقة وجود مجال طاقة خفي يحيط بجسم الإنسان، أو غلاف هلامي من النور القابع ما وراء مجال الإدراك البشري، معروفة في الكثير من التقاليد الروحية القديمة. لقد أشارت التعاليم الهندية العريقة إلى هذه الهالة باسم "برانا"، وأشارت إليها التقاليد الصينية باسم "تشي" وهي الطاقة ذاتها التي تجري في منظومة "المريديان" meridian system التي يستند عليها علاج الوخز بالإبر. وفي كتابهما الذي بعنوان "العلم المستقبلي" Future Science، ذكر "جون وايت" John White و"ستانلي كريپنر" Stanley Krippner ٩٧ ثقافة مختلفة حول العالم التي تناولت هذه "الهالة" وأشارت إليها بأسماء مختلفة.

تعتقد ثقافات كثيرة بأن "الهالة" العائدة لشخص روحاني هي ساطعة جداً لدرجة أنه يمكن إدراكها بالعين المجردة، ربما لهذا السبب نرى الكثير من التقاليد القديمة، بما فيها المسيحية، الصينية، اليابانية، التبتية، والمصرية، صوّرت القديسين لديها بأن لهم "هالات" أو دوائر محيطة برؤوسهم. في كتابه "الظاهرة الفيزيائية للتصوّف"

The Physical Phenomena of Mysticism، الذي تحدث عن المعجزات، كرس الكاهن "هيربرت ثورستون" Thurston فصل كامل عن ظواهر "تورانية" مرتبطة بقديسين مسيحيين. بالإضافة إلى أن الجليلة "تيريزا نيومان" Therese Neumann في ألمانيا وكذلك "ساي بابا" Sai Baba في الهند عُرف عنهما بظهور "هالة نورانية" مرئية حولهما في مناسبات مختلفة. وقد عُرف عن الصوفي الشهير "حضرت عنايات خان" (توفي عام ١٩٢٧م) بأنه كان يجسد أحياناً "هالة" نورانية ساطعة لدرجة تجعل الشخص قادر على القراءة بواسطة ضوءها.

لكن على أي حال، وفي الحالات الطبيعية، لا يمكن رؤية "الهالة" أو حقل الطاقة الإنساني إلا من قبل أفراد يتمتعون باستطاعة بصرية متطورة بطريقة ما. في بعض الأحيان تكون هذه القدرة فطرية منذ الولادة. وفي أحيان أخرى تتطور تلقائياً لدى الفرد في إحدى مراحل حياته، ربما لأسباب فلكية أو عضوية غامضة، أو تبرز نتيجة خوضه تدريبات روحية معينة.

أما الأفراد الذين تبرز لديهم بشكل تلقائي ودون سابق إنذار، فغالباً ما يوصفون "الهالة" بأنها تبدو كسحابة جليّة من الضوء حول أيديهم أو فوق رؤوس الآخرين أمامهم. وهناك من يشعر بالخوف نتيجة رؤية هذه السحابة الضوئية حول ذراعه لأنه يعتقد للوهلة الأولى بأنها تحترق بالنار، لكن سريعاً ما يدرك بأنها غير ذلك، خصوصاً بعد رؤيتها حول الآخرين أيضاً.

وفقاً لبعض المدارس الروحية، يُزعم بأن حقل الطاقة الإنساني مؤلف من عدة طبقات متميزة. ويُقال بأنها عبارة عن أجسام ثلاثية الأبعاد تحتل نفس الحيز المكاني للجسم العادي لكنها أكبر حجماً ويبدو تدرجها الطبقي خلال امتدادها نحو خارج الجسم. يؤكد الكثير من الوسطاء المستبصرين بأن هناك سبعة طبقات رئيسية، أو أجسام أثيرية خفية، وتقلّ كثافة كل جسم أثيري عن سابقه كلما ابتعد عن الجسد، مما يجعل الأجسام الأبعد صعبة الرؤية لشدة رقتها. تشير مدارس روحية مختلفة لهذه الأجسام الطاقية بأسماء مختلفة. إحدى أنظمة المصطلحات

المألوفة تشير إلى الطبقات الأربع الأولى باسم الجسم الأثيري، الذي هو مؤلف بدوره من الجسم النجمي astral، العاطفي emotional، العقلي mental، وأخيراً السببي causal أو الحدسي intuitive. يُعتقد عموماً بأن الجسم الأثيري الأقرب من حيث الحجم للجسم المادي، هو نوع من مخطّط أولي blueprint طاقي ووظيفته هي إرشاد وإدارة وصياغة عملية النمو الجارية في الجسم المادي. أما الأجسام الأثيرية الثلاث الأخرى: العاطفي، العقلي، والحدسي، فهي مرتبطة بالنشاطات التي تعبر عنها أسماءها. أما بخصوص الطبقات الثلاث الأخيرة في نهاية التدرّج الأثيري لحقل الطاقة الإنساني، فلم يُجمع على أسماءها بعد، لكن الجميع متفق على أن لها علاقة بالنفوس ووظائف روحية سامية يصعب استيعابها من قبل العقل الدنيوي.

وفقاً لأدبيات "اليوغا" الهندية، وكذلك مزاعم العديد من الوسطاء الروحيين، لدينا مراكز خاصة لتجمّع الطاقة في أجسادنا. هذه النقاط البؤرية للطاقة الخفية متصلة بالغدد الصماء ومجموعة من مراكز عصبية رئيسية في الجسم، لكن بنفس الوقت هذه المراكز الرئيسية لتجمع الطاقة متصلة بشكل وثيق بحقل الطاقة المحيط بالجسم (الهالة). لأنها تشبه دوامات دوّارة من الطاقة عند رؤيتها بالعين، أشارت الأدبيات اليوغية إلى هذه المراكز الرئيسية بـ"الشاكرات" chakras، حيث تعني بالسنسكريتية "عجلة" أو "دوامة".

إن لون حقل الطاقة الإنساني ليس دائماً أبيض مائل للزرقة، بل يمكن أن يتخذ لنفسه ألوان مختلفة. حسب الوسطاء الموهوبين، هذه الألوان المختلفة، وكذلك درجة كثافتها أو تكدرها، وموقعها في "الهالة"، تتفاوت حسب حالة الشخص العقلية، والعاطفية، وكذلك حسب نشاطه، صحته، وغيرها من عوامل متنوعة.

أحد الأشخاص الذين يتمتعون بقدرات متقدمة في رؤية "الهالة" وتقييمها هي الطبيبة والمعالجة "باربرا برينان" Barbara Brennan. بدأت "برينان" حياتها المهنية كفيزيائية متخصصة بالغلّاف الجوّي، وعملت في وكالة "ناسا" NASA

في مركز "غودارد" للطيران الفضائي Goddard Space Flight Center، ثم تركت وظيفتها لاحقاً لتعمل كمستشارة قانونية. الدلائل الأولى على قدرتها الوسيطة المميّزة تجلت أثناء طفولتها، حيث اكتشفت بأنها تستطيع المشي معصوبة العينين في الغابة وتجنّب الأشجار من خلال استشعار مجالاتها الطاقية بواسطة يديها.

بعد عدة سنوات من عملها كمستشارة قانونية، تفاجأت لتلك القدرة الغريبة التي برزت لديها فجأة، حيث بدأت ترى "هالات" من الضوء الملون حول رؤوس الناس. بعد التغلّب على الصدمة النفسية، ومصحوبة بفترة طويلة من التشكيك، سلّمت أخيراً لهذه القدرة التي بدأت تألفها مع الوقت، فراحت تتميها وتطورها حتى اكتشفت أخيراً بأنها تتمتع بموهبة فطرية استثنائية كمعالجة روحية.

أصبحت "برينان" قادرة ليس فقط على رؤية "الشاكرات" وطبقات "الهالة" ومحتوياتها الخفية الأخرى بوضوح كبير، بل قادرة أيضاً على تشخيص الحالات المرضية بدقة مذهلة بالاعتماد على ما تراه. فمثلاً، بعد إلقاء نظرة على حقل الطاقة التابع لإحدى النساء، قالت لها "برينان" بأن هناك أمر غير طبيعي بخصوص الرحم لديها. فاعترفت لها المرأة بأن طبيبها سبقوا واكتشف هذه المشكلة عندها، وأنها متفائمة لدرجة سببت بإجهاضها. أضافت المرأة بأن كل الأطباء الذين قابلتهم نصحوها بأن تجري عملية استئصال الرحم ولهذا السبب لجأت إلى "برينان" طالبة استشارتها. قالت لها "برينان" بأنه إذا ابتعدت عن أجواء العمل لمدة شهر، تمضيه في حالة استراحة تامة مع زيادة الاعتناء بنفسها، فسوف تزول مشكلتها تلقائياً. تبين فيما بعد أن نصيحة "برينان" كانت صائبة، حيث أكد طبيب المرأة بعد شهر النقاها التي أمضته بأن رحمها عاد إلى حالته الطبيعية. وبعدها بعام أنجبت طفلاً سليماً ومعافى.

في حالة أخرى استطاعت "برينان" أن ترى عجزاً في الأداء الجنسي يعانيتها أحد الرجال بسبب حصول كُسر في العَصّ لديه (نهاية العمود الفقري) منذ أن كان في

الثانية عشرة من عمره. كانت القطعة المكسورة لا تزال تضغط على عموده الفقري، وهذا بدوره كان السبب وراء عجزه الجنسي.

يبدو أن ما من شيء تعجز "برينان" عن رؤيته في حقل الطاقة الإنساني. تقول أن مرض السرطان في مراحله الأولى يجسّد لون أزرق رمادي في "الهالة"، وعبر تطوره، يتحوّل اللون إلى أسود. وتظهر في النهاية بقع بيضاء في المنطقة السوداء، وإذا تلالأت البقع البيضاء وبدت بأنها تندفع من بركان، فهذا يعني أن السرطان قد تجسّد فعلاً وحالته استقرت.

كافة أنواع الكحول والمخدرات، مثل الكوكايين والماريجوانا، لها آثارها المضرة على الألوان الصحية الفاقعة للهالة حيث تخلق، كما تسميها "برينان"، "بلغم أثيري" etheric mucus. استطاعت في إحدى المناسبات أن تحدد لزبونها المذهول أي منخر في أنفه استخدمه ليستنشق الكوكايين، لأن "الهالة" حول ذلك الجانب من أنفه متخذة دائماً لون رمادي مع "بلغم أثيري" لزج.

الأدوية الطبية (العقاقير) ليست استثناء في هذا المضمار، حيث غالباً ما يؤدي تناولها إلى تشكّل مناطق قائمة في حقل الطاقة المحيطة بالكبد. أما الأدوية القوية مثل العلاج الكيماوي (المُعطى لمرضى السرطان)، فيؤدي إلى حصول إعاقة كاملة في حقل الطاقة. وتقول "برينان" بأنها رأت في "الهالة" التابعة لأحد الأفراد آثار "ظليل الأشعة" (صبغة تُستخدم لتشخيص الجروح في العمود الفقري) بعد عشر سنوات من حقنها في عموده الفقري، مع أنه من المفروض بأنه غير مؤذي.

وفقاً لـ"برينان"، حتى الحالة النفسية للفرد تنعكس في حقل الطاقة لديه. فمثلاً، الشخص الذي يعاني من اضطرابات عقلية لديه "هالة" ثقيلة من الأعلى. أما حقل الطاقة التابعة لشخص ماسوشي (يتلذذ باضطهاد الذات) يكون خشناً وكثيفاً ويميل للرمادي أكثر من الأزرق. وكذلك الحقل التابع لشخص لديه إقبال صارم على

الحياة يكون خشن ومائل للرمادي، لكن معظم الطاقة متركزة على الحافة الخارجية للهالة. وهكذا إلى آخره.

نقول "برينان" بأن المرض قد يتسبب نتيجة حصول تمزقات، انسدادات، أو اختلالات في "الهالة"، ومن خلال معالجة هذه المناطق المختلة بواسطة يديها وحقل الطاقة التابع لها، تستطيع تعزيز آلية الشفاء الذاتي لدى الفرد. لقد حققت شهرة واسعة بإنجازاتها العلاجية المعتمدة على هذه العملية.

تقول الطبيبة النفسية السويسرية والمتخصصة بعلم الموت thanatologist "أليزابيث كوبرل. روس" Elisabeth Kubler-Ross بأن "برينان" تعتبر إحدى أفضل المعالجين الروحيين في الغرب. كما أتى "بيرني سيغل" Bernie Siegel عليها قائلاً بأن عملها هو مذهل بالفعل، ومفاهيمها حول الدور الذي تلعبه الأمراض وكيف يتم إحراز الشفاء يناسب تجربته الشخصية تماماً.

بصفتها فيزيائية أساساً، كانت "برينان" تميل إلى وصف حقل الطاقة الإنساني مستخدمة مصطلحات علمية كما أنها آمنت بأن إقرارات الدكتور "بريبرام" بوجود "حقل ترددات" frequency domain يقبع ما وراء مجال إدراكنا الطبيعي هو أفضل نموذج علمي متوفر حالياً لفهم هذه الظاهرة. كتبت تقول: ". من وجهة نظر "الكون الهولوجرافي"، هذه الظاهرة (تقصد "الهالة" والقوى العلاجية المطلوبة للتحكم بطاقتها) تتأصل من مجال ترددات يتجاوز الزمان والمكان.. ليس بالضرورة أن تُرسل القوى العلاجية بالطريقة التقليدية، حيث تتمتع بإمكانية الوجود في كل مكان وبنفس الوقت.."

تقصد "برينان" في حديثها تلك الظاهرة المتمثلة بإمكانية وجود حقل الطاقة الإنساني في كل مكان وبنفس الوقت، أي أنه ذو طبيعة "لامكانية" nonlocal، بحيث يمكن التأثير عليه مجرد ما تم استهدافه بفكر المعالج مهما كان موقعها عنه. وقد أثبتت هذه الحقيقة من خلال تجربتها الشخصية في هذا المجال، حيث اكتشفت

بأنها تستطيع قراءة "الهالة" التابعة لأحد الأفراد حتى لو كان يبعد عنها مسافة أميال. أكبر مسافة حققتها في هذا المضمار كانت خلال قراءة "هالة" أحد الأفراد في إيطاليا بينما هي موجودة في نيويورك. لقد ناقشت هذا الأمر، بالإضافة إلى مظاهر كثيرة أخرى لموهبتها الاستثنائية، في كتابها الرائع المنشور مؤخراً "أيادي من نور" Hands of Light.

حقل الطاقة والحالة النفسية

أحد الوسطاء الموهوبين الآخرين الذين يستطيعون رؤية "الهالة" بأدق تفاصيلها هي "كارول دراير" Carol Dryer، المستشارة في مسائل حقل الطاقة الإنساني، في "لوس أنجلوس". تقول "دراير" بأنها تستطيع رؤية "الهالات" منذ وقت مبكر من حياتها، وظنّت في البداية أنها قدرة طبيعية لدى كل البشر، واستغرق الأمر فترة طويلة قبل أن عرفت بأن الآخرين لا يستطيعون رؤية "الهالة" مثلها. إن جهلها بهذا الموضوع أوقعها بالكثير من المشاكل في طفولتها، حيث كانت تكشف لوالديها عن تفاصيل دقيقة تتعلق بأصدقائهما، وكانت أمور لا يمكن معرفتها بأي وسيلة تقليدية. تستثمر "دراير" قدراتها اليوم في مهنتها كوسيلة محترفة، وخلال ١٥ سنة استقبلت أكثر من خمسة آلاف مراجع. هي معروفة جيداً في وسائل الإعلام بسبب وجود الكثير من المشاهير بين زبائنهما، مثل "تينا تورنر"، "مادونا"، "جودي كولينز"، "فالييري هاربر"، "ليندا غراي".. وغيرهم. لكن كون هؤلاء النجوم السينمائيين في قائمة زبائنهما لا يعبر عن مدى قوتها في هذا المجال. فبالإضافة إليهم نجد في القائمة فيزيائيين، صحفيين بارزين، علماء آثار، محامين، وسياسيين، كما أنها استخدمت موهبتها لمساعدة الشرطة، وقامت أكثر من مرة بمؤازرة أطباء نفسيين وأطباء عاديين في صياغة استشاراتهم الطبية لمرضاهم.

مثل "برينان"، تستطيع "دراير" أن تجري قراءات للهالة عبر مسافات طويلة، لكنها تفضل أن تكون بنفس المكان مع الشخص. كما تستطيع رؤية حقل الطاقة التابع للشخص خلال إغماض عينيها. وفي الحقيقة، هي تفضل أن تغمض عينيها خلال قراءة "الهالة" لأن هذا يساعدها على التركيز بشكل أفضل. لكن هذا لا يعني أنها

ترى "الهالة" بعينها الداخلية فقط. تقول "دراير": " .. إنها دائماً أمامي كما لو أنني أشاهد فيلم سينمائي أو مسرحية.. إن ما أراه حقيقي كما الغرفة التي أكون فيها. وفي الواقع إن ما أراه في الهالة هو أكثر حقيقية وأكثر سطوعاً وتلويناً..".

لكن مع ذلك، فهي لا ترى الطبقات المتدرّجة التي يوصفها وسطاء آخرين، كما أنها لا ترى الحدود الخارجية لحقل الطاقة الإنساني كما تُرسم في الأشكال البيانية. تقول شارحة المسألة: " .. الجسم المادي للفرد يطابقها من ناحية الحجم، لكن نحن لا نتكلم عن "الهالة" أو حقل الطاقة الإنساني، بل عن الجسم الأثيري فحسب. إذا كنت أرى الجسم الأثيري فقط، فهذا لأنه يحتوي على شقوق وتمزقات تمنع الهالة من أن تكون كاملة. وبالتالي لا أستطيع رؤيتها كاملةً. لم أرى سوى رُقع من الهالة فحسب. إنها تبدو كستارة أو غطاء مُمزّقة. هذه الفجوات في الحقل الأثيري المحيط بالفرد تكون نتيجة صدمات نفسية، جروح، أمراض، أو ما يشابهها من تجارب مُدمرة اختبرها في حياته..".

لكن أثناء رؤيتها ما وراء الأثيري، تقول "دراير" أنه بدلاً من رؤية طبقات "الهالة" كصفوف الكعكة المتراكمة فوق بعضها، تدركها كأنسجة متغيرة وعبر أحاسيس بصرية متفاوتة الكثافة. تشبّه الأمر وكأنها مغمورة في البحر وتشعر بانجراف المياه حولها بدرجات حرارة مختلفة. تقول: " .. بدلاً من الخوض في مفاهيم صارمة مثل "طبقات"، أميل إلى رؤية حقل الطاقة الإنساني وفق لغة التحركات أو الانجراف أو طاقات موجية.. يبدو الأمر وكأنه بصري يخترق، كالمجهر، عدة طبقات وأبعاد مختلفة من حقل الطاقة، لكن لا أراها مُرتبة على شكل طبقات متتالية..".

هذا لا يعني أن إدراك "دراير" لحقل الطاقة الإنساني أقل تفصيلاً ووضوحاً من إدراك "برينان". فهي ترى كمية كبيرة ومتنوعة من النماذج والتركيبات، والغيوم متغيرة الألوان، وصور معقدة، وأشكال متألّأة، وضباب رقيق. لكن على أي حال، ليس كل حقول الطاقة الإنسانية خلقت متطابقة. وفقاً لـ"دراير"، الأشخاص

السطحيين يملكون "هالات" سطحية ومضجرة. ومن ناحية أخرى، كلما زاد تعقيد الشخص، زاد معه تعقيد، وتشويق، حقل الطاقة لديه. تقول: "حقل الطاقة هو كما بصمة الأصبع، يختلف تماماً بين فرد وآخر..".

كما الحال مع "برينان"، تستطيع "دراير" أن تشخص المرض من خلال النظر إلى "هالة" الشخص، وإذا رغبت يمكنها تعديل مجال رؤيتها وترى "الشاكرات" أيضاً. لكن مهارة "دراير" الخاصة تكمن في قدرتها على اختراق أعماق النفس لدى الأفراد وتعطيهم معلومات دقيقة عن حالاتهم النفسية وما تشمله من مكامن الضعف، القوة، حاجاتهم، وكذلك عن الحالة الصحية العامة لكيوناتهم العاطفية، النفسية، والروحية. إن موهبتها عظيمة في هذا المضمار لدرجة أن البعض أكد بأن جلسة واحدة معها تساوي ستة شهور من العلاج النفسي التقليدي. عدد كبير من مراجعيها يدينون لها بالفضل في تحويل حياتهم للأفضل، وملفاتهم مليئة برسائل الشكر والامتنان.

أطباء رسميون يستطيعون رؤية حقل الطاقة الإنساني

بالرغم من أن وجود حقل الطاقة الإنساني غير مُعترف به من قبل المجتمع الطبي الرسمي، إلا أن بعض الأطباء لم يتجاهلوا وجوده كما فرض عليهم.

إحدى الشخصيات المرموقة في المجال الطبي التي تتناول هذا الأمر بجديّة هي الطبيبة النفسية اللبنانية "شفيفة كركلا" (اسمها بالإنكليزية: Shafica Karagulla). نالت الدكتورة "شفيفة" شهادة الطب والجراحة من الجامعة الأمريكية في بيروت، لبنان. وتدرّبت في مجال علم النفس تحت إشراف عالم النفس الشهير، البروفيسور السير "ديفيد.ك. هندرسون" David K. Henderson، في مستشفى "أدنبرغ" الملكي للأمراض العقلية والعصبية، إنكلترا. كما أنها أمضت ثلاث سنوات ونصف كباحثة مساعدة للجراح العصبي الكندي المرموق "وايلدر بينتفيلد" Wilder Penfield، الذي ساهمت دراساته الاستثنائية على موضوع "الذاكرة" في إطلاق أعمال الدكتور "لاشلي" و"بريبرام".

كانت الدكتوراة "كركلا" متشككة في البداية، لكن بعد لقائها بعدد من الأشخاص الذين يستطيعون رؤية "الهالة"، والتأكد من أنهم صدقوا في تشخيصهم الصحي بالاعتماد على ما رأوه، أصبحت مؤمنة تماماً بهذه الظاهرة. أطلقت "كركلا" على هذه القدرة على رؤية حقل الطاقة الإنساني اسم "الإدراك الحسيّ الفوقي" higher sense perception أو HSP، وفي الستينات من القرن الماضي انطلقت في مسيرة بحثها الطويل والمضني لتستكشف هذه القدرة بين الناس، وخصوصاً، التأكد من نسبة وجودها في الوسط الطبيّ الرسمي.

كلفت مجموعة كبيرة من المستطلعين بين أصدقائها وزملاءها للبحث والاستقصاء، لكن كانت الأخبار في البداية قليلة وتتوافد ببطء. حتى الأطباء المعروف عنهم أنهم يحوزون على القدرة كانوا ممانعين لمقابلتها. بعد صدها باستمرار من قبل أحد هؤلاء الأطباء، قررت في النهاية مقابلته متتكرة بصفة مريضة. بعد أن دخلت عيادته، بدلاً من السماح له إتباع الطريقة التقليدية لتشخيص حالتها، تحدته بأن يستخدم "الإدراك الحسيّ الفوقي" لديه. بعد وضعه في الزاوية استسلم أخيراً. فقال لها: ".. حسناً ابقِ مكانك.. ولا تقولي لي شيئاً عن حالتك.."، ثم راح يجري مسحاً كاملاً لها بعينيه وأعطاهها تقييماً سريعاً لحالتها الصحية، بما في ذلك وصفاً دقيقاً لحالة تعاني منها تتطلب إجراء جراحة، وقد شخصت هذه الحالة من قبل بشكل سرّي دون أن تخبر أحد. قالت "كركلا" بأنه نجح في تشخيص أدقّ التفاصيل عن حالتها.

استمرت شبكة "كركلا" الاستطلاعية تتوسع مع الوقت، وراحت تقابل الأطباء الموهوبين بهذه القدرة الواحد تلو الآخر، ووصفت مقابلاتها معهم في كتابها الرائع "اختراق جديد نحو الإبداع" Breakthrough to Creativity. الأمر المثير الذي اكتشفته هو أن معظم هؤلاء الأطباء يجهلون تماماً بوجود أفراد آخرين غيرهم موهوبين بنفس القدرة، وشعروا بأنهم مميزين بسبب اقتناعهم بأنهم وحدهم في هذا المضمار. لكن مع ذلك، جميعهم وصفوا ما رآه بأنه "حقل طاقة" أو "شبكة متحركة من الذبذبات" حول الجسم ومتداخل معه. حتى أن بعضهم رأى

"الشاكرات" لكنهم لم ينظروا في حياتهم على الأدبيات الهندية ليستخدموها هذا المصطلح المعروف، فوصفوها بأنها "دوامات من الطاقة موجودة في نقاط محددة على طول العمود الفقري وموصولة بالغدد الصماء وتؤثر عليها..".

جميع هؤلاء الأطباء الموهوبين اشتهروا بأمر واحد جمع بينهم، كل واحد منهم احتفظ بسريّة قدرته لنفسه خوفاً من الضرر بسمعته المهنية. واحتراماً لهذه الخصوصية، عرفتهم "كركلا" في كتابها مستخدمة أسمائهم الأولى فقط. قالت أنهم يمثلون جراحين مشهورين، أساتذة مرموقين في جامعات طبيّة محترمة، رؤساء أقسام في مستشفيات كبرى، وأطباء يعملون في مختبرات وعيادات بارزة. كتبت تقول: "كنت متفاجئة باستمرار لمعرفة وجود هذا الكم من الموهوبين في صفوف المهنة الطبية.. ومعظمهم كان يشعر بعدم الارتياح بموهبته، لكن بسبب اكتشافهم لمدى جدواها العملية في تشخيص الحالات الصحية، استعملوها في عملهم الطبي. جاؤوا من بلاد مختلفة ومن أصول مختلفة، ورغم أنهم يجهلون بعضهم البعض، جميعهم بلغوا عن نفس التجارب ونفس المشاهدات.."، وفي نهاية التقرير استنتجت قائلة: "عندما يبلغ عدد كبير من الأشخاص الموثوق بهم عن مشاهدة نفس الظاهرة بشكل مستقل، هذا يعني أنه حان الوقت للعلم أن يعترف بها..".

ليس كل العاملين بالمهنة الطبية يخافون من الظهور علناً بموهبتهم الاستثنائية. إحدى هؤلاء هي الدكتورة "دولوريس كريغر" Dolores Krieger، وهي أساتذة في التمريض بجامعة نيويورك. أصبحت "كريغر" مهتمة بحقل الطاقة الإنساني بعد اشتراكها في دراسة قدرات المعالج الهنغاري الشهير "أوسكار إستباني" Oscar Estebany. بعد اكتشاف حقيقة أن "إستباني" يستطيع رفع مستوى الهيموغلوبين لدى المرضى من خلال التحكم بمجال الطاقة لديهم، قررت "كريغر" التعلّم أكثر عن الطاقات الغامضة الداخلة في العملية. انخرطت في دراسة "البرانا"، و"الشاكرات"، و"الهالة"، وأصبحت في النهاية تلميذة للمستبصرة الشهيرة "دورا كونز" Dora Kunz. وتحت إشراف وإرشاد "كونز"، تعلمت "كريغر" كيف

تستشعر الانسدادات في حقل الطاقة الإنساني وتعالجها عبر التحكم بالحقل بواسطة يديها.

بعد إدراكها للإمكانية الطبية الهائلة لتقنية "كونز" العلاجية، قررت "كريغر" تدريس ما تعلمته للآخرين. لأنها كانت تعلم بأن مصطلحات مثل "هالة" و"شاكرات" تمثل مفاهيم سلبية بالنسبة للعاملين في المجال الطبي الرسمي، قررت أن تسمي وسيلتها الجديدة بـ"اللمسة العلاجية" therapeutic touch. أول صفّ درّسته عن "اللمسة العلاجية" كان دورة بمستوى اختصاص للممرضات في جامعة نيويورك، عنوانها "حدود التمريض: تحقيق الإمكانية لتفاعل مجال العلاج": *Frontiers in Nursing: The Actualization of Potential for Therapeutic Field Interaction*. وقد أثبتت الدورة وكذلك التقنية العلاجية نجاحهما مما شجّع "كريغر" على الاستمرار في تدريس التقنية، وقد تعلّم هذه التقنية العلاجية آلاف الممرضات والممرضين، وهي تُمارس اليوم في الكثير من المستشفيات حول العالم.

لقد تم أيضاً استعراض فعالية "اللمسة العلاجية" في عدة أبحاث علمية أجريت لاحقاً. فمثلاً، الدكتورة "جانيت كوين" Janet Quinn، وهي أستاذة مساعدة ومديرة مساعدة لأبحاث التمريض في جامعة كارولينا الجنوبية في كولومبيا، قررت التأكد من قدرة "اللمسة العلاجية" على خفض مستوى القلق لدى مرضى القلب. لتحقيق ذلك، صممت دراسة مزدوجة التعمية double-blind بحيث تمرر مجموعة من الممرضات الخبيرات بهذه التقنية أيديهن على أجساد مجموعة من مرضى القلب. ومجموعة أخرى تفتقد الخبرة بهذه التقنية تمررن أيديهن فوق أجساد مجموعة أخرى من مرضى القلب، لكن دون ممارسة التقنية فعلياً. وجدت الدكتورة "كوين" بأن مستوى القلق لدى المرضى الذين خضعوا لمعالجة فعلية انخفض ١٧% بعد مرور خمس دقائق، بينما لم يتغير شيء في مستوى القلق لدى المرضى الذين خضعوا لمعالجة كاذبة. وقد نشرت دراسة "كوين" قصة رئيسية في قسم العلوم في إصدار ٢٦ آذار ١٩٨٥ من صحيفة "نيويورك تايمز".

هناك خبير صحي آخر يحاضر بشكل واسع حول موضوع حقل الطاقة الإنساني، وهو الدكتور "بروغ جوي" Brugh Joy المتخصص في أمراض القلب والرئتين بجامعة كاليفورنيا الجنوبية. الدكتور "جوي"، المتخرج من جامعة "جونز هوبكنز" Johns Hopkins الطبية ومختبر "مايو" Mayo Clinic، اكتشف موهبته في العام ١٩٧٢م، بينما كان يفحص أحد المرضى في عيادته. لكن بدلاً من رؤية "الهالة" بشكل فعلي، يستطيع الدكتور "جوي" استشعارها بيديه. يقول متذكراً كيف اكتشف موهبته لأول مرة: " .. كنت أفحص مراجع في العشرينات من عمره، ومجرد أن مرّت يدي فوق منطقة الصفيحة الشمسية، أي عند صرة البطن، استشعرت شيئاً بدا كغيمة دافئة. بدا أنها تنبعث عمودياً من الجسم مسافة ٣ أو ٤ أقدام، وكان شكلها اسطواناني ويبلغ قطرها ٤ بوصة..".

انطلق الدكتور "جوي" في رحلة بحثه الطويلة بخصوص هذه الظاهرة واكتشف أن كل مرضاه يملكون نفس الطاقة اسطوانية الشكل المنبعثة ليس فقط من بطونهم، بل من مناطق أخرى في أجسامهم. ولم يعرف حينها ما هي هذه الانبعاثات الطاقية إلا بعد قراءة مرجع هندي قديم يتحدث عن منظومة الطاقة الحيوية للإنسان، فاكتشف حينها بأن ما اكتشفه هو "الشاكرات" ذاتها التي تحدثت عنها تعاليم "اليوغا".

مثل "برينان"، يعتقد الدكتور "جوي" بأن النموذج الهولوجرافي يوفر أفضل تفسير لفهم حقل الطاقة الإنساني. كما أنه يشعر بأن القدرة على رؤية "الهالة" كامنة في كل واحد منا. يقول: " .. أعتقد بأن الوصول إلى حالات مديدة من الوعي هو مجرد عملية تتأغم لنظامنا العصبي المركزي مع حالات إدراك معينة كانت موجودة دائماً في جوهرنا لكن تم منعها بفعل التكيف العقلي الذي خضعنا له..".

من أجل إثبات صحة أفكاره، يمضي الدكتور "جوي" الآن معظم وقته في تعليم الآخرين على كيفية استشعار حقل الطاقة الإنساني. أحد تلاميذ "جوي" هو الكاتب الشهير "مايكل كريشتون" Michael Crichton، مؤلف الكتب الرائجة مثل "سلالة الأندروميديّة" The Andromeda Strain، و"الجسم الكروي" Sphere، كما أنه

أخرج أفلام سينمائية مثل "الغيبوبة" Coma، و"أول سرقة قطار عظيمة" The First Great Train Robbery. وفي كتابه الأخير الذي يتناول سيرته الذاتية، عنوانه "الأسفار" Travels، يوصف "كريشتون"، الحاصل على شهادة الطب من جامعة هارفارد، كيف تعلم استشعار ورؤية حقل الطاقة الإنساني بعد أن تتلمذ على يد الدكتور "جوي" ووسطاء موهوبين آخرين. هذه التجربة أدهشت "كريشتون" وحوّلت حياته بالكامل. كتب يقول: "ليس هناك أي وهم بهذا الخصوص. من الواضح جداً أن طاقة الجسم تمثل ظاهرة حقيقية من نوع خاص..".

الطبيعة الهولوغرافية لنزبية لحقل الطاقة الإنساني

منذ أن نشرت الدكتورة "كركلا" تحقيقاتها عن قدرة إدراك "الهالة" بين الأطباء، تغيرت أمور كثيرة، ولم تتوقف عند تزايد رغبة عدد كبير من الأطباء في الظهور للعلن بقدرتهم الاستثنائية هذه. طوال العقدين الماضيين نجحت الدكتورة "فاليري هونت" Valerie Hunt، وهي معالجة فيزيائية وأستاذة في علم الحركة kinesiology بجامعة UCLA كاليفورنيا، في تطوير طريقة مجدية لإثبات وجود حقل الطاقة الإنساني مخبرياً.

لطالما أدرك علم الطب بأن الإنسان هو كائن كهرومغناطيسي، وتعامل معه على هذا الأساس بأكثر من طريقة. فالأطباء يستخدمون مثلاً، وبشكل روتيني، أجهزة تخطيط كهربية القلب EKG لقياس النشاط الكهربائي للقلب، وكذلك أجهزة تخطيط كهربية الدماغ EEG لقياس النشاط الكهربائي للدماغ.. وهكذا. اكتشفت الدكتورة "هونت" بأن جهاز تخطيط كهربية العضل EMG يستطيع استشعار الحضور الكهربائي لحقل الطاقة الإنساني.

بالرغم من أن أبحاث "هونت" الأساسية تتعلق بدراسة التحركات العضلية للإنسان، لكنها أصبحت مهتمة بحقل الطاقة بالصدفة، بعد لقائها بامرأة زعمت بأنها تستعين بحقل الطاقة لديها لمساعدتها على الرقص. هذا الأمر ألهم الدكتورة "هونت" بإجراء فحص EMG للنشاط الكهربائي في عضلات تلك المرأة خلال رقصها، كما

أجرت دراسة على تأثير المعالجين الروحيين على النشاط الكهربائي في عضلات الأفراد الخاضعين للعلاج. وقد توسعت دراستها لتشمل الأشخاص الذين يستطيعون رؤية حقل الطاقة الإنساني، وهنا بالذات حققت أعظم اكتشافاتها.

المدى الطبيعي لوتيرة تردد النشاط الكهربائي في الدماغ يقع بين [0] و [100] دورة في الثانية، مع العلم أن معظم نشاطات الدماغ المعروفة تحصل بين [0] و [30] دورة في الثانية. أما وتيرة تردد النشاط الكهربائي في العضل فتتصاعد إلى حوالي [225] دورة في الثانية، لكن عند هذه النقطة بالذات تختفي النشاطات الكهربائية المرتبطة بالوظائف البيولوجية.

بالإضافة إلى هذه المعطيات، اكتشفت الدكتورة "هونت" بأن أقطاب جهاز تخطيط كهربية العضل EMG تستطيع التقاط مجال طاقة آخر ينبعث من الجسم، وهو أكثر رهفة ودقة من حيث مدى التردد بالمقارنة مع كهربية الجسم المألوفة، إذ يبلغ معدل وتيرة تردد هذا المجال الطاقوي الجديد بين [100] و [1600] دورة في الثانية، وأحياناً يكون أعلى من ذلك.

الأمر المذهل الآخر هو أنه بدل الانبعاث من الدماغ، القلب، أو العضلات، كان هذا المجال الغامض بأقوى حالاته ينبعث من مناطق معينة من الجسم، وهذه المناطق بالذات تمثل مواقع "الشاكرات" chakras. قالت الدكتورة "هونت" معلقة: " .. كانت النتائج مثيرة جداً لدرجة أنني لم استطع النوم تلك الليلة .. المنطق العلمي الذي نشأت عليه طوال حياتي لا يستطيع تفسير هذه الاكتشافات .."

اكتشفت "هونت" أيضاً بأنه عندما يرى الوسيط الموهوب لون معين في "الهالة" العائدة إلى شخص معين، يلتقط جهاز الـ EMG النموذج الترددي المرتبط دائماً بذلك اللون بالذات. استطاعت رؤية هذا النموذج الترددي في شاشة جهاز "راسم إشارة" oscilloscope، وهو جهاز يحول الموجات الكهربائية إلى نموذج مرئي يُعرض على شاشة أحادية اللون. مثلاً، عندما يرى الوسيط الموهوب لون "أزرق"

في حقل الطاقة العائد لفرد معين، تستطيع الدكتوراة "هونت" التأكد من أنه "أزرق" فعلاً من خلال النظر إلى النموذج الترددي على شاشة راسم الإشارة. في إحدى التجارب، اختبرت ٨ وسطاء موهوبين بقراء "الهالة" الذين جعلتهم ينظروا إلى إحدى "الهالات" في نفس الوقت، من أجل التأكد من توافق قراءاتهم مع بعضهم البعض وكذلك مع قراءة النموذج الترددي الظاهر على شاشة راسم الإشارة. وكانت النتيجة مذهلة. قالت "هونت" واصفة الأمر: ". . كانت القراءات مطابقة لبعضها حتى النهاية وبأدق التفاصيل..".

بعد أن تأكدت "هونت" من وجود حقل الطاقة الإنساني فعلاً، أصبحت هي أيضاً مقتنعة بأن النظرية "هولوغرافية" توفر نموذجاً جيداً لفهمه. بالإضافة إلى مظاهره الذبذبية، أشارت إلى أن هذا الحقل من الطاقة، وبكل تأكيد كافة الأنظمة الكهربائية الأخرى في الجسم، هو ذو طبيعة هولوغرافية بطريقة أو بأخرى. فكما طريقة التوزيع المعلوماتي داخل الهولوجرام، هذه الأنظمة الكهربائية موزعة بطريقة شمولية في كافة أنحاء الجسم. فمثلاً، النشاط الكهربائي الذي يقيسه جهاز تخطيط كهربية الدماغ EEG يكون أقوى في منطقة الدماغ، لكن يمكن أيضاً إجراء قراءة EEG حتى عندما توصل الأقطاب بأصبع القدم. والأمر ذاته ينطبق على قراءة تخطيط كهربية القلب EKG حيث يمكن التقاطها من أصبع القدم أيضاً. صحيح أن الإشارة تكون أقوى في منطقة القلب، لكن النموذج الترددي يكون هو ذاته في كامل أنحاء الجسم. تعتقد الدكتوراة "هونت" بأن هذا الأمر له دلالة كبيرة. بالرغم من أن كل جزء من ما تسميه "الواقع الهولوجرافي للحقل" holographic field reality التابع "لهالة" يحتوي على مظاهر وسمات كامل حقل الطاقة، إلا أن الأجزاء المختلفة منه لا تتشابه فيما بينها. هذه الاختلافات في مدى التردد تمنع حقل الطاقة من أن يكون هولوجرام جامد، حيث هو بدلاً من ذلك ديناميكي ومتدفق على الدوام، حسب قولها.

من بين اكتشافات "هونت" المذهلة هو حقيقة أن الميول والمؤهلات الإنسانية المختلفة مرتبطة بحضور ترددات محددة في حقل الطاقة لدى الفرد. وجدت مثلاً

أنه عندما يكون تركيز الوعي لدى الفرد منصباً على مسائل دنيوية، تميل ترددات حقل الطاقة لديه إلى التذبذب بمستوى منخفض حيث لا تكون بعيدة كثيراً عن [٢٥٠] دورة في الثانية، وهي الوتيرة البيولوجية الطبيعية للجسم. وعلى الجانب الآخر، وجدت أن الأشخاص الروحيين، أو الموهوبين بقدرات علاجية مثلاً، تميل ترددات حقل الطاقة لديهم إلى التذبذب بمستوى يقارب [٤٠٠] إلى [٨٠٠] دورة في الثانية.

أما الأشخاص الذين يستطيعون الدخول في غيبوبة (حالة وعي بديلة) بحيث يتواصلون مع مصادر معلوماتية روحية، فيتجاوزون تماماً مستوى تردد "الروحي" المذكور في الأعلى، ويعملون ضمن نطاق ضيق يتراوح بين [٨٠٠] و [٩٠٠] دورة في الثانية. تقول "هونت" معلقة على الأمر: " .. إنهم لا يملكون أي نطاق تردد روحي إطلاقاً.. يبقون هناك في الأعلى وحدهم وضمن مجالهم الخاص. إنه ضيق جداً كرأس الدبوس، وعلى الأغلب يكونوا خارج هذا النطاق الترددي كلياً..". أما الأشخاص الذين لديهم ترددات أعلى من [٩٠٠] دورة في الثانية، فهم من النوعية المتصوفة حسب تصنيف الدكتورة "هونت". في الوقت الذي يكون فيه الوسطاء trance mediums (الذين يدخلون الغيبوبة) والروحيين psychics مجرد قنوات للحصول على معلومات غيبوية، نرى أن المتصوفين mystics يملكون الحكمة التي ترشدهم كيف يتصرفون بتلك المعرفة الغيبوية، حسب قول "هونت". وتضيف قائلة بخصوص المتصوفين: " .. إنهم مدركون تماماً للترابط الكوني بين كل الأشياء كما أنهم متواصلون مع كل مستوى من التجربة الإنسانية..".

إنهم محبوسون في الواقع العادي، لكن غالباً ما يكون لديهم قدرات وسيطية وروحية معاً. وفي كل الأحوال، فإن مجال ترددهم يتجاوز بأشواط كبيرة نطاق الترددات المرتبطة بتلك القدرات. من خلال استخدام جهاز مُعدّل لتخطيط كهربية العضل (الجهاز العادي يستشعر ترددات تصل إلى ٢٠,٠٠٠ دورة في الثانية فقط) اكتشفت "هونت" وجود أشخاص يحوزون على ترددات مرتفعة جداً في حقل

الطاقة لديهم بحيث تصل حتى ٢٠٠,٠٠٠ دورة في الثانية. وهذا الأمر يدعو للغرابة فعلاً، إذ أن التقاليد الصوفية الشرقية غالباً ما أشارت إلى الأشخاص المتطورين روحياً بأن لديهم وتيرة ذبذبة أعلى بكثير من الأشخاص العاديين. إذا كانت اكتشافات "هونت" صحيحة، فسوف تزيد من مصداقية هذا الوصف القديم.

مما يتألف حقل الطاقة الإنساني؟

بالرغم من المظاهر الكهربائية لحقل الطاقة الإنساني، لا تعتقد "هونت" بأنه ذات طبيعة كهرومغناطيسية صرفة. تقول: "لدينا شعور بأنه أكثر تعقيداً، ودون أدنى شك، يتألف طاقة معينة غير مكتشفة بعد..". ما هي هذه الطاقة غير المكتشفة؟ في الوقت الحاضر، نحن لا نعلم.

أفضل دليل حتى الآن يأتي من حقيقة أن كل الوسطاء الروحيين دون استثناء يصفونها بأن لها وتيرة تردد أو ذبذبة أعلى من مستوى طاقة المادة. بسبب الدقة العجيبة التي يتصف بها الوسطاء الموهوبين خلال وصف ما يدركوه من أمراض في حقل الطاقة، وجب علينا بالتالي منح هذه الحقيقة المزيد من الاهتمام. إن عمومية هذا النوع من الإدراك (حتى الأدبيات الهندوسية القديمة تؤكد بأن الجسم الطاقوي يتمتع بوتيرة ذبذبة أعلى من وتيرة المادة) قد يمثل دليل على أن هكذا نوع من الأفراد (الوسطاء) يعرفون حقيقة مهمة بخصوص حقل الطاقة.

وقد وصفت الأدبيات الهندوسية القديمة أيضاً المادة بأنها مؤلفة من "أنو" anu أي الذرة، وتقول أيضاً بأن الطاقات الخفية المتذبذبة لحقل الطاقة الإنساني موجودة في "بارامانو" paramanu أي ما وراء الذرة. هذا الأمر مثير فعلاً، حيث أن الفيزيائي "بوهم" Bohm يعتقد أيضاً بأنه في المستوى دون الكمّي subquantum، أي ما وراء الذرة، هناك الكثير من الطاقات الخفية التي لازالت مجهولة بالنسبة للعلم.

يترف "بوهم" بأنه لا يعلم إن كان حقل الطاقة الإنساني موجود فعلاً (لأنه علماني ولم يخرط في هذه المواضيع أبداً في حياته)، لكن في تعليقه على إمكانية وجوده

قال: " .. إن للنظام المستتر *implicate order* مستويات خفية كثيرة. إذا انصب انتباهنا على تلك المستويات الخفية، فسوف نتمكن بعدها من رؤية أكثر مما نراه الآن.."

الجدير بالملاحظة هو أننا لا نعلم ما هو الحقل فعلاً، أي حقل. وكما يقول "بوهم": " .. ما هو الحقل الكهربائي؟ .. نحن لا نعلم..". عندما نكتشف نوع جديد من الحقول سوف يبدو في البداية غامضاً. عندما نسميه، نعتاد على التعامل معه ووصف خواصه، سوف لن يعد غامضاً بالنسبة لنا. لكن مع هذا كله، نحن لا زلنا نجهل ما هو الحقل الكهربائي أو حقل الجاذبية! وكما رأينا في الجزء الثاني (النظرية الهولوجرافية)، نحن نجهل حتى ما هي الإلكترونات فعلاً. نحن نستطيع فقط وصف طريقة سلوكها. هذا يفترض أن حقل الطاقة الإنساني سيبقى مُعَرَّفاً وفق مصطلحات تشير إلى طريقة سلوكه، والأبحاث التي تتناوله، كذلك التي تجريها الدكتورة "هونت"، تزيد من فهمنا له فقط.

صور ثلاثية الأبعاد في "الهالة"

إذا كانت تلك الطاقات الخفية ذات الطبيعة التجاوزية تمثل المحتوى الذي يتألف منه حقل الطاقة الإنساني، فهذا يجعلنا نطمئن إلى حقيقة أنها تحوز على مواصفات تختلف تماماً عن أنواع الطاقات التي نألفها في الحالة العادية. من بين المواصفات الواضحة في حقل الطاقة الإنساني هي الخواص "اللامكانية" *nonlocal characteristics*. وهناك أخرى، وهي هولوجرافية بطبيعتها، تتمثل بقدرة الهالة على التجسد كغشاوة ضبابية من الطاقة، أو أحياناً يتشكل في محتواها صور ثلاثية الأبعاد.

غالباً ما يبلغ الوسطاء الموهوبين عن رؤيتهم لهذا "هولوجرامات" تطوف في "هالة" الأفراد. هذه الصور الهولوجرافية تمثل في العادة أشياء وأفكار لها مكانة بارزة في ذهن الفرد صاحب "الهالة". تزعم بعض التقاليد السحرية بأن هكذا صور تصدر من الطبقة الثالثة، أو طبقة العقل، في "الهالة"، لكن حتى يصبح لدينا وسائل

علمية تجعلنا نتأكد من صحة هذه المزاعم أو نكذبها، سوف نبقى مقيدون حالياً لما يختبره الوسطاء الذي يستطيعون رؤية تلك الصور في "الهالة".

إحدى هؤلاء الوسطاء هي "بياتريس ريتش" Beatrice Rich. كما هي الحال دائماً، تجلّت قدرات "ريتش" في وقت مبكرة من عمرها. عندما كانت طفلة صغيرة، كانت الأشياء تتحرك من حولها بشكل عشوائي ودون أي سبب منطقي. عندما كبرت قليلاً اكتشفت بأنها تعلم عن أشياء كثيرة تتعلق بالأشخاص في غياب أي وسيلة منطقية تمكنها من ذلك. بالرغم من أنها بدأت حياتها العملية كفنانة، إلا أن موهبتها الاستبصارية أثبتت جدارتها وقوتها مما شجعها على أن تتحول للعمل كوسيلة استشارية كامل الوقت. هي الآن نقدم قراءات (معلومات غيبية) لأشخاص من كافة مشارب الحياة، من ربات المنازل إلى مدراء عامين في أكبر الشركات، وقد ظهرت مقالات عن عملها في مجلات بارزة مثل New York World Tennis, magazine، ومجلة New York Woman.

غالباً ما ترى "ريتش" صوراً تطوف أو تحلق بالقرب من مراجعها. في إحدى المرات رأت ملاعق فضية، صحن فضية، وأشياء أخرى مشابهة تدور حول رأس أحد الرجال المراجعين. لأن الحادثة حصلت في وقت مبكر من مشوارها الاستكشافي الطويل للظواهر الروحية، اندهشت لما رآته أمامها. كانت في البداية تجهل لماذا ترى ما رآته. لكن قررت في النهاية الإفصاح للرجل عن ما تراه، فاكتشفت بأنه يعمل في مجال الاستيراد والتصدير وتجارته تتعامل حصراً مع الأشياء التي رآتها "ريتش" تحوم فوق رأسه. كانت هذه التجربة مثيرة وساهمت في تغيير نظرتها إلى الأبد.

لقد مرت الوسيطة "كارول دراير" بتجارب كثيرة مشابهة. في إحدى المرات، وخلال إجراء قراءة لإحدى المراجعات، رأت مجموعة من حبات البطاطا تحوم فوق رأسها. كما حالة "ريتش"، أصيبت بالدهشة في البداية، لكنها تشجعت وسألت المرأة إذا كانت البطاطا تمثل أي دور أو معنى خاص في حياتها. ضحكت المرأة

وأخرجت بطاقة عملها وقدمتها لها. تبين أنها عضو في مجلس اتحاد البطاطا في ولاية "إداهو" Idaho.

هذه الصور لا تحوم في "الهالة" فحسب، بل تظهر أحياناً وكأنها امتدادات شبحية للجسم ذاته. في إحدى المناسبات رأت "دراير" طبقة واهية وشبه هولوغرافية من الوحل (الطين) ملتصقة بذراعي ورجلي إحدى النساء. وبسبب مظهر المرأة الذي يشير إلى أنها راقية ومعصومة حيث ترتدي ألبسة فاخرة، عجزت "دراير" عن تفسير سبب هذه الصور القذرة التي تشوّه مجالها الطاقوي. فكشفت لها عن ما تراه وسألته إذا كان للأمر معنى ما بالنسبة لها، فأومأت المرأة برأسها إيجاباً، شارحة بأنها نحّاتة تماثيل وكانت تختبر مادة طينية جديدة في ذلك الصباح وقد علقت كمية من هذه المادة القذرة على ذراعيها ورجليها في نفس المكان الذي أشارت إليه "دراير".

صور متحركة (أفلام) في الهالة

الصور التي يراها الوسطاء في حقل الطاقة ليست جامدة دائماً. تقول "ريتش" بأنها غالباً ترى ما يبدو أنه فيلم شفاف يدور في رأس الشخص الجالس أمامها. تقول: "أرى أحياناً صورة صغيرة للشخص خلف رأسه وكنفيه يقوم فيها بأمر كثيرة مختلفة في حياته. يقول لي زبائني بأن أوصافي دقيقة ومحددة. أستطيع أن أرى مكائهم وكيف يبدو مدراءهم. أستطيع رؤية ما يفكرون به وما حصل معهم في الأشهر الستة السابقة.."

تقول "دراير" بأنها ترى أيضاً ما تبدو أنها أفلام ثلاثية الأبعاد في حقل الطاقة الإنساني. تقول: "عادة ما تكون ملونة، لكنها قد تكون بنية اللون أيضاً، أو تبدو فضية. غالباً ما تصوّر قصة معينة عن الشخص وقد تستغرق خمس دقائق أو ساعة كاملة. كما أن الصور مفصلة بشكل مذهل. عندما أرى الشخص جالساً في غرفة معينة، أستطيع أن أقول له كم عدد النباتات الموجودة فيها، وكم عدد أوراق

كل نبتة، وكم عدد أحجار القرميد في الجدار. غالباً ما أتجنب الدخول في هكذا تفاصيل خلال قراءاتي لكن أفعل ذلك عند الضرورة.."

تشبّه "دراير" الصور التي تراها بالهولوجرامات وتقول بأنه عندما تختار صورة معينة بين مجموعة من الصور وتبدأ بمشاهدتها، هذه الصورة بالذات تتمدد وتتوسّع حتى تملأ كامل الغرفة. تقول: "إذا رأيت أمراً ما يتعلّق بكتف الشخص، كوجود جرح مثلاً، يبدأ المشهد بالتوسّع فجأة ليملاً كامل المكان. من هنا استنتجت بأن لهذه الصور طبيعة هولوغرافية حيث أشعر أحياناً بأنني أستطيع الدخول فيها وأشارك في فعاليتها. الأمر لا يحصل معي بل من حولي. وكأنني موجودة وسط فيلم ثلاثي الأبعاد، فيلم هولوغرافي، مع الشخص.."

رؤية "دراير" الهولوجرافية لا تقتصر على أحداث من حياة الفرد فحسب. هي ترى تمثيلات بصرية لمجريات العقل اللاواعي أيضاً. كما نعلم جميعاً، العقل اللاواعي يتحدث بلغة الرموز والتعبيرات المجازية. لهذا السبب تبدو الأحلام بأنها غامضة وغير عقلانية. لكن إذا تعلم الفرد كيف يترجم لغة اللاوعي، سوف تصبح معاني الأحلام واضحة ومفهومة.

الأحلام ليست الوحيدة التي تتحدث بلغة اللاوعي. الأشخاص الذين يألفون لغة النفس، وهي اللغة التي يسميها عالم النفس "أريك فروم" Erich Fromm "اللغة المنسية" لأن معظمنا نسي كيف يترجمها، يدركون حضورها في بدع إنسانية مختلفة مثل الخرافات، الأساطير، والرؤى الدينية.

بعض الأفلام الهولوجرافية التي تراها "دراير" في حفل الطاقة الإنساني تظهر بهذه اللغة التي تشبه الرسائل المجازية للأحلام. نحن نعلم الآن بأن العقل اللاواعي ينشط ليس فقط في الأحلام، بل دائماً وفي كل الوقت. تستطيع "دراير" اختراق القشرة الخارجية الممثلة بالذات الصاحية (العقل الواعي) ثم تحدّق مباشرة إلى ذلك النهر المتواصل من الصور الجارية دائماً في العقل اللاواعي. ومن خلال

الممارسة، وبفضل موهبتها الاستثنائية، أصبحت ماهرة جداً في فكّ شيفرة اللغة التي يتكلمها اللاوعي.

بالإضافة إلى ذلك، لدى "دراير" طريقة خاصة لمعرفة إن كانت قد ترجمت الصور بطريقة صحيحة. تقول: ". إذا لم أفسرها بطريقة صحيحة، تبقى هناك ولا تتلاشى.. تبقى جامدة مكانها في حقل الطاقة . لكن بعد أن أكتشف للشخص كل ما وجب معرفته عن صورة معينة، تبدأ بالتلاشي ثم تختفي..".

تظنّ "دراير" بأن السبب يعود إلى أن العقل اللاوعي للمراجع هو الذي اختار ما سيظهره من صور لها. تعتقد بأن النفس الخفية تحاول دائماً إعلام النفس الواعية بأشياء وجب معرفتها للمحافظة على سعادتها وصحتها، وخصوصاً الحافظة على تطورها الروحي. إن قدرة "دراير" على رؤية وترجمة خفايا أعماق النفس تعتبر إحدى الأسباب التي تجعلها قادرة على إحداث تحولات كبيرة في حياة عدد كبير من الأشخاص.

لقد أصبح واضحاً من خلال أعمال وسطاء مثل "دراير" و"ريتس" بأن هناك كمية هائلة من المعلومات التي يمكن استخلاصها من حقل الطاقة. ربما لهذا السبب حصلت "هونت" على عدد كبير من النماذج الترددية الفوضوية خلال تحليلها للمعطيات المستخلصة من "الهالة".

إن القدرة على رؤية الصور في حقول الطاقة الإنسانية ليست جديدة. هناك الكثير من المراجع التاريخية التي تحدثت عن هذه الظاهرة. قبل ثلاثة قرون تقريباً، تحدث الصوفي السويدي العظيم "إيمانويل سويدنبورغ" Emanuel Swedenborg عن قدرته على رؤية "أشياء متموجة" حول الناس، وفي داخل هذا الشيء المتموج المحيطة بالشخص (الهالة)، استطاع رؤية أفكاره على شكل صور. وخلال تعليقه على عدم قدرة الناس على رؤية هذه "أشياء متموجة" حول الأجسام، قال: ". أستطيع رؤية مفاهيم صلبة من الأفكار كما لو أنها محاطة بنوع

من الأمواج. لكن لا يستطيع الشخص الشعور بأي منها إلا تلك التي تكون في الوسط (أي في مركز رأس الفرد)..".

كان "سويدنبورغ" قادراً على رؤية الصور في حقل الطاقة المحيط به أيضاً. كتب يقول: ".. عندما أفكر بشخص أعرفه، تظهر صورته بنفس الهيئة التي يبدو فيها بتلك اللحظة. لكن هذه الصور تكون محاطة بتموجات تحمل صور عديدة تظهر كل شيء أعرفه عنه منذ أيام الطفولة..".

تقييم هولوغرافي للجسم

الترددات الذبذبية ليست الشيء الوحيد الموزع هولوغرافياً على كامل حقل الطاقة. تشير الدلائل الفيزيائية إلى أن كل المعلومات الشخصية التي يحتويها الحقل يمكن إيجادها في كل جزء صغير في "الهالة" المحيطة بالجسم. وكما تعبر عنها "برينان": ".. الهالة لا تمتلئ، بل تشمل، الكل..".

عالم النفس "رونالد ونغ جيو" Ronald Wong Jue من كاليفورنيا يوافق على هذه الحقيقة. "جيو"، الذي كان رئيس رابطة "علم النفس المتجاوز للشخصية" Association for Transpersonal Psychology، كما أنه مستبصر موهوب، اكتشف بأن كامل تاريخ الفرد مُخزّن في "النماذج الطاقية" الملازمة للجسم. يقول: ".. الجسم هو نوع من العالم الصغير *microcosm*، كون قائم بذاته يعكس كل العوامل المختلفة التي يتعامل معها الشخص ويحاول إدماجها..".

مثل "دراير" و"رينش"، يتمتع "جيو" بقدرات وسيطية تمكنه من رؤية أفلام تصوّر مسائل مهمة في حياة الشخص، لكن بدلاً من رؤيتها في حقل الطاقة، يستحضرها في ذهنه ويشاهدها عبر عينه الداخلية، وذلك من خلال لمس الشخص بيديه. يقول "جيو" بأن هذه التقنية تمكنه من إلقاء نظرة سريعة على حالة الشخص العاطفية، المسائل الجوهرية التي تشغله، ونمط العلاقات الأبرز في حياته، ويستخدم هذه المعلومات ليسهل عملية العلاج النفسي. يقول: ".. لقد تعلّمت هذه التقنية من وميل

لي وهو الطبيب النفسي "أرنست باسي" Ernest Pecci، وقد سماها بتقنية قراءة الجسم. بدلاً من الحديث عن الجسم الأثيري أو ما شابه، اخترت أن أستخدم النموذج الهولوجرافي كوسيلة لشرحها، فأطلقت على العملية اسم التقييم الهولوجرافي للجسم Holographic Body Assessment..". بالإضافة إلى استخدام هذه التقنية خلال ممارسة العلاج النفسي في عيادته، يقيم "جيو" محاضرات ودورات تدريبية لتعليم الآخرين على استخدامها.

الرؤية الإشعاعية

في الجزء الثاني من هذه السلسلة (النظرية الهولوجرافية)، استكشفنا إمكانية أن الجسد ليس بنية مادية، بل نوع من الصورة الهولوجرافية. هناك قدرة أخرى يتمتع بها الكثير من الوسطاء المستبصرين والتي يبدو أنها تدعم هذه الحقيقة، أي القدرة على النظر إلى داخل الجسم. الأشخاص الموهوبين بالقدرة على رؤية حقل الطاقة يستطيعون أيضاً ضبط بصرهم والنظر عبر اللحم والعظم في الجسد كما لو أنها طبقات من الضباب الملون.

خلال فترة بحثها عن موهبين بـ"حاسة فوقية"، اكتشفت الدكتورة "شفيفة كركلا" عدد من الأشخاص، داخل وخارج المهنة الطبية، الذين يملكون رؤية "إشعاعية" X-ray vision. إحداهن، وهي امرأة اسمها الأول "دايان" Diane، كانت رئيسة شركة. قبل إجراء مقابلة مع "دايان"، كتبت "كركلا" تقول: "بالنسبة لي كطبيبة نفسية، إن مقابلة شخص معروف عنه بقدرته على الرؤية ما في داخل جسدي يُعتبر انقلاب معاكس على كل إجراءاتي البحثية الروتينية..".

قامت "كركلا" بإخضاع "دايان" لسلسلة طويلة من الاختبارات، مقدمة إياها لمجموعة كبيرة من الأشخاص وجعلها تجري لهم فحص سريع. في إحدى هذه المناسبات، وصفت "دايان" حقل طاقة تابع لامرأة بأنه "ضامر" و"مكسر إلى أجزاء" وقالت بأن هذا يشير إلى أنها تعاني من مشكلة خطيرة في جسدها. ثم حدثت في جسم المرأة ورأت بأن هناك انسداد معوي بالقرب من الطحال. هذا الأمر فاجأ

"كركلا" لأن المرأة لم تظهر أي أعراض تشير إلى هذه الحالة المرضية الخطيرة. على أي حال، راجعت المرأة طبيبها في اليوم التالي وبعد تصويرها بالأشعة السينية تبين فعلاً أنها تعاني من انسداد معوي في نفس الموقع الذي وصفته "دايان". بعدها بثلاثة أيام خضعت المرأة لعملية جراحية لإزالة الانسداد.

في سلسلة أخرى من الاختبارات، شخّصت "كركلا" و"دايان" مجموعة من المرضى بشكل عشوائي في العيادة الخارجية لإحدى مستشفيات نيويورك الكبرى. بعد أن تجري "دايان" تشخيصها الخاص (بواسطة الرؤية الإشعاعية) تقوم "كركلا" بمراجعة سجلات المريض للتأكد من مدى دقة التشخيص. في إحدى المناسبات، حدقت "دايان" إلى إحدى المريضات المجهولات لكليهما ثم قالت لكركلا بأن "الغدة النخامية" (موجودة وسط الدماغ) مفقودة تماماً، والبنكرياس يبدو أنه لا يعمل جيداً، وقد تأثر الثديان لديها حتى اختفا تماماً، لا تملك الطاقة الكافية الجارية على طول عمودها الفقري من مستوى الخصر ونزولاً، كما أنها تعاني من مشكلة في رجليها.

كشف السجل الطبي لتلك المرأة بأن الغدة النخامية لديها قد استؤصلت جراحياً، وكانت تتناول الهرمونات مما أضر على البنكرياس، وقد استؤصل الثديين لديها عبر عمليتين جراحيتين بسبب إصابتهما بالسرطان، كما خضعت لعملية جراحية في ظهرها لإزالة الضغط عن النخاع الشوكي في العمود الفقري وإزالة الآلام عن رجليها، وكانت أعصابها معطوبة، مما يجعل الأمر صعباً عليها إفراغ المثانة.

أثبتت "دايان"، حالة بعد حالة، بأنها تستطيع التحديق بسهولة إلى أعماق الجسد الفيزيائي. وقدمت أوصاف مفصلة عن حالات الأعضاء الداخلية. استطاعت رؤية حالة الأمعاء، حضور أو غياب الغدد المختلفة، وحتى وصف كثافة أو هشاشة العظام، تقول "كركلا"، وأضافت: ". . بالرغم من أنني لا أستطيع تقييم اكتشافاتها بخصوص حقل الطاقة، لكن ملاحظاتها للحالات الجسدية تتطابق مع نتائج التشخيص الطبي بشكل مذهل..".

"برينان" أيضاً موهوبة في قدرة النظر إلى داخل الجسم وتسميها "الرؤية الداخلية" internal vision. من خلال استخدام هذه "الرؤية الداخلية"، تمكنت من تشخيص طيف واسع من الحالات بما فيها الكسور العظمية، الأورام الليفية، والسرطان. تقول بأنها تستطيع غالباً تحديد حالة العضو من خلال لونه. مثلاً، الكبد السليم يبدو أحمر قاتم، بينما الكبد المصاب باليرقان يبدو أصفر/بني، والكبد العائد للشخص الذي يخضع للعلاج الكيماوي يبدو أخضر/بني.

مثل الكثير من الوسطاء الآخرين الموهوبين بـ"الرؤية الداخلية"، تستطيع "برينان" أن تضبط تركيز بصرها بحيث تستطيع رؤية الكائنات المجهرية، مثل الفيروسات والخلايا الدموية.

أنا شخصياً (أي "مايكل نالبوت" مؤلف الكتاب) التقيت بعدد من الوسطاء الموهوبين برؤية داخلية وأستطيع تأييد مصداقيتها. أحد الوسطاء الذين التقيتهم والذين استعرضوا هذه القدرة هي الوسيطة "دراير". في إحدى المناسبات، ليس فقط استطاعت تشخيص حالتي الصحية بدقة كبيرة، بل وفرت أيضاً معلومات مذهلة ذات طبيعة مختلفة تماماً. منذ بعض سنوات بدأت أعاني من مشاكل في الطحال لدي. من أجل محاولة علاج المسألة، بدأت أمارس تمارين التصوير يومياً، أي تصور الطحال وهي في حالة صحية سليمة.. ورؤيتها مغمورة بنور علاجي، وهكذا. لسوء الحظ، لأنني شخص غير صبور، عندما وجدت في اليوم التالي بأنني لم أتحسن، شعرت بالغضب. خلال الجلسة التأملية التالية رحلت أخاطب الطحال ذهنياً وأوبخها، محذراً إياها بأنه من الأفضل لها أن تفعل ما أشاء.

بعدة عدة أيام التقيت بالوسيطة "دراير" وسألتها إذا كانت تستطيع النظر إلى داخل جسمي ومعرفة إن كان هناك شيئاً وجب الحذر منها (لم أكتشف لها عن مشكلتي الصحية). على أي حال، حدقت إلى داخل جسمي ووصفت المشكلة بالتفصيل، ثم توقفت فجأة وصمتت للحظات وبدا عليها الإرباك. ثم قالت: " .. إن الطحال لديك منزعة جداً بخصوص أمر ما.."، ثم تابعت وكأنها رأت شيئاً مفاجئاً: " .. هل

كنت توبّخ طحالك؟.."، اعترفت لها بأنني فعلت، شاعراً بالذنب والمفاجأة معاً. قالت موبخة: "وَجِبَ أَنْ لَا تَفْعَلَ ذَلِكَ.. لَقَدْ أَصْبَحْتَ الطَّحَالُ لَدَيْكَ مَرِيضَةً لِأَنَّهَا ظَنَّتْ بِأَنَّهَا تَفْعَلُ مَا تَرْغِبُهُ أَنْتِ.. هَذَا لِأَنَّكَ كُنْتَ تَلْقَنَهَا بِتَعْلِيمَاتٍ خَاطِئَةٍ بِشَكْلِ لَوَاعِي.. وَالْآنَ بِسَبَبِ تَوْبِيخِكَ لَهَا أَصِيبَتْ بِالْإِرْبَاكِ.."، هزّت رأسها بقلق ثم قالت ناصحة: "إِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَغْضَبَ مِنْ أَعْضَاءِكَ الدَّاخِلِيَّةِ مَرَّةً أُخْرَى.. فَفَقَطْ أَرْسَلْ لَهَا رِسَالَتِي إِيْجَابِيَّةً.."

هذه الحادثة ليس فقط كشفت عن موهبة "دراير" المذهلة في النظر إلى داخل الجسم، بل تؤكد أيضاً حقيقة مذهلة تتمثل في أن الطحال (وكذلك أي عضو آخر) تتمتع بعقلية خاصة أو كينونة خاصة قائمة بذاتها. هذا يذكرنا بإقرار الدكتورة "كانديس بيرت" Candace Pert، رئيسة قسم الكيمياء الدماغية في المعهد الوطني للصحة العقلية (وردت في الجزء الثاني) التي قالت بأنها لم تعد تستطيع تحديد أين تنتهي حدود الدماغ لتبدأ حدود الجسد. لكن هذا يعيدنا إلى التساؤل جدياً: هل يمكن لعناصر الجسم المختلفة (الغدد، العظام، الأعضاء، والخلايا.. إلى آخره) أن تملك عقولاً خاصة بها؟

لكن إذا كان الجسم ذو طبيعة هولوغرافية فعلاً، من الممكن أن تعليق الدكتورة "بيرت" هو أكثر صحة مما نظمه، ويبدو فعلاً أن وَعِي الكلّ متجسّد في كل الأجزاء.

الرؤية الداخلية والشامانية

في بعض الثقافات الشامانية، تُعتبر "الرؤية الداخلية" إحدى المتطلبات الأساسية لكي تجعل الشخص يُعتبر شامانياً. بين هنود "الأراوكان" Araucan القاطنون في تشيلي والأرجنتين، يتدرّب الشاماني الجديد على الصلاة والتأمل من أجل استنهاض هذه القدرة تحديداً. هذا لأن الوظيفة الرئيسية للشاماني في الثقافة الأراوكانية هي تشخيص الأمراض وعلاجها، ولهذا السبب تُعتبر "الرؤية الداخلية" جوهرية. يشير الشامانيون الأستراليين إلى هذه المقدرة باسم "العين القوية"، أو

"الرؤية في القلب". أما همود "جيفارو" Jivaro القاطنون في غابات المنحدرات الشرقية لجبال الأنديز في الأكوادور، فيستهضون هذه القدرة من خلال شرب مستخلص كرمة بريّة يُسمى "أياهواسكا" ayahuasca، وهي نبتة تحتوي على مادة مخدّرة يُعتقد بأنها تمنح قدرات روحية لمن يتناولها. وفقاً لقول "مايكل هارنر" Michael Harner، الأستاذ في علم الإنسان في المدرسة الجديدة للأبحاث الاجتماعية بنيويورك، والمتخصص في الدراسات الشامانية: ".. إن نبتة الـ"أياهواسكا" تسمح لشامان الجيفارو لأن يرى داخل جسم المريض كما لو أنه من زجاج..".

بالفعل، فإن القدرة على "رؤية" المرض – إن كان يتعلّق بالنظر مباشرةً إلى داخل الجسم أو رؤية العلة ممثّلة بصورة مجازية، كصورة ثلاثية الأبعاد لمخلوق شيطاني بغيبض داخل أو بالقرب من الجسم – هي قدرة عالمية في التقاليد الشامانية. ومهما كانت الثقافة التي تملك هذه "الرؤية الداخلية"، فإن مضامينها هي ذاتها.

يبدو أن الجسم هو بُنية طاقية، وقد يكون في النهاية ليس أكثر واقعية من حقل الطاقة الذي يغمره.

حقل الطاقة كمخطط أولي كوني

إن فكرة كون الجسم المادي مجرد مستوى آخر من الكثافة في حقل الطاقة الإنساني وأنه هولوغرام قائم بذاته تجسّد نتيجة تلاحم النماذج الذبذبية المتداخلة interference patterns للـ"هالة" قد تفسّر تلك القوى العلاجية الاستثنائية للعقل وكذلك السيطرة الكبيرة التي يحوزها على الجسد بشكل عام.

لأن المرض قد يظهر في حقل الطاقة قبل ظهوره في الجسد بأسابيع وحتى شهور، يعتقد الكثير من الوسطاء الروحيين بأن المرض يتأصل فعلياً من حقل الطاقة. هذا يقترح أن الحقل هو بطريقة ما أكثر أوليّة من الجسد المادي ويعمل كنوع من

المخطط الأولي يستمد الجسد منه التعليمات البنائية. بمعنى آخر، إن حقل الطاقة يمثل "النظام المستتر" implicate order للجسد المادي.

هذا قد يفسر اكتشافات كل من "أكتربيرغ" Achterberg و"سيغال" Siegel (ورداً في الجزء الثاني) بأن المرضى يتصورون أمراضهم مسبقاً قبل تجسدها في أجسامهم بشهور عديدة. في الوقت الحالي، فإن علم الطب لا يزال تائهاً في تفسير كيف يستطيع "التصور" الذهني أن يخلق المرض فعلياً.

لكن، كما رأينا، الأفكار التي تكون بارزة في خواطرنا تظهر بسرعة كصور في حقل الطاقة. إذا كان حقل الطاقة هو المخطط الأولي الذي يدير ويقولب الجسم، فلا بد من أن يكون للتصور دور في تجسيد المرض في الجسم، حيث من خلال تصور المرض، حتى بشكل لاواعي، وتعزيز حضوره المتكرر في الحقل، فهذا يعني أننا نبرمج الجسم لكي يجسد المرض.

وبشكل مماثل، هذا الوصل الديناميكي بين الصور الذهنية، حقل الطاقة، والجسم المادي قد يمثل أحد الأسباب التي تمكن التصور والتخيل من علاج الجسم. حتى أنه قد يساعد في تفسير كيف يمكن للإيمان والتأمل بالصور والأفكار الدينية أن تجعل "صانعي الندوب" stigmatists (في الجزء الثاني) قادرين على تجسيد الندوب والمسامير اللحمية في أيديهم وأرجلهم.

إن فهمنا العلمي الحالي لازال قاصراً في تفسير هكذا إمكانيات بيولوجية، لكن هذا لا يمنع حقيقة أن التأمل والصلاة المستمران قد تجعلان هكذا صور مطبوعة في حقل الطاقة بحيث أن التكرار المستمر لهذه النماذج الذهنية ستسمح بتشكيلها فعلياً في الجسم المادي.

أحد الباحثين الذين يؤمنون بأن حقل الطاقة هو الذي يقولب الجسد المادي وليس العكس هو الدكتور "ريتشارد غيربر" Richard Gerber، وهو طبيب من

ديترويت أمضى آخر ١٢ سنة يحقق خلالها في المضامين الطبيّة للطاقات الخفية للجسم. يقول: " .. الجسم الأثيري هو قالب طاقي هولوغرافي يدير نمو وتطور الجسم المادي.."

يؤمن الدكتور "غيربر" بأن الطبقات البارزة التي يراها بعض الوسطاء المستبصرين داخل "الهالة" تلعب دوراً أيضاً في العلاقة الديناميكية بين الفكرة الذهنية، حقل الطاقة، والجسد المادي. كما أن الجسم المادي تابع للجسم الأثيري، فإن الجسم الأثيري يتبع الجسم النجمي/العاطفي، وهذا الأخير يتبع الجسم العقلي، وهكذا. كل جسم يلعب دور القالب للجسم الذي يليه.. وصولاً إلى الجسم المادي. وبالإضافة إلى ذلك، كلما كانت الطبقة زاد علو الطبقة التي تجسدت فيها الصورة أو الفكرة في حقل الطاقة، كلما زادت إمكانية العلاج وقولبة الجسم. يقول "غيربر": " .. لأن الجسم العقلي يغذي الطاقة للجسم النجمي/العاطفي، والذي بدوره يرشحها نزولاً إلى الجسم الأثيري والمادي، فإن علاج الشخص ابتداءً من المستوى العقلي يكون أقوى لأنها يجسد نتائج أكثر ثباتاً ورسوخاً من البدء من المستوى الأثيري أو النجمي.."

الفيزيائي "تيللر" Tiller يوافق الرأي، فيقول: " .. الأفكار التي يخلقها الفرد تولّد نماذج معيّنة في المستوى العقلي من الطبيعة. لذلك نحن نرى المرض يتجسد بالتسلسل ابتداءً من النماذج العقلية البديلة التي تؤثر على المستوى الأثيري ثم ينتهي به الأمر متجسداً في المستوى المادي حيث نراه ونلمسه على شكل مرض فعلي.."

يعتقد "تيللر" بأن سبب عودة تجسد المرض مرة ثانية بعد علاجه هو لأن الطب العصري يعالج فقط المستوى المادي. يشعر بأنه لو استطاع الأطباء علاج حقل الطاقة أيضاً، فسوف يجسدون شفاء أطول مدى. يقول: " .. حتى ذلك الحين، سوف تبقى علاجات كثيرة مؤقتة فحسب، لأننا لم نحدث أي تغيير في الهولوغرام الأساسي على المستوى الروحي والعقلي.."

في تأمله واسع المدى، يقترح "تيللر" بأنه حتى الكون بذاته بدأ كحقل من الطاقة الخفية، ثم تكاثف تدريجياً، إلى أن تجسّد مادياً. كما يرى الأمر، من الممكن أن الله قد خلق الكون كنموذج أو فكرة إلهية قبل أن تتجسّد وفقاً لهذه الفكرة الأولية. وكما الصورة التي رآها الوسيط وهي تطوف في حقل الطاقة الإنساني، هذه الفكرة الإلهية عملت كقالب أولي، بدأ أولاً بإدارة وتوجيهه وقولبة الطاقات الخفية المترجّجة في حقل الطاقة الكوني.. ثم بدأ التدرّج نزولاً عبر سلسلة من الهولوجرامات، إلى أن اندمجت أخيراً لتشكل هيئة هولوجرام نهائي يمثل الكون المادي.

إذا كان هذا صحيحاً، فإنه يقترح أن الجسد البشري هو هولوجرافي بطريقة أخرى، حيث كل فرد منا يمثل الكون بذاتها لكن بشكل مصغّر. بالإضافة إلى ذلك، إذا كانت أفكارنا قادرة على تشكيل صوراً هولوجرافية شبحية، ليس فقط في حقل الطاقة لدينا، بل في المستويات الخفية للواقع ذاته، فهذا قد يساعد على تفسير كيف يستطيع العقل البشري أن يجسّد المعجزات التي تعرفنا عليها في السابق (الجزء الثاني). يمكن لهذا أن يفسّر ظواهر "التزامن" synchronicities، أو كيف تتمكن الإجراءات والصور المتأصلة في الأعماق الداخلية "للنفس" أن تتخذ لنفسها شكلاً في العالم الخارجي.

مرة أخرى، قد يكون السبب أن أفكارنا تؤثر باستمرار على المستويات الأثيرية المرهفة للكون الهولوجرافي، لكن فقط الأفكار الوجدانية القوية، كتلك التي ترافق الأزمات أو التحولات المفصلية — هي قوية بما يكفي لتجسيد سلسلة من المصادفات في الواقع المادي، ونسميها نحن بمصادفات "التزامن" synchronicities.

الواقع الذي نشترك في صناعته

من المؤكد أن هذه الإجراءات ليست مُقتصرة على حقول الطاقة المرهفة للكيان الكوني والمترجّجة حتى تصبح طبقات صلبة وملموسة. بل قد تعمل أيضاً حتى إذا كانت الحقول المرهفة للكون عبارة عن "متدامج" continuum ناعم. في الحقيقة،

بسبب مدى حساسية هذه الحقول المرهفة لأفكارنا، وجب علنا أن نكون حذرين جداً عندما نصيغ مجموعة من الأفكار تتعلق بتنظيمها وهيكلتها. إن ما نعتقده عنها قد يساهم في قولبة وخلق هيكلها البنيوي.

ربما لهذا السبب يختلف الوسطاء حول إن كان حقل الطاقة الإنساني مؤلف من طبقات. الوسطاء الذين يؤمنون بالطبقات المختلفة للهالة قد يساهمون في الحقيقة بجعل الهالة تبدو على شكل طبقات. حتى حقل الطاقة الذي يخضع للفحص قد يحول نفسه إلى طبقات إذا كان الوسيط الناظر إليه يؤمن بفكرة الطبقات. إن "برينان" صريحة بهذا الخصوص وتصرّح بأنه كلما زاد فهم الشخص بالاختلافات بين طبقات الهالة، كلما كانت طبقات الهالة لديه منقسمة إلى طبقات متميزة وواضحة. هي تعترف بأن البنية التي تراها في حقل الطاقة مؤلفة من منظومة واحدة متكاملة. فمثلاً، كتاب الـ"تانتراس" tantras، وهي مجموعة من النصوص اليوغية الهندوسية كُتبت بين القرن الرابع والسادس الميلادي، تحدثت عن ثلاث طبقات فقط لحقل الطاقة.

هناك الكثير من الدلائل التي تشير إلى أن الهيئات التي يخلقها الوسطاء، دون قصد، في حقول الطاقة قد تنطبع لفترة طويلة من الزمن. مثلاً، لمدة قرون طويلة كان الهندوس يؤمنون بأن كل "شاكرا" لها حرف سنسكريتي مطبوع في مركزها. الباحث الياباني "هيروشي موتوياما" Hiroshi Motoyama، وهو طبيب نفسي نجح في تطوير تقنية خاصة لقياس الحضور الكهربائي للشاكرات، قال بأن سبب اهتمامه الأول بالشاكرات هو والدته، وهي امرأة بسيطة لكنها تتمتع بموهبة استبصارية طبيعية، وبالتالي تستطيع رؤية الشاكرات بوضوح. وكانت واقعة في حيرة من أمرها لسنوات طويلة بسبب رؤيتها لما وصفته بهيئة قارب مقلوب داخل شاكرا القلب لديها. بقي الأمر كذلك حتى بدأ "موتوياما" أبحاثه واكتشف بأن والدته كانت ترى الحرف السنسكريتي "يام"، وهو الحرف الذي يراه الهندوس القدامى في شاكرا القلب.

ج

الحرف السنسكريتي "يام"

بعض الوسطاء، مثل "دراير"، يقرون بأنهم يرون أيضاً أحرف سنسكريتية في الشاكرات. بينما هناك آخرون لا يرونها. يبدو أن التفسير الوحيد لهذه المسألة هو أن الوسطاء الذين يرون هذه الأحرف مولفين عقولهم لكي تتناغم مع الهيئات الهولوجرافية المطبوعة منذ زمن بعيد على حقل الطاقة بفعل المعتقدات الهندوسية القديمة.

للوهلة الأولى، قد يبدو الأمر غريباً بعض الشيء، لكن له سابقة. كما رأينا، أحد المبادئ الأساسية للفيزياء الكمومية quantum physics هو أننا لا نستكشف الواقع بل نساهم في خلقه. قد يكون الأمر أننا خلال سبرنا للمستويات العميقة للواقع مادون الذري، أي تلك المستويات التي تقع فيها الطاقات المرهفة للهالة البشرية، تزداد القابلية للمساهمة في خلق الواقع أكثر وأكثر.

فبالتالي وجب أن نكون حذرين جداً عندما نقول بأننا اكتشفنا هيئة أو بنية معينة أو نموذج معين في حقل الطاقة الإنساني، لأننا نكون قد خلقنا ما زعمنا بأننا اكتشفناه، مع أنه قد لا يكون هناك شيئاً أصلاً سوى في مخيلتنا.

العقل وحقل الطاقة الإنساني

إنه لأمر له دلالة مهمة فعلاً أن يؤدي فحص حقل الطاقة الإنساني بالفرد إلى ذات الاستنتاج الذي توصل إليه "بريبرام" Pribram بعد اكتشافه أن الدماغ يحول المعطيات الحسية الداخلة إلى لغة الذبذبة. أي أن لدينا واقعين مختلفين: الأول هو الذي تظهر فيه أجسادنا بهيئة صلبة وتحوز على موقع محدد في الزمان والمكان. والواقع الثاني هو الذي تظهر فيه كينونتنا بأنها موجودة كغيمة متألئة من الطاقة

والتي ليس لها موقع محدد في المكان والزمان. هذا الاستنتاج يجلب معه بعض الأسئلة المهمة.

السؤال الأول هو: ماذا عن العقل؟ لقد تعلمنا أن العقل هو منتج خارج من دماغنا، لكن إذا كان الدماغ والجسد المادي هما مجرد هولوغرامات، أي الأقسام الأكثر كثافة من سلسلة طويلة من حقول الطاقة المتدرّجة، فما يعني هذا كله بخصوص العقل؟ يبدو أن البحوث التي تتناول حقل الطاقة الإنساني توفر الجواب.

أعلن مؤخراً عن اكتشاف حقه طبيبا الأعصاب "بنجامين ليبت" Benjamin Libet و"بيرترام فينستاين" Bertram Feinstein في مستشفى سانفرانسيسكو، ولازال يحدث ضجة وسط المجتمع العلمي. قام "ليبت" و"فينستاين" بقياس المدة الزمنية التي تستغرقها استثارة اللمس في جلد المريض للوصول إلى الدماغ كإشارة كهربائية. وقد طُلب أيضاً من المريض أن يضغط زر معيّن عندما يشعر بأنه تعرّض للمسمة. وجد "ليبت" و"فينستاين" بأن الدماغ سجّل الاستثارة بعد حصول اللمسة بـ [0,0001] من الثانية، لكن المريض ضغط على الزرّ بعد حصول اللمسة بـ [0,1] من الثانية.

لكن الأمر العجيب هو أن المريض لم يبلغ عن شعوره الواعي لأي لمسة ولا حتى الضغط على الزرّ قبل مرور [0,5] من الثانية. هذا يعني أن قرار الاستجابة قد تُخذ من قبل العقل اللاواعي للمريض. تبين أن العقل الواعي للمريض كان الأكثر بطئاً في العملية. الأمر المربك هو أن أي من المرضى الذين اختبرهم "ليبت" و"فينستاين" كانوا مدركين بأن عقولهم اللاواعي دفعهم إلى ضغط الزرّ قبل أن يقرروا فعل ذلك بشكل واعي.

كانت أدمغتهم، وبطريقة ما، تخلق الوهم المريح بأن المرضى هم المسيطرون على العملية بالكامل مع أن الأمر غير ذلك. هذا دفع بعض الباحثين إلى التفكير جدياً عن إذا كانت الإرادة الحرة مجرد وهم. وقد كشفت دراسات لاحقة بأنه قبل أن

نتخذ قراراً بتحريك إحدى عضلاتنا (مثل تحريك الإصبع) بفترة ١,٥ ثانية، يكون دماغنا قد بدأ توليد الإشارات الضرورية لإنجاز العملية. وهنا نسأل مرة أخرى: من برأيكم الذي يصنع القرارات، العقل الواعي أو اللاواعي؟

لقد توصلت الدكتورة "هونت" إلى اكتشافات مشابهة. اكتشفت بأن حقل الطاقة الإنساني يستجيب للاستثارة قبل أن يفعل الدماغ. استخلصت قراءات EMG من حقل الطاقة وقراءات EEG من الدماغ بنفس الوقت، واكتشفت بأنه عندما تحدث استثارة، كصوت عالي يقرب الأذن أو ضوء ساطع أمام العيون، يقوم جهاز EMG بتسجيل استجابة لحقل الطاقة الإنساني قبل أن يتحرك جهاز EEG بفترة طويلة نسبياً. ماذا يعني هذا؟

تقول الدكتورة "هونت": ".. أعتقد بأننا بالغنا في تقييم الدماغ كعنصر فعال في علاقة الإنسان مع العالم المحيط به.. يمكن اعتباره كمبيوتر جيد، لكن لا أرى أن له علاقة بالمظاهر العقلية المرتبطة بالإبداع، الخيال، الروحانية، وغيرها من أمور. العقل ليس في الدماغ. إنه في الحقل!.."

حتى أن الوسيطة "دراير" لاحظت على طريقته الخاصة بأن حقل الطاقة يستجيب قبل أن يسجل الشخص أي استجابة واعية. ونتيجة لذلك، بدلاً من الحكم على ردود أفعال مراجعها من خلال مراقبة الانطباعات في وجوههم، تبقى عينيها مغلقتين وتراقب كيف يستجيب حقل الطاقة لديهم. تقول: ".. أستطيع خلال كلامي أن أرى الألوان تتغير في حقل الطاقة لديهم. أستطيع أن أرى كيف يشعرون بخصوص ما أقوله دون أن أسألهم. فمثلاً، إذا أصبح الحقل ضبابياً، أعرف بأنهم لم يفهموا ما أقوله.."

إذا كان العقل ليس في الدماغ، بل في حقل الطاقة الذي يتخلل كل من الدماغ والجسم، هذا قد يفسر السبب الذي يجعل الوسطاء مثل "دراير" يرون الكثير من محتويات النفس البشرية داخل الحقل. قد يفسر أيضاً كيف يمكن للطحال، وهو

عضوا ليس له علاقة بالمجريات الفكرية أصلاً، أن يحوز على كيانه العقلي الخاص.

بالفعل، إذا كان العقل موجود في حقل الطاقة، هذا يقترح بأن الصحة لدينا، أي ذلك القسم المفكر والشاعر في كينونتنا، قد لا يكون مقيداً بالجسم المادي، وكما سنرى لاحقاً، هناك دلائل كثيرة تشير إلى هذه الحقيقة.

انتهى الاقتباس

إذاً، الواقع الذي نراه قد لا يكون فعلياً كما نراه. الأمر يعتمد على مدى نطاق المجال الترددي الذي نستطيع الاستجابة له بحواسنا. وكما رأينا سابقاً، هناك من يستطيع الاستجابة لمدى أوسع من النطاق الترددي للواقع، ونسميهم "المرهفين" أو "الحساسين" أو الوسطاء.. الاختلاف في التسمية لا يهم، المهم هو أن جميع هؤلاء اجتمعوا على رؤية ذات الأشياء التي عجز الأفراد العاديون عن رؤيتها. حتى بين هؤلاء "المرهفين" نجد من يستطيع إدراك أكثر من غيره. تختلف الإدراكات التي يستشعرونها لكنها في النهاية تتمحور حول ذات الحقيقة. (هناك المزيد عن موضوع الذبذبات والمستويات المختلفة لوتيرة تردد الوعي لاحقاً).

لكن السؤال هو: كيف يستطيع الإنسان العادي تغيير ذبذبة الوعي المركزي لديه بحيث يتناغم مع الواقع المحيط بوتيرة مختلفة ليتمكن من رؤية العالم من حوله والشعور به بطريقة مختلفة؟ من أجل الإجابة على هذا السؤال بطريقة وافية سوف ألجأ إلى حالة مميزة يستطيع خلالها الإنسان، ليس رؤية العالم بطريقة مختلفة فحسب، بل اختباره أيضاً بطريقة مميزة لدرجة يتعذر وصفها بالكلام العادي. إنها "الحالة الصوفية".

التصوّف

Mysticism

التصوّف (الصوفية، أو الباطنية) هو إيمان بالكيان الكوني "الواحد" والسعي إلى التوحّد معه. الغاية المألوفة للمتصوف (مهما كان مذهبه) هي بلوغ حالة تواصل (اندماج أو اتحاد) مع الوعي الإلهي، أو الاختبار المباشر للحقيقة الدينية. التصوّف هو ممارسة عالمية موجودة في كافة الأديان، حيث كافة المتصوّفين، مهما كان دينهم، يتوحّدون في السعي إلى بلوغ العالم الإلهي الذي يمكن وصفه بحالة حدس أو استشعار المعرفة الباطنية.. الكشف.. أو البهجة المطلقة أو غيرها من حالات صوفية تحدثت عنها المراجع. في مجالات تجاوزية أخرى مرتبطة بالعلوم السحرية والوسيطية، تمثّل الصوفية شيء آخر مختلف تماماً يتعلّق بالمعرفة الباطنية والتواصل فوق العادي مع العوالم الخفية. بالرغم من أن الاعتقاد شائع بأنه فقط الرهبان والنسّاك الزاهدين يمكنهم أن يختبروا الحالة الصوفية، لكن الحقيقة هي أن هذه الحالة قد تصيب الناس العاديين أيضاً، مرّة واحدة على الأقل في حياتهم.

بالرغم من المظاهر المختلفة للمذاهب الصوفية المتنوّعة إلا أن "الحالة الصوفية" التي يبلغها المتصوفون تمتلك خواص موحّدة تجمع بينهم جميعاً. من بين أبرز الدراسات التي تناولت هذه الظاهرة هي تلك التي أجراها الفيلسوف "وت. ستايس" W. T. Stace، الذي اكتشف سبع مظاهر رئيسية للصوفية خلال دراسة حالات التصوّف في كل من الكاثوليكية، البروتستنتية، الوثنية، الهندوسية، والغنوصية التقليدية. هذه المظاهر هي: [١] رؤية وإدراك موحّد للإله "الواحد" عبر الحواس ومن خلال أشياء كثيرة أخرى. [٢] فهم واضح "للواحد" على أنه يمثّل حياة باطنية في كل إنسان. [٣] إدراك حقيقي وموضوعي للواقع. [٤] شعور بالغبطة، البهجة، والاكتفاء. [٥] عنصر ديني يتمثّل بالشعور برهبة القوة الخفية وقديسيّتها. [٦] شعور متناقض وموهم. [٧] مشاعر مختلفة أخرى لا يمكن وصفها بالكلام العادي.

يمكننا الاستنتاج من خلال بعض المظاهر السابقة بأن الحالة الصوفية، رغم تشابه مظاهرها في كل المذاهب، إلا أنها تختلف في تفاصيلها بين الأفراد الذين يختبرونها. وبالتالي هناك أنواع مختلفة ومتنوعة على المستوى الفردي تعتمد على فئاتهم ومعتقداتهم الخاصة. أهم هذه المعتقدات هي تلك التي تقسم المذاهب الصوفية إلى قسمين: المذاهب التي تأخذ بنظرية "الانبثاق" emanation، والمذاهب التي تأخذ بنظرية "الحلولية" immanence. تقول نظرية "الانبثاق" بأن كل شيء في الكون ينبعث خروجاً من الله [عز وجل]. أما النظرية "الحلولية"، فتقول بأن الكون ليس منبعثاً من الله [جلّ جلاله]، بل مغموراً فيه.

عادةً ما يُعتبر التصوّف أنه ذو طبيعة دينية، حيث يمكنه أن يتخذ توجهه يتبنى فكرة "الأحادية" monistic (تعتمد على نظرية "الحلولية") أو "التوحيد" theistic (تعتمد على نظرية "الانبثاق"). غاية المتصوّف "الأحادي" هي السعي للإندماج مع المبدأ الكوني (الكيان الكلي). بينما غاية المتصوّف "التوحيدي" هي السعي للإتحاد، وليس الإندماج، مع الله [تعالى].

أفضل وأرقى التعبيرات للصوفية "الأحادية" هي تلك التي قدمتها "الأوبانشاد" Upanishads في الهند، خلال الحديث عن مفهوم "أنا براهمان" (المبدأ الكوني الشامل)، والمفهوم القائل بأن "النفس تمثل الكيان المطلق السرمدي". الصوفية "الأحادية" موجودة في "الطاوية" Taoism أيضاً، والتي تسعى إلى التوحّد (الإندماج) مع "تاو" Tao، الدرب الذي يفوق الوصف. أما الصوفية "التوحيدية"، أي الإتحاد مع الله، فهي التوجّه المتّبع في كل من الصوفية اليهودية، المسيحية، والإسلام، كما تمثل التوجّه المتّبع في الصوفية الهندوسية أيضاً.

هناك أشكال كثيرة أخرى من التصوّف حول العالم. معظمها لها طبيعة دينية وتختلف وفقاً للمعتقدات والممارسات. أغلب الحالات الصوفية التي يبلغها مريدو هذه المذاهب تحوز على مظاهر تُعتبر صوفية تناغمياً مع ما يُعتقد بأنه مقدّس، وهذا الشيء أو الكيان الذي يُنظر إليه على أنه مقدّس تختلف هويته وطبيعته حسب

اختلاف المذهب أو الفرع أو المجموعة. حتى وسيلة بلوغ حالة التواصل مع هذا الكيان المقدس (الطقوس) تختلف باختلاف المجموعة، حيث نجد أحياناً الرقص، قرع الطبول، الترتيل أو الغناء، تدخين الأعشاب المخدرة، تناول أطعمة مُطهّرة (الحلويات مثلاً)، الصيام، الأحلام، الرؤيا، وغيرها من مظاهر وعناصر مختلفة تدخل في شعائر تلك المذاهب الصوفية. لكن في النهاية، مهما كانت نظرتنا تجاه هذه الطقوس، ينجح الممارسون فعلاً في بلوغ حالة "بحران".

بعيداً عن الصوفيات الدينية، لكن ليست منفصلة تماماً عنها، نجد حالات صوفية ذات طبيعة لا يمكن الإشارة إليها سوى بـ"الصوفية اللادينية". هذا النوع من التصوّف هو "طبيعي" أكثر من كونه طريقة حياة. يختبره الفرد مباشرة من أو عبر الطبيعة بشكل تلقائي غير محسوب، وهناك عدد كبير من الذين اكتشفوا الله أو "الطبيعة المطلقة" عبر هكذا تجارب غير متوقعة في حياتهم. يشعر الفرد خلال اختباره هذه التجربة الصوفية بأنه مندمجاً مع الطبيعة من حوله. أي كل الحواجز الفاصلة بينه وبين محيطه البيئي تختفي، وبطريقة يتعدّر وصفها بكلمات. فيصبح الشخص جزء لا يتجزأ من الطبيعة.

يمكن رؤية هذه الحالة بوضوح في الأديان التي تعبد "الطبيعة الأم"، وأشهر تجسيداتها هي طقوس "غايا" Gaea إلهة الطبيعة لدى الإغريق. معظم الأديان الوثنية كانت تعبد الطبيعة عبر رمزية إلهة أنثى. هذه العبادة أيضاً تشمل حالة الاندماج تلك المذكورة في الفقرة السابقة، حيث تزول كل الحدود الفاصلة بين الشخص والشيء فيتجسّد الحب الحقيقي. هذه هي "الحلولية" Immanence بأبهى صورتها. والحلولية تمثّل أحد المبادئ الجوهرية الثلاثة للديانات "الأنثوية" (تعبد إلهة أنثى ترمز إلى الأمومة)، المبدعان الآخران هما "التواصل المتبادل" interconnection، و"الوحدة الجماعية" community. القصد من "الحلولية" هنا هو أن "الإلهة الأم"، أو الآلهة عموماً، يتجسّدون في كل مكان، أي أنه كلّ منا يمثّل تجسيداً للكيان الكلي للطبيعة، وبالتالي فإن الطبيعة، وما فيها من أشكال حياة متنوّعة، هي مقدّسة.

وفق هذا المفهوم السابق، يمكن تعريف الإلهية والإلهية بأنهما الارتقاء بكمون الفرد إلى "أعلى مستويات الوعي الذي يمكن إحرازه من قبل الكائن الحيّ، مجسّدة نفسها بنفس المستوى السامي لذلك الكائن الحيّ الأعلى". فمثلاً، الخليّة تُعتبر إله من قبل مكوناتها الدقيقة.. لكن النسيج العضلي يُعتبر إله بالنسبة للخلايا.. وهكذا إلى آخره.. وصولاً إلى الإنسان الكامل، لكن مسيرة الصعود التراتبي تستمر حتى الوصول إلى الكيان الكوني الأعلى. ووعي الإنسان في حالته العادية (الدنيوية) يحتلّ مرتبة متدنيّة من هذا التدرّج الكوني. لكن كلما ارتقى بوعيه إلى الأعلى كلما اختبر العالم بطريقة أرفع مستوى، حيث تكون نظرتة أكثر شمولية.. أكثر روحانية.. وأكثر مسؤولية أيضاً. هذا ما يحصل خلال اللحظات القليلة التي يقضيها الفرد في رحاب "التجربة الصوفية".

التجربة الصوفية

Mystical experience

التجربة الصوفية هي حالة معيّنة يتم الشعور بها أو اختبارها في عوالم تتجاوز مستوى الوعي العادي. يُشار إليها أحياناً بـ"حالات ووعي بديلة". هكذا حالات تشمل إدراك أو حدس لا يوصف للزمان، المكان، والواقع المادي. غالباً ما تتحدى التجربة الصوفية الوصف الفيزيائي المألوف، وبالتالي لا يمكن التعبير عنها بوضوح من خلال الكلام، بل فقط التلميح إلى بعض جوانبها.

ذكرت سابقاً بأن هذه الحالات الصوفية هي عالمية لكن لها نفس القواسم المشتركة بالرغم من اختلاف الأديان أو الثقافات. هي روحانية بطبيعتها، لكن ليس من الضروري أن تكون دينية. أي أنها لا تقتصر على الرهبان والكهنة. وبالرغم من أن التجربة الصوفية تتطلّب عموماً تحضير مسبق (طريقة حياة خاصة) لتجسيدها، إلا أنها تحصل أحياناً بشكل تلقائي عند الفرد العادي، وغالباً ما يتم ذلك مرّة أو اثنتين في حياته.

حدّد عالم النفس والفيلسوف البارز "وليام جيمز" William James أربع مظاهر عامة للتجربة الصوفية:

١- تعذّر وصفها Ineffability: الحالات الصوفية هي أقرب إلى الشعور من التفكير، حيث تشمل أطلال مرهفة من المشاعر وفوارق عذبة من الأحاسيس يصعب وصف معانيها ومستوى فخامتها للآخرين. لهذا السبب نلاحظ أن معظم الأدبيات الصوفية مليئة بالاستعارات الشعرية الموهمة والمتناقضة، ويطغى عليها الرمزية. إنها بكل بساطة تجارب روحية عصية عن الوصف.

٢- خاصية عقلية Noetic quality: التجارب الصوفية هي حالات من المعرفة، البصيرة، الوعي، الكشف، والتتورّ، وجميعها تتجاوز مستوى استيعاب الفكر العادي. هناك وعي بالوحدة مع المطلق، وعي بخلود النفس، وعي بالحقائق العظمى، تتجاوز فعلي للمكان والزمان.

٣- مؤقتة زمنياً Transiency: التجارب الصوفية هي سريعة الزوال في السياق الزمني العادي، لكن مُختبرها يشعر بأنها تدوم طويلاً وكأنها إلى الأبد. معظم هذه الحالات تدوم بضعة ثوانٍ، لكن بعضها يدوم عشرة دقائق. نادراً ما حافظ المتصوّف على هذه الحالة أكثر من نصف ساعة، ويستحيل تجاوز مدة ساعة بهذه الحالة. يستطيع اليوغيون الشرقيون المحافظة على حالة "سامادهي" samadhi (وهي حالة صوفية تعتمد على التركيز الموجّه) لفترة طويلة، وهناك من حافظ على أعلى مستوى "نيرفانا" nirvana، أو حالة "ساتوري" satori (مدرسة "زن" Zen)، وحتى مستوى "نيرودها" الصعب الوصول، لكن كل هذه الإنجازات تتطلب قدر كبير من التدريب المضني والشاق.

٤- الاستسلام Passivity: يشعر الفرد بحالة انجراف من قبل قوةٍ عليا تمسك به. يمكن لهذه الحالة أن تكون مصحوبة بشعور الانفصال من الجسد (حالة مشابهة للخروج عن الجسد OBE)، أو غشبية، أو حالة سلوك تلقائي، أو غيبوبة وسيطية،

أو التمتع بقوى علاجية، أو رؤيا واستبصار، أو سماع أصوات. تُعتبر هكذا حالات في التقاليد الروحية الشرقية بأنها حالات تتورّ جزئيّة، أي لازال الفرد في منتصف الطريق ولم يصل إلى المرحلة النهائية بعد.

وفقاً للدكتور "جيمز" وآخرون غيره، تتفاوت التجارب الصوفية بشكل كبير. في أبسط أشكالها، تأتي للفرد على شكل انفجار فجائي من الذكاء والبصيرة، بنفس الطريقة التي يأتي بها الحل المناسب لأحد الألغاز الغامضة أو المسائل المستعصية. بعض هذه الأنواع من الحالات لها معنى أعمق، كظهور فجائي للحقيقة الكونية مُرفقة مع حالة حاملة أو التفكير الحالم. أما إذا جاءت هذه الحالة بدرجة أكثر قوة، فسوف يختبر الفرد حالة "البحران" حيث يشعر باتحاده مع المطلق، الله [عز وجل].

كما ذكرت في موضوع "التصوّف"، يمكن السعي للاندماج مع المطلق إما بواسطة الصوفية "الأحادية" monistic (تعتمد على نظرية "الحلولية") أو صوفية "التوحيد" theistic (تعتمد على نظرية "الانبثاق"). في النوع الأوّل يكون السعي إلى الاتحاد والاندماج مع الله، بينما في النوع الثاني يكون السعي للاتحاد فقط. لكن من ناحية أخرى، هناك الذين اختبروا هذه الحالة الصوفية المميّزة لكنهم لا ينتمون إلى أي مدرسة أو مذهب روحي (علمانيون)، وبالتالي يوصفون هذه الحالة الصوفية السامية بأنها عملية اندماج عقلي مع "الوعي الكوني"، مما يمكن الوعي لديهم من إدراك أسرار الحياة وخفايا نظام الكون.

بعض التجارب الصوفية، وهي نادرة، تحصل بشكل تلقائي دون أي تحضير مسبق. عادةً ما تأتي عندما يكون الشخص وحيداً وفي حالة استرخاء عقلي. هناك أشياء كثيرة تحفّز على تجلّي حالات صوفية، كالأحلام، الكلمات، المقاطع الشعرية، الموسيقى، الفن، الأصوات، أحلام اليقظة، تلاعب ضوء الشمس على سطح مياه البحر، تأمل الطبيعة، وحالات "الاقتراب من الموت" NDE.

وهناك تقنيات قيل بأنها تساهم في تجلي هذه الحالة الصوفية، مثل التنويم المغناطيسي، التنويم الذاتي، الصيام، الترتيل، الرقص، التحكم بالنفس، اليوغا، وتمارين تأمل مختلفة.. وغيرها من تقنيات ابتكرتها مذاهب روحية مختلفة. معظم هذه الحالات الصوفية تُصنع لأهداف وغايات روحية ودينية. لكن هناك ثقافات أخرى لها أسبابها الخاصة والمتنوعة في السعي لبلوغ هذه الحالة التجاوزية الروحانية، كممارسة "السحر" مثلاً.

هذه الحالة الصوفية تكون مصحوبة بتغيرات فيزيولوجية عامة تصيب الفرد، مثل تباطؤ وتيرة التنفس ودقات القلب والدورة الدموية، والموجات الدماغية.. كما يفقد الفرد إحساسه بجسده. يصف الصوفيون المسيحيون الجسد في هذه الحالة من النشوة الروحية بأنه يبدو في حالة الإخماد. كتبت القديسة "تيريزا" الأفيلية St. Teresa of Avila تقول في كتابها "القصر الداخلي" The Interior Castle أنه: " .. خلال صلاة التوحيد، تصبح النفس ميتة تماماً بالنسبة للعالم الدنيوي، وتعيش كلياً في الله.. أنا لا أعلم إن كان لديها في هذه الحالة ما يكفي من الحياة لتنفس. تبدو بالنسبة لي أنها لا تفعل ذلك، أو إذا تنفست فعلاً، فتكون جاهلة لذلك.."

يبدو أن هناك تشابه كبير بين الأحاسيس التي يوصفها كل من المتصوفين المسيحيين والهنود. يقظة الطاقة القوية "الكونداليني" مثلاً، والتي وفقاً للأدبيات اليوغية تقبع عند قاعدة العمود الفقري، والتي تصعد وفق تمارين معينة إلى قمة الرأس (شاكرا التاج)، تم وصفها في كافة الثقافات لكن كل منهم على طريقته الخاصة. قيل بأن القديسة "تيريزا" (١٨٧٣-١٨٩٧، غير القديسة تيريزا الأفيلية) كانت أحياناً تختبر ذات الحرارة، الطاقة، الألم والحركات الجسدية التلقائية وهي جميعاً خصائص مألوفة في يقظة "الكونداليني" اليوغية. وُصفت الظاهرة ذاتها لدى قبيلة الـ"كونغ" Kung الأفريقية، والصوفية الإسلامية، والطاوية، والبوذية، والشامانية. خلال ذكرها في سياقات غير دينية أو روحية، يُشار إلى صحة "الكونداليني" باسم "الانبثاق الروحي" أو "الفيض الروحي".

تأتي هذه الحالة فجأة دون سابق إنذار، مع شعور بالانغماس في لهب أو غيمة وردية اللون، مصحوبة بشعور بالنشوة، تنوّر أخلاقي وفكري، يحصل بسرعة البرق، يتجلى في الذهن صورة واضحة وجليّة عن معنى الكون وغاية الوجود.

يدرك الفرد الذي يختبر هذه الحالة بأن الكون هو حيّ، وأن الحياة أبدية، ونفس الإنسان خالدة، والمبدأ الأساسي للحياة هو المحبة، وأن السعادة هي النهاية الحتمية لكل فرد. الخوف من الموت يزول، والشعور بالخطيئة يتلاشى، وتكتسب الشخصية المزيد من الفتنة والجلالة والمجد. خلال هذه اللحظات المعدودة من الزمن، يتعلّم الفرد أكثر مما يكسبه خلال شهور من الدراسة، وأكثر بكثير مما توفره له الدراسة أصلاً.

هناك مستويات عديدة من هذا الوعي التجاوزي السامي الذي يدركه الأفراد. يتدرّج ابتداءً من الوعي العادي الذي نشترك فيه جميعاً، مروراً بالوعي الإلهامي الذي يستلهم منه النوابع والعباقرة وأصحاب البصيرة، انتهاءً بالتجربة التجاوزية التي يختبرها المتصوفون. هذه المستويات الثلاثة هي مجرد عينات من الدرجات العديدة للعقل الكوني الخلاق، المبدأ الإلهي اللامحدود الذي تشير إليه ديانات كثيرة بكلمة الله [جلّ جلاله].

لمحة عن العالم التجاوزي ومستوياته

وفقاً للتعاليم الإيزوتيرية، يُقسم الوجود عموماً إلى سبعة أقسام أو مستويات، ابتداءً من الأدنى وانتهاءً بالأعلى. أكثر هذه التقسيمات شهرة هي تلك التي وصفتها المنظومة الحديثة لتعاليم "العصر الجديد" New Age (وهي حركة فلسفية/روحية غربية استمدت معظم أفكارها من النظريات الإيزوتيرية الشرقية)، وهي التالية: [١] المُستوى المادي Physical، [٢] المُستوى النجمي Astral، [٣] المُستوى العقلي Mental، [٤] المُستوى البوذي Buddhist، [٥] المُستوى الأتمي Atmic، [٦] مُستوى الأنوباداكا Anupadaka، [٧] مُستوى آدي Adi.

كما تلاحظون، المستوى الوحيد الذي نألفه جيداً بين كل هذه المستويات هو المستوى "المادي"، أي العالم الدنيوي الذي نعيشه الآن، بينما تلك المستويات الأخرى هي ذات طبيعة تجاوزية، ورغم أنها تشكل القسم الأكبر من الواقع إلا أننا نجعل وجودها، أو لا نعترف بها أصلاً. وفق المفاهيم الغربية، يمكن الانتقال إلى هذه العوالم التجاوزية عبر وسيلة تُسمى الخروج عن الجسد OBE، أو تُسمى أحياناً "الطرح النجمي" Astral Projection، وهناك ظاهرة تُسمى الحلم الصاحي Lucid Dream، وجميع هذه الحالات متشابهة من حيث شعور الفرد بانفصاله عن جسده والسفر بعيداً. الاعتقاد الشائع هو أن "روح" الإنسان أو "جسمه النجمي" هو الذي يترك الجسد ويسافر بعيداً في رحاب العالم التجاوزي مع أن هذا غير صحيح، حيث العقل هو الذي ينتقل إلى المكان المستهدف عبر "الرنين" والإنسان يبقى نائماً في مكانه. في هذا الكون الهولوجرافي حيث كل شيء موصول ببعضه البعض، لا شيء يغادر مكانه، السرّ يكمن في الارتقاء بمستوى ذبذبة الوعي، ثم السمو إلى عالم متجاوز لعاملي المكان والزمان. (سوف نتحدث عن هذه الظاهرة بالتفصيل خلال تناول موضوع "الوعي الديناميكي" في الجزء القادم).

من أجل أن نكون صورة (مختصرة) عن ذلك العالم التجاوزي متعدد المستويات، سوف أستعين بأوصاف أحد المحترفين في ممارسة "الخروج عن الجسد" وصاحب الكتاب الشهير "الديناميكا النجمية" Astral Dynamics (أو "فعاليات العالم النجمي")، واسمه "روبرت بروس" Robert Bruce. حاول في كتابه شرح كافة الظواهر المصحوبة بهذه العملية بطريقة عقلانية خالية من الشوائب والأوهام (لأنه علماني في الأساس لكنه موهوب بهذه القدرة فطرياً). وبصفته ممارس دائم لهذه القدرة العقلية، حاول التدقيق في كل حركة، كل إجراء، كل نشاط يتم أثناء خروجه عن جسده واستكشاف العالم التجاوزي. ورغم أنه لم يصيب الحقيقة كثيراً خلال تفسيره لهذه الظاهرة التي يمارسها (سوف أناقشها في الجزء القادم)، لكن أعتقد بأن عمله هو الوحيد الذي يستحق الاقتباس (لأنه مجرد من الخرافات). فيما يلي اقتباس من أحد فصول كتابه، يصف فيه مستويات العالم التجاوزي:

الطرح إلى المستويات العليا

مع المزيد من السيطرة على الشاكرات، يمكن إنتاج الطاقة المناسبة لإدراك تلك المستويات العليا من الوجود. إن إنتاج نوع معين من الطاقة سوف يرفع الوعي إلى ذلك المستوى المتوافق مع هذا النوع المعين كما ينشط الجسم الخفي المناسب لذلك المستوى. يتم هذا عموماً عبر خوض تمارين تأمل تساهم في رفع الوعي، بالإضافة إلى تمارين متقدمة لتفعيل الشاكرات. يمكن للوعي بعدها أن يختبر تلك المستويات العليا من الوجود. إذا توفرت كمية كافية من الطاقة، وكانت الظروف مواتية، يستطيع الممارس أن يطرح ذلك الجسم الخفي المحدد إلى ذلك المستوى المتوافق معه طبيعياً.

إن طرح الوعي إلى مستويات أعلى من البعد النجمي يتطلب درجة عالية من المهارة. وجب عليك أن تكون بارعاً في عملية رفع الوعي والتحكم بالشاكرات، لكن على أي حال، هذه المرحلة قابلة للإحراز. أنا شخصياً استطعت أن أخرج إلى المستوى النجمي، العقلي، البوذي، والأتمي. يُعتقد عامةً بأنه يستحيل على الكائن البشري أن يتجاوز هذه المستويات لإحراز مستوى آدي و أنوباداكا.

لكن بما أن هذه المستويات العليا الأخيرة وُصفت وأُطلق عليها أسماء، فهذا يعني أن أحداً قد زارها وإلا لما كانت معروفة أصلاً. إذا أدركت الطبيعة الحقيقية للعقل سوف تفهم بأنه ما من حدود بالنسبة له. كلما ارتفعت للأعلى سوف تجد المزيد من المستويات، وسوف لن تتوقف عند حدود أبداً.

سوف أوصف الآن تلك العوالم العليا التي زرتها، مستخدماً هذه الأسماء المُعترف بها عموماً للإشارة إليها.

البعد النجمي

هذا العالم يشبه تماماً قصة "أليس في بلاد العجائب"، حيث كل شيء فيه مقلوب رأساً على عقب. أي تبدو الأشياء حقيقية جداً لكنها سيولية وقابلة للتغيير مجرد أن

طراً أي تغيير في تفكيرك. يمكن إيجاد أي شيء وكل شيء هناك، بدءاً من المستويات الدنيئة المليئة بالطاقة الجنسية، انتهاءً بالمستويات الهادئة النقية الجميلة المُفعمة بالتناغم الروحي.

يكون الزمن هناك منحرفاً. إن مدة ساعة في العالم النجمي تبدو وكأنها بضعة دقائق هنا في العالم المادي. بالمقارنة مع العالم المادي، يمكن القول بأن ذلك العالم يتذبذب بوتيرة أعلى. الأمر يشبه تشغيل شريط فيديو بسرعة تبلغ عشرين ضعف من سرعة الواقع العادي، مع أنك لن تلمس هذا الفرق أو تعاني منه هناك. إن السبر بين "الأحواض" أو "المستنقعات" الحلمية dream pools، التي يعصى بها الفرد ويعجز الخروج منها، ليس أمراً ميسراً بالنسبة لبعض الممارسين، فالأمر يعتمد غالباً على الحظ، أو يتطلب الكثير من الخبرة لتجنب الوقوع فيها ومتابعة التوجّه إلى الواقع النجمي المخطط له مسبقاً.

هناك عدد كبير من الوقائع (جمع واقع)، المستويات، العوالم، والأحواض الفكرية في هذا البُعد النجمي. كما ذكرت سابقاً، العالم النجمي مؤلف من تجمعات وأطوار متفاوتة للمحتوى العقلي الذي يستقرّ على شكل طبقات و"أحواض" فكرية. خلال النوم، أو أثناء "الحلم الصاحي"، عادةً ما يخلق العقل الباطن حلماً مخصصاً لك، أي يمكن اعتباره مسرحك الحلم الخاص. عندما تكون صاحياً خلال الحلم، يمكنك التحكم بأحداث المسرحية كما تشاء.

هذه السيطرة تُستمدّ من العقل الباطن الجبار الذي يحرّك الأمور من وراء الستار. لكن في غياب تأثيره القوي، هذا العالم الخيالي المخلوق من أجلك سوف يتغيّر تماماً. حينها ستبدأ بالتوليف مع أجزاء متناغمة أخرى من البُعد النجمي، وسوف يختلط عالمك الخاص بعوالم أخرى. في حالة الطرح إلى البُعد النجمي، يمكنك التوليف مع أي جزء من هذا العالم وتساfer إلى وقائع مختلفة ومتنوعة، أحواض حلمية أخرى، أو مخلوط من هذا وذاك.

هناك تقنيات كثيرة لتحقيق ذلك لكن جميعها تتضمن طريقة معينة لإلهاء العقل الباطن، أو خداعه لكي يأخذك إلى واقع نجمي مختلف. بعض ممارسي الطرح النجمي ينظرون إلى أيديهم ويراقبونها وهي تدوب. بعضهم يفتل في مكانه، مسبباً حالة انعكاس في الجهات (يمين/يسار). كل هذه الوسائل تشتت العقل وتخدع العقل الباطن بجعله يولّف نفسه مع أجزاء أخرى من البُعد النجمي. من الصعب جداً وصف كيفية التنقل بين المستويات المختلفة، لكن عليك تعلّم ذلك عبر الممارسة العملية، أي من خلال التجربة والتعلّم من الأخطاء. عليك أن تتعلّم كيف تستخدم العقل الباطن، أي كيف تخدمه لتحقيق ما ترغبه من أهداف.

البُعد العقلي

هذا عالم مذهل بالفعل! ستجد فيه أنهار متقرّحة بألوان مختلفة، شواطئ ملوّنة صوتها خفيف وموسيقي، تنبض بالضوء. تظهر الأفكار هناك على شكل نماذج لونية متغيّرة من الضوء والصوت معاً. تمشي عبر حقول شاسعة من الأفكار تحت سماء بلورية تتلألأ بالوحي والإلهام. إذا دخلت هذا العالم لا تحاول عقنّة أو تحليل أي شيء منطقياً محاولاً فهمه واستيعابه، وإلا سوف تُصاب بالجنون، حيث كل ما تراه وتختبره هناك يتجاوز حدود الاستيعاب البشري. فقط تقبلها كما هي، انجرف مع جريانها واستمتع!

هذا البُعد هو، حسب اعتقادي، ما أشار إليه "الفايكينغ" Vikings بالاسم الشهير "أشغارد" Asgard، أي "جسر قوس قزح". فالأمر يبدو أنك تمشي فعلياً فوق قوس قزح بحيث يؤدي بك في النهاية إلى عالم رائع حيث تقبع الآلهة بكل تأكيد. توجد هنا واستعجب واندعش كما يحلو لك. أطلق العنان للطفل في داخلك لكي يلعب في أرض العجائب هذه. كل شيء يبدو حقيقي وصلب.. "الزمن" هنا أكثر انحرافاً من الزمن في البُعد النجمي، والواقع ليس سيولياً بل متقلب الأشكال والألوان kaleidoscopic، لكن بطريقة رائعة.

البُعد البوذي

هذا عالم دافئ ومجرد، مُفعم بالسلام المطلق والحب اللامحدود. إنه عالم النور الأبيض الصافي. ليس هناك إدراك بصري أو سمعي هنا، بل فقط النور الساطع المنتشر في كل مكان. في هذا البُعد تتخلى مباشرة عن الفكر الواعي والفردية. لا تستطيع التفكير لمدة طويلة بعد أن تدخل هذا العالم، حيث أنت لست بحاجة إلى ذلك، حتى أنك لن ترغب بذلك أصلاً.

هناك حافز لا يُقاوم يدفعك إلى السكون الصامت. الأمر يشبه وكأنك مغموراً بالقطن الأبيض النقي الدافئ. في هذا العالم، تتوقف عن كونك فرداً وتصبح جزءاً من الكل. حتى أنك تتوقف عن كونك ذكر أو أنثى. الأمر يشبه، بطريقة ما، عودتك إلى رحم أمك. أنت مُحاط، مغمور، مستحود، مُمتصّ من قِبَل دَفئِ الحب اللامحدود، التفهّم اللامحدود، السماح اللامحدود، الغفران اللامحدود. لم يعد للزمن هنا أي معنى. إذا دخلت هذا العالم سوف لن ترغب أبداً أبداً في مغادرته، لا تستطيع أصلاً مقاومة جاذبيته المحبّة والحنونة، ستبقى هناك متكوراً في حضنه كالطفل الصغير.. إلى أن يناديك الجسد المادي ويسحبك من هناك عنوة. هذا هو مكان الراحة والشفاء بالنسبة للنفس.

البُعد الأتمي

يبدو أن هذا البُعد يمثّل العالم الروحي. هنا، تنتظر الأرواح محبيها الذين عاشت معهم في العالم المادي قبلاً. هذا هو مكان الاجتماعات السعيدة. هو المكان الذي تحصل فيه إعادة شمل النفوس المحبة. النور في هذا العالم هو الأكثر نقاوة، الأكثر سطوعاً، سطوع فضّي لامع، أكثر بريقاً من لمعان نقطة اللحام. إنه ساطع جداً لدرجة يبدو مستحيل النظر فيه، لكنه رغم هذا كله نور لطيف، ناعم وهادئ. إنه نور الحب الإلهي. يظهر الناس هنا بنفس الهيئة التي اتخذوها في العالم الأرضي لكنها هنا تكون بأبهى حالاتها وبأروع مظهر. كانوا يتوهجون بابتهاج صوفي متلهّب بأنقى أشكال الحب والفرح والبهجة التي يمكن تصوّرها. الجو مشحوناً بالحيوية، لكنه بنفس الوقت روحاني عميق. في هذا العالم تستطيع الشعور

بوجود الله كقوة ملموسة تتخلل كل مكان. يجري التواصل هنا عبر التصور التخاطري رفيع المستوى، استبصار واضح وجلي لعالم حقيقي. الواقع هو أكثر صلابة وحقيقة من الواقع العادي الذي نألفه على الأرض. بالمقارنة مع هذا العالم، يبدو العالم الدنيوي مجرد حلم شاحب يملأه أناس شبه أموات.

لقد دخلت هذا العالم أربع مرات فقط في حياتي. أي عندما أرفع وتيرة الوعي لدي بأقصى قوة، واستثير الشاكرات لتفتح على مصراعيها. كما ركزت العمل على شاكرا "التاج" بشكل مكثف. خلال هذه المناسبات الأربعة، ارتفعت الطاقة لدي إلى أعلى درجة ممكنة، رافعة روحي ووعيي معها إلى أسمى المستويات.

وسط هذا الجو الصوفي العميق، سمعت صوت نغمة موسيقية طويلة ترتفع وتيرتها تدريجياً لكن بهدوء. شعرت بهذه النغمة الموسيقية بكل وجداني، قلبي، تناديني، تجذبني إليها. ركزت كل جوارحي على هذه النغمة وولفت نفسي تناغماً معها. ركزت الوعي عليها بكل نرة قوة وطاقة أملكها، فانطلقت إليها.

خالعاً ذاتي من جسدي المادي، وجدت نفسي داخلاً مباشرة إلى هذا العالم. كان الأمر وكأنني أعبّر ستارة ثقيلة إلى مكان آخر، عالم آخر. بقيت صاحياً ومستشعراً لجسدي المادي، الإدراك المزدوج، طوال فترة وجودي في ذلك العالم. نظرت حولي بعجب وذهول، كان النور فضياً وساطعاً لدرجة شعرت به يحرق عميقاً في روحي، لكن أستطيع الإحساس بلمسته الشافية بداخلي. هناك أمامي وقف ابني الذي فقدته منذ فترة طويلة. كان عمره ثمان سنوات عندما فقدته (توفى)، ولازال يبدو بنفس المظهر الذي رأيته به آخر مرة. كان يشع بالسعادة، كانت عينونه ساطعة ومشعة. حضنته إلي بقوة وبكيت فرحاً لرؤيته. نظرت وراءه لأرى حشد كبير من الناس الذين ينتظرونني. هؤلاء هم كل أصدقائي وأقاربي ومحبي الذين فقدتهم خلال حياتي. هناك آخرون لم أعرفهم، لكنهم بدو مألوفون على أي حال، وشعرت بأنني أحبهم جميعاً. كانوا يرحبون بي هتافاً وتصفيقاً والقفز للأعلى فرحاً.

كان هناك الكثير من الدموع والكثير من العناق والقبول. نظرت خلفهم ورأيت بأننا موجودون في مسرح حجري طبيعي يشبه المسارح الرومانية. كانت الأرضية مؤلفة من الصخر الناعم وترتفع تدريجياً لتشكل منحدرًا على مسافة مئتي متر تقريباً. على قمة هذا المنحدر يوجد ملائكة. كانوا يشبهون تماماً تلك التي رسمها الفنان مايكل أنجلو. كانوا يتمتعون بجمال رائع ومذهل، مع أجنحة كبيرة بيضاء، شعر ذهبي متموج، وجلد ناعم كالمرمر. كانوا ينفخون في قرون ذهبية، وأدركت فجأة بأن تلك النغمة هي ذاتها التي سمعتها في البداية.

خطوت مبتعداً عن الحشد متوجهاً نحو المساحة المفتوحة. نظرت إلى هذه الملائكة برهبة واحترام، ثم لوحت لهم بيدي. راحت النغمة الموسيقية تبطئ وتخف رويداً رويداً، وأخفض الملائكة أدواتهم الموسيقية. وقفت في مكاني للحظة لانهاية صامتاً، ناظراً حولي. ثم فجأة، بدأ كل شيء يومض ويخفت، فوجدت نفسي عائداً إلى جسدي المادي... فبدأت أبكي.. لم أكن أرغب العودة من هناك أبداً.

انتهى الاقتباس

ملاحظة: سوف أتناول هذا النوع من المشاهدات الملائكية في أجزاء قادمة، ونحاول تفسيرها وفقاً لما تقتضيه الدلائل والمعطيات المتوفرة. سوف نكتشف بأن أشخاص يعتقدون معتقدات أخرى يختبرون مشاهد فيها كانتات مختلفة عن الملائكة بل تتوافق مع تلك التي توصفها معتقداتهم، لكن الجوهر يبقى ذاته، شعور البهجة والروعة والعاطفة الجياشة تبقى ذاتها وبنفس القوة، ومشهد الالتقاء بالمحبين يبقى قائماً في كافة الحالات. السيناريو يبقى ذاته لكن يختلف الممثلون فقط، حيث تعتمد على الشخص التي توصفها معتقدات الشخص.

هل أصبحت تعلم الآن؟

ربما أصبح لديك فكرة عن ما يصبو إليه أولئك النساك الزاهدين (رجال ونساء) الذين يقبعون في الكهوف وعلى أغصان الأشجار أو ينامون على كومة من الشوك عندما تسأل عن الجدوى من عيش تلك الحياة المتقشفة المملة البائسة التي اختاروها لأنفسهم.



يبدو أن هؤلاء البائسون هم أسعد الناس على وجه الأرض وأكثرهم اكتفاءً نفسياً وروحياً! ما قيمة الحياة الدنيوية والاهتمام بمظاهر العيش الزائلة طالما وجدت منفذاً إلى تلك العوالم العليا وتمضي معظم وقتك هناك تتمتع بأعلى درجة من البهجة والاكتفاء الروحي؟

كلنا نصبو إلى السعادة ونتوق إلى تحقيق أعلى درجات المسرات الروحية. لكن هناك من أساء توجيهنا، فرحنا نبحت عنها في الأماكن الخطأ. الذنب ليس ذنبنا على أي حال.



لاحظوا المفارقة الغريبة العجيبة هنا: أشخاص يمارسون أعلى درجة التقشف وقهقرة النفس والزهد بحياة الدنيا ومسررتها الزائلة، لكنهم بالمقابل يحققون قمة السعادة والاكتفاء الروحي. وهذا النوع من الاكتفاء، يعجز عن تحقيقه أغنياء العالم، والذين يستطيعون شراء كل ما طاب لهم من ملذات الحياة الدنيوية. فما قيمة المال إذا عجز عن انشغالهم من حالة الضياع والتعاسة الروحية؟

أنا أعلم جيداً بأن هذه المقارنة لم تقنع الكثيرين، هذا بسبب سوء التوجيه والتنشئة الخاطئة التي دربتنا على البحث عن الأهداف الدنيوية في الحياة. أنت تستطيع إحراز أعلى قمة السعادة إذا أردت، وبأرخص الأثمان. لكن عليك أولاً تغيير طريقة تفكيرك ونظرتك للحياة عموماً. في المرة القادمة التي تندب فيها حظك شاكياً: ".. نيال المحظوظ في هذه الدنيا..". وجب عليك إعادة النظر في حكمك على الأمور. إذا كنت تبحث عن السعادة الحقيقية، فهي في مكان آخر يختلف تماماً عن ما تصبو إليه. أنت في الحقيقة أكثر المخلوقات حظاً في الوجود. وسوء حظك يأتي من جهلك لهذه الحقيقة العظيمة.

ليس كل من دخل حالة وعي بديلة يختبر هذه الحالة من "الوجد الروحي" أو "البحران"، لكنني تناولت هذه الحالة فقط لأننا في صدد موضوع التعليم الإيزوتيرية والارتقاء الروحي. وبالتالي، فقط الذين حضروا أنفسهم نفسياً لاختبارها سيختبرونها، أو أولئك المؤهلين فطرياً يختبرونها تلقائياً. أما الآلية التي تحدد إمكانية استثمار الجوانب الأخرى من الوعي البديل (القدرات الخارقة مثلاً)، فتعتمد على عامل "الإرادة" المسؤول عن عملية "توجيه الانتباه" وسأتحدث عنه خلال تناول موضوع "الوعي الديناميكي" في الجزء القادم. (سوف تتعلم لاحقاً بأن السفر خارج الجسد هو مجرد عملية إحداث رنين مع موقع معين تستهدفه بتفكيرك، يمكن أن يكون في البعد الأرضي أو الأبعاد العليا، ثم تنقل الوعي لديك إلى ذلك المكان المستهدف بفعل الرنين).

هناك بوابات عديدة للدخول إلى العالم التجاوزي، والتصوف هو أحدها، لكن في كل الأحوال، مهما كانت البوابة التي يدخل منها الفرد إلى هذا العالم السامي سوف يراه بالطريقة ذاتها، وهذه الطريقة تختلف تماماً عن الطريقة التي نألفها في العالم المادي. جميع حواسه وإدراكاته ومشاعره تتغير، آلية الحركة تختلف، المفاهيم تختلف، كل شيء مختلف.. وبطريقة لا يمكن وصفها بكلمات.

هذه هي الحالة التي ينشدها المتعبّدون في كافة المذاهب الروحية والمدارس الإيزوتيرية حول العالم. وجميعهم متوحدون في ذات "العامل المُشترك" كسبيل وحيد إلى بلوغ العالم التجاوزي والاقتراب من الله [عز وجل]، هذا "العامل المُشترك" يتملّ بـ"التخلّي عن شؤون الدنيا"، وإتباع حياة "التقشف"، وغالباً ما يكون ذلك عبر الاختلاء بالنفس بعيداً عن المجتمع. لكن السؤال المهم الذي يفرض نفسه هو: ما هي العلاقة التي تربط بين "طريقة حياة محددة" (الزهد) مع "الارتقاء الروحي"؟ الاعتقاد الشائع طبعاً يُسند هذه الممارسة "المتنسكة" إلى أسباب لاهوتية تتعلّق بإرضاء إله السماء أو غيره من كائنات ماورائية، لكن الحقيقة هي أن هذه الممارسات تستند أساساً على أسباب علمية صرف. أي أن الالتزام بعيش حياة "زاهدة" بعيداً عن المسرات الدنيوية (بهدف التقرب من الرب) ليست فريضة دينية بل ضرورة بيولوجية تتعلّق بكيئونة الفرد. وهذا العامل البيولوجي له علاقة وثيقة بظاهرة "الذبذبة". هذه الفكرة ستوضح جيداً في الصفحات التالية.

الفرق بين

الحياة الدنيوية والحياة الروحانية

يُكمن في اختلاف مستوى الذبذبة

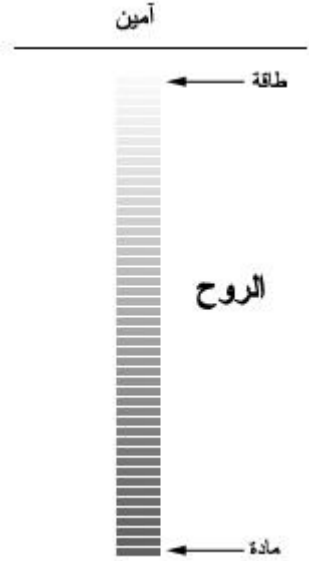
يُعتبر مبدأ الذبذبة أحد المبادئ الرئيسية في التعاليم الإيزوتيرية. هذا المبدأ يجسّد حقيقة أن كل شيء يتحرّك، كل شيء يتذبذب، لا شيء ثابت. وهذه الحقيقة هي ذاتها التي أصبح العلم العصري يقرّ بها، وتثبتها التجارب والاكتشافات العلمية باستمرار، مع أنها كانت معروفة قبل آلاف السنوات. هذا المبدأ يشرح كيف أن الاختلافات الظاهرية للتجليات المختلفة، إن كانت مادية، طاقية، عقلية أو روحية، هي نتيجة تفاوت في معدل الذبذبة. ابتداءً من الكلّ العظيم (الله، البرهمان، أمين..)، الذي هو روح نقيّة، نزولاً إلى أكثر أشكال المادة كثافةً، كل شيء هو في حالة ذبذبة. كلما ارتفعت وتيرة الذبذبة، كلما ارتقى مقام الشيء في سلم التجلّي (من المادي إلى الروحي). ذبذبة المستوى الروحي تكون بوتيرة عالية جداً

وسريعة جداً لدرجة تجعل الشيء يبدو ساكن وراكداً، كما حالة العجلة التي تدور بسرعة فتبدو أنها راكدة غير متحركة. وفي الطرف الآخر من السلم، نجد أكثر أشكال المادة التي تكون ذبذبتها بطيئة لكنها تبدو أيضاً وكأنها راكدة غير متحركة. بين هذين الضدين المتعاكسين على طرفي سلم التدرج التجسدي يوجد الملايين من معدلات الذبذبة المختلفة. ابتداءً من مستوى الإلكترونات والجسيمات المختلفة، الذرات والجزيئات، وصولاً إلى الكواكب والأقمار، كل شيء في حالة حركة متذبذبة. هذه الحالة تنطبق أيضاً على مستويات الطاقات والقوى المختلفة (التي هي مجرد معدلات مختلفة من الذبذبة). والأمر ذاته ينطبق على المستويات العقلية (التي تعتمد حالاتها المختلفة على معدلات ذبذبة مختلفة). والأمر ذاته ينطبق على المستويات الروحية أيضاً. إذا أردنا وصف هذا التدرج الذبذبي من أرفع مستوى روحي إلى أدنى مستوى مادي وفقاً للتعاليم الروحية القديمة، سوف لن نجد أنسب وأكثر روعة من تلك التي توصفها التعاليم المصرية القديمة.

أمين... المصدر

تصف التعاليم الروحية المصرية حالة "أمين" بأنها الحالة الأساسية لله أو الوجود قبل الخلق، وهي عبارة عن كمون غير متميز.. السديم الأولي. هناك مبدئين ثنائيين يتصف بهما "أمين": الأول هو مبدأ "العقل" Mind، والثاني هو مبدأ "المادة" Matter. مبدأ "العقل" بذاته يمثل ثنائي "الوعي" Consciousness و"الإرادة" Will. يمثل "الوعي" القطبية المنفعلة، بينما "الإرادة" تمثل القطبية الفاعلة، وكلاهما يتمتعان بنفس الخاصية (أي كلاهما يمثلان قطبين معاكسين للشيء ذاته). يمكن اعتبار مبدأ "المادة" بأنه يمثل "سلسلة متصلة" continuous sequence، أو على الأصح، يُعتبر سلم متدرج للمادة/الطاقة، لأن "المادة" جوهرياً هي مجرد درجة قصوى من السلسلة متصلة، أي هي "طاقة" لكن بعد أن تباطأت وتيرة ذبذبتها. يمكن إيجاد تعبير لها في مفاهيم المنهج العلمي، كالوصف الذي قدمه "أينشتاين" والذي يقول بأن "الطاقة" و"المادة" قابلان للتحويل تبادلياً. في مستوى "أمين"، تكون الخاصية الجوهرية "العقل" عبارة عن حالة من النعيم، السلام،

وتُسمى باللغة المصرية القديمة "حتب" حيث تعبر عن حالة سلام داخلي لا يتزعزع. أما الخاصية الجوهرية للمادة عند مستوى "أمين"، فهي عبارة عن كمون صافي، وهذا يعني وجود "جهد" (بالمصطلح الكهربائي) لكنه غير متحرك. وجب الملاحظة هنا أن الكلمة الهندوسية "نيرفانا" nirvana توصف تماماً حالة "أمين"، وهي تعني حرفياً "انعدام الحركة" ("نير" = لا، و"فانا" = حركة). وانعدام الحركة يعني انعدام "الذبذبة"، وتعني بالتالي غياب كل شيء، وتعني بالتالي انعدام المكان والزمان. وعني كذلك غياب "الضوء"، حيث الضوء هو ذبذبة أيضاً.



تدرّج الخلق من مستوى "أمين" إلى المستوى المادي، أي تسلسل متصلة "الطاقة/المادة"، وتشمل أيضاً "الروح" في سياقها

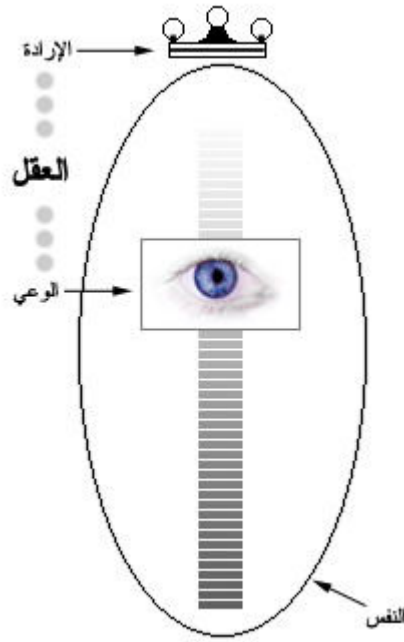
ثنائية العقل/المادة

كما رأينا في الفقرة السابقة، هذا التدرّج من مستوى "أمين" إلى المستوى المادي، أي تسلسل متصلة "الطاقة/المادة"، تشمل أيضاً "الروح" في سياقها. في الانقسام العظيم (الحد الفاصل) بين "العقل" و"المادة" تُصنّف "الروح" في خانة "المادة" بدلاً من "العقل". "الروح" هي عبارة عن طاقة جوهرية، هي مجرد وسيط يعبر من

خلاله "العقل" عن نفسه. بما أن الأرواح المنفردة مرتبطة بالعقول المنفردة (الوعي/الإرادة)، فهذا سيؤدي أحياناً إلى استخدام مصطلح "الروح" بطريقة غير دقيقة للإشارة إلى "العقل". لكن الحقيقة هي أن الروح مجرد طاقة، وبالتالي فهي متميزة عن الوعي/الإرادة (العقل) اللذان بدورهما يتحكمان بالروح في حالات متنوعة. بناء على هذا المشهد، فإن الانقسام العظيم بين "العقل" و"المادة" يمكن اعتباره أيضاً انقسام بين "العقل" و"الروح"، حيث "المادة"، بما أنها طاقة أيضاً لكن تباطأت ذبذبتها، فهذا يجعل "الروح" شكل من أشكال "المادة".

يبدو أن هذا الشرح سيؤدي الكثير من مفاهيم النظرة السائدة إلى هذه الأمور وكذلك الممارسات المعتمدة عليها. في الاستخدام العام لهذه المصطلحات، نتكلم عن الجسم والعقل والروح بطريقة تجعلها تبدو أشياء متميزة، وهذا ما نظنه بالفعل بسبب محدودية إدراكنا التي تمنعنا من رؤيتها ككيان واحد لكن متدرج من حيث وتيرة الذبذبة. كما أننا نستخدم خطأً كلمة "روح" كاسم شائع يشير إلى "النفوس" الفردية التي تركت أجسادها لكنها مع ذلك احتفظت بخواص مثل "الوعي/الإرادة"، أو "العقل". بسبب هذه الإرباكات والتناقضات المختلفة التي يسببها المفهوم الشائع للروح، من الأفضل الالتزام بمفهوم "العقل/المادة" بصفته يمثل الانقسام الجوهرية للكينونة، لكن مع فهم واضح لفكرة أن "الروح"، باعتبارها "طاقة"، تنضم إلى خانة "المادة". أما مفهوم "النفوس" وعلاقتها بـ"الروح" والتي تمثل مسألة زئبقية، فقد شرحتها سابقاً في الجزء الثالث (أقول شمس المعارف الكبرى) وسوف أتناولها لاحقاً في الفقرات التالية مع سياق الشرح حيث يسهل توضيحها.

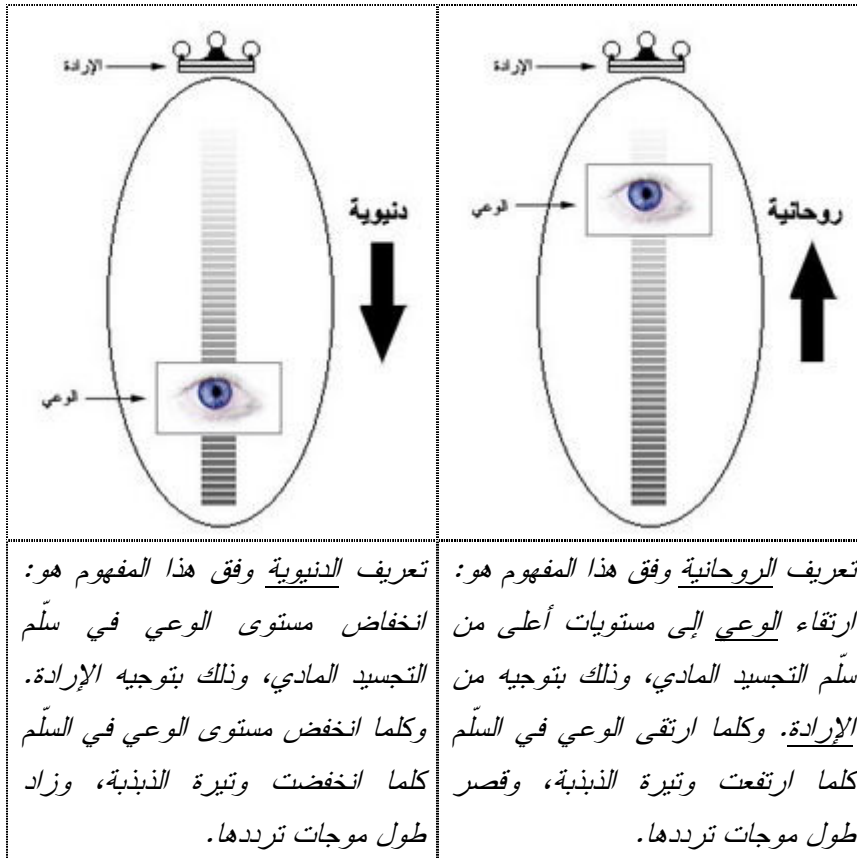
إذاً، "حتم" هو السلام الداخلي لدى المصريين، لأنه يمثل حالة تقبع في مكان ما داخل الإنسان. لا يمكن إيجادها في المبدأ المادي (طاقة/مادة) للكون، بل في المبدأ العقلي. لهذا السبب هي تقبع في الباطن. هي مظهر من الوجود الذي لا يتجزأ، حيث إذا وصلت إلى هذه الحالة من السلام الداخلي، لم يعد هناك ما يتجاوزها.



شرح مصوّر لثنائي "العقل/المادة": الروح هي عبارة عن طاقة جوهرياً، هي مجرد وسيط يعبر من خلالها العقل عن نفسه (بواسطة الوعي المُمثّل بعين)

لقد تنبأت العلوم الروحية المصرية منذ تلك الأزمنة الغابرة بأن حجر البناء الأساسي للمادة هو ليس مادي إطلاقاً بل حالة استقطاب طاقي لمبدأ "الطاقة/المادة". ووصفوا هذه الحقيقة العلمية عبر استعارات كلامية وصورية مجازية مبهجة. ثنائية الجسيم/الموجة للفوتونات مثلاً، أو الجسيمات دون الذرية، تمثل تجليات مختلفة لمبدأ "الطاقة/المادة"، أي أن "الطاقة" و"المادة" قابلان للتحوّل تبادلياً. في جميع الأحوال، وبالعودة إلى حالة "حطب"، ووفق المظهر "العقلي" من الكينونة، فهي الحالة النهائية من السلام الداخلي الصافي. بينما وفق المظهر "المادي" من الكينونة، فهو الحالة النهائية من السكون الصافي، أي تكون الطاقة في حالة كمون كامل. كلاهما معاً، العقل الساكن، والمادة الساكنة، يكونان المفهوم المصري لحالة الخالق قبل عملية الخلق. هذا هو "أمين"، المصدر الذي انبعث منه كل شيء. ويُعتبر أيضاً، في العلوم الروحية المصرية، الطبيعة الحقيقية للإله الكامن باطنياً،

الذي هو غير مشروط، لا يمكن إزعاجه أو تعكير صفائه بفعل المؤثرات الخارجية. هو الدرجة "صفر" في أعلى سلم التدرج المادي. بينما الإنسان، بمظهره المادي الكثيف، أو جانبه الدنيوي عموماً، يمثل آخر درجة في أسفل التدرج المادي. هذه الدرجة الأخيرة تمثل المرحلة النهائية لعملية الخلق. أما الدرجات الموزعة بين طرفي السلم (التي تتوسطهما)، فهي تمثل المراحل المتدرجة لعملية الخلق، بالإضافة إلى مظاهر مختلفة أخرى من الكينونة الروحية التي تشكل جزءاً من الطبيعة البشرية. هذا السلم المتدرج لا يمثل فقط مراحل تجلي الخلق، بل يمثل أيضاً طريق العودة صعوداً، درجة بعد درجة، يتسلقها الإنسان خلال رحلة العودة الروحية.



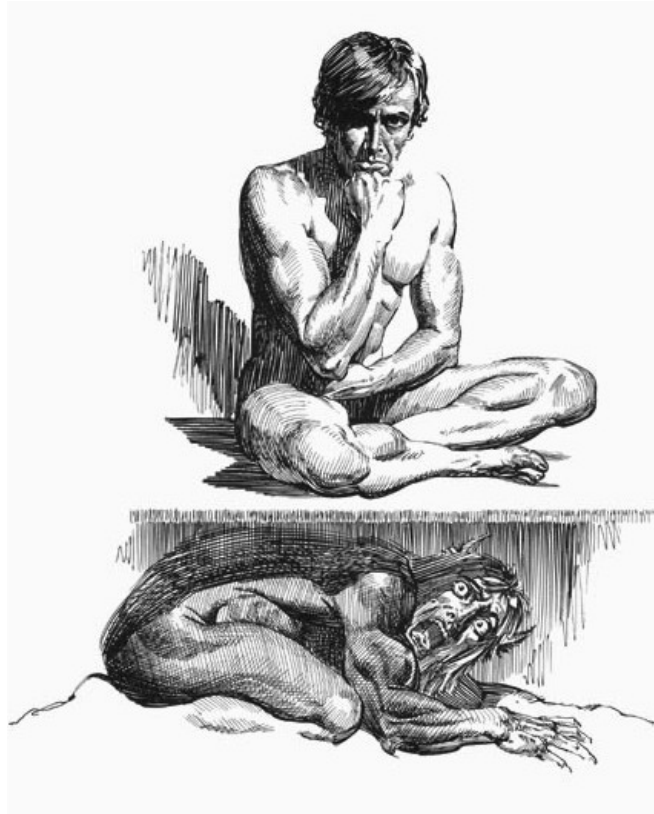
الجسم، العقل، والروح

كما أسلفت سابقاً، المركبة الجسدية تُصنّف في القطبية المتطرفة من سلسلة متصلة الطاقة/المادة. والروح، بصفقتها طاقة.. أو نموذج "منظومة طاقة".. فهي تنتمي أيضاً إلى نفس سلسلة الطاقة/المادة، لكنها في القطبية المتطرفة المعاكسة للجسد أو المادة الملموسة. العقل، الذي يمثّل "الوعي" والإرادة" أقطابه المتعاكسة، متمايز تماماً عن الروح (بصفقتها طاقة/مادة)، لكن بما أن العقل يحتاج إلى الروح كوسيط للتعبير عن إرادته، ولكي يتجلى عبره الوعي، أصبح هذا المفهوم (العقل) يُستخدم بشكل خاطئ عموماً من خلال تضمينه بمصطلح الروح عند استخدام هذا الأخير في الكلام. والأمر المضحك بخصوص الاستخدام العام لهذه المفاهيم هو أنه، بالرغم من أن الروح تُصنّف مع الجسد في خانة "المادة" (في الانقسام العظيم بين "المادة" و"العقل")، إلا أنهم، خلال الحديث عن الروح، يستبعدون الجسد تماماً ويتضمنون بدله العقل. هذه المسألة شائعة جداً في معظم الثقافات، خصوصاً الغربية منها، وهذا يعود إلى الجهل الثقافي في ما يتعلّق بعلم الكون. بينما على الجانب الآخر، نجد لغات أخرى، مثل "السنسكريتية" (الهند) و"البانتو" (أفريقيا)، غنية جداً بالمصطلحات التي تشير إلى هذه الأمور بدقة وتفصيل.

الاختيار بين الشيطان والملاك

يبدو أن المبدأ ذاته ينطبق على باقي التعاليم الإيزوتيرية رغم اختلاف الشكل والمظهر. غالباً ما يتحدث الروحيون عن هذا المبدأ بطريقة رمزية، مستخدمين بذلك الاستعارة المشهورة عن الشيطان داخل الإنسان. أو الإنسان الذي ينقسم إلى ثلاثة أقسام، الملاك، المفكّر والشيطان. المفكّر يقبع في الوسط بين القطبين المتطرفين، ويعود إليه الاختيار بين الشيطان والملاك. إذا مال المفكر نحو ملاحقة المسرات الدنيوية فسوف يقع فريسة للشيطان، بينما إذا مال نحو ملاحقة المسرات الروحية والزهد بالدنيا فسوف تحضنه الملائكة بحنان ورحابة صدر. هناك الكثير

من الروايات والأساطير التي تتمحور حول نفس السيناريو، حيث الفكرة تبقى ذاتها لا تتغير أبداً. كافة التقاليد الروحية حول العالم تتحدث عن كيانين، أحدهما شرير والآخر خير، يتنازعان دائماً على اكتساب الإنسان، والشاطر هو من يستميله إليه. تزخر التقاليد الشعبية بمئات الأساطير والحكايا الرمزية التي تروي صيغ مختلفة عن الحرب الأزلية الدائرة بين هذين الكائنين القابعين في جوهر الإنسان. في بعض الأساطير، يتمكن البطل من التغلب على الشيطان، بينما في البعض الآخر يقع في شركه ويدفع الثمن غالياً، وأخرى تروي كيف يتم تخليصه من هذا الشرك ليحيا سعيداً... وهكذا إلى آخره.



القسم المفكر من كينونتتا، والذي يختار بين التغلب على الشيطان (الطبيعة الحيوانية في الإنسان)، أو الخضوع لسيطرته.

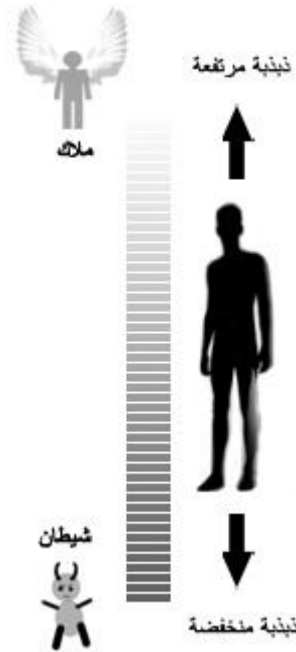
كافة تلك الأساطير، والتي تحوّل بعضها إلى نصوص دينية، لا تصوّر أحداث واقعية حصلت فعلياً بل هي تعبير مجازي عن حقيقة مهمة جداً، وهي أن الطبيعة الحيوانية عندما تسيطر على الفرد تشبه حالة خضوعه لسيطرة الشيطان، رمز المسرات الدنيوية والمعاناة المترتبة على الفرد نتيجة ملاحظتها، والذي يُصوّر كيف يتحكم الشيطان بالإنسان كما يشاء.

كافة الأنظمة الصوفية حول العالم تحدثت عن مرحلة تحضيرية تتعلّق بـ"الزهد" بالشؤون الدنيوية قبل الانخراط بالممارسات الروحية الأساسية. لكن السؤال هو: ما هي العلاقة التي تربط الزهد بالشؤون الدنيوية (التغلّب على الشيطان) مع حصول تغيير إيجابي كامل في جوانب كثيرة من طبيعة الفرد؟ هل لأن إله السماوات سيرضى منه ويغدق عليه النعم والبركات، كما هو المُعتقد الشائع بين أتباع الديانات المختلفة، أم أن هناك أساس علمي لهذه المعادلة؟

أحد المفاهيم المهمة التي كان يأخذ بها المصريون القدامى هو أن كينونة الإنسان، بكل مكوناتها، مؤلفة من قسمين: "الذات" Self و"اللا ذات" Not-Self، وكلاهما ضروريان من أجل الوجود في العالم المادي. لكن على أي حال، فإن الهوية الحقيقية للفرد تتمثل في "الذات" التي تتكوّن من "الوعي" و"الإرادة"، بينما "اللا ذات" تتكوّن من الطاقة والمادة، حيث لا يوجد طاقة ولا مادة في "الذات" الحقيقية للفرد. طالما أن "الروح" تُعتبر "لا ذات" وفقاً للمعلمين الأوائل، فبالتالي لا يمكن للذات الحقيقية أن تكون "روح". وبالإضافة، كل فكرة، عاطفة، أو إحساس ينتمي أصلاً إلى "اللا ذات"، وبالتالي هي تمثّل تجسيد للروح الحيوانية في الإنسان. الروح الحيوانية، والروح الفكرية، والروح الإلهية، تمثّل جميعاً المركّب الثالوثي للكينونة الإنسانية. (تمثّل ذات المعادلة المؤلفة من الشيطان، الإنسان المفكّر، والملاك). الروح الإلهية (الملاك)، التي هي مُزوّدة مسبقاً بالقانون الإلهي، تتوافق مع "الذات" الحقيقية للإنسان، بينما الروح الفكرية (الذكاء الإنساني وقدراته المنطقية الدنيوية)، والروح الحيوانية (الشيطان) تتوافقان مع "اللا ذات". فبالتالي، إن الفشل في السيطرة على عواطف الفرد مثلاً هو إذعان للقسم الحيواني من الكينونة، بالإضافة إلى أنه يمثّل

إهدار كبير للطاقة الحياتية للفرد. على الروح الفكرية أن تختار، إما أن ترجّح كفة الميزان باتجاه الروح الإلهية (الملاك) أو الروح الحيوانية (الشيطان)، والقرار النهائي هو الذي يحدّد سلامة الكينونة الطاقية للفرد، مركبته الوحيدة إلى العالم التجاوزي.

وفقاً لما تعرفنا عليه بخصوص "الذبذبة" في الفقرات السابقة، تبين أن توجيه اهتمامات الفرد نحو المسرّات الدنيوية (الميل نحو الشيطان) سيعمل على خفض مستواه الذبذبي، بينما توجيه الاهتمامات نحو المسرّات الروحية (الميل نحو الملاك) سيرفع من مستواه الذبذبي، وهذه الفكرة بالذات سوف تتوضّح جيداً مع توالي الفصول. وأعتقد أن الصورة التالية تعبّر جلياً عن هذه الفكرة الجوهرية المتمثّلة بثنائية الملاك والشيطان:



مجرّد ما سلّم الإنسان نفسه لرغبات الشيطان، فهذا يجعل وتيرة الذبذبة لديه تنخفض، لكن إذا استمع إلى مناشدة الملاك، فهذا يجعل وتيرة الذبذبة لديه ترتفع.

لهذا السبب نرى أن كافة التعاليم الروحية حول العالم تشدّد على انتهاج طريقة حياة محددة (زاهدة) للمحافظة على هذا المستوى العالي من الذبذبة، كمرحلة تحضيرية قبل خوض الممارسات التجاوزية الفعلية التي تساهم في الدخول إلى رحاب العالم التجاوزي والحصول على كنوزه الثمينة. فيما يلي بعض الأمثلة على تلك التعاليم، وسنلاحظ الشبه الكبير في مناهجها التحضيرية قبل التعامل مع العالم التجاوزي، جميعها تشدّد على الزهد في الشؤون الدنيوية.

التصوّف في اليوغا

في موضوع نظام "باتانجالي" لليوغا، تعرّفنا على حقيقة أن الغاية النهائية من يوغا "باتانجالي" هي وضع حد للعبودية التي يعانها الإنسان، والمُتملّة باهتماماته الدنيوية، وإحراز التحرّر (الإفلات من قبضة الشيطان). الاسم التقني لهذا الإنجاز العظيم هو "كايفاليا" kaivalya، أي "الاستقلال". كافة الأشياء المادية تزرع تحت سطوة العبودية، عاجزة عن التصرف حيال هذا الاستعباد، يتم تحريكها باستمرار من قبل القوى الخارجية (الشيطان). لكن الأشياء الإلهية (بمعنى روحانية) هي حرّة، وقادرة على تحريك نفسها باستقلالية. كل إنسان يشعر في داخله بشرارة هذه الحرية الإلهية، لكنه يسميها "الإرادة"، وهي ذاتها القوّة التي يستطيع عبرها التحكم بعقله. (لاحظوا الشبه الكبير بين التعاليم اليوغية والتعاليم المصرية القديمة، حيث الإرادة هي العامل الفاعل في العقل).

يُقسم نظام "باتانجالي" لليوغا إلى قسمين، القسم الأوّل يُسمى "كريا يوغا" Kriyā Yoga، ويمثّل مرحلة تحضيرية قبل الدخول إلى القسم الثاني المُسمى "أشتنغا" ashtanga الذي يُعتبر الأساسي والمعروفة عموماً بـ"الأطراف الثمانية" لممارسة اليوغا. لكن المعلم "باتانجالي" منح الأهميّة الكبرى للقسم الأوّل، حيث يقول بأنه أكثر بكثير من كونه مجرد "تحضيري". فهو يتضمّن اليوغا الفعالة، والتي وجب ممارستها كل الوقت في الحياة اليومية. في غياب هذا القسم، ستكون تمارين القسم

الثاني (الأساسي) عديمة الجدوى. (أصبحنا نعرف الآن بأن القصد من هذه الممارسة هو رفع وتيرة النذبة للفرد)

الهدف من اليوغا "التحضيرية" هو إضعاف تلك التي تُسمى "كليشاس" kleshas، أي "البلايا" الخمسة، وهي: الجهل، الأنانية، الرغبة (الولع أو الميل)، عدم الرغبة، نزعة التملك (الاقتناء). هذه "البلايا" تخضع الإنسان لسيطرة الطبيعة وتوقعه في شباك العبودية المحزنة (الشيطان). من خلال تسليم إرادته لها، يبقى الإنسان مُحركاً من الخارج، خاضعاً دائماً لسيطرة الظروف الخارجية (الشيطان).

وفقاً للمعلم "باتانجالي" هناك ثلاثة ممارسات، "تاباس"، "سوادهيايا"، و"إسوارا" برانيدهانانا، تهدف إلى تطوير الشعور الصحيح تجاه كل شيء. إذا مورست باجتهاد سوف تساهم في وقت قصير جداً في إضعاف أو حتى إزالة "البلايا" الخمسة التي ابتلي بها الإنسان. (فيتحرّر من قبضة الشيطان).

كما ورد في القسم الثاني (الأساسي) من منهجه المُسمى "أشتنغا" ashtanga فرعين أخلاقيين هما ياما Yama (الممنوعات الخمسة)، ونياما Niyama (الفرائض الخمسة) وجب على الفرد العيش وفقها في حياته اليومية. إذا جمعت قواعد الفرعين معاً يمكن اعتبارها شبيهة بالوصايا العشر. خلاصة الفكرة هي أن هذه الممارسات التي ذكرها "باتانجالي"، والتي تفرض الزهد بالحياة الدنيوية كشرط أساسي للنجاح في تدريبات "أشتنغا" يوغا (اليوغا العقلية)، لا تستند على أسباب لاهوتية، بل هي علمية بامتياز. الأمر ذاته ينطبق على كل المدارس الإيزوتيرية حول العالم، حيث ليس هناك أي عامل ديني (لاهوتي) في الموضوع بل الزهد هو ضرورة جوهرية تتعلق بكينونة الفرد من الناحية العلمية. (رفع وتيرة النذبة)

يؤكد "باتانجالي" أنه عندما يلتزم الفرد بالممارسات الأخلاقية الموصى بها (الزهد) وترسخ جيداً في شخصيته، سوف يلاحظ بعدها ظهور تأثيرات ملموسة، مثل

غياب الشعور بالخطر، فعالية في كلام الفرد، تدفق الوفرة والبركة وحتى الغنى والثروة بطريقة غير متوقعة (تفعيل قانون الجذب)، زيادة في نشاط الجسم والعقل، الفهم العميق لأحداث الحياة، وضوح الفكر، قوة الانتباه، السيطرة على الحواس، سعادة كبيرة، كمال الجسم والحواس، الحدس وإدراك الذات الحقيقية. هذه النعم لا تأتي إلا بعد الانقطاع عن خصومة أي أحد أو أي شيء في العالم.

الصوفية الإسلامية

الأساس الذي انطلقت منه الفكرة الصوفية القائلة بوجود تباين كبير بين الوفرة المادية والحضور أمام الله [عز وجل] جاء من قول رسول الله (ص) .. "الفقر مفخرة وليس عيباً.."، وطالما نبذ فكرة الاستمتاع الشخصي بالثروة. لهذا السبب نرى الكثير من الزهاد المتصوفين تبرعوا بكل ثروتهم لملاحقة الحياة البسيطة.

بالإضافة إلى الحياة الزاهدة، يعتبر المتصوفون بأن الذكر الدائم والمستمر لله هو الوسيلة للتوحيد مع الله [عز وجل]، حيث يحصل ما يُسمى "الفناء"، أي زوال كافة الصفات الإنسانية وطبيعتها، والاستمرارية الوحيدة هي الله ذاته. عملية "الفناء" هذه تمثل في الحقيقة "اندماج" وليس "توحيد"، لكن مفهوم الاندماج مع الله مُحرم في الإسلام، ولهذا السبب توصف الصوفية عملية "الاندماج" بالتفصيل لكن تحت اسم "توحيد". يمكن لأي باحث في التعاليم الإيزوتيرية/الصوفية أن يرى بوضوح التشابه الكبير بين حالة "الفناء" (التوحيد) الصوفية وحالة "نيبانا" أو "نيرفانا" الموصوفة في التعاليم البوذية، حيث في كلا الحالتين، يختفي كل أثر يتعلّق بما يفكر به الإنسان أو يشعره. إنها حالة "فناء" بالفعل. هذه الحالة التحويلية قد تحصل في أي وقت من حياة الصوفي.

خلال ممارسة "اليوغا" الصوفية، إذا صح التعبير، العقبة التي وجب التغلب عليها هي حالة "الانفصال" عن الله [عز وجل]. (إبي الإفلات من قبضة الشيطان). وخلال

السعي نحو "التوحيد"، كل مرید حرّ الاختيار لأي وسيلة يراها مناسبة لتحقيق هذه الغاية النهائية، ليس هناك أي تقنية محددة (كما اليوغا الهندوسية). خلال سعي المرید إلى بلوغ الغاية النهائية، على طريقته الخاصة، يمرّ في مجموعة من المراحل تُسمى "محطات"، وعند بلوغ كل محطة يكتسب "حالة" معينة تُعتبر منحة من الله. وفق الكتاب الصوفيين الأوائل، هذه "الحالة" ليست نابعة من طبيعة إنسانية لكي تنتجها لنفسها، بل هي ربانية المصدر. هناك عدد كبير من القوائم المختلفة للمحطات والحالات، لكن أبسطها هي تلك التي تتحدث "محطات" مثل: الامتناع عن نشاطات غير ضرورية، التخلّي عن المسرّات الدنيوية، العيش في حالة فقر (تقشّف)، الصبر، الإيمان بالله، والرضى بالموجود. أما "الحالات" التي يُهذب بها، فمن بينها مثلاً: قدرة على التأمل العميق، القرب من الله، زيادة في درجة المحبة، سكون النفس، اليقين.. إلى آخره.

مجرّد أن قارنت هذه الحالات والمحطات مع تلك المفاهيم التي وردت بصيغ مختلفة في التعاليم الصوفية الأخرى ستجد أن الغاية والنتيجة تبقى ذاتها: الزهد في الشؤون الدنيوية يؤدّي إلى حصول تغيير في طبيعة الفرد، خصوصاً من الناحية العقلية/الروحية. (ارتفاع وتيرة الذنبية)

البوذية

تحدث "بوذا" دائماً عن طريقتين للحياة، الأولى هي العيش بطريقة عادية، أي الحياة الطائشة حيث يسعى الناس إلى السعادة عبر الانغماس في مسرّات عديدة، وعلى أمل دائم بأنهم سيحققون الظروف التي تُوفّر لهم الإشباع الكامل. (أي يخضعون لسيطرة الشيطان). أما الطريقة الثانية، فتُسمى "الدرب" (لتمييزها عن الطريقة الأولى) وتمثّل التصميم على كبح هذا التوق الداخلي إلى نيل المسرات عبر وسائل الدنيوية. (أي الإفلات من قبضة الشيطان). ليس هناك سفر فعلي عبر هذه "الدرب"، حيث الفرد لا ينتقل من مكان إلى آخر، أو حتى من حالة عقلية إلى

أخرى. الهدف في هذا الدرب هو ذو طبيعة تجاوزية، محجوب عن الحسّ والعقل، لكنه يُكشف عند الانقطاع عن إتباع الطريقة العادية لعيش الحياة، والتي يمكن تسميتها درب الأخطاء والأحزان (درب الشيطان). الهدف هو "الانقطاع" فعلياً، وليس "الاكتساب". إنه "الانقطاع" عن الخطأ أو الجهل المتمثل بالرغبة والابتغاء هنا وهناك. (درب الملائكة). هذه الحالة تُسمى "نيبانا" nibbana أو "نيرفانا" nirvāna. قبل وصف هذا "الدرب" علينا التعرّف على الاكتشاف العظيم لبوذا.



لقد اكتشف أن البهجة المتعدّر وصفها تأتي فقط للإنسان الذي يُدرك عالميّة الحزن. هذه البهجة تأتي لأنه تحرّر من حالة الاتكال على الأشياء المادية والتوق الشديد لها. أنت تتمسك بالحزن والمعاناة. بفعل جهلك، أنت تعانق وتقبّل برامق هذه العجلة الدورية من العذاب. وصف بوذا جانبي المعاناة، النفسي والجسدي، الألم والحزن، وجميعها ناتجة من الاهتمامات الدنيوية. لكن بالنسبة لأولئك الذين يتخلّون عن خطأ السعي وراء السعادة أو توقع الحصول عليها من ظروف الدنيا، فإن بهجة "النيرفانا" تكون بانتظارهم.

لم يترك "بوذا" الناس يتلمسون طريقهم وحدهم إلى خارج حفرة الخطأ والتوق، حيث أوجد لهم "درباً"، وهذا الدرب "ثمانى الأقسام". هذا يعنى أن هناك ثمانية أشياء وجب فعلها، وإذا تم إنجازها بنجاح، فتمتلك طرق مجدية للعيش دون أحزان. خلال تعداد هذه الأشياء الثمانية، سوف يتكرر ذكر كلمة "صحيح" أو "مناسب"، وهذا يعنى أن هذا الشيء يكون صحيح أو مناسب فقط إذا كان متوافقاً مع الـ"دهارما" dharma، وهو النظام أو القانون الكونى الطبيعى والاخلاقى الذى وصفه "بوذا" وقال أنه ينطبق على جميع المخلوقات والأشياء. الـ"دهارما" تأتي أيضاً بمعنى "طريقة الحياة الصحيحة" التى تضع حداً نهائياً للألم والمعاناة. أما الأشياء التى يتألف منها الدرب "ثمانى الأقسام" فهى:

- ١- الفهم الصحيح، وجهة النظر الصحيحة، والتقييم الصحيح.
- ٢- الأهداف، الدوافع، المخططات، الاعتبارات، والقرارات الصحيحة.
- ٣- الاستخدام الصحيح للكلام.
- ٤- السلوك والتصرف الصحيح.
- ٥- طريقة حياة صحيحة، عدم الأنانية، مراعاة مشاعر الآخرين، أن يكون مفيداً.
- ٦- المجهود الصحيح، عمل الخير.
- ٧- النشاطات الفكرية الصحيحة، الدراسة والبحث
- ٨- التفكير الصحيح، الوضعية المترقبة للعقل التى تسمح بتلقى الإلهام والبصيرة.

كافة هذه المتطلبات داخلية فى تفاصيل الحياة اليومية وريقة استخدام الفرد لطاقاته وقدراته فى العالم. يمكن الالتزام بها بدرجات متفاوتة من التصميم والاستمرارية.

والآن علينا النظر فى المظهر الباطنى لهذه الطريقة فى الحياة، ونجيب على السؤال: ما الذى يحصل للمريد خلال عيش هذه الطريقة؟ لهذه الغاية، وصف "بوذا" المراحل الأربعة لهذا "الدرب"، وحدد ما هى "العيوب" أو "الأغلال" fetters التى تقيّد الإنسان وتعيقه، وشرح كيف يتم التخلص منها الواحد تلو الآخر. النتيجة المباشرة لممارسة السير فى هذا "الدرب ثمانية الوجوه" تتمثل فى إضعاف وتلاشي

الخطأ الذي يمنح الجسد أهمية كبرى. هذا الأمر ليس مجرد تنظير فقهي أو يُنسب إلى أسباب مارورائية، بل هو حقيقة ملموسة، حيث خلال السير عبر الدرب سيتوقف الفرد تلقائياً عن منح الأولوية لاهتماماته الجسدية والمسرات الدنيوية. الكبرياء المستند على الخواص الجسدية والشخصية سوف تُستبدل بالاهتمامات الحياتية الثمانية التي يتطلبها "الدرب".

إذاً، "الأغلال" fetters التي تحدث عنها "بوذا"، والتي تقيدنا بـ"دورة المعاناة اللامتناهية" (سامسارا samsara)، مجرد أن تعرّفت عليها، يُصبح من السهل التخلص منها وبلوغ التنوّ. لهذا السبب يشير بعض المعلمين إليها على أنها "العوائق العشر" أمام بلوغ التنوّ. هذه "الأغلال" هي:

- ١- التعلّق بالذات الدنيوية.
- ٢- الشكّ بتعاليم الـ"دهارما" (القانون الكوني) التي أوجدها بوذا.
- ٣- الانخراط بالشعائر والطقوس الدينية على أمل بأنّها تساهم في تطوير الفرد روحياً.
- ٤- الرغبات الحسيّة.
- ٥- سوء النية أو الكره.
- ٦- التوق الشديد إلى عالم الأشكال الرمزية (الحياة المادية عموماً).
- ٧- التلهّف إلى الوجود غير المادي.
- ٨- الاعتداد بالذات، الغرور، العجرفة.
- ٩- حب الذات، الاستياء، اللهو.
- ١٠- الجهل

يقول المعلمون البوذيون بأنه إذا استطاع الفرد أن يكسر "الأغلال" الثلاثة الأولى سوف يحرز حالة "دخول المجرى" Stream Entry (أو الانجراف مع التيار)، أي ينجرّف مع التيار الذي يقوده إلى حالة "تيرفانا". أما الذي يستطيع كسر كامل "الأغلال" العشرة، فسوف يحرز حالة "التنوّ".

توصف النصوص المقدسة البوذية كيف يتم كسر "الأغلال" عبر أربع مراحل:

- الذي يكسر "الأغلال" الثلاثة الأولى يصبح "داخل المجرى".
- الذي يكسر "الأغلال" الثلاثة الأولى يكون قد أضعف "الغلايين" التاليين بشكل كبير، فيصبح "عائداً مرة واحدة".
- الذي يكسر "الأغلال" الخمسة يصبح "لا عائداً".
- الذي يكسر "الأغلال" العشرة يصبح "أرهات" arahat، أي الذي أصبحت بصيرته نافذة في الطبيعة الحقيقية للوجود، وأحرز حالة "نيرفانا"، كما أنه لن يولد من جديد في العالم الدنيوي (أي تحرر من دورة الحياة والموت).

ليس هناك موعد محدد لانتهاه من كسر كامل الأغلال، حيث يمكن أن تستغرق عدة أيام، أو شهور، أو سنوات. أو يمكن أن تستغرق عقود طويلة، أو عدة أجيال (تجسيدات دنيوية) قبل أن يحرز الفرد حالة "النيرفانا".

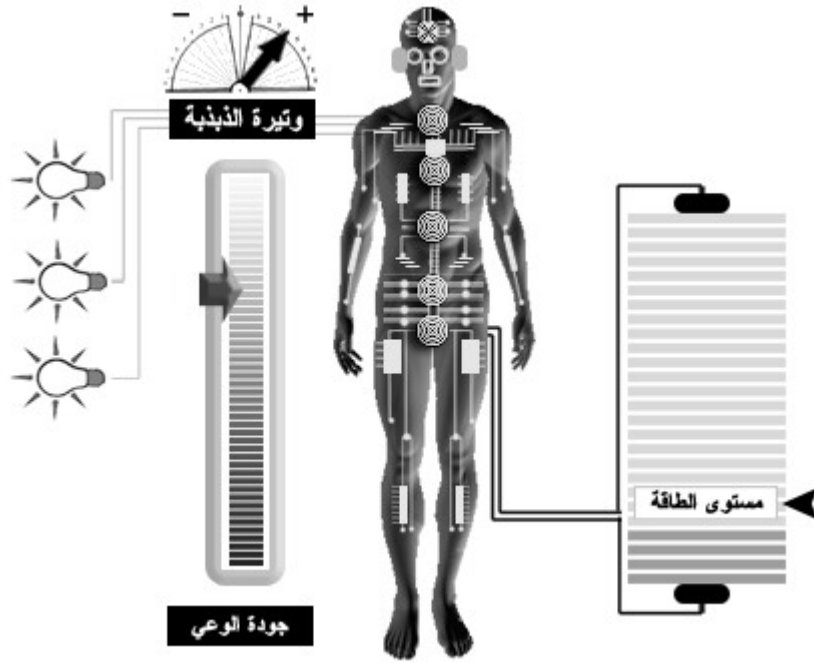
التقاليد الروحية التي ذكرتها في الفقرات السابقة هي مجرد أمثلة من طيف واسع ومتنوع من التقاليد حول العالم والتي تهتم جميعاً بـ"طريقة حياة محددة" وربطها بـ"الارتقاء الروحي". ورأينا كيف أن العامل الجوهرى في هذه العملية له علاقة بظاهرة "الذبذبة". فيما يلي شرح علمي لهذه العلاقة.

جودة الوعي

نتبين من خلال ما سبق أن التعلّم على "الدخول في حالة وعي بديلة" (التأمل) لا تكفي للتعامل مع العالم التجاوزي، حيث هناك المزيد من الإجراءات الضرورية الأخرى المتعلقة بمعالجة عنصر "الوعي"، وهذه المعالجة تهتم بـ"جودة الوعي". وذكرت بعض الأمثلة على الطريقة التي تتبعها التعاليم الروحية لمعالجة هذا الموضوع. يبدو أن الفرائض التي يلتزم بها المرید (أهمها عنصر الزهد) تساهم في رفع جودة الوعي، أي إحداث تغيير جذري في النظر إلى الأمور وطريقة

التفكير، خصوصاً رفع منسوب المحبة، وكل هذا يؤدي بالتالي إلى ارتفاع وتيرة الذبذبة. وهذا الارتفاع في وتيرة الذبذبة لا يقتصر على الموجات الدماغية و طاقة الوعي، بل على كافة المستويات، حتى على مستوى الحمض النووي DNA! (كما سنرى لاحقاً من خلال الدراسات العلمية).

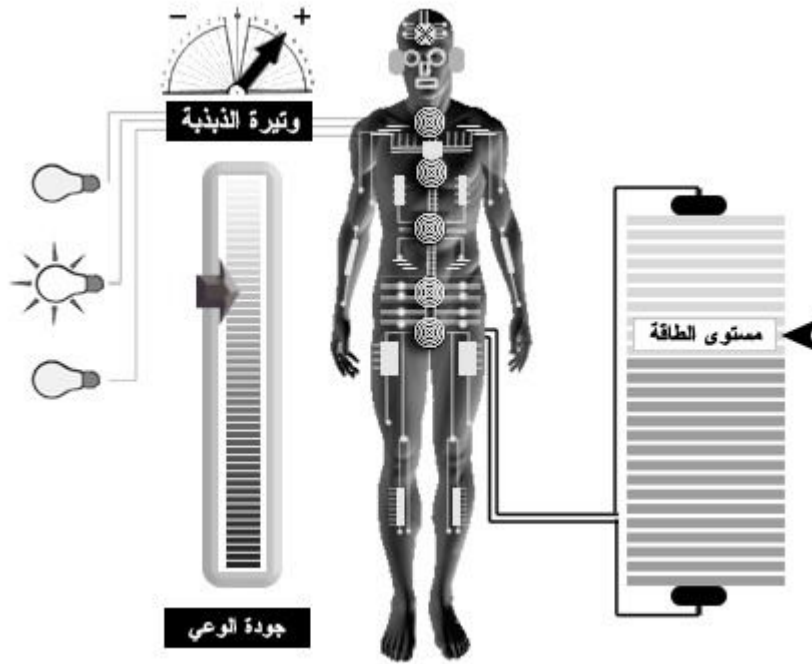
لكي تفهم هذه الفكرة جيداً، سوف نعود إلى مثال "الرجل الآلي" ونتعرف من خلاله على الفرق بين ارتفاع مستوى كمية الطاقة ("الوعي البديل") وبين ارتفاع وتيرة ذبذبة الطاقة (جودة الوعي).



شرحت سابقاً كيف أن الإنسان كما الرجل الآلي الذي يتغذى على طاقة كهربائية محدودة تزودها بطارية. ولدى الرجل الآلي ٣ منافذ استهلاك للطاقة الكهربائية (مصابيح مضيئة) ممثلة لثلاثة عناصر صحوه أساسية هي: التفكير، المشاعر، والحواس. وتبدو البطارية شبه فارغة بسبب استخدام كافة منافذ استهلاك الطاقة

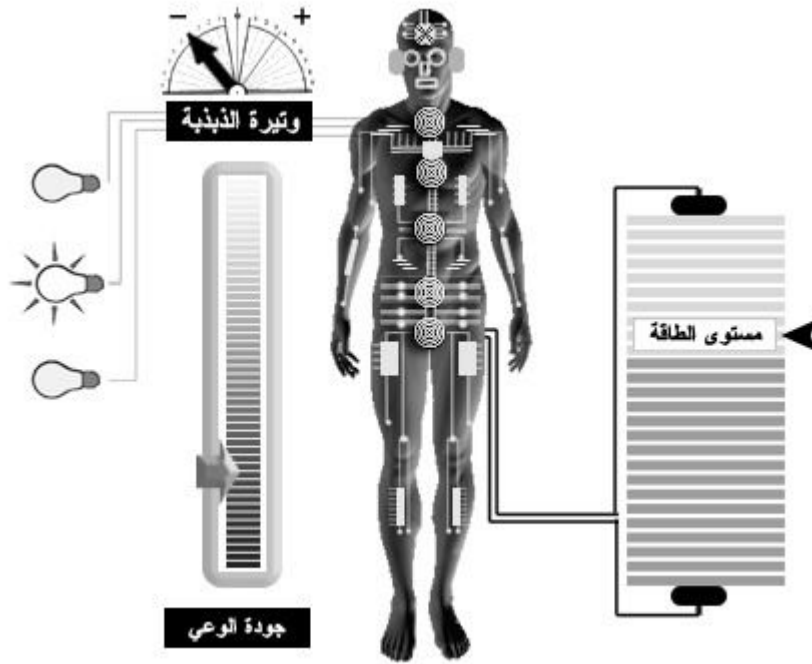
الكهربائية، وهذا يعني أن الإنسان في كامل صحوته، وبالتالي فالطاقة الحيوية منخفضة لديه. لكن بعد إضافة عامل "جودة الوعي" إلى العملية، توجّب علينا إدخال عناصر جديدة في المخطّط. العنصر الأول هو عبارة عن مقياس مئوي (عدّاد) يبيّن درجة وتيرة الذبذبة، والعنصر الثاني هو عبارة عن مزلاج مئوي (كما مفتاح الصوت في الآلات السمعية) يبيّن مستوى "جودة الوعي"، أو مستوى الروحانيّة إذا صحّ التعبير. ويبدو واضحاً في الصورة وجود علاقة جوهرية بين منسوب "جودة الوعي" ودرجة "ذبذبة الوعي"، حيث منسوب "جودة الوعي" مرتفعاً ويقابله درجة مرتفعة من "ذبذبة الوعي".

والآن، قد يظن البعض بأنه مجرد أن دخل الإنسان في حالة معيّنة من الوعي البديل سيحصل تغييراً ما في المقياس المئوي بسبب تراكم كمية زائدة من الطاقة إلى البطارية، لكن هذا لن يحصل. أنظر في الشكل التالي:



كما هو مبين في الشكل السابق، رغم ازدياد منسوب الطاقة في البطارية (تراكم المزيد من الطاقة الحيوية إلى الجسم) إلا أن وتيرة الذبذبة تبقى ذاتها. لم تنقص ولم تزداد. المؤشر بقي ثابتاً في المقياس. الشيء الوحيد الذي تغير هو ارتفاع وتيرة ذبذبة هذه الطاقة الزائدة التي تراكمت في البطارية نتيجة تحسين جودة الوعي. أي، بالإضافة إلى ازدياد كمية الطاقة، زادت وتيرة ذبذبتها.

المبدأ يبقى ذاته في حالة انخفاض "جودة الوعي"، حيث انخفاض وتيرة ذبذبة الطاقة لكن منسوبها لم يتغير. أي كمية الطاقة تبقى مرتفعة، لكن وتيرة ذبذبتها تنخفض. كما في الشكل التالي:



هذه الحقيقة ستؤدي بنا إلى طرح السؤال الكبير: طالما أن "كمية الطاقة"، والتي هي ضرورية للدخول في حالة الوعي البديل، لا تتأثر في العملية، لماذا كل هذا العناية الذي تتكبده المدارس الروحية في اهتمامها برفع "جودة الوعي"؟ أي بمعنى

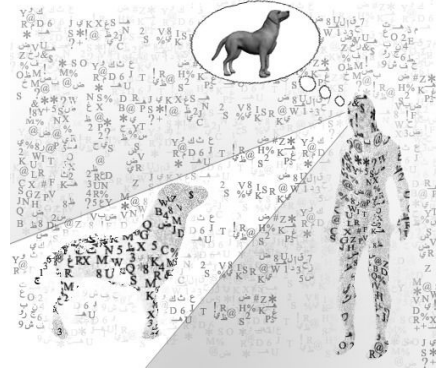
آخر، ما دور الذبذبة في الموضوع؟ طالما أن كمية الطاقة لا تتأثر، ما هو السبب وراء مضاعفة المجهود (العيش حياة زاهدة) لرفع وتيرة الذبذبة؟ سوف أقوم بتلخيص الجواب في مجموعة بنود مُرقّمة، وهي كما يلي:

[١] – ارتفاع وتيرة الذبذبة تسهّل عملية الدخول في حالة وعي بديلة. إذا كانت وتيرة الذبذبة مرتفعة لديك، سوف يقلّ المجهود المطلوب للدخول في حالة وعي بديلة، حيث مجرد الدخول في حالة "شروذ ذهني" سيمكنك من الدخول إلى مستويات تتجاوزية عالية، بينما هذه العملية تتطلب ساعات طويلة من التأمل إذا كانت وتيرة الذبذبة لديك منخفضة. الأمر مشابه تماماً لعملية إطلاق صاروخ إلى السماء، كلما ارتفعت منصة الإطلاق للأعلى (على قمة جبل مثلاً) كلما اقترب موقعها من السماء، وبالتالي قصرت المسافة بالنسبة للصاروخ وأصبح السفر أسهل عليه. وكذلك الحال، كلما ارتفعت وتيرة ذبذبة الفرد، كلما كان دخوله في حالة وعي بديلة أسهل ويصبح الارتفاع إلى أعلى المستويات التجاوزية أكثر يسراً (لدرجة التلقائية أحياناً).

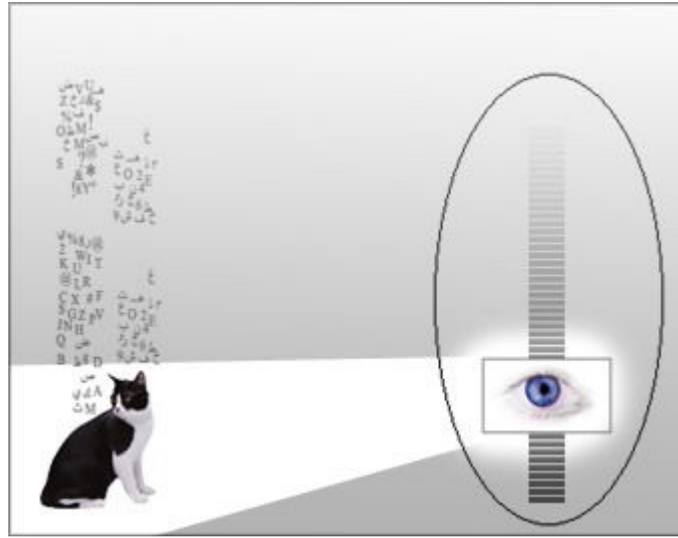
[٢] – إن رفع وتيرة الذبذبة لدينا تساعد الدماغ على التوافق مع المعلومات القادمة من المستويات التجاوزية العليا. ذكرت في أحد الفصول السابقة أن سبب عجزنا عن تذكر أو إدراك أي شيء عن نشاطات الوعي خلال انتقاله للعمل في المستويات التجاوزية العليا (كالأحلام) يعود إلى حقيقة أن المعطيات التي تأتي من ذلك المستوى التجاوزي العالي هي ذات وتيرة ذبذبية عالية مما يجعلها عاجزة عن ترك أي انطباع أو أثر ملموس في الدماغ (ذو وتيرة منخفضة)، فنعجز عن إدراكها أو الشعور بها أصلاً. لكن إذا كانت وتيرة الدماغ مرتفعة، سوف يستطيع إدراك تلك المعطيات بسهولة.

[٣] – وتيرة الوعي تجعلك ترى العالم بطريقة مختلفة. إذا عدنا إلى موضوع "التفاعل المعلوماتي بين الوعي المركزي والبيئة المحيطة"، الوارد في الفصول السابقة، وأعدنا النظر في فكرة أن العالم الصلب الذي نراه حولنا هو عبارة عن

شبكة هائلة من المعاني المتداخلة، وحتى الإنسان هو كينونة معلوماتية قائمة وسط هذا العالم من المعلومات والمعاني المتداخلة ببعضها، ثم عدنا إلى طرح السؤال الكبير الذي ختمت به ذلك الموضوع: إذا رفعنا من وتيرة ذبذبة الوعي لدينا كيف سيبدو العالم من حولنا؟ هل شيفرة المعاني للأشياء ستبقى ذاتها أم ستبدو مختلفة؟، أعتقد بأن الجواب أصبح حاضراً الآن. وهو يفسر قدرة بعض الأشخاص على إدراك الأشياء بطريقة مختلفة عن غيرهم.



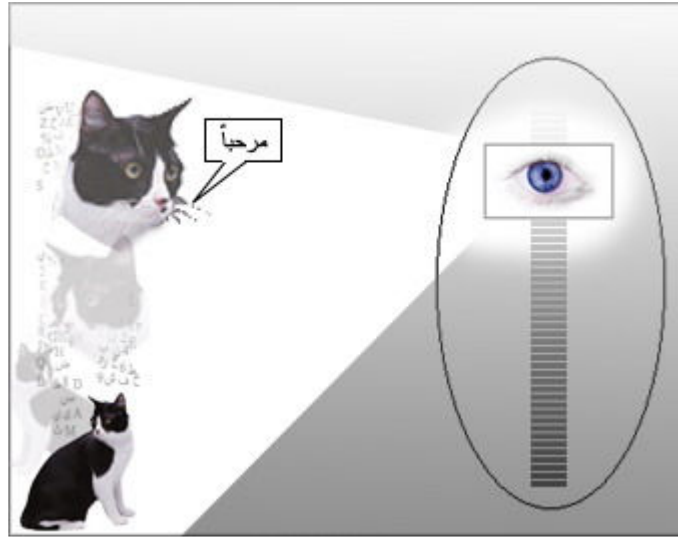
العالم الصلب الذي نراه حولنا هو عبارة عن شبكة هائلة من المعاني المتداخلة، برامج وأوامر معلوماتية متناغمة، ومتشابهة. المعلومات البصرية التي تدخل أدمغتنا تتعرض للتعديل والتحرير قبل مرورها إلى القشرة البصرية ومن ثم تتشكل هولوغرام الرؤية. فبالتالي، العيون قد تمثل أعضاء بصرية لكن العقل هو الذي يرى.



إذا نظرت إلى القط في الحالة العادية (أي ذبذبة وعي منخفضة) فسوف تراه بالطريقة المألوفة

إذا نظرنا إلى مشهد معين في الواقع من حولنا، سوف ندرك مباشرة ما يظهر فيه من أشياء. لكن في الحقيقة، نحن ندركه بهذه الطريقة ليس لأن ما نراه قد يكون هو ذاته الموجود أماناً، بل لأن العقل لدينا حول ما التقطته عيوننا ليتخذ هذا الشكل. وبدلاً من ذلك نحن نرى معاني متجسدة بطريقة معينة، لكن الدماغ (أو العقل) لدينا يلتقط الشيفرة المعلوماتية القادمة من المشهد وكل ما يحتويه ليترجمها على طريقته الخاصة لتتلقاها نحن بالصورة التي نراها الآن. لكن السؤال هو: ماذا يحصل إذا كانت وتيرةذبذبة العقل/الدماغ مرتفعة؟ هل يبقى ما نراه هو ذاته؟

إذا كانت وتيرةذبذبة العقل/الدماغ مرتفعة لديك، مجرد أن دخلت في حالة شرود خلال النظر إلى شيء معين سوف تراه بطريقة مختلفة تماماً، وقد تصاب بالصدمة مما تراه أو تدركه. المثال التالي يوضح الفكرة:

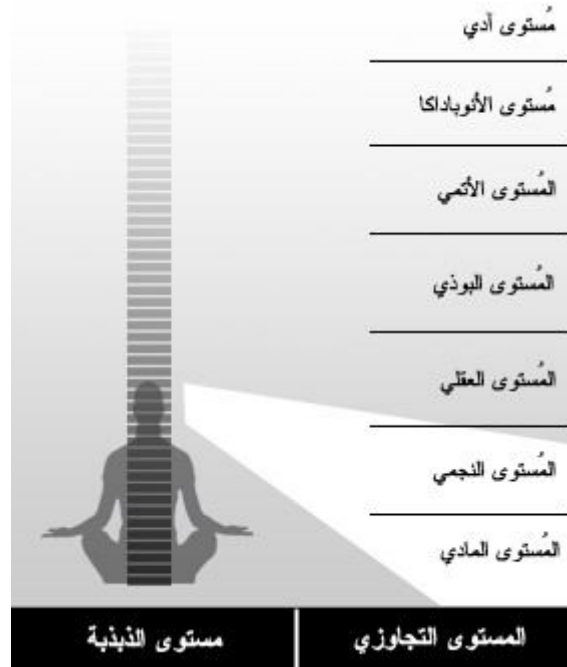


إذا كانت وتيرة الوعي مرتفعة لديك، مجرد أن دخلت في حالة شرود خلال النظر إلى القط سيؤدي إلى حصول تواصل حميم بينك وبينه، وبطريقة يتعذر وصفها بالكلمات، لكن هذا الشكل يوضح الفكرة نوعاً ما.

الأمر ذاته ينطبق على زهرة أو شجرة، أو حتى حجر! كل شيء سيبدو حياً!

[٤] – كلما ارتفعت وتيرة الوعي كلما زادت إمكانية التواصل مع عوالم تجاوزية أعلى. من أجل توضيح الفكرة، سوف أبدأ إلى أشهر التقسيمات الإيزوتيرية للعوالم المتجلى (المنظومة الحديثة لتعاليم "العصر الجديد" New Age)، أي: [١] المستوى المادي Physical، [٢] المستوى النجمي Astral، [٣] المستوى العقلي Mental، [٤] المستوى البوذي Buddhist، [٥] المستوى الأتمي Atmic، [٦] مستوى الأنوباداكا Anupadaka، [٧] مستوى آدي Adi.

إذا كانت وتيرة الذبذبة لديك منخفضة، ودخلت في حالة وعي بديلة، فهذا لن يساعدك كثيراً في الارتقاء إلى مستويات تجاوزية عالية. قد تدخل إلى العالم التجاوزي فعلاً، بعد إجراءات وتمارين مضنية وشاقة، لكنك لن تستطيع الارتقاء أعلى من المستوى "النجمي" Astral (الذي يمثل المستوى الأول بعد المادي). يمكن التعبير عن هذه الحالة من خلال الشكل التالي:



الدخول في حالة وعي بديلة خلال وجود الفرد في درجة متدنية من سلم الذبذبة لن يوصله أبعد من المستوى النجمي

هذه الحقيقة تفسّر السبب الذي يجعل السحرة والمشعوذين (العاملين بالأسود)، رغم قدرتهم على الدخول في حالات وعي بديلة، يبقوا عاجزين عن تجاوز حدود العالم النجمي. هذه حقيقة يعرفها كل المطلعين على هذا المجال. المشعوذ ليس متطور روحياً (وتيرة الذبذبة لديه منخفضة)، لكنه اتبع وسائل إلتفافية من أجل استثمار العالم التجاوزي لتحقيق غايات دنيوية. لكن مهما ابتعد في مسعاه هذا، لا يمكنه أن يصل إلى أعتاب ذلك المستوى التجاوزي الراقى الذي يدركه المتصوفون. لكن من ناحية أخرى، إذا كانت وتيرة الذبذبة مرتفعة لدى الفرد، أصبح بإمكانه بلوغ مستويات أعلى من العالم التجاوزي. وكلما زادت وتيرة الذبذبة لديه كلما ارتقى المستوى الذي يستطيع بلوغه. يمكن التعبير عن هذه الحالة من خلال الشكل التالي:



الدخول في حالة وعي بديلة خلال وجود الفرد في درجة مرتفعة من سلم الذبذبة سيمنحه من بلوغ مستويات أرقى في العالم التجاوزي

هذه الفكرة ستوضح جيداً في الجزء الثامن والتاسع من مجموعة "من نحن؟"

الخوف والمحبة

والفرق في مستوى الذبذبة

رغم كل ما ورد سابقاً بخصوص الفرائض التي توصي بها التعاليم الروحية بهدف التخلّي عن ملاحقة الشؤون الدنيوية والتوجّه كلياً للاهتمامات الروحية، وعلاقة كل ذلك بارتفاع مستوى الذبذبة، لكن من المؤكّد أن الكثيرون لازالوا يجدون الأمر غامضاً ويتعذّر استيعابه، حيث لا يجدون أي صلة منطقية بين الحالتين. ما الذي يربط بين الزهد بحياة الدنيا وبين مستوى الذبذبة؟ هذا هو السؤال الذي لازال يحير الكثيرون.

الاهتمام بالحياة الدنيوية يجلب الخوف، بينما الحياة الروحانية والتخلّي كلياً عن الاهتمامات الدنيوية يلغي الخوف تماماً ويبرز مكانه المحبة، وهذه الأخيرة هي جبلة الإنسان الأصيلة. خلال وجوده الدنيوي، تطغي على الإنسان الطبيعة الحيوانية، وبالتالي تتراجع المحبة إلى الوراء بينما تتولى الطبيعة الحيوانية كفاحها وسط مصاعب الحياة ومخاطرها وتصبح غايتها الرئيسية "الصراع من أجل البقاء" ولا شيء آخر. كلما زادت الصعوبات والمخاطر زاد نشاط ذلك الحيوان في داخلنا. كل هذا الكره الذي في داخلنا تجاه الآخر هو ناتج من الخوف، وكذلك الامتعاض، وعدم الاكتفاء، والشعور بالذنب، وكره الذات.. جميعها تعبيرات مختلفة لمصدر واحد: "الخوف". وهذا الأخير ناتج من منح أهمية كبرى للمسائل الدنيوية.

القتل، الأذى، الجريمة، التجبر، العدوانية، الاستبدادية... كل هذه وأكثر هي مقتضيات مترتبة من غاية أساسية واحدة تتمكّ الإنسان الحيواني، وهي الصراع من أجل البقاء. هذا الكفاح الدائم إلى المحافظة على الذات هو ناتج من دافع واحد: "الخوف". ليس هناك شرّ بالمعنى الذي نفهمه، فالإنسان الشرير هو الإنسان الخائف. إذا مزجت الدنيوية مع الخوف وأضفت إليهما الجهل سينتج الشر. وكلما زادت نسبة أي من هذه العناصر الثلاثة سوف يزيد الشرّ أكثر وأكثر. كلما زاد

تعلق الفرد بالدنيا يزيد الشر.. كلما زاد خوفه من محيطه يزيد الشر.. كلما زاد جهله بالحقيقة الكونية، خصوصاً تلك المتعلقة بأصوله الإلهية، يزيد الشر.



العامل الرئيسي لتوليد الخوف عند الإنسان ناتج من الطريقة الدنيوية التي ينظر بها إلى نفسه وكل ما حوله. (انظر في خاتمة كتاب "أقول شمس المعارف الكبرى). دور التعاليم الروحية هو تغيير هذه النظرة بالكامل، حيث يعلمونه على حب الحقيقة، حب الحياة، حب الخالق الذي جميعنا أجزاء منبعثة منه. الخطوة التالية هي إلزامه بفرائض معينة تساهم في توجيه اهتماماته إلى مسائل بعيدة كل البعد عن الشؤون الدنيوية ومغرياتها. وكما ذكرت سابقاً، ليس لهذه الفرائض أي علاقة بغضب ربّ السماوات أو غيرها من أسباب ماورائية تولّد الخوف أصلاً، بل لأسباب علمية بحتة. بعد فترة من الالتزام بطريقة الحياة الموصى بها، سوف يُلاحظ الفرد بأن عنصر "الخوف" يزول تماماً، ويُستبدل بعنصر "المحبة". هذه ليست فرضية بل واقع ملموس. بدلاً من الخوف من كل شيء، يصبح الفرد محباً لكل شيء. هذه النزعة الجديدة تساهم في تسكين النفس وتهديئة العقل. لكن هذا ليس كل شيء، بل هناك المزيد. نحن لم نتكلم عن الحقائق العلمية بعد.

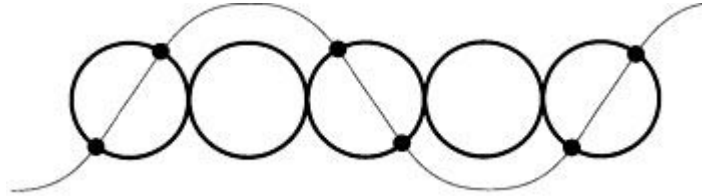
لقد أثبتت الأبحاث العلمية أن الإجراءات التي تتبعها المدارس الروحية لا تُحدث تغييرات على المستوى النفسي والعقلي فحسب، بل على المستوى الجسدي أيضاً. والأمر يتعلق بوتيرة الذبذبة. لقد بيّن عدد كبير من الدراسات العلمية حقيقة أن انفعال الخوف يولّد نمط معيّن من الذبذبات منخفضة الوتيرة (بطيئة) وطويلة الموجة، بينما انفعال الحب يولّد نمط من الذبذبات مرتفعة الوتيرة (سريعة) وقصيرة الموجة. أي أن هذه الانفعالات تجعل كامل الجسم، نزولاً إلى المستوى الذريّ، يتذبذب بوتيرة التردد التي تسببها. وبعد أن نعلم بأن التركيبة الجينية لجسم الإنسان تمثّل منظومة إرسال واستقبال ترددي فائقة التعقيد، حينها تبدأ الأمور بالتحليّ والوضوح. (كل من شاهد الفيلم الوثائقي "الصحة نحو نقطة الصفر" *Awakening To Zero Point* للباحث "غريغ برادن" Gregg Braden سيفهم جيداً هذه الحقيقة الأخيرة).

بيّنت التجارب أنه إذا وضعت قطعة من الحمض النووي DNA، المخطط الجيني الأولي للجسم، داخل بيئة إلكترونية في أنبوب اختبار، يُلاحظ بأن الإلكترونات ترتب نفسها بطريقة متوافقة مع نموذج الحمض النووي. إذا أزيل الحمض النووي من البيئة الإلكترونية، سوف تبقى الإلكترونات محافظة على الشكل الجديد الذي اتخذته. بمعنى آخر، حمضنا النووي DNA يؤثر بشكل دائم ومباشر على الطاقة المحيطة بنا. إن لحالتنا الوجودية (تركيبتنا البنوية) تأثير مباشر على العالم من حولنا ثانية بثانية. عندما يتغيّر مزاجنا، تتغيّر معه حالتنا الوجودية (وتيرة الذبذبة)، فينتغيّر كل شيء من حولنا. في هذا العالم الهولوجرافي الساحر، كل فرد له عالمه الخاص، أو واقعه الخاص الذي يعيشه فعلياً، مجرد أن غيّر طريقة تفكيره سوف يلاحظ حصول تغيير في العالم من حوله. تعامل المحيطين به يتغيّر وكذلك تسلسل الأحداث (".. اضحك للدنيا فتضحك لك.."). هذه إحدى المقومات الأساسية لـ"قانون الجذب".

نحن نملك سلسلة من الهوائيات (أنتينات) الميكروية micro-antenna تُسمى "الحموض الأمينية" amino acids التي تتفاعل مع الحمض النووي، ووفقاً للباحث "غريغ برادن" Gregg Braden (في فيلمه الوثائقي "الصحة نحو نقطة الصفر")

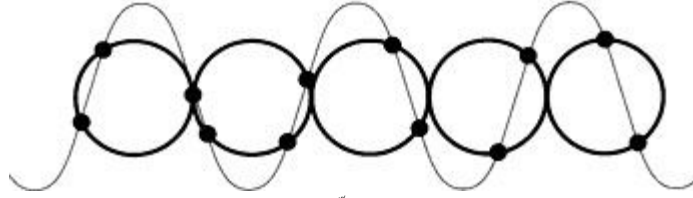
(Awakening To Zero Point)، هناك ٦٤ رمز جيني كامن لدى الإنسان، وهي تلعب دور الهوائيات (أنتينات) التي ترسل وتستقبل الذبذبات المختلفة. أي بمعنى آخر، نحن مجهزون بـ ٦٤ هوائي إرسال واستقبال يوصلنا بالأبعاد العليا (عالية الوتيرة). لكنه يقول بأن ٢٠ منها فقط هي مُفعّلة، بينما ٤٤ منها معطّلة. الآن أصبحنا نعلم السبب وراء تلك المقولة الشائعة: أننا لا نستخدم سوى نسبة قليلة جداً من أدمغتنا. يبدو أنها تعبّر تماماً عن هذه الحالة. هذا يعني أن العناصر التي تمكّننا من الاتصال المباشر والفعال مع كوامن قوانا الحقيقية، وكذلك الحكمة والتنوّج.. هي معطّلة تماماً. وما هو السبب الذي أدى إلى إخماد الهوائيات الـ ٤٤ يا ترى؟ الذبذبة غير المناسبة للجسم!، وما سبب ذلك؟ مزاجنا الخاطيء ونظرتنا الخاطئة للحياة (التفكير الدنيوي.. الصراع من أجل البقاء... الخوف).

أحد أشهر معاهد الأبحاث التي تهتم بدراسة هذا المجال هو معهد "هارت ماث" Institute of Heart Math في الولايات المتحدة. بيّن الباحثون في هذا المعهد أن هذه "الهوائيات" (الحموض الأمينية) في الحمض النووي DNA قابلة للتفعيل أو التعطيل بواسطة الموجات الذبذبية الناتجة من التفاعلات، والتي تتوغّل دائماً في منظومة الحمض النووي. انفعال الخوف مثلاً (والذي تشتق منه كافة الانفعالات السلبية الأخرى) يولّد موجات طويلة وبطيئة، وبالتالي لا تستطيع تفعيل سوى عدد قليل من تلك الهوائيات.



يولّد الخوف موجات طويلة وبطيئة تتوغّل بين الحموض الأمينية داخل الـ DNA، وهذا يساهم في تفعيل عدد قليل من هذه "الهوائيات" (أنتينات) في الحمض النووي والتي توصلنا بالكون.

بينما انفعال الحب، (والذي تشتق منه كافة الانفعالات الإيجابية الأخرى)، يولد موجات قصيرة وسريعة، وهذا يمكنه من تفعيل عدد أكبر من تلك الهوائيات.



تولد المحبّة موجات قصيرة وسريعة تتوغّل بين الحموض الأمينية داخل الـ DNA، وهذا يساهم في تفعيل عدد كبير من هذه "الهوائيات" (أنتينات) في الحمض النووي والتي توصلنا بالكون.

وبالتالي، عندما نخضع لسيطرة الخوف (توجيه اهتمامنا بالكامل باتجاه الشؤون الدنيوية) نكون بذلك منفصلين عن الوصلة الحقيقية التي تربطنا مع "اللامحدود"، ونبقي على أنفسنا محبوسون داخل شرانق الوعي الضيقة التي تعزلنا عن المحيط. لكن عندما تطغي علينا عاطفة المحبّة، سوف نعود تلقائياً إلى الاتصال مع ذاتنا الحقيقية متعددة الأبعاد، فتصبح إمكانياتنا لامحدودة، لأننا نتحول إلى كائنات لامحدودة.. بعد أن عدنا إلى الاتصال مع المحيط.. مع الله [عزّ وجلّ].



ها نحن الآن أمام دلائل جديدة تضيء المزيد من المنطق والمصادقية للتعاليم الروحية القديمة. تبين أنها على حق مرة أخرى. ليس مدارس اليوغا فحسب بل كل المدارس الروحية حول العالم، حتى تلك التي تحولت إلى أديان منظمة. بعد إزالة قشور الخرافات والخزعبلات التي وبتت بها التعاليم سنكتشف بأنها تستند جميعاً على أساس منطقي. رغم اختلاف الوسائل والطرق التي اتبعتها إلا أنها تسعى إلى الهدف ذاته: رفع وتيرة الذبذبة من أجل الارتقاء إلى مستويات وجودية أعلى.. الاقتراب أكثر وأكثر من مصدر نور الحياة.

أعلم بأن القارئ الكريم لازال يشعر بأن الأمر يشويه الغموض. لازالت المسألة غير واضحة وتسبب الإرباك. خصوصاً بعد الاطلاع على المواضيع السابقة المتعلقة بالذبذبة والارتقاء الروحي. لا بد من أن يراوده سؤال كبير لازال يحيرره. طالما أن الذبذبة تمثل العامل الجوهرى في موضوع الارتقاء الروحي أو ارتقاء مستوى الوعي، وبالتالي يمثل العامل الرئيسى لتفعيل القدرات الخارقة، فما هو السبب الذي يجعل بعض الأشخاص الذين نعتبرهم وسطاء فطريين، بالرغم من أنهم يعيشون حياة دنيوية، ومع ذلك نراهم موهوبون بقدرة استثنائية، مثل الاستبصار، أو تحريك الأشياء عن بُعد، أو حتى الخروج عن الجسد أو غيرها من قدرات، كل ذلك رغم أنهم لم يلتزموا بأي حياة متسكة أو زهد من أي نوع؟ لكن الأمر لا ينتهي عند هذا الحد بل هناك المزيد. طالما أن القدرات الخارقة تتطلب هذا القدر من الارتقاء الروحي (رفع وتيرة الذبذبة)، ما هو تفسير حقيقة وجود مشعوذين وعاملين في السحر الأسود، والذين هم بعيدون كل البعد عن الروحانية. كيف ينجحون في استنهاض تلك القدرات التي يستعرضونها؟ ما هو تفسير هذا كله؟

هنا بالذات يكمن الجانب المهم في هذا الموضوع. صحيح أن هناك بعض الأشخاص الموهوبين فطرياً بإحدى القدرات الخارقة أو مجموعة منها، لكن نادراً ما يتمتع أحدهم بكامل طيف القدرات العقلية مرة واحدة. لا بد من أن هذا السؤال شغل الحكماء القدامى لفترة طويلة قبل أن يصلوا إلى الجواب اليقين. صحيح أنهم

لم يعرفوا شيئاً عن الحمض النووي DNA وهوائيات الحموض الأمينية الـ٦٤، وآلية تفعيلها ذبذبيةً أو مخبرياً، لكنهم توصلوا إلى الحلّ المناسب لهذه المسألة بطريقة أخرى. تبين أن الوعي مُقسّم إلى جوانب متعددة، وكل منها يتذبذب بشكل منفصل، أي يمكن لذبذبة جانب معين من الوعي أن تكون مرتفعة الوتيرة، بينما جانب آخر تكون ذبذبته منخفضة. لهذا السبب نلاحظ أن الوسيط الروحي يتمتع بقدرة [PK] مثلاً، لكنه لا يتمتع بقدرات استبصارية، والعكس بالعكس. هذه الفرضية تتناسب تماماً مع الفكرة الجديدة التي تعرفنا عليها للتو، والمتعلّقة بهوائيات الحمض النووي DNA، حيث يمكن القول بأن بعض الهوائيات هي مفعّلة لديه بينما هناك أخرى بقيت معطّلة. والهوائيات المفعّلة هي مسؤولة عن القدرة التي برزت للسطح. لكن إذا أردنا شرح المسألة بناء على المفاهيم القديمة، علينا أولاً الاطلاع على بعض المواضيع المهمة المتعلقة بها. وهذا ما سنفعله في الجزء القادم.

أما بالنسبة إلى "المشعوذ" أو العامل في السحر الأسود، أول ما وجب معرفته هو أن "المشعوذ" الحقيقي نادر الوجود على المستوى الشعبي، فمعظم هؤلاء دجالون وليسوا مشعوذون. أي لا يفقهون شيئاً عن هذا المجال التجاوزي، بل جلّ ما يفعلونه هو إتباع إرشادات معينة وردت في أحد الكتب السحرية التي بحوزتهم، وهذه الكتب طبعاً هي مظلمة وعديمة الجدوى. وإذا نجحوا بعمل ما، فهذا بسبب قوة حضورهم الإيحائي الذي يؤثر في الحالة النفسية لمراجعهم. لكن إذا نجح أحدهم في تجسيد ظاهرة تجاوزية فعلية، فهذا يعود إلى أنه قد يتمتع فطرياً بقدرة خارقة وناسب تجليها بقوة خلال تعامله بهذا المجال التجاوزي. لكنني على أي حال لم أقصد هؤلاء الحمقى المساكين، بل أتحدث عن المشعوذين الحقيقيين الذين يخدمون الأبالسة، حكام العالم.

المشعوذ غير متطور روحياً، بل اتبع وسائل التفافية من أجل استثمار العالم التجاوزي لتحقيق غايات دنيوية. أي أنه اطلع على تلك العلوم التي تم توارثها من فترة العصر الذهبي، زمن الحضارات المهيبة التي ازدهرت على هذه الأرض

والتي احتكرها الأبالسة لأنفسهم ليستخدمونها للسيطرة على شعوب هذا الكوكب. لكن مهما ابتعد المشعوذ في مسعاه هذا، لا يمكنه أن يصل إلى أعتاب ذلك المستوى التجاوزي الراقي الذي ينشده المتصوفون الروحانيون. إذا أردنا تقييم الأمر وفق المفاهيم الإيزوتيرية التي نتحدث عن سبع مستويات للتجلي الكوني، نقول بأن المشعوذ بالكاد يصل إلى أواسط المستوى النجمي (الذي يمثّل المستوى الأول فقط). لم يسعى المشعوذ أبداً إلى تطوير قدراته بهدف الارتقاء الروحي، بل لاستثمارها لغايات دنيوية شريرة. وبالتالي لا يستطيع الوصول إلى الموقع النوراني الذي يدركه الروحانيون.

لكن مهما كانت الأحوال، مجرد أن تعرفنا على حقيقة أنه حتى المشعوذ "الخسيس" يستطيع النجاح في بلوغ العالم التجاوزي فهذا دليل آخر على أن هذا المجال أقرب إلى كونه علمي/تقني من كونه ديني/لاهوتي. أكبر دليل على استبعاد العامل الديني أو اللاهوتي من المعادلة هو بروز تقنيات خارقة تتمحور حول مفاهيم تجاوزية. صحيح أن أغلبية شعوب العالم لم يسمعوا عن هذه التقنيات لكنها موجودة على أي حال. هذه التقنيات الحديثة تمكّن الفرد، أي فرد، مهما كان مستوى إحداه ودينيته، من الارتقاء إلى العالم التجاوزي (الفضاء الفوقي) وتنفيذ مهمات مختلفة، وجميعها طبعاً تكون ذات طابع عسكري/استخباراتي، علمي استكشافي، أو أي غاية دنيوية أخرى. فما هو تفسير ذلك يا ترى؟

كافة مظاهر ومقومات الممارسة التجاوزية أصبحت قابلة للتفسير وفق مفاهيم علمية عصرية. كما فعلنا في هذا الكتاب تماماً. نحن أمام علوم تطبيقية حقيقية رغم منطقتها التجاوزية، وليس علوم روحية بمعناها الديني. المشكلة تكمن في النظرة الخاطئة إليها. هذه النظرة التي توارثتها عبر الأجيال، ونحن مستعدون لتوريثها إلى الأجيال اللاحقة كما هي، دون أي محاولة لتفحص مدى مصداقيتها أو جدواها.

أعتقد بأن الوقت حان للتوقف عن التعامل مع المجال التجاوزي بطريقة سطحية أو تكفيرية ونستمر في تجاهل وجوده أو التقليل من مدى أهميته. هذا العالم كان ولازال يمثل المنفذ الوحيد الذي يمكن منا الأبالسة.. كان ولازال يمثل الجبهة الرئيسية للمعارك الموجهة ضد الإنسانية. والمعركة القادمة هي الأشرس والأكثر ضراوة.. إنه عصر سايكوتروني بامتياز.. فهل أنتم محضرون؟

بما أن هذا الكتاب مُخصَّص للحديث عن حالات الوعي البديلة والمستويات العقلية التجاوزية، من الضروري التنويه إلى موضوع مهم جداً له علاقة بهذا المجال، أو بشكل أصح، ليس له علاقة إطلاقاً بهذا المجال رغم إنسابه له من خلال منحاه صبغة روحية. لذلك رأيت بأنه من الأنسب ختام الكتاب بهذا الموضوع تحديداً، لا لشيء سوى لإغناء معلوماتك.

حالات مزورة من "الوعي الديني"

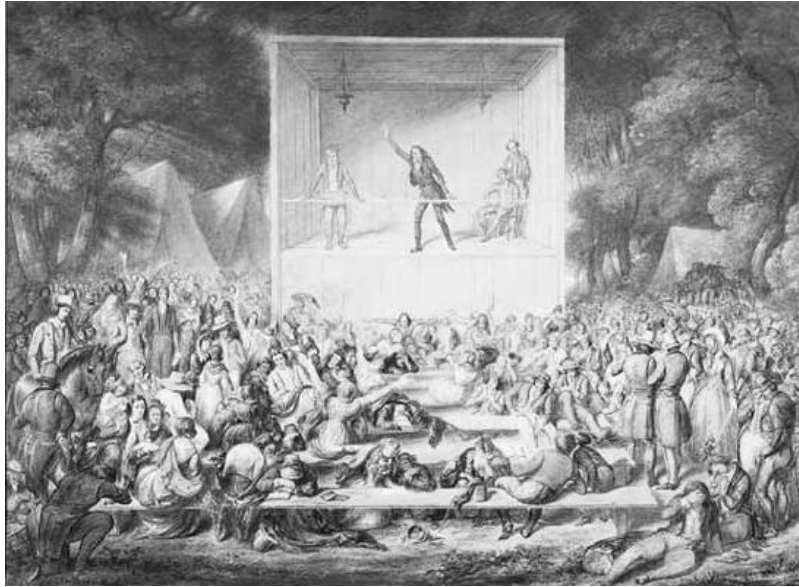
Counterfeit States of "Religious Consciousness"

لطالما كان هناك أشخاص تظاهروا بانتمائهم إلى تقليد صوفي أو توجه روحاني عموماً مع أنهم غير ذلك بكل تأكيد. الأمر ذاته ينطبق على حالات الوعي العُلّيا أيضاً، حيث هناك أشخاص يختبرون حالات مزورة من الوعي ويحاولون خداع أنفسهم والآخرين بالتظاهر أنها حالات روحية أصلية.

هناك ظاهرة موجودة في كل الأديان، وتُسمى "الهداية" conversion، لكنها في الحقيقة ليست سوى عملية سيطرة على العقول، برمجة، أو غسيل دماغ، وذلك عبر إخافة التائب، أو التابع، أو مجموعة مريدين حتى يصل بهم الأمر إلى حالة من الرعب والإرهاب ليحصل بعدها حالة إذعان كامل. كانت عمليات "الهداية" المزورة تُمارس بشكل واسع في القرن التاسع عشر بالولايات المتحدة، خصوصاً في ما تُسمى "الاجتماعات الدينية" revivals. حتى في يومنا هذا، لازالت هذه

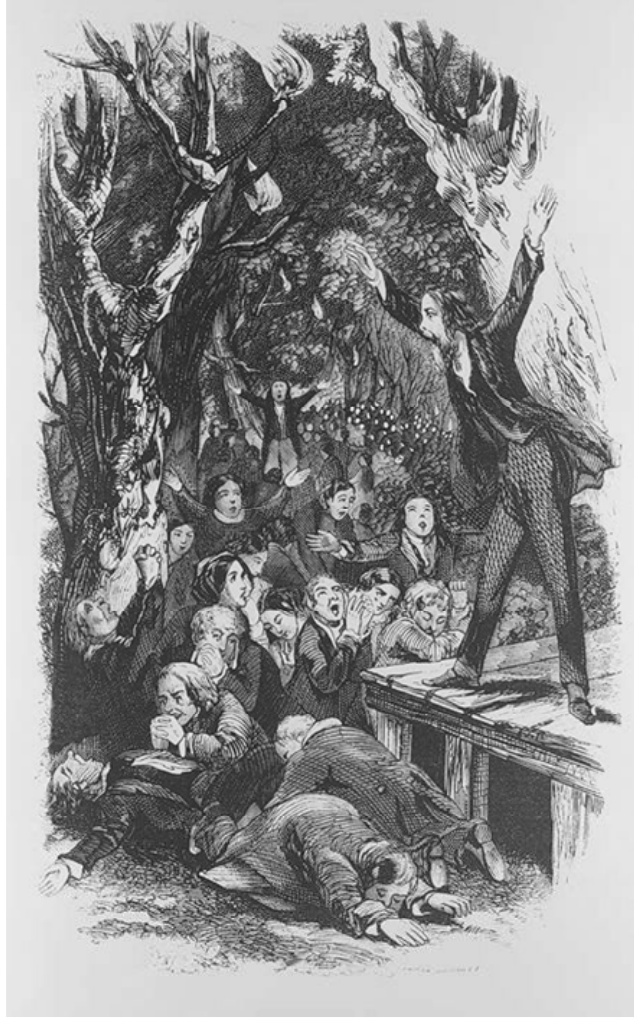
الاجتماعات الدينية تُستخدم لدى المؤسسات الدينية للسيطرة على الأتباع المخلصين. كل ما يحتاجه الأمر هو تسليط أحد الخطباء الموهوبين بفصاحة اللسان وبلاغة الكلام على مجموعة المؤمنين الحاضرين فيتم الأمر دون عناء.

هناك حقيقة قد لا يعرفها الكثيرون وهي أن "الخطيب" الموهوب بقدره إلقاء الخطابات الإرتجالية قد لا يكون مقتنعاً بما يقوله، لكن الأمر الذي يمكن ضمانه مئة بالمئة هو أن الحاضرين سيخرجون مقتنعين تماماً. السر يكمن في الموهبة التي يتمتع بها هذا النوع من الأشخاص. يستطيع هؤلاء تسويق أي فكرة أو منتج أو سلعة أو خدمة ببراعة وسهولة لدرجة أنهم مطلوبون جداً في كافة المؤسسات التجارية والصناعية، وحتى الأحزاب السياسية تُعتبر محظوظة إذا وهبها القدر أحد من هؤلاء الأشخاص المميزين. هذا مع العلم أنه كان ولا زال لهم مكانة جوهرية بين صفوف المؤسسات الدينية.



"الهداية" هي حالة اصطناعية، زائفة، ومؤذية، يتم استنهاضها في الشخص المُدعِن والمتصاع من قبل أحد الشخصيات الدينية الموهوبة بالخطابة لكن ذات مآرب

وغيابات أنانيّة. في كتابه الذي بعنوان "علم النفس الديني" The Psychology of Religion المنشور عام ١٩١٤، تفحص الدكتور "أدوين.د. ستاربوك" Edwin D. Starbuck عدد كبير من الأشخاص الذين اختبروا حالة "الهداية". وجد أن هذه الحالة لا تتجلى في كل الأعمار، بل تنتمي تقريباً إلى الأعمار بين ١٠ و ٢٥ سنة. الحالات التي تتجلى فيها خارج هذه الفترة من سنين الفرد تكون قليلة ومبعثرة. أي بمعنى آخر، ظاهرة "الهداية" تتجلى عند المراهقين فقط.



اكتشف "ستاربوك" أيضاً بأن الخيال والضغط الاجتماعي هما عاملان مسيطران في تكوين حالة "الهداية"، واستطاع إثبات مدى صغر الدور الذي يلعبه التفكير العقلاني في "الهداية" مقابل التفكير الغريزي. الاستسلام الكامل لسلطة المبتشر أو رجل الدين تُعتبر ضرورية لحصول حالة "الهداية" والتي هي نتيجة ارتفاع "الأناس" لدى الفرد إلى مدلول جديد.

جوهر الأمر في "الهداية" هو استنهاض حالة في الفرد يسودها شعور بحيث، بعد زوالها لاحقاً، لا تترك أي تحسن روحي لديه وغالباً ما ينتهي به الأمر مكتشفاً بأنه كان ضحية. غالباً ما تكون التجربة مهينة جداً لدرجة تدفع الفرد إلى النفور ليس من "الهداية" فحسب، بل من كل ما له علاقة بالدين.

اكتشف "ستاربوك" بأن القوى الفاعلة في "الاجتماعات الدينية" هي مشابهة تماماً لإحياءات التنويم المغناطيسي.. وهو ما نسميه اليوم "غسيل الدماغ". المظاهر السلبية لحالة "الهداية" يسببها بشكل رئيسي الخطيب الديني ذات المآرب الأثائية. كتب يقول:

".. الاستخدام السيء وغير الحكيم للاجتماعات الدينية يتمثل في أنهم يأخذون معايير اجتماعية معينة ويحاولون فرضها قسراً ودون تمييز على كل الأشخاص. تنغرس هذه الفكرة بعمق وثبات في عقول الأفراد لدرجة تجعلهم يشعرون بأن الخلاص الوحيد من خطاياهم هو عبر "التوبة"، وهذه الأخيرة تعني حالة تحول كامل وإعادة إحياء من جديد (يتحول إلى شخصية أخرى). يبدو أنهم يجهلون عملياً النوع الحقيقي من "الهداية"، أي الصحوه النقائنية والمفاجئة التي تتبع شعوراً طبيعياً بالظلاله والخطأ. بالإضافة إلى تجاهلهم لحقيقة أنه ليس من الطبيعي أن تتطور مزاجات معينة فجأة بعد نوبة طارئة، بل تتطلب مراحل تدريجية وبطيئة. تبعاً لذلك، تتحول الوسيلة الوحيدة لإعادة إحياء (خلاص) الأثمين والمذنبين إلى مذهب محدد أو عقيدة قائمة بذاتها، وتعتبر وسيلة الخلاص الوحيدة للأطفال، وعدم الناضجين روحياً، وغير المناسبين مزاجياً، وحتى للطاهرين. المنافسة المحتمة

بين دور العبادة التي تتسابق في زيادة عدد أتباعها عبر "الهداية"، وكذلك المنافسة التي تجري في الخفاء بين "المبشرين الخطباء" (أيهما أنجح من الآخر في عمله)، كلها تساهم في المبالغة بوصف الشر الذي وجب الشفاء منه. كل "مهتدي" جديد يُعتبر لدى "المبشر الخطيب" نجمة جديدة في الناج الذي سيرتديه في الجنة. لو تخلى هذا المبشر عن صفاقاته المتعجرفة وفكر بعقلانية، سوف يرى بأن نجاحه في جرّ أولئك "المهتدين" المساكين إلى دوامة الإثارة، التنويم المغناطيسي، ومن ثم تركهم أخيراً فارغين روحياً، لا يمكن وصفه سوى بمجرم الحرب الذي يعلّق فروات رؤوس ضحاياه على صدره كنياشين الانتصار..".

التلاعب السيكولوجي بالمؤمنين الدينيين له تاريخ طويل. وكل عقيدة أو مذهب له وسائله الترهيبية الخاصة التي يلجأ إليها "المبشرون" في الاستحواذ على الرعايا، وتحويلهم إلى "تائبين" مذعنين تماماً. لكن على الجانب الآخر، إذا نظرنا إلى الكلمات التي يستخدمها "المبشرون الخطباء" زوراً لأصطياد "المهتدين التائبين"، أي كلمات مثل "إعادة الإحياء من جديد"، "الصحة"،.. وغيرها، نجد أن لها معاني ومضامين حقيقية. ففي التقاليد الصوفية الأصيلة، تُعتبر "إعادة الإحياء من جديد" regeneration (أو البعث من جديد) حالة أصلية من الوعي السامي والتي يمكن إحرزها من قبل المرید الصادق، بينما "الهداية" هي حالة مزورة من الوعي.

".. المغزى الجوهرى والوظيفة الأساسية للـ"الهرمزية" Hermetism هو نشر الفلسفة والعلم الحقيقي المؤدى إلى "إعادة بعث" نفس الإنسان وانتشالها من حالتها المنغمسة الحالية إلى الحالة الإلهية النبيلة التي خلقت فيها أصلاً..".

"م.أ. أتوود" M. A. Atwood

الخيمياء والفلسفة الهرمزية Hermetic Philosophy and Alchemy (١٨٥٠)

اكتشف "ستار بوك" وغيره من الباحثين في ظاهرة "الهداية" بأنها في الجوهر عبارة عن اختبار "مراهقة مُدعنة" من قبل رجال ونساء لم يطوروا قدرة على التفكير والتصرف من تلقاء ذاتهم. بينما في التقليد الصوفي يختلف الأمر كلياً، حيث وجب

على المرشّحين لخوض "إعادة البعث من جديد" أن يكونوا فلاسفة ناضجين —
توّاقين للحكمة — بالمعنى ذاته الذي يمكن أن يفهمه فيثاغورث وأفلاطون.

".. المرشّحون للإنتساب إلى التعاليم الباعثة لحياة جديدة كانوا محضّرين وحاضرين، بشكل وبدرجة نادراً ما هي موجودة اليوم.. لإنكار والتخلّي عن كل ما هو ثمين وقيّم في الحياة، للخروج عن النهر الدنيوي الذي لازالت الأغلبية عالقة في تياره وتتجرف معه راضية ومطمئنة.. لرفض إثباتات الحواس الجسدية والمنطق العادي الذي يوفّر للأكثرية معياراً لما هو جذاب وحقيقي.. ليتبنى نظرة خاصة تجاه الوجود الظاهري يتعدّر استيعابها من قبل الإنسان العادي الذي يعتبر الوجود الدنيوي أقصى درجات الحياة.. لم تتملّكهم أي دوافع شخصيّة للخلاص، ولا أي شعور بالتفوق الروحي على زملاءهم وقرائنهم، بل بالعكس تماماً حيث كانوا معروفون بشدّة تواضعهم المتساوي بالدرجة مع مدى حكمتهم بين البشر. لقد تجاوزوا بتقدمهم تلك المرحلة البسيطة التي يحوي فيها الدين مقترحات عقائدية معيّنة، تملّي بأن يكون الفرد خيراً أو أن يتحلّى بأكبر قدر من خير، وتملّي بأن شدّة الإيمان وكفاءته يستند على فكرة أنه [طالما بقي الله في عرشه بالسماء، يبقى العالم بخير].. بينما القاعدة الفلسفية للمنتسبين تقول بأن [العالم في حالة تفكّك وانحلال، وكذلك الحال مع البشرية] وهو بحاجة ماسة إلى "مخلصين" ومتعاونين أوفياء مع الله من أجل التقليل من حالة الانحلال هذه وإعادة ضبط الأمور بقدر ما يُمكن.."

M. A. Atwood "م.أ. أتوود"

الخيمياء والفلسفة الهرمزيّة Hermetic Philosophy and Alchemy (١٨٥٠)

انتهى

مراجع

- How To Be A Yogi - Swâmi Abhedânanda-1902
- Great Systems of Yoga- Ernest Wood-1954
- THE DIRECT CORRENT CONTROL SYSTEM- Robert Becker
- ASTROLOGY AND THE DUCTLESS GLANDS- Augusta Foss Heindel
- Holographic Universe-Michael Talbot
- Future Science- John White& Stanley Krippner
- Hands of Light- Barbara Brennan
- Breakthrough to Creativity- Shafica Karagulla
- The Interior Castle- St. Teresa of Avila
- Astral Dynamics- Robert Bruce
- The Biggest Secret- David Icke [1999]
- The Secret Teaching Of All Ages- Manly P. Hall [1927]
- Ra Un Nefer Amen (1990). Metu Neter, vol. 1: The Great Oracle of Tehuti, and the Egyptian System of Spiritual Cultivation.
- Ra Un Nefer Amen (1996). Tree of Life Meditation System (T.O.L.M)
- Charles S. Finch III (1998). The Star of Deep Beginnings: The Genesis of ---
- African Science and Technology
- Harish Johari (1987). Chakras: Energy Centers of Transformation

From: WWW. Wikipedia.COM

- Tree of life -From Wikipedia, the free encyclopedia
- Chakra- From Wikipedia, the free encyclopedia
- Ausar Auset Society- From Wikipedia, the free encyclopedia
- Kemetism- From Wikipedia, the free encyclopedia
- Ancient Egyptian religion- From Wikipedia, the free encyclopedia
- Egyptian pantheon -From Wikipedia, the free encyclopedia

SYKOGENE.COM

الفهرس

٥	مقدمة.. أعرف نفسك
١٧	ما هي اليوغا؟
٢٧	علم اليوغا
٣٥	أنواع اليوغا بصيغة مختلفة
٣٨	أنظمة اليوغا الشرقية العشرة
٤٧	نظام "باتانجالي" للراجا يوغا
٦٥	علم البرانا وتطبيقاته
٧٤	الكونداليني
٨١	الشاكرات
٨٧	خلاصة
٩٠	الجسم الطاقى الحيوي
١٠٢	الضفائر العصبية
١٠٢	الغدد الصماء
١١١	تأثير العقل على الجسم
١٢٢	تأثير الوعي على الجسم عبر "الشاكرات"
١٢٩	كل "شاكرات" تنتمي لأحد أبعاد الفضاء الفوقى
١٣٥	عامل الذبذبة والطبيعة الاستثنائية للسلم الإيقاعى المتناغم
١٤٠	توافق أقسام الروح فى التعاليم المصرية مع الشاكرات الهندوسية
١٤٢	الهالة وطبقاتها السبعة وفق التعاليم المصرية
١٤٦	المصريون القدامى والدورات الفلكية
١٥٢	الوظيفة البيولوجية للعين الثالثة (دراسة علمية)
١٦٠	الإمكانيات الماورائية للغدد الصماء
١٦٣	النشاطات الكونية، الجيومغناطيسية الأرضية، والموجات الدماغية
١٦٧	خلاصة

١٦٩	التفعيل المباشر للشاكرات
١٧٢	رياضة اليوغا بصفقتها مناهج تحضيرية للتعامل مع العالم التجاوزي
١٧٧	التأمل والوعي البديل
١٨٨	العلم المنهجي وربط الوعي بالدماغ
١٩٤	الموجات الدماغية
٢٠١	الموجات الدماغية وحالات الوعي البديلة
٢١١	الوعي بصفته الطاقة
٢٣٦	الوعي بصفته تفاعل معلوماتي مع البيئة المحيطة
٢٨٤	التصوّف ورفع جودة الوعي
٢٨٧	التجربة الصوفية
٢٩١	العالم التجاوزي ومستوياته
٣٠١	الحياة الدنيوية والحياة الروحانية ومستوى الذبذبة
٣١١	التصوّف في اليوغا
٣١٣	الصوفية الإسلامية
٣١٤	البوذية
٣١٨	جودة الوعي
٣٢٧	الخوف والمحبة والفرق في مستوى الذبذبة
٣٣٥	حالات مزوّرة من "الوعي الديني"
٣٤١	المراجع
